WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Nov—Dec 84
We're Quality Bound



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

M. Tustari

منهج الصباغة

في

شرح نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري

دام ظله

الجزء الخامس

طبع على نفقة الحاج عبدالحميد ابريشم كار

من منشورات مكتبة تصدر

طهران شارع ناصر خسرو

١٣٩٨ هـ ق — تلفن ٥٣٧٦٩٦

مطبعة الحيدري

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 007154709
(RECAP)
3264
.1067
.955
.2
Juz' 5

٣١/ ١٩٧ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وروى عنه انه قال : عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام

كالمناجى رسول الله صلى الله عليه واله عند قبره

ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ عَنِّى وَعَنِ ٱبْنَتِكَ ٱلنَّازِلَةِ فِى جِوَارِكَ وَٱلسَّرِيعَةِ ٱللِّحَاقِ بِكَ . قَلَّ يَارَسُولَ ٱللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِى ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِى . إِلَّا أَنَّ لِى فِى ٱلتَّأَسِّى بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ . فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِى مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِى وَصَدْرِى نَفْسُكَ . إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . فَلَقَدِ ٱسْتُرْجِعَتِ ٱلْوَدِيعَةُ ، وَأُخِذَتِ ٱلرَّهِينَةُ . أَمَّا حُزْنِى فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِى فَمُسَهَّدٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ ٱللهُ لِى دَارَكَ ٱلَّتِى أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ . وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا فَأَحْفِهَا ٱلسُّؤَالَ وَٱسْتَخْبِرْهَا ٱلْحَالَ . هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ ٱلْعَهْدُ . وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ ٱلذِّكْرُ . وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ . فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ . وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ ٱللهُ ٱلصَّابِرِينَ

أقول : رواه في باب مولد فاطمة الكافي عن احمد بن مهران رفعه و عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبار الشيبانى ، عن القاسم بن محمّد الرازى ، عن عليّ بن محمّد الهرمزانى ، عن الحسين بن علىّ عليه السلام قال: لمّا قبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين عليه السلام سرّاً ، وعفى على موضع قبرها، ثمّ قام فحوّل وجهه إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله فقال :

السلام عليك يا رسول اللّه عنّى ، والسلام عليك عن ابنتك و زائرتك و البائتة في الثرى ببقعتك ، و المختار اللّه لها سرعة اللحاق بك. قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبرى، وعفى عن سيّدة نساء العالمين تجلّدى إلاّ أنّ في التأسى لي بسنّتك في فرقتك موضع تعزّ . فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت نفسك بين نحرى و صدرى بلى و فى كتاب اللّه لي أنعم القبول : فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون . قد استرجعت الوديعة و أخذت الرهينة و اختلست الزهراء . فما أقبح الخضراء و الغبراء يا رسول اللّه ، أمّا حزنى فسرمد و أمّا ليلى فمسهد و همّ لا يبرح من قلبي أو يختار اللّه لي دارك الّتى أنت فيها مقيم كمد مقيّح وهمّ مهيج سرعان ما فرق بيننا و إلى اللّه أشكو ، وستنبّئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها فأحفها السؤال و استخبرها الحال . فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا و ستقول ويحكم اللّه وهو خير الحاكمين سلام مودّع لا قال ولا سئم . فإن أنصرف فلا عن ملالة و إن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد اللّه الصابرين ، واه واهاً ـ فاوه واوه ـ والصبر أيمن و أجمل ، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية . فبعين اللّه تدفن ابنتك سرّاً وتهضم حقها و تمنع إرثها ، ولم يتباعد العهد ، ولم يخلق منك الذكر و إلى اللّه يا رسول اللّه المشتكى ، وفيك يا رسول اللّه أحسن العزاء ـ صلّى اللّه عليك و عليها السلام والرضوان.

ورواه أمالى المفيد فى المجلس (٣٣) عن محمّد بن عبد الجبار عن

القاسم بن محمّد الرازى ، عن علىّ بن محمّد الهرمزانى ، عن علىّ بن الحسين عن أبيه قال : لمّا مرضت فاطمة عليها السلام وصّت إلى علىّ عليه السلام أن يكتم أمرها ، و يخفى خبرها ولا يؤذن أحداً بمرضها ، ففعل ذلك ، وكان يمرّضها بنفسه و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسرار بذلك كما وصّت به . فلمّا حضرتها الوفاة وصّت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولّى أمرها ، و يدفنها ليلاً و يعفى قبرها . فتولّى عليه السلام ذلك ، و دفنها وعفى موضع قبرها .

فلمّا نفض يده من تراب القبر . هاج به الحزن . فأرسل دموعه على خدّيه و حوّل وجهه إلى قبر النبىّ صلى الله عليه وآله . فقال :

السلام عليك يا رسول اللّه . السلام عليك من ابنتك و حبيبتك ، و قرّة عينك ، و زائرتك ، والبائتة فى الثرى ببقعتك . المختار اللّه لها سرعة اللحاق بك . قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبرى ، و ضعف عن سيّدة النساء تجلّدى . إلاّ أنّ في التأسّى لي بسنّتك و الحزن الّذى حلّ بى بفراقك موضع التعزّى و لقد وسّدتك فى ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدرى ، و غمضتك بيدى ، و تولّيت أمرك بنفسي نعم و في كتاب اللّه أنعم القبول إنّا للّه وإنّا إليه راجعون قد استرجعت الوديعة ، و أخذت الرهينة ، واختلست الزهراء . فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله :

أمّا حزنى فسرمد ، و أمّا ليلى فمسهّد . لا يبرح الحزن من قلبى أو يختار اللّه لي دارك الّتى فيها أنت مقيم كمد مقيّح و حزن مهيّج سرعان ما فرّق اللّه بيننا و إلى اللّه أشكو ، و ستنبّئك ابنتك بتظاهر أمّتك علىّ ، و على هضمها حقّها فاستخبرها الحال . فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلا ، و ستقول ويحكم اللّه و هو خير الحاكمين .

سلام عليك يا رسول اللّه سلام مودّع لا سأم ولا قال . فإن أنصرف فلا عن ملالة ، و إن أقم فلا عن سوء ظنّى بما وعد اللّه الصابرين الصبر أيمن و أجمل

ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً ، والتلبّث عنده معكوفاً ، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية . فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً ، و يهتضم حقّها قهراً ، و يمنع إرثها جهراً ، ولم يطل العهد ، ولم يخلق منك الذكر . فإلى الله يا رسول الله المشتكى ، و فيك أجمل العزاء ـ فصلوات الله عليها و عليك ورحمة الله و بركاته ـ .

و رواه أمالى الشيخ فى أواخر الجزء الرابع مثله .

و رواه سبط ابن الجوزى فى تذكرته .

ـ وفيه ـ أو يختار الله لي دارك الّتى أنت بها مقيم و ينقلنى من دار التكدية و التأثيم ، و ستخبرك ابنتك بما لقينا بعدك . فاحفها بالسؤال و استعلم منها الامُور و الأحوال ـ الخ ـ .

وعن كشف الغمة أيضاً نقله مع زيادات .

قول المصنّف : و من كلام له عليه السلام . إلى قوله : عند قبره هكذا فى (حد) و(ثم) ولكن ليس فى المصرية الاُولى قوله «روى عنه أنّه قاله» و لا قوله «كالمناجى به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عند قبره» و إنّما أخذهما الثانية من (حد) و أشار إلى أخذه بجعلها بين قوسين كما هو دأبه فيما يأخذ عنه .

قوله : عند دفن سيّدة النساء فاطمة عليها السلام .

قال : (حد) تواتر الخبر عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين ـ الخ ـ .

وروى الخطيب فى (عبد الرحمن بن علىّ) عن أبى سعيد الخدرى فى قوله تعالى «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا»[1] إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم جمع علياً ، و فاطمة ، و الحسن ، والحسين عليهم السلام ثمّ أدار عليهم الكساء . فقال : هؤلاء أهل بيتي اللّهمّ اذهب عنهم الرجس

(١) الاحزاب : ٣٣ .

وطهّرهم تطهيرا ، و أمّ سلمة على الباب. فقالت: يارسول اللّه ألست منهم؟ فقال: إنّك لعلى خيرـ أو إلى خيرـ .

و روى فى (الحسين بن معاذ) عن عايشة قالت: قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة نادى مناد يامعشر الخلائق طأطأوا رؤوسكم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

و رواه سبط ابن الجوزى عن ابن عمر وصحّحه و قال: إنّه رواه جمع آخر.

وروى فى (غانم بن حميد) عن ابن عبّاس قال: قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض، ولم تطمث، و إنّما سمّاها فاطمة لأنّ اللّه فطمها و محبّيها عن النار.

قوله عليه السلام: «السلام عليك يارسول اللّه عنّى وعن ابنتك النازلة فى جوارك و السريعة اللحاق بك».

روى سبط ابن الجوزى عن جابر الانصارى قال: قال: النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لعلىّ عليه السلام «ياأبا الريحانتين عن قليل يذهب ركناك» فلمّا توفّى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال علىّ عليه السلام: هذا أحد الركنين، ولمّا توفيت فاطمة عليها السلام قال: وهذا هو الركن الآخر.

و روى عن مسند أحمد بن حنبل عن عايشة قالت: أقبلت فاطمة كأنّ مشيتها مشية النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: مرحباً بابنتي ثمّ أجلسها عن يمينه ثمّ أسرّ إليها حديثاً فبكت. فقلت: استخصك النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم و أنت تبكين ـ ثمّ إنّه أسرّ إليها فضحكت ـ فقلت لها: مارأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن، ما أسرّ إليك. فقالت: ماكنت لأفشى سرّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى إذا قبض سألتها. فقالت: قال: كان جبرئيل يعارضنى بالقرآن فى كلّ عام مرّة و أنّه عارضنى به العام مرّتين، ولا أراه إلاّ قد حضر أجلى و أنّك أوّل أهلى لحوقاً بي، و لنعم السلف انا لك، فبكيت لذلك. فقال: ألا ترضين أن تكونى سيّدة نساء هذه

الاُمّة فضحكت.

قال: و رواه مسلم والبخارى فى صحيحهما ـ و رواه الجزرى وفيه «ثمّ سارّنى الثانية و أخبرنى أنّي سيّدة نساء أهل الجنّة فضحكت».

و روى ابن عبد ربه فى عقده عن عايشة بنت طلحة عن عايشة بنت أبي بكر قالت: مارأيت أحداً من خلق اللّه أشبه حديثاً و كلاماً بالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبّلها ورحّب بها، و أجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت اليه ورحّبت به واخذت بيده فقبلتها. فدخلت عليه فى مرضه الّذي توفّى فيه فأسرّ إليها فبكت. ثمّ أسرّ إليها فضحكت. فقلت: كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء. فإذا هى واحدة منهنّ بينما تبكى إذ هى تضحك. فلمّا توفىّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم سألتها. فقالت: أسرّ إلىّ فأخبرنى أنّه ميّت فبكيت، ثمّ أسرّ إلىّ أنّى أوّل أهل بيته لحوقاً به فضحكت.

هذا، وكما أخبر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ابنته سيّدة النساء بكونها أوّل أهل بيته لحوقاً به أخبر بأنّ زينب بنت جحش أوّل أزواجه لحوقاً به، وفى الاستيعاب عن عايشة قالت: قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لنسائه: «أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً» فكنّ يتطاولن أيّتهنّ أطول يداً فكانت زينب أطولنا يداً لأنّها كانت تعمل بيدها و تتصدّق به.

«قلّ يارسول اللّه عن صفيّتك صبرى».

فى تذكرة سبط ابن الجوزى روى مسلم والبخارى والترمذى فى صحاحهم أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: فاطمة بضعة منّي يريبني مارابها و يؤذيني ماآذاها فمن أغضبها فقد أغضبنى.

و روى الخطيب فى (أحمد بن محمّد الشافعي) عن عايشة قالت: قلت للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: مالك إذا جائت فاطمة قبّلتها حتّى تجعل لسانك فى فيها

كلّه كأنّك تريد أن تلعقها عسلاً ؟ قال : نعم يا عايشة لمّا أُسرى بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنّة فناولني منها تفاحة فأكلتها فصارت نطفةفى صلبي . فلمّا نزلت واقعت خديجة ففاطمة من تلك النطفة ، وهي حوراءإنسية كلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتها .

«ورقّ عنها تجلّدى» : أى إظهار جلادتي . قال الشاعر :

«بعدت فطعم العيش بعدك علقم ووجه حياتى مذ تغيبت ارقم»

«إلاّ أنّ لي في التأسّى بعظيم فرقتك» روى الكافي أنّه لمّا أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام نعى الحسن عليه السلام إلى الحسين عليه السلام وهو بالمدائن . فلمّا قرء الكتاب قال : يالها من مصيبة ماأعظمها مع أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال : من اصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه فىّ فإنّه لن يصاب بمصيبة أعظم منها وصدق صلّى اللّه عليه وآله وسلّم .

«وفادح مصيبتك» : أى مثقلها .

«موضع تعزّ» : أى تسلّ .

«فلا تحسبى أنّى تناسيت عهده ولكن صبرى يا اميم جميل»

وعن الباقر عليه السلام سأل رأس اليهود أمير المؤمنين عليه السلام عمّا امتحنه اللّه فى حياة النبىّ صلى الله عليه وآله وبعده ـ إلى أن قال ـ قال عليه السلام له : وامتحننى بعد وفاته فى سبعة مواطن فوجدنى فيهنّ ـ من غير تزكية لنفسى ـ بمنّه ونعمته صبوراً .

امّا أوّلهنّ فإنّه لم يكن لي خاص ـ دون المسلمين ـ أحد آنس به أو أعتمد عليه غير النبىّ صلى الله عليه وآله هو رباني صغيراً وبوانى كبيراً ، وعال لي النفس والولد والأهل مع ماخصّنى به من الدرجات الّتي قادتني إلى معالى الحقّ عنده تعالى . فنزل بى من وفاته مالم أكن أظنّ الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به ، فرأيت الناس من أهل بيتي بين جازع لا يملك جزعه ، ولا يضبط نفسه

قد أذهب الجزع صبره ، وحال بينه وبين الفهم والإفهام ، وساير الناس من غير بنى عبد المطّلب بين معزّ يأمر بالصبر ، وبين مساعد باك معهم فحملت نفسى على الصبر عند وفاته بلزوم الصمت والاشتغال بما أمر اللّه به من تجهيزه وتغسيله وتحنيطه وتكفينه والصلاة عليه ووضعه فى حفرته ، وجمع كتاب اللّه وعهده إلى خلقه لا يشغلنى عن ذلك بادر دمعة ولا هائج زفرة ولا اذع حرقة ، ولا جليل مصيبة حتّى ادّيت فى ذلك الحق الواجب للّه تعالى و لرسوله علىّ ، وبلّغت منه الّذى أمرنى به ، واحتملته صابراً محتسباً ـ الخبر ـ

«فلقد وسّدتك فى ملحودة قبرك» فى الإرشاد أنفذ العبّاس بعد الصلوة على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبى عبيدة ـ وكان يحفر لأهل مكة ويضرح ـ وإلى زيد بن سهل ـ وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد فاستدعاهما وقال : اللّهمّ خر لنبيّك فوجد الرسول زيداً فحفر له صلى الله عليه وآله وسلم لحداً ـ إلى أن قال ـ ونزل أمير المؤمنين عليه السلام القبر فكشف عن وجه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ووضع خدّه على الأرض موجّهاً إلى القبلة على يمينه . ثمّ وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب .

ولم يحضر دفن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أكثر الناس لما جرى بين المهاجرين و الأنصار من التشاجر فى أمر الخلافة وفات أكثرهم الصلوة عليه لذلك .

«وفاضت بين نحرى وصدرى نفسك» فى الإرشاد لمّا قرب خروج نفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لأمير المؤمنين عليه السلام : ضع رأسى فى حجرك فقد جاء أمر اللّه تعالى . فإذا فاضت نفسى فتناولها بيدك وامسح بها وجهك . ثمّ وجّهنى إلى القبلة و تولّ أمرى وصلّ علىّ أوّل الناس ولا تفارقنى حتّى توارينى فى رمسى ـ الخ ـ .

«إنّا للّه و إنّا إليه راجعون» فى مصيبة سيّدة النساء .

«فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة» روى ابن طاووس فى طرائفه ـ فى حديث احتضار النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثمّ بكت فاطمة عليها السلام واكبّت على

وجه النبيّ صلى الله عليه وآله فقبّلته وأكبّ عليه علىّ والحسن والحسين عليهم السلام . فرفع رأسه إليهم ، ويد فاطمة فى يده فوضعها فى يد علىّ عليه السلام وقال له : يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعة رسوله . فاحفظنى فيها وأنّك لفاعل هذه والله سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين . هذه والله مريم الكبرى ـ إلى أن قال ـ فقد أمرتها بأشياء أمرنى بها جبرئيل عليه السلام واعلم ، يا علىّ أنّي راض عمّن رضيت ابنتي فاطمة عنه وكذلك ربّى والملائكة . يا علىّ ويل لمن ظلمها ، وويل لمن ابتزها حقّها ، وويل لمن انتهك حرمتها ـ الخبر ـ

«أمّا حزنى فسرمد» قال متمّم فى أخيه مالك :

«و قالوا ابكى كلّ قبر رايته لميت ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم أنّ الاسى يبعث البكا ذرونى فهذا كلّه قبر مالك»

وقيل لخنساء : ما هذه الندوب فى وجهك؟ قالت : من طول البكاء على اخوى . قيل : أيّهما أوجع؟ قال : أمّا صخر فجمر الكبد ، وأمّا معاوية فسقام الجسد .

«و أمّا ليلى فمسهّد» : أى قليل النوم ، قال :

«فتشهد لى على الارق الثريا و يعلم ما اجنّ الفرقدان»
«جفت عينى عن التغميض حتّى كان جفونها عنها قصار»
«أقول و ليلتى يزداد طولاً أما للّيل بعدهم نهار»
«إلى أن يختار الله لي دارك الّتى أنت بها مقيم»
«فوالله ما أنساه ما ذرّ شارق وما اهتزفى فرع الاراك قضيب»

«وستنبّئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها» هكذا فى المصرية و ليس قوله «بتضافر أمّتك على هضمها» فى (حد) و (ثم) و الخطية فلابد أنّه كان حاشية خلطت بالمتن أخذها المحشى من مستند الرضى رواية الكافى كما عرفت ، وعرفت أنّ رواية المفيد بدّلها بقوله (بتظاهر أمّتك علىّ و على هضمها

حقّها) و أنّ رواية سبط ابن الجوزى بدّلها بقوله (بما لقينا بعدك) .

روى الخطيب في (عمربن الوليد) عنه عليه السلام قال: ممّا عهد إلىّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الأمّة ستغدر بك بعدى.

وروى الجوهرى أنّه لمّا أكثر في تخلّف علىّ عليه السلام عن بيعة أبى بكر و اشتدّ أبوبكر وعمر عليه خرجت أمّ مسطح بن أثاثة فوقفت عند القبر و قالت: يارسول اللّه.

كانت أمور و أنبـاء و هنبثة لوكنت شاهدتها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها و اختل قومك فـاشهدهم ولا تغب

وفى أنساب البلاذرى عن أمّ الفضل قالت: كنت جالسة عند النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو مريض. فبكيت. فقال: مايبكيك؟ قلت: أخشى عليك ولا أدرى ما نلقى من الناس بعدك؟. فقال: أنتم المستضعفون، وفى بيان الجاحظ قالت صفية بنت عبد المطلب يوم السقيفة مخاطبة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

قد كان بعدك أنباء و هنبثة لوكنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد شغبوا

وفي سقيفة الجوهرى عن محمّد بن زكريّا عن محمّد بن عبد الـرحمن المهلّبى، عن عبد اللّه بن حماد بن سليمان، عن أبيه عن عبد اللّه بن الحسن عن أمّه فاطمة بنت الحسين قالت: لمّا اشتدّ الوجع بفاطمة بنت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وثقلت اجتمع عندها نسوة من نساء المهاجرين والأنصار. فقلن لها: كيف أصبحت يابنت رسول اللّه؟ قالت:

أصبحت واللّه عائفة لدنياكم. قالية لرجالكم. لفظتهم بعد ان عجمتهم وشنأتهم بعد أن سبرتهم. فقبحاً لفلول الحدّ، وخور القناة، وخطل الرأى وبئسما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط اللّه عليهم، وفى العذاب هم خالدون. لا جرم قد قلّدتهم ربقتها، و شنّت عليهم غارتها فجدعاً، وعقراً، و سحقـاً

للقوم الظالمين .

ويحهم أنّى زحزحوها عن قواعد الرسالة والنبوّة ، ومهبط الروح الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين ، ألا ذلك هو الخسران المبين ، وما الّذي نقموا من أبي الحسن ، نقموا والله نكير سيفه ، وشدّة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمّره في ذات الله .

وتالله لو تكافّوا على زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ اعتلقه ، و سار إليهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه ، ولا يتعتع راكبه ولأورد هم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفّتاه ولاصدرهم بطاناً ـ إلى أن قالت ـ ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذ هم الله بما كانو يكسبون .

ألا هلمّ فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبه إلى أىّ لجأ استندوا ، وبأىّ عروة تمسّكوا البئس المولى ولبئس العشير ، ولبئس للظالمين بدلاً . استبدلوا والله الذنابى بالقوادم ، والعجز بالكاهل . فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .

ويحهم أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أنّ يتّبع أمّن لا يهدّى إلاّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون .

أما لعمر الله لقد لقحت فنظرة ريثما تحلب ثم احتلبوها طلاع القعب دماً عبيطاً وذعافاً ممقراً ، هنا لك يخسر المبطلون ، ويعرف التالون ، غبّ ما اسّس الأوّلون ، ثمّ طيبوا عن أنفسكم نفساً ، و اطمأنوا للفتنة جأشاً وابشروا بسيف صارم ، وهرج شامل ، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً ، و جمعكم حصيداً فياحسرة عليكم وأنّى لكم ، وعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون .

«فأحفها» : أى استقصها .

«السؤال واستخبرها الحال» فى صفين ـ نصر ـ بعد ذكر سبق معاوية

على ماء صفين و منعه عسكوه عليه السلام عن الماء ـ فقال له عمرو بن العاص : خلّ بينهم وبين الماء فإنّ عليّاً لم يكن ليظمأ وأنت ريّان ، وفي يده أعنّة الخيل . إلى أن قال : وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق ومعه أهل العراق و أهل الحجاز وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول : لو استمكنت من أربعين رجلاً ـ فذكر أمراً ـ يعنى لو أنّ معى أربعين رجلاً يوم فتّش البيت ـ يعنى بيت فاطمة × ـ الخ ـ .

وفى الإرشاد وأصبحت فاطمة عليها السلام بعد قبض النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم تنادى : وا سوء صباحاه . فسمعها أبوبكر فقال لها : إنّ صباحك لصباح سوء .

وفى المروج كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم و حصره إيّاهم فى الشعب و جمعه لهم الحطب لتحريقهم ، ويقول : إنّما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا فى طاعته كما أرهبوا وجمع لهم الحطب إذ هم أبو البيعة في ما سلف .

و في خلفاء ابن قتيبة ـ في كيفيّة بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ـ تفقد أبوبكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ عليه السلام فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم ، وهم في دار علىّ عليه السلام فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال : والّذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أولأحرقنّها على من فيها . فقيل له : إنّ فيها فاطمة . فقال : وإن . فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً فإنّه زعم أنّه قال : حلفت ألاّ أخرج ، ولا أضع ثوبى على عاتقى حتّى أجمع القرآن . فوقفت فاطمة على بابها . فقالت : لاعهد لي بقوم حضروا أسوء محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة بين أيدينا ، و قطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ، ولم تردّوا لنا حقّاً .

فأتى عمر أبابكر . فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة . فقال أبوبكر لقنفذ ـ مولى له ـ ادع لي عليّاً فذهب إليه . فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله . فقال عليّ عليه السلام لسريع ماكذبتم

على رسول الله ﷺ فرجع فأبلغ الرسالة فبكى أبوبكر طويلاً . فقال له عمر ثانية : لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة . فقال أبوبكر لقنفد : عد إليه فقل له : أمير المؤمنين يدعوك لتبايع . فجائه قنفد فأدّى ما أمر به . فرفع علىّ عليه السلام صوته . فقال : سبحان اللّه لقد ادعى ماليس له . فرجع قنفد فأبلغ الرسالة . فبكى أبوبكر طويلاً ، ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة فدقّوا الباب . فلمّا سمعت أصواتهم قالت :

«يا أبه يا رسول اللّه ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب ومن ابن أبى قحافة» فلمّا سمع القوم صوتها وبكائها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تتفطر وبقى عمر ومعه قوم . فاخرجوا علياً عليه السلام فمضوا به إلى أبى بكر . فقالوا له : بايع . فقال : إن أنا لم أفعل فمه . قالوا : اذن و اللّه الّذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك . قال : اذن تقتلون عبد الله و أخا رسوله قال عمر : أمّا عبداللّه فنعم ، وأمّا أخو رسوله فلا ـ وأبوبكر ساكت لا يتكلّم ـ فقال له عمر : ألا تامر فيه بأمرك . فقال : لا أكرهه على شيء ماكانت فاطمة إلى جنبه . فلحق علىّ عليه السلام بقبر رسول اللّه ﷺ يصيح و يبكى و ينادى «يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى» .

فقال عمر لأبي بكر : انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلّماه فأدخلهما عليها فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحايط فسلّما عليها فلم تردّ عليهما السلام . فتكلّم أبوبكر . فقال : ياحبيبة رسول اللّه واللّه إنّ قرابة رسوله أحبّ إلىّ من قرابتي وأنّك لأحبّ إلىّ من عايشة ابنتي ، ولود تيوم مات أبوك إنّى متّ ولا أبقى بعده . أفتراني أعرفك وأعرف فضلك و شرفك وأمنعك حقّك و ميراثك من الرسول الا أنّى سمعت أباك يقول : لا نورث ما تركناه صدقة . فقالت : أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن الرسول تعرفانه

و تقرّان به قالا : نعم .

فقالت : نشدتكما اللّه ألم تسمعا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول : رضى فاطمة من رضاى ، و سخط فاطمة من سخطى .

فمن ارضى فاطمة فقد ارضانى ، ومن اسخط فاطمة فقد اسخطنى .

قالا : نعم سمعناه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

قالت : فإنّى اُشهد اللّه وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني و لئن لقيت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لأشكونكما إليه . فقال أبوبكر : أنا عائذ باللّه من سخطه و سخطك يافاطمة ـ ثم انتحب أبوبكر يبكى حتّى كادت نفسه أن تزهق وهى تقول : واللّه لا دعون اللّه عليك فى كلّ صلوة اُصليها .

وروى الجوهرى عن عبد اللّه بن موسى بن عبد اللّه بن الحسن أنّ داود بن المبارك سأله عن أبي بكر وعمر . فقال : اُجيبك بما أجاب به جدّى عبد اللّه لمّا سئل عنهما . فقال «كانت اُمّى فاطمة صدّيقة ابنة نبىّ مرسل و ماتت وهي غضبى على قوم فنحن غضاب لغضبها» وأخذ ذلك بعض العلويين مخاطباً لعمر فقال :

يا أبا حفص الهوينا و ما كنت بذاك لولا الحمام
أتموت البتول غضبى و نرضى ما كذا يصنع البنون الكرام

وقال النظام شيخ الجاحظ ـ كما فى ملل الشهرستانى ـ إنّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتّى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح أحرقوها بمن فيها ، وما كان فى الدار غير علىّ وفاطمة والحسنين .

وقال أبو جعفر النقيب ـ قال (حد) ولم يكن إماميا ـ إذا كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أباح دم هبار بن الأسود لمّا كان روّع زينب بنت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أرادت الهجرة حتّى أسقطت فألقت ذا بطنها . فظاهر الحال أنّه لو

كان حيّاً لأباح دم من روّع فاطمة حتّى ألقت ذا بطنها ٠

و فى الطبرى أتى عمر منزل علىّ عليه السلام فقال: و اللّه لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ للبيعة ٠ فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فسقط و سقط السيف من يده ٠ فوثبوا عليه فأخذوه ـ الخبر ـ ٠

و فى غرر ابن خزابة قال زيد بن أسلم : كنت ممّن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع علىّ و أصحابه من البيعة ٠ فقال عمر لفاطمة: اخرجى من في البيت و إلاّ أحرقته و من فيه ـ و في البيت علىّ و الحسن و الحسين و جماعة من أصحاب علىّ ٠

وروى الواقدى أنّ عمر جاء إلى علىّ عليه السلام في عصابة فيهم أسيد بن حضير و سلمة بن أسلم الأشهلى ٠ فقال : اخرجوا أو لنحرقنّها عليكم ٠

و فى عقد ابن عبد ربه قعد علىّ عليه السلام و العبّاس في بيت فاطمة حتّى بعث أبوبكر إليهما عمر ليخرجهما من بيت فاطمة وقال له : إن أبيا فقاتلهما. فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهما البيت ٠ فلقيته فاطمة ٠ فقالت لعمر: جئت لتحرق دارنا ٠ قال : نعم ٠

و روى الجوهرى فى سقيفته أنّ عمر جاء إلى بيت فاطمة فى رجال من الأنصار ، و نفر قليل من المهاجرين ٠ فقال : والّذى نفسي بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ عليكم البيت ٠

وعن الشعبى لمّا رأت فاطمة ماصنع عمر صرخت وولولت ،واجتمع معها نساء كثير من الهاشميّات وغيرهنّ ٠ فخرجت إلى باب حجرتها ، ونادت يا أبابكر ما أسرع ماأغرتم على بيت رسول اللّه ٠

و فى أنساب البلاذرى عن أبي عون أنّ أبابكر أرسل إلى علىّ عليه السلام فلم يبايع فجاء عمر و معه قبس فتلقته فاطمة ٠ فقال : يا ابن الخطاب أتراك محرقاً ؟ قال : نعم و ذلك أقوى في ما جاء به أبوك ـ الخبر ـ ٠

وروى الجوهرى فى سقيفته عن الليث عن رجاله قال أبوبكر: ودّدت أنّى لم أكشف بيت فاطمة، ولو اغلق على الحرب ـ وروى مثله المبرد، وابن عبد ربه والمسعودى ـ.

وفى إثبات المسعودى هجموا على علىّ عليه السلام وأحرقوا بابه، واستخرجوه كرهاً، وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتّى أسقطت محسناً.

وفى تاريخ اليعقوبى دخلت نساء النبىّ صلى الله عليه وآله ونساء قريش على فاطمه فى مرضها. فقلن: كيف أنت؟ قالت: أجدنى كارهة لدنيا كن. مسرورة بفراقكن. ألقى اللّه ورسوله بحسرات منكنّ، فما حفظ لى الحقّ، ولا رعيت منّى الذمة، ولا قبلت الوصية، ولا عرفت الحرمة.

وهذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر» فى تذكرة سبط ابن الجوزى قال الشعبي: لمّا منعت فاطمة ميراثها لاثت خمارها على رأسها وحمدت اللّه تعالى وأثنت عليه ووصفت رسول اللّه صلى الله عليه وآله بأوصاف. فكان ممّا قالت كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله كلّما فغرت فاغرة من المشركين فاها أو نجم قرن من الشياطين وطىء صراخه بأخمصه، وأخمد لهيبه بسيفه، وكسر قرنه بعزمته حتى إذا اختار اللّه له دار أنبيائه ومقر أصفيائه وأحبائه اطلعت الدنيا رأسها إليكم فوجدتكم لها مستجيبين، ولغرورها ملاحظين هذا والعهد قريب والجرح لم يندمل فأنّى تكونون كذا وكتاب اللّه بين أظهركم ـ الخبر ـ.

وقال الكراجكى: من عجائب الأمور أن تخرج سيّدة نساء العالمين ابنة خاتم النبيّين تندب أباها وتستغيث بأمّته ومن هداهم إلى شريعته فى منع أبى بكر من ظلمها. فلا يساعدها أحد، ولا يتكلّم معها بشر مع قرب العهد برسول اللّه صلى الله عليه وآله ومع ما يدخل القلوب من الرقة فى مثل هذا إذا ورد من مثلها حتّى تحمل الناس أنفسهم على الظلم فضلاً عن غيره. ثمّ تخرج عايشة بنت أبي بكر إلى البصرة تحرّض الناس على قتال أمير المؤمنين

علىّ بن أبى طالب عليه السلام وقتال من معه من خيار الناس ساعية في سفك دمه ودماء أولاده و أهله وشيعته فتجيبه عشرة ألوف من الناس، ويقاتلون إمامها إلى أن هلك أكثرهم بين يديها أنّ هذا لمن الأمر العجيب.

و قوله عليه السلام فى رواية الكافي والأمالي «واختلست الزهراء» وقوله عليه السلام «فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً وستقول ويحكم اللّه و هو خير الحاكمين» يدلّ على أنّها ماتت شهيدة، وقال في ذلك أبوبكربن أبي قريعة البغدادى:

يا من يسائل دائباً عن كلّ معضلة سخيفة
لا تكشفنّ مغطّى فلربّما كشفت جيفة
إنّ الجواب لحاضر لكنّنى أُخفيه خيفة
لولا اعتداء رعية ألقى سياستها الخليفة
و سيوف أعداء بها هاماتنا أبداً نقيفة
لنشرت من أسرار آل محمّد جملاً لطيفة
تغنيكم عمّا رواه مالك و أبو حنيفة
و أُريكم أنّ الحسين أُصيب في يوم السقيفة
ولأىّ حال ألحدت بالليل فاطمة الشريفة
ولما حمت شيخيكم عن وطئ حجرتها المنيفة
أُوه لبنت محمّد ماتت بغصّتها أسيفة

قوله عليه السلام فى تلك الرواية «فبعين اللّه تدفن ابنتك سرّاً» قال البلاذرى فى تاريخه: إنّ فاطمة عليها السلام لم تر متبسّمة بعد النبىّ صلى الله عليه وآله ولم يعلم أبوبكر وعمر بموتها.

و في الاستيعاب أنّ فاطمة عليها السلام قال لأسماء بنت عميس: إذا أنامت فاغسلينى أنت وعلىّ عليه السلام، ولا تدخل علىّ أحداً. فلمّا توفّيت جائت عايشة

تدخل . فقالت لها أسماء : لا تدخلي فشكتها عايشة إلى أبي بكر. فقالت له : إنّ هذا الخثعمية تحول بيننا وبين بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها أبوبكر : يا أسماء ما حملك على ما منعت أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : هي أمرتني ألاّ يدخل عليها أحد .

وفي التنبيها شراف المسعودي تولّى غسل فاطمة أمير المؤمنين عليه السلام و دفنها ليلاً ، ولم يؤذن بها أبوبكر ، وكانت مهاجرة له منذ طالبته بارثها من أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من فدك وغيرها إلى أن ماتت .

ولكون دفنها سرّاً اختلف في مدفنها . فقال المفيد في مقنعته: إنّها في الروضة استناداً إلى مرسل ابن أبي عمير عن الصادق عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «ما بين قبري و منبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على ترعة من ترع الجنّة» لأنّ قبر فاطمة عليها السلام بين قبره ومنبره ، وقبرها روضة من رياض الجنّة وترعة من ترع الجنّة — ورواه دلائل الطبري في خبر — .

و روى الكليني في كافيه أنّ الرضا عليه السلام سئل عن قبرها . فقال دفنت في بيتها . فلمّا زادت بنواُميّة في المسجد صارت في المسجد ، و اختاره الصدوق في فقيهه .

وقال الشيخ في تهذيبه : إنّ رواية الروضة والبيت كالمتقاربتين وأمّا من قال : إنّها دفنت في البقيع فبعيد عن الصواب .

و في قرب الإسناد سأل رجل أباعبدالله عليه السلام عن مدفن فاطمة عليها السلام وعيسى بن موسى حاضر. فقال له عيسى : بالبقيع فقال ع : بل دفنت في بيتها و في الاقبال سئل الهادي عليه السلام هي في طيبة أو في البقيع كما يقول الناس؟ . فقال عليه السلام : هي مع جدّي صلى الله عليه وآله وسلم .

قوله عليه السلام في تلك الرواية «وتهضم حقّها» ومن كتاب معاوية إليه عليه السلام المشهور «وعهدي بك امس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار و يداك في

يدى ابنيك الحسن و الحسين يوم بويع أبوبكر. فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بامرأتك، و أدليت إليهم بابنيك، واستنفرتهم على صاحب رسول اللّه. فلم يجبك منهم إلاّ أربعة أو خمسة ولعمرى لوكنت محقّاً لأجابوك ولكنّك ادعيت باطلا، وقلت مالا تعرف ورميت مالا يدرك.

و في كتاب المنصور إلى محمّد بن عبد اللّه الحسنى ولقد ظلمها أبوك من كلّ وجه فاخرجها تخاصم، ومرّضها سرّاً، ودفنها ليلاً وأبى الناس إلاّ تقديم الشيخين.

و فى كتاب خراج أبي يوسف كتب نجدة بن عامر إلى ابن عبّاس يسأله عن سهم ذوى القربى لمن هو؟. فكتب إليه ابن عبّاس إنّ عمر دعانا إلى أن ننكح من سهم ذوى القربى ايمّنا، ونخدم منه عائلنا. فأبينا إلاّ أن يسلّمه لنا و أبى ذلك علينا.

و في سقيفة الجوهرى مسنداً عن أنس بن مالك أنّ فاطمة عليها السلام أتت أبابكر فقالت: لقد علمت الّذى ظلمتنا أهل البيت ـ ثمّ قرأت عليه «و اعلموا أنّ ما غنمتم من شئ فأنّ للّه خمسه وللرسول ولذي القربى» ـ الآية ـ فقال لها: و أنا أقرء من كتاب اللّه الّذى تقرئين منه، ولم يبلغ علمى منه أنّ هذا السهم من الخمس مسلم إليكم كاملا قالت: أفلك هو ولأقرباءك قال: لا بل أنفق عليكم منه، و أصرف الباقي في مصالح المسلمين.

قالت فاطمة: ليس هذا حكم اللّه تعالى.

قال أبوبكر: هذا حكم اللّه ـ إلى أن قال ـ فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ماقالت لأبى بكر.

فقال عمر لها مثل ماقاله لها أبوبكر، فعجبت فاطمة عليها السلام من ذلك وتظنت أنّهما كانا تذاكرا ذلك واجتمعا عليه.

قوله عليه السلام فى تلك الرواية «وتمنع إرثها» فى عيون المفيد مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفى بأبى حنيفة — و هو في جمع كثير يملى عليهم شيئاً من فقهه و حديثه — . فقال لصاحب له كان معه : واللّه لا أبرح أو أخجل أبا حنيفة فقال له صاحبه : إنّ أباحنيفة من علمت ؟ فقال : مه هل رأيت حجّة كافر غلبت على مؤمن ثمّ دنا منه فسلّم عليه ثمّ قال له : إنّ أخاًلي يقول: خير الناس بعد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم علىّ عليه السلام وأنا أقول أبوبكر و عمر. فما تقول أنت؟

فقال : أما علمت أنّهما ضجيعاه فى قبره. فأىّ حجة أوضح من هذا ؟

فقال فضال : قلت ذلك لأخى فقال : إن كان الموضع للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم دونهما فقد ظلما بدفنهما فى موضع ليس لهما فيه حق ، و إن كان لهما ووهباه له فقد أساءا فى رجوعهما فى هبتهما .

فقال : لم يكن لهما ولكنّهما استحقّا الدفن بحقوق ابنتيهما .

فقال فضال : قلت ذلك لأخى . فقال لي : أما علمت أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أعطى حقوق نسائه فى حياته بأمر من اللّه سبحانه حيث يقول «إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أُجورهنّ»[1].

فقال : نعم ولكنهما استحقتا ذلك بميراثها من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال فضال : قلت له ذلك. فقال : أنت تعلم أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع نساء ولكلّ واحدة منهنّ تسع الثمن وهو شبر فى شبر. فكيف يستحقّ الرجلان أكثر من ذلك ، وبعد فما بال عايشة و حفصة ترثان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم و فاطمة بنته تمنع الميراث.

فقال أبوحنيفة : نحوّه عنّي فإنّه رافضي .

و روى الجوهرى مسنداً عن أبي صالح مولى أُمّ هانى قال : دخلت فاطمة على أبي بكر بعد ما استخلف. فسألته ميراثها من أبيها فمنعها فقالت

(١) الاحزاب : ٥٠ .

له : لئن متّ اليوم من كان يرثك ؟ قال : ولدى و أهلى . قالت : فلم ورثت أنت رسول اللّه ﷺ دون ولده و أهله . قال : مافعلت . قالت : بلى إنّك عمدت إلى فدك ـ وكانت صافية للنبىّ ﷺ ـ فأخذتها ، وعمدت إلى ما أنزل اللّه من السماء فرفعته عنّا . فقال : حدّثنى النبىّ أنّ اللّه تعالى يطعم النبىّ الطعمة ماكان حيّاً . فإذا قبضه اللّه إليه رفعت . فقالت : أنت تعلم و رسول اللّه ﷺ ما أنا بسائلتك بعد مجلسى هذا ، وانصرفت .

قوله عليه السلام فى تلك الرواية «ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام و اللبث لزاماً معكوفاً ، ولاعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية» روى الجوهرى مسنداً عن زينب بنت علىّ عليه السلام وعن محمّد بن علىّ عليهما السلام أنّ أبا بكر لمّا سمع خطبة فاطمة عليها السلام شقّ عليه مقالتها . فصعد المنبر فقال : أيّها الناس ما هذه الرعة إلى كلّ قالة أين كانت هذه الأمانى في عهد النبىّ إلاّ من سمع فليقل ، ومن شهد فليتكلّم إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه مربّ لكلّ فتنة هو الّذى يقول : كرّوها جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضعفة ، ويستنصرون بالنساء كأمّ طحال أحبّ أهلها إليها البغى . ألا أنّى لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لبحت ، إنّى ساكت ماتركت ـ ثم التفت إلى الأنصار فقال : قد بلغنى يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم وأحقّ من لزم عهد النبىّ أنتم فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ألا أنّى لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا ـ ثمّ نزل فانصرفت فاطمة .

قال (حد) بعد نقل الخبر قرأته على النقيب أبى يحيى البصرى ، وقلت له : بمن يعرّض ؟ فقال : بل يصرّح . قلت : لوصرّح لم أسألك فضحك وقال : بعلىّ بن أبى طالب عليه السلام قلت : هذا الكلام كلّه لعلىّ عليه السلام يقوله قال : نعم إنّه الملك يابنىّ ، قلت : فما مقالة الأنصار ؟ قال : هتفوا بقول علىّ عليه السلام فخاف من اضطراب الأمر عليه . فنهاهم ـ وقال النقيب : أمّ طحال إمرأة بغى في

الجاهلية يضرب بها المثل. فيقال: أزنى من أُمّ طحال.

قلت: يتعجّب (حد) من أن يقول صدّيقهم لأميرالمؤمنين عليه السلام ما مرّ، ولكن لاعجب بعد قول صاحبه فاروقهم لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الرجل ليهجر لا تجيئوه بدواة و صحيفة يكتب لكم وصيّة.

«والسلام عليكما سلام مودع لاقالٍ» بالجر من القلى بمعنى البغض.

«ولا سئم» من سئم منه إذا مللته.

«فإن أنصرف فلا عن ملالة» من مللت بالكسر.

«و إن أقم فلا عن سوءظن بما وعدالله الصابرين» في قوله تعالى «وبشّر الصابرين الّذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّالله و إنّا إليه راجعون أُولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمة و أولئك هم المهتدون»[1]

٣٢ في ٤٥/ ٢ بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكُ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ. وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ. وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ

«بلى كانت في أيدينا فدك» في البلدان قال ابن دريد: فدكت القطن تفديكاً إذا نفشته.

قلت: إنّما في جمهرته «فدكت القطن إذا نفشته لغة ازدية» و مثله في الصحاح نعم في القاموس «تفديك القطن نفشه» فالظاهر سقوط التشديد من النساخ في الجمهرة و الصحاح.

و روى سنن أبي داود عن الزهري وغيره قالوا: بقيت بقية من أهل

(١) البقرة: ١٥٧.

خيبر تحصنوا فسألوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يحقن دمائهم و يسيّرهم ففعل فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك فكانت للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خاصة لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

وفى سيرة ابن هشام قال ابن اسحق: فلمّا فرغ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر. فبعثوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصالحون على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطائف أو بعد ما قدم المدينة. ففبل ذلك منهم. فكانت فدك للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

وفى البلدان «فدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، و قيل ثلاثة أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى سنة سبع صلحاً، وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لمّا نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلاّ ثلاث واشتدّ بهم الحصار راسلوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل، وبلغ ذلك أهل فدك فارسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصالحهم على النصف من ثمارهم و أموالهم. فأجابهم إلى ذلك. فهى ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

قلت: ماقاله من أنّ بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة غير معلوم. ففى طبقات ابن سعد ـ فى عنوان سرية علىّ عليه السلام إلى بنى سعد ـ «وبين فدك والمدينة ستّ ليال».

فيه أيضاً ـ في عنوان (أجأ) أحد جبلى طى ـ ذكر العلماء بأخبار العرب أنّ أجأ سمّى باسم رجل و سمّى سلمى باسم امرأة، وكان من خبرهما أنّ رجلاً من العماليق يقال له: أجأ بن عبد الحى عشق امرأة من قومه يقال لها: سلمى، وكانت لها حاضنة يقال لها العوجاء، وكانا يجتمعان فى منزلها حتّى نذر بهما إخوة سلمى، وهم الغميم والمضل وفدك و فائد و

الحدثان ، و زوجها فخافت سلمى وهربت هى وأجأ والعوجاء وتبعهم زوجها و إخوتها فلحقوا سلمى على الجبل المسمّى سلمى . فقتلوها هناك . فسمّى الجبل باسمها ، ولحقوا العوجاء على هضبة بين الجبلين . فقتلوها هناك . فسمّى المكان بها ، ولحقوا أجأ بالجبل المسمّى بأجاء . فقتلوه فيه . فسمّى به ، وأنفوا أن يرجعوا إلى قومهم . فسار كلّ واحد إلى مكان فأقام به فسمّى ذلك المكان باسمه .

وفى عنوان فدك ، وقال الزجاجى : سميت بفدك بن حام وكان أوّل من نزلها ، وقيل غير ذلك .

«من كلّ ما أظلته السماء» كناية حسنة عن جميع الأشياء فإنّ الأشياء كلّها تحت ظلّ السماء .

«فشحّت عليها نفوس قوم»: أى بخلت ، والمراد أبوبكر وعمر وأتباعهما.

ووجه شحّهم ما رواه المفضل عن الصادق عليه السلام أنّ أبا بكر لمّا ولّى قال له عمر: إنّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها فامنع عن علىّ و أهل بيته الخمس والفىء وفدكاً . فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا علياً و أقبلوا إليك رغبة فى الدنيا ومحاماة عليها . ففعل أبوبكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك ـ الخبر ـ .

وكذلك كان باقى الخلفاء مع أئمّة زمانهم روى العيون عن المأمون أنّه قال : أتدرون من علّمنى التشيع ؟ قالوا : لا . قال : علّمنيه الرشيد . قالوا: كيف والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت ؟ قال : كان يقتلهم على الملك ـ والملك عقيم ـ إلى أن قال بعد ذكره دخول الكاظم عليه السلام على أبيه وتعظيمه له فى الغاية ـ فقلت لأبى : من هذا الرجل الّذى قد أعظمته وأكرمته وقمت له من مجلسك واستقبلته وأقعدته فى صدر المجلس، و جلست دونه ، وأمرتنا بأخذ الركاب له ؟.

فقال : هذا امام الناس وحجة الله على خلقه ، وخليفته على عباده فقلت له : أو ليس هذه الصفات كلّها لك وفيك . فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حق ، والله يا بنى أنّه لأحق بمقام النبيّ ﷺ منّى ومن الخلق جميعاً ، ووالله لو نازعتنى فى هذا الأمر لأخذت الّذى فيه عيناك . فالملك عقيم» فلمّا أراد موسى بن جعفر عليه السلام الرحيل أمر بصرة سوداء فيها مأتا دينار ، وقال للفضل بن الربيع : اذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقل له : يقول لك الخليفه : نحن فى ضيقة و سيأتيك برّنا .

قال المأمون : فقلت لأبى : تعطى أبناء المهاجرين و الأنصار وساير قريش وبنى هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة ألف دينار وما دونها ، و تعطى موسى بن جعفر ـ وقد أعظمته وأجللته ـ مأتى دينار .

قال : اسكت لا أمّ لك فإنّى لو أعطيت هذا ماكنت أمنته أن يضرب وجهى غداً بمأة ألف سيف من شيعته ، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم ـ الخبر ـ .

والعمل مع الخصم بالاستيصال والمنع من صيرورته صاحب مال أكبر سياسة ، وقد استعملها المتوكّل فمنع الناس من برّ آل أبى طالب حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة ثمّ يرفعنه ويجلسن على مغازلهن عوارى حواسر إلى ، أن قتل المتوكّل .

وفى السير أنّ القاسم بن محمّد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمى الملقّب أبا بعرة ولى شرطة الكوفة لعيسى بن موسى العبّاسى . فكلّم يوماً اسمعيل بن جعفر الصادق عليه السلام بكلام خرجا فيه إلى المنافرة . فقال القاسم : لم يزل فضلنا واحساننا سابغاً عليكم يا بنى هاشم وعلى بنى عبد مناف كافة . فقال له اسماعيل : أىّ فضل اسد يتموه إليهم أغضب أبوك ـ يعنى طلحة ـ

جدّى ـ يعنى النبىّ صلى الله عليه وآله ـ بقوله : ليموتن محمّد ، ولنجولنّ بين خلاخيل نسائه كما حال بين خلاخيل نسائنا . فأنزل الله تعالى مراغمة لأبيك «و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا»[1] و منع ابن عمّك ـ يعنى أبابكر ـ اُمّى ـ يعنى فاطمة عليها السلام ـ حقّها من فدك وغيرها من ميراث أبيها ـ الخبر ـ .

وقال (حد) سألت علىّ بن الفارقى مدرس المدرسة الغربية ببغداد . فقلت له : أكانت فاطمة صادقة قال : نعم .

قلت : فلم لم يدفع أبوبكر إليها وهى عنده صادقة . فتبسّم ثمّ قال : كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته . قال : لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجائت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشىء لأن يكون قد أسجل على نفسه بأنّها صادقة فى ما تدّعى كائناً ماكان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود» .

وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل .

وفى تعجب الكراجكى من العجب أن تأتى فاطمة عليها السلام إلى أبى بكر تطالبه بفدك وتذكر أنّ أباها نحلها إيّاها فيكذّب قولها ويقول لها : هذه دعوى لا بيّنة لها ، هذا مع اجماع الاُمّة على طهارتها وعدالتها . فتقول له فاطمة : إن لم يثبت عندك أنّها نحلة فأنا أستحقها ميراثاً فيدّعى أبوبكر أنّه سمع النبىّ يقول «نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة» ويلزمها تصديقه فى ما ادّعاه من هذا الخبر مع اختلاف الناس فى طهارته وصدقه وعدالته وهو فى ما ادّعاه خصم لأنّه يريد أن يمنعها حقّاً جعله الله لها .

ومن العجيب أن يقول لها أبوبكر مع علمه بعظم خطرها في الشرف، وطهارتها من كلّ دنس، وكونها فى مرتبة من لا يتّهم ، ومنزلة من لا يجوز

(١) الاحزاب : ٥٣ .

عليه الكذب: ايتنى بأحمر أو أسود يشهد لك بها فأحضرت أمير المؤمنين عليه السلام و أمّ أيمن. فزعم أنّه لا تقبل شهادة الزوج لزوجته مع اجماع المخالف و المؤالف على أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال «علىّ مع الحقّ والحقّ مع علىّ اللّهمّ أدر الحقّ معه حيثما دار» ـ إلى أن قال ـ ثمّ لم تمض الأيّام حتّى أتاه مال من البحرين. فلمّا ترك بين يديه تقدم إليه جابر الأنصارى فقال: له قال لى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أتى مال البحرين حثوت لك ثمّ حثوت لك ثلاثاً: فقال له: تقدّم فخذ بعددها وأخذ ثلاث حفنات من أموال المسلمين بمجرّد الدعوى من غير بيّنة ولا شهادة، ويكون أبوبكر عندهم مصيباً فى الحالين إنّ هذا مستطرف بديع.

قال: ومن عجيب أمرهم أن ردّ أبى بكر لشهادة أمير المؤمنين عليه السلام لكونه بعلها يجرّ إلى نفسه ثمّ يقبلون قول سعيد بن زيد بن نفيل فى ما رواه وحده من أنّ أبابكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد أوسعيداً وعبد الرحمن بن عوف وأباعبيدة من أهل الجنّة ويصدّقونه فى هذه الدعوى، ويحتجّون بقوله مع علمهم بأنّه أحد من ذكره وله حظّ فى ما شهد به ولا يردّون بذلك قوله ولا يبطلون خبره.

قال: ومن العجب أنّهم يدّعون على فاطمة البتول سيّدة نساء العالمين الّتى أحضرها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم المباهلة، وشهد لها بالجنّة، ونزلت فيها آية التطهير أنّها طلبت من أبي بكر باطلاً والتمست لنفسها محالاً وقالت كذباً، ويعتذرون فى ذلك بأنّها لم تعلم بدين أبيها أنّه لا حقّ لها فى ميراثه، ولا نصيب لها من تركته، وجهلت هذا الأصل فى الشرع، وعلم أبو بكر، أنّ النساء لا يعلمن ما يعلم الرجال، ولا جرت العادة بأن يتفقهن فى الأحكام ثمّ يدّعون بعد هذا أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال «خذوا ثلث دينكم عن عايشة لا بل خذوا ثلثى دينكم عن عايشة لا بل خذوا كلّ دينكم عن عايشة» فتحفظ

عايشة جميع الدين . و تجهل فاطمة في مسئلة واحدة مختصة بها فى الدين أنّ هذا لشيء عجيب.

والّذى يكثر العجب أنّ بعلها أميرالمؤمنين عليه السلام لم يعلمها ولم يمنعها عن الخروج من منزلها لطلب المحال ، والكلام بين الناس بل يعرضها لالتماس الباطل ويحضر معها ويشهد بما لا يسوغ.

قال : ومن العجب اعترافهم بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها ، و أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : فاطمة بضعة منّى يؤلمنى ما يؤلمها ، ومن آذى فاطمة فقد آذاني ، ومن آذانى فقدآذى الله. ثمّ إنهم يعلمون ويتّفقون أنّ أبابكر أغضبها وآلمها ولا يقولون : إنّه ظلمها ،و يدّعون أنّها طلبت باطلاً . فكيف يصحّ هذا ، ومتى يتخلّص أبوبكر من أن يكون ظالماً ، وقد أغضب من يغضب الله لغضبه ، وآلم بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الّتى يتألّم لألمها

قال: ومن عجائب الاُمور تأتى فاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تطلب فدك وتظهر أنّها تستحقّها فتكذّب قولها ، ولا تصدّق فى دعواها ثمّ تأتى عايشة بنت أبي بكر تطلب الحجرة الّتي أسكنها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتزعم أنّها تستحقّها . فيصدّق قولها وتنبر دعواها ، ولا تطالب بيّنة عليها و تسلّم هذه الحجرة إليها فتصرّف فيها وتضرب عند رأس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمعاول حتّى تدفن تيماً وعدياً فيها . ثمّ تمنع الحسن بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته منها ، ومن أن يقرّبوا سريره إليها وتقول : لا تدخلوا بيتي من لا اُحبّه . فعلى أىّ وجه دفعت هذه الحجرة إليها وأمضى حكمها إن كان ذلك لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نحلها إيّاها . فكيف لم تطالب بالبيّنة على صحة نحلتها كما طولبت بمثل ذلك فاطمة ـ صلوات الله عليها- وأىّ عذر لمن جعل عايشة أزكى من فاطمة عليها السلام وقد نزل القرآن بتزكية فاطمة فى آية الطهارة وغيرها ، ونزل بذمّ عايشة وصاحبتها ، وشدّة تظاهرهما على

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأفصح بذمّهما وإن كانت الحجرة دفعت إليهما ميراثاً . فكيف استحقّت هذه الزوجة من ميراثه ، ولم تستحقّ منه أبنته .

وفي إيضاح الفضل بن شاذان روى شريك بن عبدالله ـ في حديث رفعه ـ أنّ عايشة وحفصة أتتا عثمان حين نقص أُمّهات المؤمنين ما كان يعطيهنّ عمر فسألتاه أن يعطيهما ما فرض لهما عمر . فقال : لا والله ما ذلك لكما عندي فقالتا : فاعطنا ميراثنا من النبيّ من حيطانه ـ وكان عثمان متّكئاً ـ فجلس ، و كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام جالساً عنده . فقال : ستعلم فاطمة ـ صلوات الله عليها ـ أنّى ابن عمّ لها اليوم ، ثمّ قال : ألستما اللتين شهدتما عند أبي بكر ولفقتما معكما أعرابياً يتطهّر ببوله مالك بن أوس بن الحدثان فشهدتم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، فإن كنتما شهدتما بحق فقد أجزت شهادتكما على أنفسكما ، وإن كنتما شهدتما بباطل فعلى من شهد بالباطل لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فقالت له عايشة : يا نعثل والله لقد شبّهك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنعثل اليهودي فقال لهما «ضرب الله مثلاً» ـ أشار إلى ضرب الله تعالى لهما إمرأة نوح و إمرأة لوط في قوله تعالى «وضرب الله مثلاً للّذين كفروا إمرأة نوح وإمرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين»[1] ـ فخرجتا من عنده .

وفي خلفاء ابن قتيبة قال عمر لأبي بكر : انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة . فلم تأذن لهما فأتيا عليّاً عليه السلام فكلّماه فأدخلهما عليها . فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحايط . فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام . فتكلّم أبوبكر فقال : يا حبيبة الرسول والله إنّ قرابة الرسول أحبّ إليّ من قرابتي ولوددت يوم مات أبوك أنّى متّ ولا أبقى

(١) التحريم : ١٠ .

بعده. أفترانى أعرفك وأعرف فضلك وأمنعك حقّك وميراثك إلاّ أنّى سمعت أباك يقول: لا نورّث ما تركنا فهو صدقة، فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن الرسول تعرفانه تقولان به قالا: نعم. فقالت: نشدتكما اللّه ألم تسمعا الرسول ﷺ يقول: رضى فاطمة من رضاى، وسخط فاطمة من سخطى، ومن أرضى فاطمة فقد أرضانى، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطنى قالا: نعم سمعنا من الرسول قالت: فإنّى أُشهد اللّه وملائكته أنّكما أسخطتمانى، وما أرضيتمانى ولئن لقيت النبىّ لأشكونكما إليه — إلى أن قال — قالت فاطمة لأبى بكر: واللّه لأدعونّ اللّه عليك فى كلّ صلوة أُصلّيها.

قلت: وجواب فاطمة عليها السلام لأبي بكر عن حديثه بسؤالهما عمّا سمعا فيها يدلّ التزاماً على أنّ أبا بكر افترى الحديث على النبىّ ﷺ ولولاه لزم تناقض الدين، وكون قول النبىّ ﷺ جزافاً وباطلاً، ولكون دلالة قول النبىّ ﷺ ذاك عقلاً على افتراء أبي بكر الخبر.

قال عمر بن عبد العزيز لمّا قالوا له: هجّنت فعل الشيخين بردّ فدك: إنّ النبىّ ﷺ قال: فاطمة بضعة منّى يسخطنى ما يسخطها.

وقال الجاحظ فى عباسيته — كما في شافي المرتضى وقد نقله (حد) — زعم أُناس أنّ الدليل على صدق خبر أبى بكر وعمر فى منع الميراث ترك أصحاب النبىّ ﷺ النكير عليهما. فيقال لهم: إن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما يكن ترك النكير على المتظلمين والمحتجين عليهما والمطالبين لهما دليلاً على صدق دعواهم واستحسان مقالتهم، ولا سيما وقد طالت المناجاة وكثرت المراجعة والملاحاة وظهرت الشكية واشتدت الموجدة، وقد بلغ من ذلك حتّى أوصت ألاّ يصلّى عليها أبوبكر.

ولقد كانت قالت له حين أتته طالبة بحقّها ومحتجة لرهطها: من يرثك يا أبابكر إذا متّ؟ قال: أهلى وولدى قالت: فما بالنا لا نرث النبى ﷺ.

فلمّا منعها ميراثها وبخسها حقّها واعتلّ عليها وجلح فى أمرها و عاينت التهضم ، وآيست من التورّع، ووجدت نشوة الضعف، وقلّة الناصر قالت: و اللّه لأدعونّ اللّه عليك.

فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها إنّ فى ترك النكير على فاطمة عليها السلام دليلاً على صواب طلبها ، وأدنى ماكان يجب عليهم في ذلك تعريفها ماجهلت وتذكيرها مانسيت، وصرفها عن الخطاء و رفع قدرها عن البذاء و أن تقول :هجرا وتجوّر عادلا وتقطع واصلا.

فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً. فقد تكافأت الاُمور و استوت الأسباب، والرجوع إلى أصل حكم اللّه في المواريث أولى بنا و بكم ،و أوجب علينا و عليكم.

فإن قالوا : كيف تظنّ بأبى بكر ظلم فاطمة عليها السلام والتعدّى عليها ،وكلّما ازدادت عليه غلظةً أزداد لها ليناً ورقّةً. حيث تقول له : واللّه لاأكلّمك أبداً فيقول : واللّه لاأهجرك أبداً ثمّ تقول : واللّه لأدعونّ اللّه عليك. فيقول :واللّه لأدعونّ اللّه لك. ثمّ يحتمل منها هذا الكلام الغليظ، والقول الشديد فى دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه ، وما يجب لها من الرفعة و الهيبة.

ثمّ لم يمنعه ذلك أن قال معتذراً متقرّباً كلام المعظّم لحقّها. المكبّر لمقامها والصائن لوجهها والمتحنّن عليها : ماأحد أعزّ علىّ منك فقراً ، ولا أحبّ إلىّ منك غنىً ، ولكنّى سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث. ماتركناه فهو صدقة.

قيل لهم : ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم ، والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم و دهاء الماكر إذا كان أريباً ، وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم ، وذلّة المنتصف، وحدب الوامق ، ومقة المحق.

وكيف جعلتم ترك النكير حجّة قاطعة ودلالة واضحة وقد زعمتم أنّ عمر قال على منبره: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ: متعة النساء و متعة الحجّ أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما» فما وجدتم أحداً أنكر قوله، و لا استشنع مخرج نهيه، ولا خطّأه فى معناه، ولا تعجّب منه، ولا استفهمه.

وكيف تقضون بترك النكير وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك. أنّ النبىّ ﷺ قال «الأئمة من قريش» ثمّ قال في شكاته: «لوكان سالم حيّاً ما تخالجنى فيه شكّ» حتّى أظهر الشك في استحقاق كلّ واحد من الستّة الّذين جعلهم شورى، وسالم عبد لامرأة من الأنصار، وهى أعتقته، وحازت ميراثه، ثمّ لم ينكر ذلك من قوله منكر، ولا تعجّب منه، و إنّما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله.

فأمّا ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة، والأمر والنهى، والقتل والاستحياء، والحبس والاطلاق. فليس بحجّة تشفى.

قال وقال آخرون: بل الدليل على صدق قولهما، وصواب عملهما إمساك الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما، وهم الّذين وثبوا على عثمان فى أيسر من جحد التنزيل، وردّ المنصوص ولو كان كما يقولون و يصفون، ما كان سبيل الأمّة فيهما إلاّ كسبيلهم فيه، وعثمان كان أعزّ نفراً، و أشرف رهطاً، وأكثر عدداً وثروة، و أقوى عدة.

قلنا: إنّهما لم يجحدا التنزيل، ولم ينكرا المنصوص، ولكنّهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادّعيا روايةً، و تحدّثا بحديث لم يكن محالا كونه، ولا ممتنعاً في حجج العقول مجيئه، وشهد لهما عليه من علّته مثل علّتهما فيه، ولعلّ بعضهم كان يرى تصديق الرجل إذا كان عدلاً فى رهطه. مأموناً فى ظاهره، ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة، ولا جرب عليه غدرة. فيكون تصديقه له على جهة حسن الظن، وتعديل الشاهد، و

لأنّه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج ، والّذى يقطع بشهادته على المغيب، وكان ذلك شبهة على أكثرهم . فلذلك قلّ النكير و تواكل الناس ، واستبه الأمر . فصار لا يتخلّص إلى معرفة حقّ ذلك من باطله إلاّ العالم المتقدّم، أو المؤيّد المرشد ، ولأنّه لم يكن لعثمان فى صدور العوام و قلوب السفلة و الطغام ماكان لهما من المحبّة والهيبة ، ولأنّهما كانا أقلّ استيثاراً بالفىء وتفضّلا بمال اللّه منه ، ومن شأن الناس إهمال السلطان ماوفّر عليهم أموالهم، ولم يستأثر بخراجهم ، ولم يعطّل ثغورهم ، ولأنّ الّذى صنع أبوبكر من منع العترة حقّها ، والعمومة ميراثها قد كان موافقاً لجلّة قريش وكبراء العرب ، و لأنّ عثمان أيضاً كان مضعوفاً فى نفسه . مستخفّاً بقدره ، لا يمنع ضيما ، و لا يقمع عدوّا ، ولقد وثب ناس عليه بالشتم والقذف والتشنيع والنكير لأمور لو أتى أضعافها (عمر) وبلغ أقصاها لما اجترءوا على اغتيابه ، فضلاً عن مبادأته و الإغراء به ومواجهته ، كما أغلظ عيينة بن حصين له فقال له : أما إنّه لو كان عمر لقمعك ومنعك . فقال عيينة : إنّ عمر كان خيراً لى منك أرهبنى فاتّقانى .

قال : والعجب أنّا وجدنا جميع من خالفنا فى الميراث على اختلافهم فى التشبيه والقدر والوعيد يردّ كلّ صنف منهم من أحاديث مخالفيه وخصومه ما هو أقرب إسناداً ، و أصحّ رجالاً ، و أحسن اتّصالاً ، حتّى إذا صاروا إلى القول فى ميراث النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم نسخوا الكتاب ، وخصّوا الخبر العام بما لا يدانى بعض ماردّوه ، وأكذبوا قائليه ، وذلك أنّ كلّ انسان منهم إنّما يجرى إلى هواه، ويصدّق ماوافق رضاه ـ الخ ـ .

قلت : ويجاب أيضاً المحتجّون لصدق قول الرجلين بترك الصحابة النكير عليهما سوى ماأجاب به الجاحظ أنّه من أين أنّ الصحابة لم ينكروا عليهما سوى من كان هواه هواهما كيف وقد روى الجوهرى مسنداً عن زينب بنت علىّ عليها السلام وعن محمّد بن علىّ عليهما السلام أنّ أبابكر لمّا سمع خطبة فاطمة عليها السلام

شقّ عليه مقالتها . فصعد المنبر . فقال : أيّها الناس ما هذه الرعة إلى كلّ قالة أين كانت هذه الأماني في عهد النبيّ إلاّ من سمع فليقل ، و من شهد فليتكلّم إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه مربّ لكلّ فتنة هو الّذى يقول كرّوها جذعه بعد ما هرمت ـ إلى أن قال ـ ثمّ التفت أبوبكر إلى الأنصار . فقال : قد بلغني يامعشر الأنصار مقالة سفهائكم ـ إلى أن قال ـ ألا أنّى لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منّا ـ ثمّ نزل عن المنبر ـ الخ ـ .

وفى فتوح بلدان البلاذرى ولما كانت سنه (٢١٠) أمر المأمون بدفع فدك إلى ولد فاطمة عليها السلام وكتب إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة أمّا بعد فإنّ الخليفة بمكانه من دين اللّه وخلافة رسوله صلى الله عليه وآله والقرابة به أولى من استنّ سنّته و نفذ أمره و سلّم لمن منحه منحة و تصدّق عليه بصدقة منحته و صدقته ، و باللّه توفيق الخليفة وعصمته و إليه فى العمل بما يقرّبه إليه رغبته : ، وقد كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة بنته فدك وتصدّق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول اللّه صلى الله عليه وآله فرآى الخليفة أن يردّها إلى ورثتها و يسلّمها إليهم تقرّبا إلى اللّه تعالى باقامة حقّه وعدله و إلى رسوله صلى الله عليه وآله بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر باثبات ذلك فى دواوينه والكتاب به إلى عماله فلان كان ينادى ـ أى من قبل أبى بكر ـ فى كلّ موسم بعد أن قبض اللّه نبيّه صلى الله عليه وآله ، أن يذكر كلّ من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ، ذلك فيقبل قوله و ينفذ عدّته أنّ فاطمة عليها السلام لاأولى بأن يصدّق قولها فيما جعل رسول اللّه صلى الله عليه وآله لها ـ إلى أن قال ـ فاعلم ذلك من رأى الخليفة وما ألهمه اللّه من طاعته ووفّقه له من التقرّب إليه و إلى رسوله ـ الخ ـ .

و روى الجوهرى مسنداً أنّ المأمون لمّا جلس للمظالم فأوّل رقعة وقعت فى يده و نظر فيها بكى وقال للّذى على رأسه : ناد أين وكيل فاطمة عليها السلام

فقام شيخ عليه دراعة و عمامة وخفّ فجعل يناظره فى فدك والمأمون يحتجّ عليه، وهو يحتج على المأمون ثمّ أمر أن يسجّل لهم بها فكتب السجل وقرىء عليه فأنفذه. فقام دعبل إلى المأمون. فأنشده الأبيات الّتى أوّلها :

أصبح وجه الزمان قد ضحكا بردّ مأمون هاشم فدكا

فلم تزل فى أيديهم حتّى كان فى أيّام المتوكّل. فاقطعها عبد اللّه بن عمر البازيار وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها النبىّ صلى الله عليه وآله بيده. فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها. فإذا قدم الحاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم. فيصير إليهم من ذلك مال جليل. فصرم عبد اللّه بن عمر البازيار ذلك التمر ووجّه رجلاً يقال له بشران بن أبي اُميّة الثقفي إلى المدينة فصرمه. ثمّ عاد إلى البصرة ففلج ـ وقد نقله (حد) فى موضع آخر.

وفى الطرائف ذكر صاحب التاريخ المعروف بالعبّاسى أنّ جماعة من ولد الحسن والحسين عليهما السلام رفعوا قصّة إلى المأمون يذكرون أنّ فدك و العوالى كانت لاُمّهم فاطمة عليها السلام ، و أنّ أبا بكر أخرج يدها عنها بغير حقّ ، و سألوا المأمون انصافهم وكشف ظلامتهم. فأحضر المأمون مأتى رجل من علماء الحجاز والعراق وغيرهما ، وهو يؤكّد فى أداء الأمانة واتّباع الصدق وعرّفهم ما ذكره ورثة فاطمة عليها السلام و سألهم عمّا عندهم من الحديث الصحيح فى ذلك. فروى غير واحد منهم من بشر بن الوليد ، وبشر بن غياث والواقدى ـ فى أحاديث يرفعونها إلى نبيّهم صلى الله عليه وآله ـ أنّه لمّا فتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود. فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية «فآت ذا القربى حقّه» فقال من ذو القربى ؟ فقال : فاطمة ، فدفع إليها فدك. ثمّ أعطاها العوالى بعد ذلك فاستغلتها حتّى توفّى أبوها.

فلمّا بويع أبو بكر قال : لا أمنعك ما رفع إليك أبوك فأراد أن يكتب لها كتاباً. فاستوقفه عمر وقال : إنّها امرأة فادّعها بيّنة على ما ادّعت. فأمرها

أبوبكر أن تفعل فجاءت بأمّ أيمن ، وأسماء بنت عميس مع علىّ بن أبي طالب عليه السلام فشهدوا لها جميعاً بذلك . فكتب لها أبوبكر فبلغ ذلك عمر فأتاه فأخذ الصحيفة وقال : إنّ فاطمة إمرأة وعلىّ زوجها هو جارّ إلى نفسه ، ولا تكون شهادة إمرأتين دون رجل . فأرسل أبوبكر إلى فاطمة فأعلمها ذلك . فحلف بالله الّذى لا إله إلاّ هو أنّهم ما شهدوا إلاّ بالحقّ .

فقال أبوبكر : فلعلّك أنت تكونى صادقة ولكن احضرى شاهداً لا يجرّ إلى نفسه .

فقالت : ألم تسمعا من أبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أسماء بنت عميس وأمّ أيمن من أهل الجنّة . فقالا : بلى . فقالت : إمرأتان من اهل الجنّة تشهدان بباطل فانصرفت صارخة تنادى أباها وتقول : قد أخبرنى أنّى أوّل من ألحق به فوالله لأشكونهما إليه .

فلم تلبث إن مرضت فأوصت علياً عليه السلام ألاّ يصلّيا عليها ، وهجرتهما ، فلم تكلّمهما حتّى ماتت . فدفنها علىّ عليه السلام والعباس ليلا .

ثمّ أحضر المأمون فى اليوم الآخر ألف رجل من أهل العلم والفقه و شرح لهم الحال وأمرهم بتقوى الله ومراقبته . فتناظروا . فقالت : فرقة منهم الزوج عندنا جارّ إلى نفسه فلا شهادة له ، ولكنّا نرى أنّ يمين فاطمة قد أوجبت لها ما ادّعت مع شهادة المرأتين ، و قالت طائفة : نرى اليمين مع الشهادة لا يوجب حكماً ولكن شهادة الزوج جائزة ولا نراه جارّاً إلى نفسه ، وقد وجبت بشهادته مع شهادة المرأتين لفاطمة ما ادّعت ، فكان اختلاف الطائفتين اجماعاً منهما على استحقاق فاطمة فدك والعوالى .

فسألهم المأمون بعد ذلك عن فضائل لعلىّ وفاطمة عليهما السلام . فذكروا طرفاً جليلاً ، وسألهم عن أمّ أيمن وأسماء فرووا عن نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم أنّهما من أهل الجنّة .

فقال المأمون : أيجوز أن يقال : إنّ عليّا عليه السلام مع ورعه وزهده يشهد لفاطمة عليها السلام بغير حقّ ، وقد شهد له اللّه ورسوله بهذه الفضائل ، أو يجوز مع علمه وفضله أن يقال : إنّه يمشي في شهادة وهو يجهل الحكم فيها .

وهل يجوز أن يقال : إنّ فاطمة مع طهارتها وعصمتها وأنّها سيّدة نساء العالمين ، وسيّدة نساء أهل الجنّة كما رويتم تطلب شيئاً ليس لها ، و تظلم فيه جميع المسلمين ، وتقسم عليه باللّه أويجوز أن يقال عن اُمّ أيمن و أسماء أنّهما تشهدان بالزور وهما من أهل الجنّة . إنّ الطعن على فاطمة عليها السلام وشهودها طعن على كتاب اللّه و إلحاد في دين اللّه .

ثمّ عارضهم المأمون بحديث رووه أنّ عليّاً عليه السلام أقام منادياً بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله ينادي من كان له على النبيّ صلى الله عليه وآله دين أو عدة فليحضر فحضر جماعة فأعطاهم بغير بيّنة ، وأنّ أبا بكر أمر منادياً ينادي بمثل ذلك . فحضر جرير بن عبد اللّه ، وجابر بن عبد اللّه فأعطاهما بغير بيّنة .

فقال المأمون : أما كانت فاطمة عليها السلام وشهودها يجرون مجرى جرير و جابر . ثمّ تقدّم المأمون بسطر رسالة طويلة تتضمّن صورة الحال و أمر أن تقرء بالموسم على رؤوس الأشهاد ، وجعل فدك والعوالي في يد محمّد بن يحيى بن الحسين بن عليّ بن عليّ بن الحسين عليهم السلام يعمرها و يستغلها و يقسّم دخلها بين ورثة فاطمة عليها السلام ـ الخ ـ .

هذا ، وقد قال الحموي قولاً غريباً . فقال بعد عنوان (فدك) : وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة ، وهي الّتي قالت فاطمة : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نحلنيها . فقال أبو بكر : اُريد لذلك شهوداً ـ ولها قصّة ـ ثمّ أدّى اجتهاد عمر بعده لمّا ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتّسعت على المسلمين أن يردّها على ورثة النبيّ صلى الله عليه وآله فكان عليّ والعبّاس يتنازعان فيها . فكان عليّ يقول : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعلها في حياته لفاطمة ، وكان العبّاس يأبى ذلك و يقول : هي ملك

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأنا وارثه. فكانا يتخاصمان إلى عمر. فيأبى أن يحكم بينهما، و يقول: أنتما أعرف بشأنكما أمّا أنا فقد سلّمتها إليكما فاقتصدا فيما يؤتى واحد منكما من قلّة معرفة.

فلمّا ولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بردّ فدك إلى ولد فاطمة.

فلمّا ولّى يزيد بن عبد الملك قبضها. فلم تزل فى أيدى بني أُميّة حتّى ولّى السفاح فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علىّ.

فلمّا ولّى المنصور الخلافة قبضها عنهم.

فلمّا ولّى المهدى أعادها عليهم ثمّ قبضها الهادى ومن بعده إلى أيّام المأمون ـ إلخ ـ.

فإنّه لم يقل أحد أنّ عمر ردّها بل اتّفقوا على أنّ عمر بن عبد العزيز أوّل من ردّها، وأنّ ماقاله شيء أدّاه إليه اجتهاده الفاسد لخبر متهافت، و إنّما روى ادعاء أمير المؤمنين عليه السلام والعبّاس الميراث من عمر.

فروى نفسه فى عنوان (صنعاء) أنّ زيد بن المبارك كان لزم عبد الرزاق فاكثر عنه ثمّ حرق كتبه ولزم محمّد بن ثور. فقيل له فى ذلك. فقال: كنّا عند عبد الرزاق فحدّثنا بحديث معمر عن الزهرى عن مالك بن أُوس بن الحدثان الطويل. فلمّا قرء قول عمر لعلىّ والعباس: فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها قال «ألا يقول الأنوك، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال زيد بن المبارك: فقمت فلم أعد إليه ـ الخ ـ

وفى عيون المفيد سأل يحيى البرمكى بحضرة الرشيد هشام بن الحكم. فقال له: أخبرنى عن الحقّ هل يكون فى جهتين مختلفتين؟ قال هشام لا.

قال: فخبّرنى عن نفسين اختصما فى حكم فى الدين هل يخلوان من أن يكونا محقّين أو مبطلين أويكون أحدهما محقّاً والآخر مبطلا. فقال هشام

لا يخلو ان من ذلك وليس يجوز أن يكونا محقّين على ماقدمت.

قال له يحيى : فخبّرنى عن علىّ والعباس لمّا اختصما إلى أبى بكر فى الميراث أيّهما كان المحق إذ كنت لا تقول أنّهما كانا محقّين ولا مبطلين ـ إلى أن قال ـ :

فقلت له: كانا جميعاً محقّين ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصّة داود عليه السلام حيث يقول ـ جلّ اسمه ـ «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب ـ إلى قوله ـ خصمان بغى بعضنا على بعض» فأىّ الملكين كان مخطئاً.

قال يحيى : إنّهما أصابا لأنّهما لم يختصما فى الحقيقة، ولا اختلفا فى الحكم، وإنّما أظهرا ذلك لينبّها داود على الخطيئة ويعرّفاه الحكم.

قال هشام : فكذلك علىّ عليه السلام والعبّاس لم يختلفا فى الحقيقه وإنّما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبّها أبابكر على غلطه ويدلاّه على ظلمه لهما، ولم يكونا فى ريب من أمرهما، وإنّما كان ذلك منهما على حدّ ماكان من الملكين ـ الخ ـ.

وكيف يصح ماقاله الحموى وكان اتّفاق العباس مع أمير المؤمنين عليه السلام معلوماً. فلمّا قال المغيرة بن شعبة ـ كما فى خلفاء ابن قتيبة وغيره ـ لأبى بكر: أرى أن تلقوا العباس وتجعلوا له فى هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه فتكون لكما الحجّة على (علىّ) وعلى بنى هاشم إذا كان العباس معكم انطلق أبوبكر ومعه عمر وأبو عبيدة إلى العباس وقال له : خلّى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم فى مصلحتهم متفقين لا مختلفين فاختاروني عليهم والياً ولا أخاف وهنا وما زال يبلغنى عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ويتّخذونكم لحافاً فاحذروا أن تكونوا جهد المنيع وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك فى هذا الأمر نصيباً يكون لك ولعقبك

من بعدك إذ كنت عم النبيّ ، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ، ومكان أصحابك فعدلوا الأمر عنكم على رسلكم بنى عبد المطلب فانّ النبيّ منّا ومنكم .

ثمّ قال عمر : أى والله وأخرى إنّا لم نأتكم حاجة منّا إليكم ولكنّا كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامتكم .

فقال العباس لأبى بكر : إن كنت بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم طلبت فحقّنا أخذت ، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن متقدّمون فيهم ، وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين . فما وجب اذ كنّا كارهين . فأمّا ما بذلت لنا . فإن يكن حقّاً لك فلا حاجة لنا فيه ، وإن يك حقّاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم ، وإن كان حقّنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض ، وأمّا قولك : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منّا ومنكم . فإنّه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها ـ الخ ـ .

وكيف ينازع العباس مع أمير المؤمنين عليه السلام في فدك وقد رأى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نحلها بنته وقد كانت في يدها كما يدلّ عليه قوله عليه السلام هنا «بلى كانت فى أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحت عليها نفوس قوم» وإنّما كان طلب أبي بكر منها الشهود جوراً كردّه قولها وشهودها ، ولو فرض عدم نحلتها كانت ميراثاً لها والعباس لم يكن بوارث مع وجود الولد ، والتعصيب من بدع عمر .

وبالجملة ما قاله الحموى فى غاية السقوط صدراً وذيلاً كما أنّ نسبته إلى بلدان البلاذرى ـ بعد نقل ما فيه من تفويض المأمون فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام ـ وانّ المتوكّل لمّا استخلف ردّها إلى ما كانت عليه فى عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعمر بن عبد العزيز بهتان ، وإنّما قال البلاذرى «إنّ المتوكّل لمّا استخلف أمر بردّها إلى ما كانت عليه قبل المأمون» وكيف يقول الحموى ، إنّ المتوكّل ـ حشره الله معه ـ ردّها إلى ما كانت عليه فى عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرفت رواية الجوهرى منهم أنّه أقطعها البازيار

فوجه البازيار ثقفيا إلى فدك من البصرة فصرم نخيلا غرسها النبيّ ﷺ بيده. فلمّا رجع إلى البصرة فلج.

وفي الشافي روى محمّد بن زكريا الغلابى عن شيوخه عن أبي المقدام، وهشام بن زياد مولى آل عثمان قالا: لمّا ولّى عمر بن عبد العزيز ردّ فدك على ولد فاطمة عليها السلام فنقمت بنو أميّة ذلك عليه وعاتبوه وقالوا له: قبّحت فعل الشيخين وخرج إليه عمرو بن قيس في جماعة من أهل الكوفة. فلمّا عاتبوه قال: إنّ أبا بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم حدّثنى عن أبيه عن جدّه أنّ النبيّ ﷺ قال: فاطمة بضعة منّى يسخطنى ما يسخطها، ويرضينى ما يرضيها، وأنّ فدك كانت صافية في أيّام أبي بكر وعمر ثمّ صار أمرها إلى مروان. فوهبها لأبى. فورثتها أنا وإخوتى. فسألتهم أن يبيعونى حصّتهم. فمنهم من باعنى، ومنهم من وهب حتّى استجمعتها ثمّ رأيت أن أردّها على ولد فاطمة عليها السلام. فقالوا: إن أبيت إلاّ هذا فأمسك الأصل واقسم الغلة. ففعل.

وفى الخصال عن الطبرى بأسناده أنّ عمر بن عبد العزيز دخل المدينة فامر مناديه نادى من كانت له ظلامة. فليأت فدخل عليه محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام إلى أن قال ـ فقال لعمر: إنّما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم، ومنها خرج قوم بما يضرّهم، وكم قوم قد ضرّهم مثل الّذى أصبحنا فيه حتّى أتاهم الموت إلى أن قال: اتّق اللّه ياعمر وافتح الأبواب، وسهّل الحجاب، وانصر المظلوم وردّ الظالم.

ثمّ قال: ثلاث من كن فيه استكمل الايمان ـ فجثا عمر على ركبتيه ـ ثمّ قال: إيه ياأهل بيت النبوّة.

فقال: نعم من إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحقّ، ومن إذا قدر لم يتناول ماليس له. فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: هذا ماردّ عمر بن عبد العزيز ظلامة محمّد بن على فدك ـ الخ ـ.

وفى الكافي عن علي بن أسباط قال : لمّا ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدى رآه يردّ المظالم ، فقال له : ما بال مظلمتنا لا تردّ ، فقال له : وما ذاك يا أبا الحسن قال : لمّا فتح الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها ، ولم يوجف عليه بخيل ولا ركاب أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله «وآت ذا القربى حقّه» ولم يدر النبيّ صلى الله عليه وآله من هم فراجع فى ذلك جبرئيل ، وراجع جبرئيل عليه السلام ربّه ، فأوحى إليه أن أدفع فدك إلى فاطمة ، فدعاها النبيّ صلى الله عليه وآله فقال لها : إنّ الله أمرنى أن أدفع إليك فدك ، فقالت : قد قبلت يا رسول الله من الله ، ومنك فلم يزل وكلائها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا ولّى أبوبكر أخرج عنها وكلائها فاتته ، فسألته أن يردّها عليها ، فقال لها : ايتنى بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك ، فجائت بأمير المؤمنين عليه السلام ، وأمّ أيمن ، فشهدا لها ، فكتب لها بترك التعرّض ، فخرجت والكتاب معها ، فلقيها عمر ، فقال : ما هذا معك يا بنت محمّد قالت : كتاب كتبه ابن أبي قحافة قال : ارنيه فأبت ، فانتزعه من يدها ، ونظر فيه ثمّ تفل فيه ومحاه وخرقه ، وقال لها : هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب ، فتضعى الحبال فى رقابنا ـ الخبر ـ .

وقد روى أبوبكر الجعابى ، عن محمّد بن جعفر الحسنى ، عن عيسى بن مهران ، عن يونس ، عن عبد الله بن محمّد بن سليمان الهاشمى عن أبيه عن جدّه ، عن زينب بنت علىّ عليها السلام قالت : لمّا اجتمع رأى أبى بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك والعوالى ، وآيست من إجابته لها عدلت إلى قبر أبيها فألقت نفسها عليه ، وشكت إليه ما فعله القوم بها ، وبكت حتّى بلّت تربته بدموعها ، وقالت :

قد كان بعدك أنباء و هنبثة ... لو كنت شاهدها لم يكثر الخطب
انّا فقدناك فقد الارض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يونسنا ... فغبت عنّا فكلّ الخير محتجب
وكنت بدراً و نوراً يستضاء به ... عليك تنزل من ذى العزة الكتب

تجهّمتنا رجال و استخفّ بنا بعد النبيّ وكلّ الخير مغتصب
سيعلم المتولى ظلم حا متنا يوم القيامة أنّى سوف ينقلب
فقد لقينا الّذى لم يلقه أحد من البريّة لا عجم و لا عرب
فسوف نبكيك ما عشنا و ما بقيت لنا العيون بتهمال له سكب

«وسخت عنها» فى الصحاح «سخت نفسى عن الشىء إذا تركته».

«نفوس قوم آخرين» هكذا فى المصرية والصواب (نفوس آخرين) كما فى (حد و ثم والخطية) ولا بد أنّ كلمة (قوم) كانت حاشية خلطتها المصرية بالمتن. ثمّ المراد بنفوس آخرين الّتي سخت عنها، الأنصار حيث رأوا ذاك الأمر المنكر وسكتوا ولم يدافعوا.

وفى بلاغات أحمد بن أبى طاهر البغدادى أنّ فاطمة عليها السلام بعد محاجّتها مع أبى بكر عدلت إلى مجلس الأنصار. فقالت: معشر البقيّة، و أعضاد الملّة، وحصون الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي والسنة عن ظلامتي. أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المرء يحفظ فى ولده سرعان ما أحدثتم فأكديتم وعجلان، ذا إهالة تقولون مات رسول الله فخطب جليل، استوسع وهنه واستهتر فتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وأكتابت خيرة الله لمصيبته، و خشعت الجبال وأكدت الآمال، واضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته صلى الله عليه وآله وسلم وتلك نازل علينا أعلن بها كتاب الله فى أفنيتكم، وفى ممساكم ومصبحكم، يهتف بها فى أسماعكم وقبله حلّت بأنبيائه و رسله «وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين»[1].

أيها بنى قيلة أهضم تراث أبى وأنتم بمرآى منه ومسمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الحيرة، وفيكم العدد والعدة، ولكم الدار، وعندكم الجنن، وأنتم

(١) آل عمران: ١٤٤.

الا لى نخبة الله انتخب لدينه ، وأنصار رسوله ، و أهلى الإسلام ، و الخيرة الّتي اختار لنا أهل البيت · فباديتم العرب ، وناهضتم الامم ، وكافحتم البهم · لا نبرح أو تبرحون · نأمركم وتأمرون · حتّى دارت لكم بنا رحى الإسلام ، ودرّ حلب الايّام ، وخضعت نعرة الشرك ، وباخت نيران الحرب ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين فأنى حرْتم بعد البيان ، ونكصتم بعد الاقدام وأسررتم بعد الاعلان · بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم أتخشونهم، فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ·

ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض ، وركنتم إلى الدعة · فعجبتم عن الدين فمججتم الّذى وعيتم ، ودسعتم الّذى سوّغتم · فان تكفروا أنتم ، ومن في الأرض جميعاً فأنّ الله لغنىّ حميد ·

ألا وقد قلت الّذى قلته على معرفة منّى بالخذلان الّذى خامر صدوركم ، واستشعرته قلوبكم ، ولكن قلته فيضة النفس، ونفثة الغيظ ، وبثّة الصدر ومعذرة الحجة فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر ، ناكبة الحق ، باقية العار موسومة بشنار الابد ، موصولة بنار الله الموقدة الّتي تطلع على الأفئدة · فبعين الله ما تفعلون ، وسيعلم الّذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون ، وأنا ابنة نذير لكم بين يدى عذاب شديد · فاعلموا إنّا عاملون ، وانتظروا إنّا منتظرون ·

وفى احتجاج الطبرسى أنّ فاطمة عليها السلام لمّا رجعت إلى البيت بعد محاجة أبى بكر وتأنيب الأنصار خاطبت أمير المؤمنين عليه السلام وقالت له : اشتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين · نقضت قادمة الأجدل ، وخانك ريش الاعزل · هذا ابن أبي قحافة يبتزنى نحيلة أبي ، وبلغة ابنىّ لقد أجهر فى خصامى ، والفيته ألدّ فى كلامى حتّى حبستنى قيلة نصرها ، و المهاجرة وصلها وغضّت الجماعة دونى طرفها · فلا دافع ولا مانع · خرجت كاظمة ، وعدت راغمة أضرعت خدّك يوم أضعت حدّك، افترست الذئاب ، وافترشت التراب ، ماكففت

قائلاً ، ولا أغنيت باطلا ، ولا خيار لى . ليتنى متّ قبل منيتى ، و دون ذلّتى عذيرى اللّه منك عادياً ، ومنك حامياً ، ويلاى فيكلّ شارق . مات العمد ووهن العضد . شكواى إلى أبي ، وعدواى إلى ربّي . اللّهمّ أنت أشدّ قوّة وحولاً ، وأحدّ بأساً وتنكيلاً .

فقال لها أميرالمؤمنين عليه السلام : لا ويل عليك . الويل لشانئك . نهنهى عن وجدك . يا ابنة الصفوة ، وبقية النبوّة . فما ونيت عن دينى ، ولا أخطأت مقدورى . فان كنت تريدين البلغة . فرزقك مضمون ، وكفيلك مأمون ، وما أعدّ لك أفضل . ممّا قطع عنك . فاحتسبى اللّه .

فقالت : حسبى اللّه وأمسكت .

وتوهم (حد) ـ وتبعه (ثم) ـ أنّ المراد بقوله عليه السلام (وسخت عنها نفوس آخرين) أميرالمؤمنين عليه السلام و أهله فقال «وليس يعنى هناك السخاء الحقيقى لأنّه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفدك إلاّ غصباً وقسراً ، وما توهّمه فى غاية الركاكة .

«ونعم الحكم اللّه» روى الجوهرى أنّ فاطمة عليها السلام قالت لأبى بكر فى خطبتها : أبى اللّه أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك ، ولا أرث أبى . لقد جئت شيئاً فريّاً . فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك . فنعم الحكم اللّه ، و الزعيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولكلّ نبأ مستقرّ ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ، و يحلّ عليه عذاب مقيم .

و رواه أحمد بن أبى طاهر البغدادى ـ إلى أن قال : عن الراوى فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ، ولا باكية من ذلك اليوم .

وعن أبى بصير أنّه قال للصادق عليه السلام : لم لم يأخذ أميرالمؤمنين عليه السلام فدكاً لمّا ولّى الناس . فقال : لأنّ الظالم والمظلوم كانا قدما على اللّه ـ عزّو جلّ ـ وعاقب الظالم وأثاب المظلومة . فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب اللّه

غاصبه ، وأثاب عليه المغصوب منها .

وقال ابراهيم الكرخى أيضاً له عليه السلام في ذلك . فقال عليه السلام : اقتدى أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك بالنبيّ صلى الله عليه وآله ففتح مكّة ـ وقد كان عقيل باع داره ـ فقيل له : ألا ترجع إلى دارك . فقال صلى الله عليه وآله «وهل ترك عقيل لنا داراً» وإنّا أهل بيت لا نسترجع شيئاً يؤخذ منّا ظلما . فلذلك لم يسترجع فدكاً لمّا ولىّ .

وقال الرضا عليه السلام لمّا سئل عن ذلك : إنّا أهل بيت وليّنا الله ـ عزّ و جلّ ـ لا يأخذ لنا حقوقاً إلاّ هو ونحن أولياء المؤمنين إنّما نحكم لهم ، ونأخذ حقوقهم ممّن ظلمهم ، ولا نأخذ لأنفسنا .

هذا ، وفى المناقب عن أخبار الخلفاء أنّ هرون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر عليهما السلام : حدّ لي فدك حتّى أردها إليك . فيأبى حتّى ألحّ عليه . فقال : لا آخذها إلاّ بحدودها . قال : وما حدودها ؟ قال : إن حددتها لم تردّها . قال : بحقّ جدّك إلاّ فعلت قال : أمّا الحدّ الأوّل فعدن . فتغيّر وجه الرشيد ، وقال : الحدّ الثاني سمرقند . فاربدّ وجهه قال : والحدّ الثالث إفريقية فاسودّ وجهه . قال : والرابع سيف البحر ممّا يلى الخزر و ارمينية . قال الرشيد : فلم يبق لنا شيء . فتحوّل إلى مجلسى قال : قد أعلمتك إن حددتها أنا لم تردّها ـ فعند ذلك عزم على قتله .

وفى تاريخ خلفاء السيوطى وفى سنه ٣٥١ كتب الشيعة ببغداد لعن الله من غصب فاطمة حقّها من فدك ، ومن منع الحسن عليه السلام أن يدفن مع جدّه ، ولعن الله من نفى أبا ذر ثمّ إنّ ذلك محى فى الليل . فأراد معزّ الدولة أن يعيده . فأشار عليه الوزير المهلبى أن يكتب بدل ما محى : لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله .

و أقول : ونعم الحكم الله بيننا وبين الناصبة تارة ينكرون خطبة الصديقة في الشكاية من صدّيقهم وفاروقهم . فينسبونها إلى أبى العيناء كما

أنكروا خطبة الشقشقية فى شكايته عليه السلام منهم ناصبين لها إلى الرضى مع أنّ الخطبتين كانتا ثابتتين قبل جدّ جدّ الرجلين.

ففى بلاغات البغدادى قلت لأبي الحسين زيد بن علىّ: إنّ هؤلاء يزعمون أنّ كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبى بكر إيّاها فدك مصنوع من أبي العيناء فقال: رأيت مشايخ آل أبى طالب يروونه عن آبائهم، ويعلّمونه أبنائهم، وقد حدّثنيه أبي عن جدّى يبلغ به إلى فاطمة عليها السلام ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جدّ أبي العيناء.

وقد حدّث به الحسن بن علوان عن عطية العوفى، عن عبد الله بن الحسن، عن أبيه لولا عداوتهم لنا أهل البيت ـ ثمّ ذكر الحديث ـ.

قال: لمّا أجمع أبوبكر على منع فاطمة عليها السلام فدك وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها، و أقبلت فى لمّة من حفدتها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً حتّى دخلت على أبى بكر ـ و هو فى حشد من المهاجرين والأنصار ـ فنيطت دونها ملاءه ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، وارتجّ المجلس. فامهلت حتّى سكن نشيج القوم و هدأت فورتهم. فافتتحت الكلام بحمد الله تعالى والثناء عليه والصلوة على رسوله فعاد القوم فى بكاء هم. فلمّا أمسكوا عادت فى كلامها.

فقالت: لقد جائكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تعرفوه تجدوه أبى دون آباءكم و أخا ابن عمّى دون رجالكم. فبلّغ النذارة صادعاً بالرسالة ماثلاً على مدرجة المشركين. ضارباً لثبجهم. آخذاً بكظمهم. يهشم الأصنام، وينكث الهام. حتّى هزم الجمع، وولّوا الدبر، وتفرّى الليل عن صبحه، واسفر الحق عن محضه، و نطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وكنتم على شفا حفرة من النار. مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطىء الأقدام.

تشربون الطرق . وتقتاتون الورق أذلّة خاشعين . تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم . فانقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله .

بعد اللّتيا والّتى ، وبعد مامنى ببهم الرجال ، وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب كلّما حشوا ناراً للحرب اطفأها ، ونجم قرن للضلال ، و فغرت فاغرة من المشركين . قذف بأخيه فى لهواتها فلاينكفئ حتّى يطأ صماخها بأخمصه ، ويخمد لهبها بحدّه ، مكدوداً فى ذات الله . قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله سيّداً فى أولياء الله ، وأنتم فى بلهنية وادعون آمنون حتّى إذا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ظهرت خلّة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الآفلين ، وهدر فنيق المبطلين ، فخطر فى عرصاتكم ، واطّلع الشيطان رأسه من مغرزه . صارخاً بكم . فوجدكم لدعائه مستجيبين ، و للغرّة فيه ملاحظين . فاستنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألفاكم غضاباً . فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتموها غير شربكم ، والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل بدار . زعمتم خوف الفتنة ألا فى الفتنة سقطوا ، وأنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين . فهيهات منكم وأنى بكم ، و أنّى تؤفكون : وهذا كتاب الله بين أظهركم ، و زواجره بيّنة ، وشواهده لائحة ، وأوامره واضحة ، أرغبة عنه تدبرون أم بغيره تحكمون . بئس للظالمين بدلا . ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الأخسرين . ثمّ لم تريثوا إلاّ ريث ، أن تسكن نغرتها تشربون حسوا ، وتسرّون فى ارتغاء ، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى ، و أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا . أفحكم الجاهلية تبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون ـ الخ ـ .

ورواه بأسناد آخر عن جعفر بن محمّد المصرى ، عن عبد الله بن يونس ، عن جعفر الأحمر ، عن زيد بن علىّ ، عن عمّته زينب ـ وزاد أفعلى محمّد تركتم كتاب الله ، ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول تبارك وتعالى (وورث سليمان داود)

وقال ـ عزّ وجلّ ـ في ما قصّ من خبر زكريّا «ربّ هب لي من لدنك وليّاً يرثني و يرث من آل يعقوب».

وقال ـ عزّ ذكره ـ «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه».

وقال تعالى «يوصيكم اللّه في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين».

وقال تعالى «إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين».

و زعمتم أن لا حق ولا أرث لي من أبي ، ولا رحم بيننا أفخصّكم اللّه بآية اخرج نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم منها أم تقولون «أهل ملتين لا يتوارثون».

أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة لعلّكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفحكم الجاهلية تبغون ، ومن أحسن من اللّه حكماً لقوم يوقنون ، أغلب على إرثي ظلماً و جوراً ـ الخ ـ.

وتارة يفترون من صلب وجوههم إنّ أبا بكر قال لفاطمة عليها السلام : لا أدفع عنك صوابك ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الّذي أخبرني بما أخذت وتركت. قالت : فإن يكن ذلك كذلك فصبراً لمرّ الحق. فهب أنّ فاطمة لم تكن سيّدة نساء العالمين ، وكانت أعرابية لم يكن لها تفقّه أصلا هل يجوّز عقل أن تخرج وتطالب ولا تعلم بعلها.

وكيف وموتها غضبى على الرجلين متواتر كتواتر قول النبيّ أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فيها : غضبها غضب اللّه ورسوله. فسأل داود بن المبارك عبد اللّه بن موسى بن عبد اللّه بن الحسن عنهما. فقال : اجيبك بما أجاب به جدّي عبد اللّه بن الحسن لمّا سئل عنهما : أنّها ماتت وهي غضبى على قوم. فنحن غضاب لغضبها ، وقال بعض العلويّين في ذلك :

أتموت البتول غضبى و نرضى ما كذا يصنع البنون الكرام

ولمّا قال كثير النوا ، وسلمة بن كهيل ، وأبو المقدام للباقر عليه السلام :

نتولّى علياً وحسناً و حسيناً ، ونتبرّء من أعدائهم ، ونتولّى أبابكر وعمر ، و نتبرّء من أعدائهم . قال لهم أخوه زيد بن علىّ : أتتبرّؤن من فاطمة بتّرتم أمرنا بتّركم اللّه .

يعنى أنّ كون فاطمة عدوة لها متحقق فإذا تبرّؤا من عدوّهما لا بدّ أن يتبرّؤا منها ـ .

وفى خبر زكريّا بن آدم القمى قال : كنت عند أبى الحسن الرضا عليه السلام إذ جىء بابنه أبى جعفر الجواد عليه السلام وسنّه أقل من أربع . فضرب بيده إلى الأرض ورفع رأسه إلى السماء وهو يفكّر فقال له أبوه : بنفسى أنت فيم طال فكرك . فقال : فى ما صنع بامّى فاطمة عليها السلام .

«وما أصنع بفدك وغير فدك» قال أنس بن مالك ـ كما روى الجوهرى ـ أنّ فاطمة عليها السلام أتت أبابكر تطلب منه سهم ذوى القربى . فأجابه بأنّى لم أعلم أنّ هذا السهم لكم . فقالت : ذلك لعمر . فأجابها كذلك قال : فعجبت فاطمة عليها السلام من ذلك ، وتظنّت أنّهما كانا تذاكرا ذلك واجتمعا عليه .

«والنفس مظانّها» أى محالّها جمع مظنّة قال النابغه :

فإن يك عامر قد قال جهلا فإنّ مظنّة الجهل الشباب

«فى غد جدث» : أى قبر : وجمعه أجداث فقط دون أجدث كما توهمه الجوهرى استناداً إلى قول الهذلى «عرفت بأجدث فنعاف عرق» لأنّ المراد به موضع لا جمع الجدث .

«تنقطع فى ظلمته آثارها» فما يصنع الإنسان بمتاع الدنيا الفانى .

كان محمّد بن الفرج المصرى من أصحاب الهادى عليه السلام ضرب الخليفة على جميع ما يملكه وحبسه ثمانى سنين ثمّ خلّى عنه . فكتب إليه عليه السلام سأل الدعاء لردّ ضياعه . فكتب عليه السلام «سوف تردّ عليك وما يضرّك ألاّ تردّ عليك» فكتب الخليفة له ردّ ضياعه لكنّه مات قبل أن يتصرّف فيها .

«وتغيب أخبارها» فى الأنوار للسيّد الجزائرى أنّ رجلين تنازعا فى دار فأنطلق اللّه لبنة من جدار تلك الدار، فقالت: إنّى كنت ملكاً ملكت الدنيا ألف سنة فلمّا متّ وصرت تراباً أخذنى خزاف بعد ألف سنة. فصيّرنى خزفة ثمّ أخذنى لبّان فصيّرنى لبنة، وأنا فى هذا الجدار منذ كذا وكذا. فلم تتنازعان فى هذه الدار.

«وحفرة» بالرفع عطف على (جدث).

«لوزيد فى فسحتها وأوسعت يداً حافرها» فى ذيل الطبرى رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قبر ابنه إبراهيم فرجة فأمر بها تسدّ. فقيل له: فقال: أمّا أنّها لا تضرّ ولا تنفع: ولكنّها تقرّ عين الحىّ وأنّ العبد إذا عمل عملاً أحبّ اللّه تعالى أن يتقنه.

وروى العلل عن الصادق عليه السلام فى خبر وفاة سعد بن معاذ. فنزل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى لحّده، و سوّى عليه اللبن وجعل يقول: ناولونى تراباً رطباً يسدّ به ما بين اللبن. فلمّا أن فرغ وحثا عليه التراب، وسوّى قبره قال: إنّى لأعلم أنّه سيبلى، ويصل إليه البلى، ولكنّ اللّه يحبّ عبداً إذا عمل عملاً أن يحكمه.

«لاضغطها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التراب المتراكم» شكا أبوبصير إلى الصادق عليه السلام وسواس الدنيا. فقال عليه السلام له: اذكر تقطّع أوصالك فى قبرك، ورجوع أحبّائك عنك إذا دفنوك فى حفرتك، وخروج بنات الماء من منخريك، وأكل الدود من لحمك. فإنّ ذلك يسلّى عنك. قال أبو بصير: ما ذكرته إلّا سلّى ما أنا فيه من همّ الدنيا.

٣٣/ ٦٥/ ٢

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ أَيْضًا)

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ، فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ، وَإِقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ، وَابْتِزَازِكَ لِمَا اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَارًا مِنَ الْحَقِّ وَجُحُودًا لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ. فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاسْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا وَأَعْشَتِ الْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلْمِ وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحِكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَالْخَابِطِ فِي الدَّيْمَاسِ وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ الْمَرَامِ، نَازِحَةِ الْأَعْلَامِ تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنُوقُ، وَيُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ

وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدَرًا أَوْ وِرْدًا، أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا، فَمِنَ الْآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَانْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ

وَمُنِعْتَ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ. وَالسَّلَامُ

قول المصنّف «إليه أيضاً»: أى إلى معاوية لذكره قبله أيضاً كتاباً له عليه السلام إلى معاوية.

قوله عليه السلام أمّا بعد فقد آن لك فى الصحاح «آن لك أن تفعل كذا يأين ايناً» عن أبى زيد: أى حان مثل (انى لك) وهو مقلوب منه و انشد ابن السكّيت:

المّا يئن لى أن تجلّى عمايتى واقصرَ عن ليلى بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللغتين ـ ومراده كون (يئن) بكسر الهمزة مضارع آن فيكون أتى (بآن) ثمّ (بأنى)

«أن تنتفع باللمح الباصر» فى الصحاح «لا رينك لمحاً باصراً: أى أمراً واضحاً».

«من عيان الامور» قال (حد) هذا الكتاب جواب كتاب وصل إليه عليه السلام من معاوية بعد قتله عليه السلام الخوارج وفيه تلويح بما كان يقوله عليه السلام من قبل أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وعدنى بقتال طائفة أُخرى غير أصحاب الجمل و صفّين وأنّه سمّاهم المارقين. فلمّا واقعهم عليه السلام بالنهروان وقتلهم كلّهم فى يوم واحد، وهم عشرة آلاف فارس أحبّ أن يذكر معاوية بما كان يقوله من قبل ويعده به أصحابه وخواصّه فقال عليه السلام له «قد آن لك أن تنتفع بما عاينت و شاهدت معاينة ومشاهدة من صدق القول الّذى كنت أقوله للناس ويبلغك فتستهزئ به

قلت: هو نظير قوله تعالى ـ بعد ظهور آيات بيّنات ومعجزات واضحات من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم «قد تبيّن الرشد من الغىّ» وخبر قتاله عليه السلام مع الناكثين و القاسطين والمارقين من المتواترات عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عند العامة والخاصّة.

روى الكنجى الشافعى فى مناقبه مسنداً عن مخنف بن سليم قال: أتينا

أبا أيّوب الأنصارى ، وهو يعلف خيلاً له . فقلنا عنده فقلت له : يا أبا أيّوب قاتلت المشركين مع النبىّ صلى الله عليه وآله ثمّ جئت تقاتل المسلمين .

قال : إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله أمرنى بقتال ثلاثه : الناكثين ، والقاسطين ، و المارقين . فقد قاتلت الناكثين والقاسطين ، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات بالطرقات بالنهروانات وما أدرى أين هو ـ ورواه الكشى وفى آخره «وما أدرى أنى هى» ـ

وعن ابن عبّاس قال : قال النبىّ صلى الله عليه وآله لأمّ سلمة «هذا علىّ بن أبى طالب لحمه من لحمى ، ودمه من دمى ، وهو منّى بمنزلة هرون من موسى إلاّ أنّه لا نبىّ بعدى . يا أمّ سلمة هذا علىّ أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ووعاء علمى ووصيّى ، وبابى الّذى اُوتى منه . أخى فى الدنيا والآخرة ، ومعى فى المقام الأعلى . يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين» .

«فقد سلكت» هكذا فى المصرية ، والصواب «ولقد سلكت» كما فى (ثم وحد) .

«مدارج» جمع مدرجة : أى مسالك .

«أسلافك» حيث إنّه حاربه عليه السلام كما حارب أسلافه ، وهم عتبة و شيبة و أبو سفيان النبىّ صلى الله عليه وآله ، وتكبّر عن قبول ولايته عليه السلام كما تكبّر اُولئك عن قبول نبوّة النبىّ صلى الله عليه وآله .

«بادّعائك الأباطيل» قال فى الصحاح : الأباطيل جمع الباطل على غير قياس كأنّهم جمعوا أبطيلا .

«واقحامك» الاقحام : الدخول بغير روية .

«غرور المين» فسّروا المين بالكذب وكأنّه لا يستعمل وحده كما فى قوله عليه السلام كما يأتى وكما فى قول الشاعر فى جذيمة والزبّاء «وألفى قولها كذباً ومينا»

«والأكاذيب» جمع الأكذوبة .

وادعاء معاوية الاباطيل واقحامه غرورا لمين والأكاذيب إنّما كان بادعائه كونه ولىّ عثمان ، و أنّ عثمان قتل مظلوماً . فلم يكن ولىّ عثمان ، ولم يكن عثمان قتل مظلوماً . فلمّا أرادوا أمير المؤمنين عليه السلام الإقرار بكون عثمان قتل مظلوماً أبي وأنكر كما مرّ .

«وبانتحالك» الانتحال ادعاء باطل . قال الأعشى متبرءً من ادّعائه أشعار غيره .

فكيف أنا وانتحالى القوافى بعد المشيب كفى ذاك عارا

«ماقد علا عنك» : أى أمراً جلّ عنك ، وهو الخلافة . قال تعالى «لا ينال عهدى الظالمين» .

«وابتزازك» : أى سلبك يقال «رجعت الخلافة بزيّزى» أى تبزّ بزّاً و لا تؤخذ بالاستحقاق .

«لما اختزن دونك» : أى كتم من مثلك لعدم لياقتك .

والمراد وثوبه على الخلافة الّتى هو عنها بمراحل حتّى عند العامة . فان كان طلحة والزبير يدّعيان أنّهما من المهاجرين الأوّلين ، و من ستّة الشورى إلاّ أنّ معاوية كان من الطلقاء ، ومن المؤلّفة ممّن أسلم كرهاً .

وفى خلفاء ابن قتيبة أنّ معاوية كتب إلى أهل مكّة والمدينة أنّ علياً قتل عثمان لأنّه آوى قتلته فليدفع قتلته نقتلهم بكتاب اللّه ثمّ نجعل الأمر شورى . فأسندوا أمرهم في الجواب إلى المسوربن مخرمة .

فكتب إلى معاوية مجاوباً عنهم «ما أنت والخلافة يا معاوية ، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب» قال : وكتب معاوية إلى محمّد بن مسلمة وابن عمر وسعد بن أبي وقّاص بمثل ذلك . فأجابوه بمثل ذلك .

وفى الطبرى عن الحسن البصرى أربع خصال كنّ فى معاوية لولم يكن فيه منهنّ إلاّ واحدة لكانت موبقة : انتزاؤه على هذه الأمّة . بالسفهاء حتّى

ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة ، وذووا الفضيلة ، و استخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ، ويضرب بالطنابير ، وادعائه زياداً وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وقتله حجراً وبلاً له من حجر و أصحابه ـ مرّتين ـ .

وفى الطبرى أيضاً أنّ سليمان بن سرد ، والمسيّب بن نجبة ، و رفاعة بن شداد ، وجمعاً آخر كتبوا إلى الحسين عليه السلام بعد معاوية أمّا بعد فالحمد لله الّذى قصم عدوّك الجبّار العنيد الّذى انتزى على هذه الأُمّة . فابتزّها أمرها وغصبها فيأها ، وتأمّر عليها بغير رضى منها ثمّ قتل خيارها ، واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبعداً له كما بعدت ثمود .

«فراراً من الحقّ و جحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك» قال (حد) يعنى فرض طاعته عليه السلام لأنّه وعاها سمعه لا ريب فى ذلك إمّا بالنص فى أيّام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما تذكره الشيعة فقد كان معاوية حاضراً يوم الغدير لأنّه حجّ معهم حجّة الوداع ، وقد كان أيضاً حاضراً يوم تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافة «أنت منّى بمنزلة هرون من موسى» و إمّا بالبيعة كما نذكره نحن فإنّه قد اتّصل به خبره ، وتواتر عنده وقوعها .

والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه يريد المعنى الأوّل ، و نحن نخرجه على وجه لا يلزم منه ما تقوله الشيعة .

فنقول : نفرض أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما نصّ عليه بالخلافة بعده أليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له فى ألف مقام «أنا حرب لمن حاربت و سلم لمن سالمت» ونحو ذلك من قوله صلى الله عليه وآله وسلم «اللّهمّ عاد من عاداه و وال من والاه» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له «حربك حربي وسلمك سلمى» و قوله صلى الله عليه وآله وسلم «أنت مع الحقّ والحقّ معك» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «هذا منّى و أنا منه» و قوله

صلى الله عليه وآله وسلم «أنّه يحبّ الله ورسوله و يحبّه الله ورسوله» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «اللّهم ائتنى باحبّ خلقك إليك» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «إنّه ولىّ كلّ مؤمن بعدي» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى كلام قاله ـ «خاصف النعل».

قلت: وأشار إلى ما رواه فضائل أحمد بن حنبل عن أنس قال: قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم «لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسى يمضى فيهم أمرى يقتل المقاتلة و يسبي الذرية».

ـ قال أبوذر: فما راعنى إلاّ بردّ كفّ عمر من خلفى. فقال: من تراه يعنى. فقلت: ما يعنيك و إنّما يعنى خاصف النعل ـ وكان علىّ عليه السلام جالساً يخصف نعل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

قال (حد): وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق» و قوله صلى الله عليه وآله وسلم «إنّ الجنّة لتشتاق إلى أربعة» ـ و جعله أوّلهم ـ و قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمار «تقتلك الفئة الباغية» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «ستقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين بعدى» ـ إلى غير ذلك ممّا يطول تعداده، و يحتاج إلى كتاب مفرد أفما كان ينبغى لمعاوية أن يفكّر فى هذا ويخشى الله فلعله عليه السلام إلى هذا أشار بقوله «و جحود ألما هو ألزم لك من لحمك ودمك ممّا قد وعاه سمعك وملىء به صدرك».

قلت: قد أقرّ (حد) أنّ الظاهر من كلامه عليه السلام الأوّل و حينئذٍ فيكون خلفائه الثلاثة أيضاً مثل معاوية، وكلّهم كانوا يعرفون ما قال سمعوا كلّ مامرّ بآذانهم ورأوه بأعينهم لكن حليت الدنيا فى أعينهم وراقهم زبرجها كما قال عليه السلام فى خطبة المعروفة.

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى قال أبوحامد الغزالى فى كتابه سرّ العالمين: إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلىّ عليه السلام يوم غدير خم «من كنت مولاه فعلىّ مولاه» فقال عمر بن الخطاب «بخّ بخّ لك يا أبا الحسن أصبحت مولاى و

مولى كلّ مؤمن ومؤمنة» وهذا تسليم ورضى وتحكيم ثمّ بعد هذا غلب الهوى حبّاً للرياسة، وعقد البنود، وخفقان الرايات، وازدحام الخيول فى فتح الأمصار وأمر الخلافة ونهيها فحملهم على الخلاف. فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

ومعاوية كان مقرّاً بجميع فضائله عليه السلام التى عدّدها إلاّ أنّه كان يقول: إنّه اتّبع صدّيقهم وفاروقهم. فكتب إلى محمّد بن أبي بكر فى جواب كتاب كتبه إليه أنكر عليه ادعائه فى قباله عليه السلام وهوهو وهوهو «آتانى كتابك ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه، وقرابته إلى رسوله، ومواساته إيّاه في كلّ هول وخوف، فقد كنّا ـ وأبوك فينا ـ نعرف فضل ابن أبي طالب وحقّه لازماً لنا مبرماً علينا. فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له ماوعده، وأظهر دعوته. فأبلج حجّته، وقبضه الله إليه كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه حقّه، وخالفه على أمره على ذلك اتّفقا واتّسقا ثمّ إنّهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم ثمّ إنّه بايع لهما وسلّم لهما وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطّلعانه على سرّهما ـ إلى أن قال ـ.

فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، وقس شبرك بفترك تقصر عن أن توازى أو تساوى من يزن الجبال بحمله لا يلين عن قسر قناته، ولا يدرك ذو مقال آناته وأبوك مهّد مهاده، وبنى له ملكه وشاده فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به، ونحن شركائه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلّمنا إليه ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا. فأخذنا بمثله. فعب أباك بما بدالك اودع ذلك.

رواه المسعودى فى مروجه ونصر بن مزاحم فى صفينه وغيرهما وأشار إليه الطبرى في تاريخه.

ثمّ قول (حد) النص عليه من النبىّ صلى الله عليه وآله تذكرة الشيعة «مغالطة بل

هم أيضاً يذكرونه كما نذكره ، وقد صنّف فى من ذكره منهم كتاب بل كتب .

وممّن صنّف فيه الحنفى فى ينابيعه ، وقد عنون الجزرى رواته فى تضاعيف اسده و إنّما فرقهم و فرق الشيعة أنّ الشيعة يعملون بما قاله نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم وهم لا يعملون بقول نبيّهم ويقدّمون نصّ فاروقهم فى نبيّهم «إنّ الرجل ليهجر» على نصّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مع أنّ حديث المنزلة يكفيه عليه السلام مرتبة و منزلة .

كما أنّ قوله «و نحن نخرج كلامه عليه السلام «وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك ممّا قد وعاه سمعك وملىء به صدرك» على وجه لا يلزم منه ما تقوله الشيعة أيضاً غلط . فلازم أكثر تلك الأحاديث أيضاً ثبوت خلافته .

«فما ذا بعد الحقّ إلاّ الضلال المبين» هكذا فى المصرية ، وكلمة (المبين) زائدة لعدم وجودها فى (حد) و (ثم) والخطية ، وأيضاً لا وجه لها فمقابل الحقّ مطلق الضلال ، وكلامه عليه السلام لفظ الآية فى يونس «فذلكم اللّه ربّكم الحقّ فما ذا بعد الحقّ إلاّ الضلال فأنّى تصرفون»

«وبعد البيان إلاّ اللبس» أى التلبيس وليس الحقّ بالباطل «يا أهل الكتاب لم تلبسون الحقّ بالباطل وتكتمون الحقّ و أنتم تعلمون»[1] .

«فأحذر الشبهة ، واشتمالها على لبستها» : أى تلبيسها .

«فإنّ الفتنة طالما» : أى صارت فى زمان طويل .

«قد أغدفت» : أى أرسلت و أرخت .

«جلابيبها» : أى ملاحفها فلا يتبين وجه الحقّ كمرئة أرخت جلابيبها وسترت قبح وجهها .

«وأعشت الأبصار» بالنصب .

«ظلمتها» بالرفع ، والأعشى الّذي لا يبصر بالليل يعنى ظلمة الشبهة تجعل الأبصار غير مبصرة كظلمة الليل لبصر الأعشى .

(١) آل عمران : ٧١ .

والمراد أنّ وزر شبهه وفتنة يكون أبدا لدهر عليه ، وشبهات معاوية و تلبيساته إلى اليوم فى أذهان أهل السنة باقية . بل هل دين أهل السنة إلاّ دين اخترعه لهم معاوية ، ولذا قال الربيع بن نافع كما فى تاريخ بغداد: معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كشف الرجل الستر اجترء على ماورائه .

قلت : وكفى صحابتهم خزياً وافتضاحاً كون معاوية الّذى جاهر بالكفر وعمل ماعمل لهم سرّا .

«وقد آتانى كتاب منك ذو أفانين» فى الصحاح الفنن : جمعه أفنان ثمّ أفانين ، و هى الأساليب : أى أجناس الكلام .

«ضعفت قواها» قوى جمع قوّة .

«عن السلم» : أى الصلح أو الاسلام ، والمراد ضعفت أقوياء أفانين كتابك عن السلم فكيف بضعفائها .

«و أساطير» : أى أباطيل جمع أُسطورة بالضم و إسطارة بالكسر .

«لم يحكها» بضم الحاء من حاك يحوك نسج .

«منك علم ولا حلم» : أى عقل ، و هو من استعمال اللازم فى الملزوم. هذا وللنابغة فى مثل ذلك :

أتاك بقول هلهل النسج كاذبا ولم يأت بالحقّ الّذى هوساطع

وللبحترى :

أتانى كتابك ذاك الّذى تهدّدت فيه ضلالا ونوكا

«أصبحت منها كالخائض» : أى المقتحم .

«فى الدهاس» : أى ماسهل من الأرض ولان ، ولم يبلغ أن يكون رملاً .

«والخابط» : أى الطارح نفسه .

«فى الديماس» : أى فى سرب مظلم .

والمراد أصبحت من الخلافة وما تتعلّق به من أمرها من كونك والي عمر، وولىّ عثمان كالخائض فى الدهاس فيخوض فيه كما يخاض فى الماء، و الخابط فى الديماس يعثر بكلّ حجر ومدر.

هذا، وديماس أيضاً كان اسم سجن مظلم بواسط للحجاج قال جحدر اللص بعد خروجه من ذاك السجن:

انّ الليالى نحّت بى فهى محسنة لا شك فيه، من الديماس والأسد

«وترقّيت»: أى صعدت.

«إلى مرقبة» فى الصحاح «المرقب والمرقبة الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب الموكّل بالضريب.

«بعيدة المرام»: أى المقصد.

«نازحة»: أى مرتفعة.

«الأعلام»: أى الجبال.

«يقصر دونها الأنوق» هو كالمثل، وفى الصحاح الأنوق على فعول طائر وهو الرخمة وفى المثل «أعزّ من بيض الأنوق» لأنّها تحرزها فلا يكاد يظفر بها لأنّ أوكارها فى رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة.

«و يحاذى بها العيّوق» فى الصحاح: العيّوق نجم مضىء فى طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدّمه.

ذكره فى (عوق) وذكره القاموس فى [عوق وعيق] وقال «واوى يائى» ولا معنى له إلاّ أن يريد لم يعلم أنّ أصله (عيووق) أو (عييوق).

و انّما قال عليه السلام لمعاوية: ترقّيت إلى مرقبة بتلك الأوصاف من كونها بعيدة المرام نازحة الأعلام يقصر دونها الأنوق، و يحاذى بها العيوق لأنّ المراد من تلك المرتبة الخلافة الّتي هي أمانة اللّه الّتي قال تعالى بعجز السموات و الأرض والجبال عن تحمّلها في قوله «إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض

والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنّه كان ظلوماً جهولاً»(١)

وعهد اللّه تعالى الّذى قال فيه «لا ينال عهدى الظالمين»(٢) وكيف لا وهى تالى الرسالة لأنّها خلافة الرسالة وقد قال تعالى «اللّه أعلم حيث يجعل رسالته»(٣).

وليس كلّ مؤمن قابلاً لها فضلاً عن معاوية المنافق. قال نصربن مزاحم فى صفينه: خرج عمار يوماً من أيّام صفين، وجعل يقول يا أهل الاسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى اللّه ورسوله، وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين. فلمّا أراد اللّه أن يظهر دينه، وينصر رسوله أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم وهو واللّه فيما يرى راهب غير راغب، وقبض اللّه رسوله صلى الله عليه وآله وإنّا واللّه لنعرفه بعداوة المسلم، ومودّة المجرم فالعنوه لعنه اللّه فإنّه ممّن يطفىء نور اللّه ويظاهر أعداء اللّه.

«وحاش للّه أن تلى للمسلمين بعدى صدراً أو ورداً أو أُجرى لك على أحد منهم عقداً أو عهداً» روى نصربن مزاحم أنّ معاوية أتى جريراً فى منزله أى لمّا بعثه عليه السلام إليه لأخذ البيعة منه. وقال له: إنّى رأيت رأياً قال: هاته قال: اكتب إلى صاحبك يجعل لى الشام ومصر جباية. فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة فى عنقى، وأُسلّم له الأمر، واكتب إليه بالخلافة فقال له جرير: اكتب بما أردت، وأكتب أنا معك. فكتب معاوية بذلك إلى علىّ فكتب علىّ عليه السلام إلى جرير أنّ المغيرة بن شعبة قد كان أشار علىّ ـ وأنا بالمدينة ـ أن استعمل معاوية على الشام. فأبيت ذلك عليه، ولم يكن ليرانى اللّه أتّخذ المضلّين عضداً.

---

(١) الاحزاب: ٧٢.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) الانعام: ١٢٤.

«فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها فإنّك إن فرّطت حتّى ينهد»: أى ينهض.

«إليك عباد اللّه ارتجت» من الأفعال بلفظ المجهول من ارتجت الباب أغلقته.

«عليك الأمور، و منعت أمراً هو منك اليوم مقبول» وفى الكتاب زيادات واختلافات قبل ما نقله المصنف وزيادات بعده هكذا على ما روى «يا ابن حرب إنّ لجاجك في منازعة الأمر أهله من سفاه الرأى فلا يطمعنّك أهل الضلال» وقد نقله بتمامه (حد) فى شرح كتابه عليه السلام العاشر.

«والسلام» ليس فى نسختى من (ثم) ـ والظاهر زيادته.

﴿ الفصل التاسع ﴾

✿(فى اخباره (ع) بالملاحم وما يأتي من الازمنة)✿

العنوان ـ ١ ـ ٣/٣٦٩

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ. مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبُنَى خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى. سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا. وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا يَقُولُ اللهُ تَعَالَى « فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ ، وَقَدْ فَعَلَ . وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ

«يأتى على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلاّ رسمه»: أى خطّه و كتابته و تلاوته دون العمل .

وفى الكافى عن الصادق عليه السلام لا والله لا يرجع الأمر إلى أبى بكر ، وآل عمر، وبنى أُميّة ، وولد طلحة والزبير أبداً ، وذلك أنّهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنن وعطّلوا الأحكام .

و فى عقاب الأعمال عن الصادق عليه السلام من قرء القرآن ليأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم فيه .

وفى الكافى عن الباقر عليه السلام قرّاء القرآن ثلاثة : رجل قرء القرآن فاتّخذه

بضاعة واستدرّ به الملوك، واستطال به على الناس، ورجل قرء القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده، وأقامه إقامة القدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، ورجل قرء القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فاسهر به ليله، واظمأ نهاره، وقام به في مساجده، وتجافى به عن فراشه. فبأولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يديل الله تعالى من الأعداء، وبأولئك ينزّل الله تعالى الغيث، ووالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر.

«ومن الإسلام إلاّ اسمه» في الكافي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الله تعالى خلق الإسلام. فجعل له عرصة، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً، وجعل له ناصراً. فأمّا عرصته فالقرآن، وأمّا نوره فالحكمة، وأمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا ـ إلى أن قال ـ فلو أنّ الرجل من أمّتي عبد الله تعالى عمر أيّام الدنيا ثمّ لقي الله تعالى مبغضاً لأهل بيتي وشيعتي ما فرّج الله صدره إلاّ على نفاق.

وفيه عنه صلى الله عليه وآله وسلم الاسلام عريان لباسه الحياء، وزينته الوفاء، ومروّته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكلّ شيء أساس وأساس الاسلام حبّنا أهل البيت.

«ومساجدهم» هكذا في المصرية والصواب (مساجدهم) كما في (حد) و (ثم) لأنّ المقام مقام الفصل لا الوصل

«يومئذٍ غامرة» هكذا في المصرية، والصواب (عامرة) كما في (حد) و (ثم) وبقرينة ما بعده.

«من البناء خراب من الهدى» عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يأتي في آخر الزمان قوم يأتون المساجد. فيقعدون حلقاً ذكرهم للدنيا، وحبّ الدنيا لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم البغي في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لا تزخرفوا مساجدكم كما زخرفت اليهود والنصارى بيعهم.

وفى الخبر إذا قام القائم جعل المسجد جمّا لا شرف لها كما كانت على عهد النبىّ ﷺ .

وفى الأثر إذا خرج القائم عليه السلام أمر بهدم المنار والمقاصير الّتى فى المساجد .

وعن النبىّ ﷺ إذا فعلت أُمّتى خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء ـ إلى أن قال ـ وارتفعت الأصوات في المساجد .

وعنه ﷺ لا تقوم الساعة حتّى يتبايع الناس في المساجد .

«سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض منهم تخرج الفتنة وإليهم تأوى الخطيئة» رووا أنّ المأمون أمر بإشخاص سليمان بن محمّد الخطّابى من البصرة ـ وكان إمام مسجدها وكان رأى على سارية منه (رحم اللّه عليّاً إنّه كان تقيا) فأمر بازالته ـ فلمّا مثل بين يديه قال له : أنت القائل «العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة ومسجدى عين المربد وأنا عين مسجدى» وأنت أعور . فإذن عين الدنيا عوراء . قال : لم أقل ذلك ، ولا أظنّ أنّك أحضرتنى لذلك . قال : بلغنى أنّك أصبحت فوجدت على سارية من سوارى مسجدك (رحم اللّه عليّا إنّه كان تقيا) فأمرت بمحوه قال كان (لقد كان نبيّا) فأمرت بازالته . فقال له المأمون : كذبت كانت القاف أصح من عينك الصحيحة واللّه لولا أن أُقيم لك سوقا عند العامة لأحسنت تأديبك .

«يردّون من شذّ» من باب مدّ وفرّ .

«عنها فيها» : أى يردّون من تفرّق عن الفتنة فيها كما يردّ الراعى شاة تفرقت عن الأغنام فيها .

«ويسوقون من تأخّر عنها إليها» كما يسوق السائق حماراً أو بقراً تأخّر عنهما إليهما ، وردّهم كذلك ، وسوقهم كذلك لجدّيتهم فى رواج الفتنة و صيرورتها معمولاً بها .

وفى عقاب الأعمال عن النبيّ صلى الله عليه وآله سيأتى على أمّتى زمان لا يبقى من القرآن إلاّ رسمه ، ومن الاسلام إلاّ اسمه يسمّون به وهم أبعد الناس منه ، مساجدهم عامرة من البناء ، وهى خراب من الهدى . فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة ، وإليهم تعود .

«يقول الله سبحانه فبى حلفت لأبعثنّ على أولئك فتنة أترك الحليم» هكذا فى النسخ ، والصواب (الحكيم) وقد نسبه (ثم) إلى رواية .

«فيها حيران» لا يرى وجه خلاص له كلّما فكّر .

فى عقاب الاعمال عن الباقر عليه السلام أنّ الله تعالى أنزل على نبيّ كتاباً فيه «أنّه يكون من خلقى لمحسنون الدنيا بالدين يلبسون مسوك الضان على قلوب كقلوب الذئاب وأشدّ مرارة من الصبر ، وألسنتهم أحلى من العسل ، و أعمالهم الباطنة أنتن من الجيف أبى يغترّون أم إيّاى يخادعون أم علىّ يجترؤن فبعزّتى حلفت لابعثنّ عليهم فتنة تطأ فى خطامها حتّى تبلغ أطراف الأرض تترك الحكيم منها حيران ألبسهم شيعاً و أذيق بعضهم بأس بعض أنتقم من أعدائي ولا أبالي .

وعنه عليه السلام قال : سئل النبىّ صلى الله عليه وآله فيم النجاة غداً ؟ قال : ألاّ تخادعوا الله فيخدعكم ، وينزع منكم الايمان . قيل له : فكيف يخادع الله؟ قال : يعمل بما أمر الله ثمّ يريد به غيره إنّ المرائى يدعى يوم القيامة : ياكافر يافاجر يا غادر ياخاسر حبط عملك ، وبطل أجرك . فلا خلاص لك اليوم ، والتمس أجرك ممّن كنت تعمل له .

وعن الصادق عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله : سيأتى على أمّتى زمان تخبث فيه سرائرهم ، و تحسن علانيتهم طمعاً فى الدنيا . لا يريدون به ما عند الله ـ عزّوجلّ ـ يكون أمرهم رياء . لا يخالطهم خوف يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق . فلا يستجاب لهم .

وعنه عليه السلام قال علىّ عليه السلام : إنّ فى جهنّم رحا تطحن أفلا تسألونى ماطحينها؟ قيل : وماطحينها ؟ قال : العلماء الفجرة ، والقرّاء الفسقة ، والجبابرة الظلمة ، والوزراء الخونة ، والعرفاء الكذبة ، وأنّ فى النار لمدينة يقال لها : الحصينة أولا تسألونى مافيها؟ قيل : وما فيها؟ قال : أبعض أيدى الناكثين .

وعنهم عليهم السلام يقول ـ عزّوجل ـ إذا عصانى من خلقى من يعرفنى سلّطت عليه من لا يعرفنى .

«وقد فعل» هكذا فى النسخ ، وكأنّه مصحّف «وكذلك يفعل» لانّ مقوله تعالى إلى قوله (حيران) وأمّا هذا فكلامه عليه السلام تصديقاً لقوله تعالى نظير تصديق اللّه تعالى لقول ملكة سبأ «إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة»[1] فى قوله تعالى «وكذلك يفعلون» .

«ونحن نستقيل اللّه» : أى نطلب تجاوزه .

«عثرة الغفلة» عنه تعالى حتّى لا يجعلنا مثل اُولئك .

٢ / ٤٦٨ وَقَالَ ع : يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ يَعَضُّ ٱلْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذٰلِكَ قَالَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ « وَلَا تَنْسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ » تَنْهَدُ فِيهِ ٱلْأَشْرَارُ وَتُسْتَذَلُّ ٱلْأَخْيَارُ . وَيُبَايِعُ ٱلْمُضْطَرُّونَ ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ بَيْعِ ٱلْمُضْطَرِّينَ

أقول : الاصل فيه رواية عيون ابن بابويه عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام قال : خطب أبى عليه السلام فقال : سيأتى على الناس زمان عضوض يعضّ الموسر على مافى يده ، ولم يؤمر بذلك قال تعالى «ولا تنسوا الفضل

(١) النمل : ٣٤ .

بينكم إنّ الله كان بما تعملون بصيراً»(١)

وسيأتى زمان يقدّم فيه الأشرار، وينسىء فيه الأخيار، ويبايع المضطرّ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطر، وعن بيع الغرر، فاتّقوا الله أيّها الناس، وأصلحوا ذات بينكم واحفظونى في أهلي.

ورواه سنن أبى داود عن شيخ من بنى تميم قال: خطبنا علىّ عليه السلام فقال: سيأتى على الناس زمان عضوض يعضّ المؤسر على مافى يديه، ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) ويبايع المضطرّون وقد نهى النبىّ صلى الله عليه وآله عن بيع المضطر، وبيع الغرر، وبيع الثمرة قبل أن تدرك.

«يأتى على الناس زمان عضوض»: أى زمان يعضّ الناس ككلب كلب. قال ابن أحمر:

«نات عن سبيل الخير إلاّ أقلّه وعضّت من الشر القراح بمعظم»

«يعضّ المؤسر على مافى يديه» فلا يدع أن يخرج منه خير إلى غيره.

«ولم يؤمر بذلك» بل بضدّه قال الله سبحانه «ولا تنسوا الفضل بينكم» الآيه فى سورة البقرة (٢٣٧).

وفى الكافي عن الباقر عليه السلام أنّ الشمس لتطلع، ومعها أربعة أملاك: ملك ينادى: ياصاحب الخير أتمّ وأبشر، وملك ينادى: ياصاحب الشرّ انزع واقصر، وملك ينادى: اللّهمّ اعط منفقاً خلفا، وممسكاً تلفا، وملك ينضحها بالماء، ولولا ذلك اشتعلت الأرض.

وعن الصادق عليه السلام من يضمن أربعة بأربعة أبيات فى الجنّة: أنفق ولا تخف فقراً، وأنصف الناس من نفسك، وأفش السلام فى العالم، واترك المراء وإن كنت محقّا.

وعن الرضا عليه السلام قال لمولى له: هل أنفقت اليوم شيئاً؟ فقال لا فقال

(١) البقرة، ٢٣٧

فمن أين يخلف الله علينا أنفق ولو درهماً واحداً .

وعنه عليه السلام كتب إلى ابنه الجواد عليه السلام بلغني أنّ الموالى إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير فإنّما ذلك من بخل منهم لئلاّ ينال منك أحد خيراً أسألك بحقّى عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلاّ من الباب الكبير . فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضّة ثمّ لا يسألك أحد شيئاً إلاّ أعطيته ، ومن سألك من عمومتك أن تبرّه فلا تعطه أقلّ من خمسين ديناراً ، والكثير إليك ، ومن سألك من عمّاتك فلا تعطها أقلّ من خمس وعشرين ديناراً ، والكثير إليك انفق ، ولا تخش من ذى العرش اقتارا .

وعن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ما محق الإسلام محق الشحّ شىء إنّ لهذا الشحّ دبيباً كدبيب النمل وشعباً كشعب الشرك ـ وفى نسخة ـ الشوك .

وعن الصادق عليه السلام جاء رجل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنّى شيخ كثير العيال قليل المال فنظر صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه وقال : قد أسمعنا . فقام رجل وقال : كنت بالأمس مثلك . فذهب به إلى منزله فأعطاه مرودا من تبر ، وكانوا يتبايعون بالذهب والفضة . فقال : هذا كلّه؟ قال : نعم . قال : خذ تبرك إنّى لست بإنسى ولا جنّى ولكنّى رسول من الله لأبلوك . فوجدتك شاكراً جزاك الله خيراً .

«تنهد» : أى تنهض وتقوم .

«فيه الأشرار وتستذلّ الأخيار» فى العقد الفريد دفع الحجّاج إلى محمّد بن المنتشر الهمداني رجلاً ذمّياً ، وأمره بالتشديد عليه ، والاستخراج منه قال : فقال لى : إنّ لك لشرفاً ودِيناً وانّى لا اعطى على القسر شيئا فارفق بى ففعلت . فأدّى إلىّ فى أسبوع خمسمأة ألف . فبلغ ذلك الحجّاج . فأغضبه فانتزعه من يدى ، ودفعه إلى الّذى كان يتولّى له العذاب . فدقّ يديه ورجليه . فلم يعطه شيئاً ، وإنّى لسائر يوماً فى السور إذا صاح بى صائح .

فالتفتّ فاذا أنا به معترضاً على حمار مدقوق اليدين والرجلين.

فقال لي : إنّك وليت منّى ماولى هؤلاء . فرفقت بى وأنّهم صنعواً بى ما ترى ولى خمسمأةألف عند فلان فخذها مكافأة لما أحسنت إلىّ . فقلت : ما كنت لآخذ منك شيئاً .

قال : فأمّا إذ أبيت فاسمع منّى حديثاً أحدّثك به حدّثنيه بعض أهل دينك عن نبيّك أنّه قال : إذا رضى اللّه عن قوم أنزل عليهم المطر فى وقته ، و جعل المال فى سمحائهم ، واستعمل عليهم خيارهم ، وإذا سخط على قوم أنزل عليهم المطر فى غيروقته ، وجعل المال فى بخلائهم ، واستعمل عليهم شرارهم ، فانصرفت فما وضعت ثوبى حتّى آتانى رسول الحجاج فأتيته فالفيته جالساً على فراشه ، والسيف مصلت بيده .

فقال لى : اُدن فدنوت شيئاً ثمّ قال لي الثانية : اُدن لا أباً لك فقلت: ما بي إلى الدنوّ من حاجة ، وفى يد الأمير ما أرى . فضحك و أغمد سيفه .

و قال : اجلس ماكان من حديث الخبيث . فقلت له : أيّها الأمير و اللّه ما خنتك منذ ائتمنتنى ثمّ حدّثته فلمّا صرت إلى ذكر الرجل الّذى عنده المال أعرض عنّى بوجهه ، وأومئ إلىّ أن لا تسمّه : ثمّ قال : انّ للخبيث نفساً و قد سمع الأحاديث .

«و يبايع المضطرّون وقد نهى رسول اللّه صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين» عقد الشيخ فى الاستبصار باباً لكراهية مبايعة المضطر ثمّ روى خبراً عن الصادق عليه السلام قال «يأتى على الناس زمان عضوض يعض كلّ امرىء على ما فى يده ، و ينسى الفضل ، وقد قال تعالى «ولا تنسوا الفضل بينكم» ثمّ ينبرى فى ذلك الزمان أقوام يبايعون المضطرين اُولئك هم شرار الناس»

و روى خبراً آخر أنّه قيل للصادق : إنّ الناس يزعمون أنّ الربح على

المضطر حرام ، وهو من الربوا ٠فقال : وهل رأيت أحداً اشترى غنياًأو فقيراً إلاّ فى ضرورة قد أحلّ اللّه البيع ، وحرّم الربوا بع واربح ولا ترب ـ الخبر ـ ٠

ثمّ قال : لاتنافى بينهما ٠ فالمضطر الّذى فى الخبر الأوّل محمول على المضطر الّذى يضطرّه غيره إلى البيع بالجبر والاكراه ، وفى الخبر الثانى محمول على الّذى تضطرّه حاجته لاغيره ٠

قلت : بل المضطر فى الخبر الأوّل محمول بقرينة صدره على عدم تفضل الموسرين على المعسرين حتّى يضطر المعسرون إلى بيع نفائسهم بأقل ثمن، ومثله كلامه عليه السلام فإنّ الاصل فيهما واحد ٠

وكلام آخرهم عليهم السلام ككلام أوّلهم لاما قاله من أنّه فى ما أجبره جبار ، و الخبر الثانى مورده أنّ كلّ من يشترى شيئاً لابد أنّه كان محتاجاً إلى ذاك الشىء ٠فلا بأس أن يأخذ البائع ربحاً بدون ربا لاكما يتوهمه بعض القاصرين من المتصوّفين من حرمة أخذ الربح من كلّ مشتر ٠

ويوضح كون المراد من الخبر الأوّل ما قلناه ٠ ماروا ه الكافى أنّ رجلاً قال لأبى عبداللّه عليه السلام : إنّى رأيت فى منامى كأنّى خارج من الكوفة فى موضع أعرفه ، وكأنّ شبحاً من خشب ـ أو رجلاً منحوتاً من خشب ـ على فرس من خشب يلوّح بسيفه ، وأنا أشاهده فزعاً مرعوباً ٠ فقال له عليه السلام : أنت رجل تريد اغتيال رجل فى معيشته ٠ فاتّق اللّه الّذى خلقك ثمّ يميتك ٠

فقال الرجل : أشهد أنّك اُوتيت علماً إنّ رجلاً من جيرانى جائنى ، و عرض علىّ ضيعته فهممت أن أملكها بوكس كثير لما عرفت أنّه ليس لها طالب غيرى ٠

فقال له عليه السلام : وصاحبك يتولاّ ناو يتبرّء من أعدائنا ؟

فقال : نعم رجل جيّد البصيرة مستحكم الدين ، وأنا تائب الى اللّه تعالى و اليك ممّا هممت به ٠ فأخبرنى لوكان ناصباً أيحلّ لى اغتياله ٠

فقال : ادّ الأمانة إلى من ائتمنك و أراد منك النصيحة ، و لو إلى قاتل الحسين عليه السلام .

هذا ، وروى زيادات حج التهذيب عن محمّد بن جعفر ، عن أبيه عليه السلام قال : قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يأتى على الناس زمان يكون فيه حجّ الملوك نزهة ، و حجّ الأغنياء تجارة ، وحجّ المساكين مسئلة .

٣/ ٨٩/ ١ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ . فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرُأَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِى بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا . فَاسْأَلُونِى قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِى . فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِى عَنْ شَىْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِى مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا ، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا وَمَحَطِّ رِحَالِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا ، وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا . وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِى وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ . وَذٰلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقًا تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتّٰى يَفْتَحَ اللّٰهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ .

أقول: قال (حد) وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة وهى متداولة مستفيضة خطب بها علىّ عليه السلام بعد النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضى ـ إلخ ـ.

وفى إرشاد المفيد محمّد بن المظفر أبوبكر البزاز، عن أبى مالك كثير، بن يحيى، عن محمّد بن أبى السرى، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد الكفائى، عن الأصبغ قال: لمّا بويع أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد معتمّاً بعمامة الرسول صلى الله عليه وآله لابساً بردته. فصعد المنبر، ووعظ وأنذر ثمّ جلس متمكّناً وشبّك بين أصابعه ووضعها أسفل سرّته.

ثمّ قال: يامعشر الناس سلونى قبل أن تفقدونى. سلونى فإنّ عندى علم الأوّلين والآخرين أما والله لو ثنّى لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم.

إلى أن قال: ثمّ قال: سلونى قبل أن تفقدونى فوالّذى خلق الحبّة، وبرء النسمة لو سألتمونى عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها، وخاصّها من عامها، ومحكمها من متشابهها ومكّيها من مدنيها، والله ما من فئة تضلّ أو تهدى إلاّ وأنا أعرف قائدها، وسائقها، وناعقها إلى يوم القيامة.

وروى فى أماليه مسنداً عن الأعمش، عن عباية بن ربعى قال: كان علىّ عليه السلام كثيراً ما يقول: سلونى قبل أن تفقدونى. فوالله ما من أرض مخصبة ولا مجدبة، ولا فئة تضلّ مأة أو تهدى مأة إلاّ وأنا أعرف قائدها، وسائقها وناعقها إلى يوم القيمة.

وروى الصفار فى بصائره عن الاصبغ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول على هذا المنبر: سلونى قبل أن تفقدونى، والله ما أرض مخصبة ولا مجدبة، وكلّ فئة تضلّ مأة أو تهدى مأة إلاّ وقد عرفت سائقها وقائدها، وقد أخبرت بهذا

رجلاً من أهل بيتي يخبر بها كبيرهم صغيرهم إلى يوم القيمة.

وروى ابن عقدة ـ كما في غيبة النعماني ـ عن أحمد بن محمّد الدينوري، عن عليّ بن الحسن الكوفي، عن عميرة بنت دوس، عن جدّها الخضر بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جدّه عمر بن سعيد قال: قال عليّ عليه السلام يوماً لحذيفة: لا تحدّث الناس بما لا يعرفون. فيكفروا إنّ من العلم صعباً شديداً محمله لو حملته الجبال عجزت عن حمله.

إلى أن قال: يا ابن اليمان إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله تفل في فمي، وأمرّ يده على صدري، وقال: اللّهمّ اعط خليفتي، ووصيي، وقاضي ديني ومنجز وعدي وأمانتي، ووليّي في حوضي، وناصري على عدوّك وعدوّي، و مفرّج الكرب عن وجهي ما اعطيت آدم من العلم، ونوحاً من الحلم، و إبراهيم من العترة الطيبة و السماحة، و أيّوب من الصبر عند البلاء، وداود من الشدّة عند منازلة الأقران، و سليمان من الفهم اللّهمّ لا تخف على عليّ شيئاً من الدنيا حتّى تجعلها كلّها بين عينيه مثل المائدة الصغيرة بين يديه. اللّهمّ اعطه حلاوة موسى، واجعله في نسله شبيه عيسى. اللّهمّ إنّك خلّفتني عليه، وعلى عترته، وذرّيته الطيبة المطهّرة الّتي أذهبت عنها الرجس و النجس، و صرفت عنها ملامسة الشيطان. اللّهمّ إن بغت قريش عليه، وقدّمت غيره عليه فاجعله بمنزلة هرون من موسى إذ غاب عنه موسى.

ثمّ قال: يا عليّ كم في ولدك من ولد فاضل يقتل والناس قيام ينظرون لا يغيّرون إنّ القاتل والآمر والشاهد الّذي لا يغيّر كلّهم في الاثم و اللعان مشتركون.

يا ابن اليمان انّ قريش لا تشرح صدورها، ولا ترضى قلوبها، ولا تجري ألسنتها ببيعة عليّ وموالاته إلاّ على الكره والعمى.

يا ابن اليمان ستبايع قريش علياً ثمّ تنكث عليه وتحاربه وتناضله وترميه

بالعظائم ، وبعد علىّ يلى الحسن ، و سينكث عليه . ثمّ يلى الحسين فتقتله فلعنت أُمّة تقتل ابن بنت نبيّها ، ولا تعزّ من أُمّة ، ولعن القائد لها ، والمرتّب لفاسقها .

والّذى نفس علىّ بيده لا تزال هذه الأُمّة بعد قتل الحسين ابني في ضلالة و ظلمة ، وجور و اختلاف فى الدين ، وتبديل لما أنزل اللّه تعالى فى كتابه ، واظهار البدع ، و ابطال السنن ، وترك محكمات حتّى تنسلخ من الإسلام وتدخل فى العمى مالكم يا بنى أُميّة لاهتديتم يا بني أُميّة ومالكم يا بني فلان لكم الاتعاس فما فى بنى فلان إلاّ ظالم معتد متمرّد على اللّه بالمعاصى قتّال لولدى هتّاك لستر حرمتى . فلا تزال هذه الأُمّة جبارين يتكالبون على حرام الدنيا منغمس فى بحار الهلكات ، وفى اودية الدماء حتّى اذا غاب المتغيب من ولدى عن عيون الناس وماج الناس بفقده أو بقتله أو بموته . اطلعت الفتنة ، ونزلت البلية و التحمت العصبية ، وغلا الناس فى دينهم ، و أجمعوا على أنّ الحجّة ذاهبة والإمامة باطلة ، وتحجّ حجيج الناس فى تلك السنة من شيعة على و تواصيهم التمكن و التجسس عن خلف الخلفاء فلا يرى لهأثر . فعند ذلك سبّت شيعة على سبّها أعدائها ، وغلبت عليها الأشرار والفسّاق باحتجاجها حتّى إذا بقيت الأُمّة وتدلّهت وأكثرت فى قولها انّ الحجّة هالكة ، والامامة باطلة . فوربّ على أنّ حجّتها عليها قائمة ماشية فى طرقاتها داخلة فى دورها و قصورها جوّالة فى شرق الأرض و غربها تسمع الكلام و تسلّم على الجماعة ترى ولا ترى إلى الوقت والوعد ونداء المنادى من السماء .

وفى اوّل غارات الثقفي : عن اسماعيل بن ابان ، عن عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن فهر عن المنصور بن عمرو ، عن زر بن حبيش ، و عن أحمد بن عمران الأنصارى ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو عن زر ـ قال خطب علىّ عليه السلام بالنهروان فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس

أمّا بعد فأنا فقأت عين الفتنة ولم يكن أحد ليجترىء عليها غيرى.

و فى حديث ابن أبي ليلى (لم يكن ليفقأها أحد غيرى) .

ـ إلى أن قال ـ سلونى قبل أن تفقدونى إنّى ميّت أو مقتول بل قتلاً ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم ـ وضرب بيده إلى لحيته ـ و الّذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تضلّ مأة ، وتهدى مأة إلّا نبّأتكم بناعقها وسائقها .

فقام إليه رجل . فقال : حدّثنا عن البلاء . فقال عليه السلام إنّكم فى زمان إذا سأل سائل فليعقل ، وإذا سئل مسؤول فليتثبت ألا و إنّ من ورائكم أموراً أتتكم جللا مزوجا وبلاء مكلحا مبلحاً والّذى فلق الحبة ، وبرء النسمة أن لو فقدتمونى ، و نزلت بكم كرائهَ الاُمور ، وحقائق البلاء لقد أطرق كثير من السائلين ، وفشل كثير من المسؤلين ، وذلك إذا قلصت حربكم ، وشمّرت عن ساق ، وكانت الدنيا بلاء عليكم ، وعلى أهل بيتى حتّى يفتح اللّه لبقية الأبرار ـ الخبر ـ .

«أمّا بعد أيّها الناس فأنا فقأت عين الفتنة» فى القاموس فقأ العين و البثرة كمنع : كسرها أو قلعها أو بخقها كفقّأها .

والمراد فقؤه عليه السلام عين فتنة الجمل ، و صفين ، والنهروان .

هذا ، وكانت العرب إذا بلغت إبلهم ألفاً فقأوا عين الفحل فإن زادت فقأوا الاُخرى . فذلك المقفّى والمعمّى ، وكانوا يفتخرون بذلك قال :

فقأت لها عين الفحيل تعيفا وفيهن رعلاء المسامع و الحام

أيضاً

وهب لنا وأنت ذو امتنان يفقأ فيها أعين البعران

قالوا : كان عامر بن الطفيل يوم فيف الريح ـ اسم مكان كان به الوقعة ـ يتعهد الناس فيقول : يا فلان ما رأيتك فعلت شيئاً . فمن أبلى فليرنى سيفه

أو رمحه ، فكان كلّ من أبلى بلاء حسناً أتاه ـ فأراه الدم على سنان رمحه أوسيفه . فأتاه رجل من العدوّ . فقال : انظر ماصنعت بالقوم انظر إلى رمحي. فلمّا أقبل عليه لينظر وجاه بالرمح فى وجنته ففلقها وفقأعينه ، وترك رمحه وعاد إلى قومه دعاه إلى ذلك مارآه يفعل بقومه . فقال : هذا واللّه مبيرقومى . وفقأ رجل عين آخر بحديدة محماة . فسمّى بنوه بنى سمّال .

وفى عقد الفريد من نوكى الأشراف عجل بن لجيم أرسل ابنه فرساً فى حلبة فجاء سابقاً . فقال له : ياأبه ماترى اسميّه؟ قال : افقأ إحدى عينيه ، و سمّه الأعور . قال الشاعر :

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم وأىّ عباد اللّه أنوك من عجل
أليس أبوهم عار عين جواده فاضحت به الأمثال تضرب فى الجهل

«ولم تكن ليجرؤ» هكذا فى المصرية ، والصواب (ليجترئ) كما فى (حد ، و ثم ، والخطية)، وكما مرّ عن الثقفى .

«عليها أحد غيرى» لعدم علمهم بقتال أهل القبلة . قال الصادق عليه السلام : لولم يقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام لم يدر أحد كيف يسير فيهم .

وفى المناقب أنّ لمحمّد بن الحسن الفقيه كتاباً يشتمل على ثلاثمأة مسئلة فى قتال أهل البغى بناء على فعل علىّ عليه السلام .

وقتل عليه السلام فى صفين المقبل والمدبر ، وأجهز على الجريح لكون قائدهم معاوية باقياً وقال عليه السلام يوم الجمل بعد قتل طلحة والزبير : لا تتبعوا موليا ، ولا تجهزوا على جريح .

ثمّ مراده عليه السلام بقوله (ولم يكن ليجترىء عليها أحد غيرى) من باقى الناس لا أهل بيته فأهل بيته صلى الله عليه وآله مثله .

وممّا ذكرنا يظهر لك مافى قول (حد) : لولا أنّه عليه السلام اجترىء على سلّ السيف فيها ما أقدم أحد عليها حتّى الحسن ابنه أشار عليه ألاّ يبرح

عرصة المدينة ، ونهاه عن المسير إلى البصرة حتّى قال له منكراً عليه انكاره ، لا تزال تحنّ حنين الامّة ، وروى ابن هلال أنّه كلّم أباه فى قتال أهل البصرة بكلام أغضبه · فرماه ببيضة حديد عقرت ساقه فعولج منها شهرين ـ الخ ـ ·

غلط وخبراه من الروايات المجعولة من العامة وكيف يعقل اعتراض من شهد القرآن بعصمته فى صغره فى قوله تعالى «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» ومن باهل به النبىّ صلى الله عليه وآله فى صباه فى قوله ـ جلّ وعلا ـ قل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ـ الآية ـ فى كبره على أمير المؤمنين عليه السلام ·

ولو أغمضنا عن ذلك كيف يمكن أن يخفى على الحسن عليه السلام وجه الحكمة فى وجوب قتال الناكثين لبيعة أبيه والمفسدين فى الأرض أما كان سمع قوله تعالى «فقاتلوا الّتى تبغى حتّى تفىء إلى أمر اللّه» وكان تركهم خلافا لشريعة والسياسة ·

ثمّ كيف يفعل مثل أمير المؤمنين عليه السلام مانسبه اليه سبحانك هذا بهتان عظيم ·

قال (حد) من الخطبة مما لم ينقله الرضى قوله عليه السلام «ولو لم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل والنهروان» إلى أن قال : ولم يذكر عليه السلام أهل صفين لأنّ الشبهة في أهل الجمل والنهروان كانت ظاهرة لأنّ طلحة والزبير موعودان بالجنّة ، وعايشة موعودة أن تكون زوجة النبىّ صلى الله عليه وآله فى الآخرة كالدنيا ومحبّته وثنائه عليها ، ونزول القرآن فيها معلوم ·

وأمّا أهل النهروان فكانوا أهل قرآن وعبادة وإقبال على الآخرة ، وكانوا قرّاء العراق وزهّادها ·

وأمّا معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والانحراف عن الاسلام ، وكذلك ناصره ومظاهره عمرو بن العاص وأتباعه طغام أهل الشام وجهّال

الاعراب. فلم يكن جواز قتالهم خافيا كأهل الجمل والنهروان.

قلت: كلامه كلّه خبط فى خبط. ففيه أوّلاً من أين أنّه عليه السلام اقتصر على ما قال. فقد نقل البحار عن غارات الثقفى أنّه قال: ولولم أكن فيكم ما قوتل أصحاب الجمل، ولا أهل صفين، ولا أهل النهروان.

وكذلك رواه (ثم) فقال: قال عليه السلام «أمّا بعد فأنا فقأت عين الفتنة شرقيها وغربيها ومنافقها ومارقها لم يكن ليجترى عليها غيرى ولو لم أكن لما قوتل أصحاب الجمل ولا صفين ولا أصحاب النهر».

وثانياً أنّ جمعاً من الأجلاّء عندهم كابن عمر، ومحمّد بن مسلمة، و أبى موسى الأشعرى، وسعد بن أبى وقاص ـ وهو عندهم من العشرة وهومن الستة ـ استشكلوا فى قتال أهل صفين و كانوا من القاعدين.

وثالثا أنّ زهادهم و قرائهم، وفى رأسهم ربيع بن خثيم استشكلوافى قتال معاوية. فروى صفين نصربن مزاحم أنّه عليه السلام لمّا ندب الناس إلى حرب معاوية أتاه جمع من أصحاب عبد اللّه بن مسعود منهم ربيع بن خثيم، و هم يومئذٍ أربعمأة رجل. فقالوا: إنّا قد شككنا فى هذا القتال، ولا غنى بك ولا بنا، ولا بالمسلمين عمّن يقاتل العدوّ من الكفّار فولّنا بعض الثغور. فوجّه الربيع على ثغر الرى.

وروى أبوحنيفة الدينورى فى أخبار طواله أنّ جلّ الناس أجاب عليّاً عليه السلام إلى المسير إلى الشام الاّ أصحاب عبد اللّه بن مسعود: عبيد السلمانى وربيع بن خثيم فى نحو من أربعمأة رجل من القراء. فقالوا: قد شككنا فى هذا القتال فولّنا بعض هذه الثغور فولاّ هم ثغر قزوين والرى، وولّى عليهم الربيع وعقد له لواء وكان أوّل لواء عقد بالكوفة.

وكيف لا يستشكون فى قتال معاوية، وقد سمّوا قيامه عليه السلام فتنة. فروى استيعاب أبى عمرو هو من كتبهم المعتبرة فى أسامة أنّ علىّ بن حشرم قال

لوكيع : من سلم من الفتنة؟ قال : أمّا المعروفون من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فأربعة : سعد بن مالك ، وعبد اللّه بن عمر ، ومحمّد بن مسلمة واسامة بن زيد . قال : ولم يشهد أمرهم من التابعين أربعة : الربيع بن خثيم ، و مسروق بن الأجدع ، وأسود بن يزيد ، و أبو عبد الرحمن السلمى .

وروى نصر بن مزاحم أنّه عليه السلام لمّا حرّض الناس لقتال أهل الشام ، وقال «سيروا إلى أعداء السنن والقرآن سيروا إلى بقية الأحزاب ، وقتلة المهاجرين والأنصار» قام رجل من بنى فزارة يقال له : أربد . فقال : أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كأهل البصرة ـ الخبر ـ

وروى المفيد عن سعيد بن المسيّب قال : سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن علىّ عليه السلام فقال له ابن عباس : إنّ علياً عليه السلام صلّى القبلتين ، و بايع البيعتين ، ولم يعبد صنماً ولا وثنا ، ولم يضرب على رأسه بزلم ، ولا قدح ولم يشرك باللّه طرفة عين .

فقال الرجل : لم أسألك عن هذا ، وانّما سألتك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتّى أتى البصرة . فقتل أربعين ألفاً ثمّ سار الى الشام فلقى حواجب العرب . فضرب بعضهم ببعض حتّى قتلهم ثمّ أتى النهروان و هم مسلمون فقتلهم عن آخرهم ـ الخبر ـ .

وفى آخره قال له ابن عباس و علم أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كلّهم فى علم على عليه السلام كالقطرة الواحدة من سبعة أبحر .

وقال المسعودى فى مروجه : نادى منادى المأمون فى سنة (٢١٢) أن برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدّمه على أحد من الصحابة ، و أنشأت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر . فاعظم الناس ذلك و أكبروه فاضطربت العامّة فأشير عليه بترك ذلك فأعرض عمّا كان همّ به .

قلت : لم يكبر اُولئك سبّ أمير المؤمنين عليه السلام وهو نفس النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم

بنصّ القرآن ثمانين سنة ، وأكبروا سبّ معاوية وهو عدوّ الله وعدوّ رسوله ساعة .

وروى الآبى عن العلاء بن صاعد قال : لمّا حمل رأس صاحب الزنج و دخل به المعتضد إلى بغداد دخل فى جيش لم ير مثله . فلمّا صار بباب الطاق صاح قوم (رحم الله معاوية) وزاد حتّى علت أصوات العامة . فتغيّر وجه المعتضد ، وقال : ما أعجب هذا ، وما الّذى اقتضى ذكر معاوية فى هذا الوقت ، والله لقد بلغ أبى إلى الموت ، وما أفلتّ أنا إلاّ بعد مشارفة الموت ولقينا كلّ بلاء حتّى انجينا هؤلاء الكلاب من عدوّهم وحصّنا حرمهم وأولادهم فتركوا أن يترحموا على العبّاس ، وعبد الله بن العبّاس ، ومن ولد من الخلفاء وتركوا الترحم على علىّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين ـ الخ ـ .

وكيف جعل (حد) أمر معاوية عندهم ميتاً وقد أخذوا دينهم عنه ، و كان عندهم ستر أبى بكر وعمر ، ومن طعن فيه طعن فيهما كما صرّح بذلك الخطيب .

مع أنّ معاوية وإن كان فاسقاً مشهوراً إلاّ أنّ طلحة والزبير بايعا أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نكثا بيعته ومعاوية لم يبايع حتّى ينكث ، وعايشة و طلحة و الزبير خرجوا للطلب بدم عثمان وهم قتلوه وحرّضوا الناس على قتله ، وقد قتل مروان طلحة مع كونه فى عسكره أخذاً منه بثار عثمان ، ومعاوية لم يكن كذلك ، ولو فرض برائتهم من دم عثمان مع أنّ كونهم من الدخيلين فى دمه كان أمراً واضحاً لا يستطيعون إنكاره ـ فلم يكونوا من عشيرة عثمان ، ولا من أوصيائه حتّى يطالبوا بدمه ـ

وأمّا معاوية فكان ابن عم عثمان ، ويجتمعان فى أُميّة ، وقد جعل عثمان إليه الطلب بدمه ، وكان عندهم خليفة و امامهم الثالث وكان معاوية والياً من قبله ، وقبله من قبل عمر ، وكانوا ينفذون أحكام عمر حتّى فى قبال حكم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بقتل معاوية إذا راوه على منبره . فأراد رجل سمع ذلك

قتله. فقالوا له: هو خليفة عمر. فقال: سمعاً وطاعة لعمر.

وحتّى كانوا ينفذون أمر عمر في قتل أمير المؤمنين الّذي هو بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنصّ القرآن لو خالف أمره. فقال أبو طلحة الأنصاري يوم الشورى له عليه السلام «إن لم تقبل حكمية ابن عمر لنقتلنّك كما أمر عمر».

فكان أمر طلحة والزبير وعايشة ـ وإن كانوا في نفوسهم أجلّ من معاوية ـ أوضح بطلاناً حيث كانوا هم القاتلين، وطلبوا دمه من أمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه كان أبرء منهم وإنّما كان عليه السلام آوى قتلته وكانوا شيعته، وهو إنّما دليل على رضاه عليه السلام بقتله وهو غير دخالته.

وأمّا ما ذكره من أنّ الزبير وطلحة كانا موعودين بالجنّة فعجب فمن أراد أن يتفلسف لم يتمسك إلاّ بأُمور معلومة، ولو فرض صحة هذه الرواية كان دليلاً على بطلان الإسلام حيث لم يجوّز العقول أن يكون الرسول من الله يخبر من يصدر منه الخروج على الإمام، ويفسد في الأرض ويسفك دماء آلاف من المسلمين بغير حقّ بأنّه من أهل الجنّة.

والعجب من إخواننا يسقطون اسم مالك بن نويرة من الصحابة، ومن المسلمين لكونه قال لخالد بن الوليد: صاحبك فعل كذا،

فقتله خالد بذلك مؤمناً ظلماً وغدراً كما اعترف به فاروقهم ويجعلون الرجلين مع إحداثهما تلك وارادتهما قتل أمير المؤمنين عليه السلام وهو بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والحسنين عليهما السلام وهما سيّدا شباب أهل الجنّة، وإن لم يتمكّنا من ذلك من أهل الجنّة.

وما ذكره من كون عايشة موعودة بكونها زوجة النبيّ في الآخرة مضحك فانّهم وضعوا ذلك في قبال ماروت الامامية أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فوّض إلى أمير المؤمنين عليه السلام طلاقها في الدنيا منه صلى الله عليه وآله وسلم إن عصته عليه السلام ورواه أعثم الكوفي منهم.

وكيف تكون زوجته فى الآخرة وقد أوصت ألاّ تدفن عند النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لاستحيائها منه لاحداثها .

وأعجب منه قوله «من كون نزول القرآن فيها معلوماً» ففرعون و الشيطان نزول القرآن فيهما أيضاً معلوم وليته استحيى ولم يذكر ذلك ، ولم يذكّر من غفل عن ذلك . فإنّ القرآن الّذى نزل فيها آيات منها «وقرن فى بيوتكن ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الاُولى»(١) ومنها «من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا»(٢) يقول اللّه تعالى : من أتت من أزواج نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بفاحشة مبيّنة كالخروج على خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و قتل المؤمنين متعمّداً يضاعف لها العذاب بالنسبة إلى باقى الناس لو فعلوا ما فعلت ، ويقول إخواننا : إنّها تصير بذلك قرينة نبيّه فى الجنّة ، ويقول تعالى «إنّ ذلك على الله يسير» ويكون هذا من فعله تعالى على إخواننا عظيماً ، و يأتى باقى آياتها .

وأمّا قول (حد) «وحال عايشة فى محبّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها وثنائه عليها معلومة» فكيف لا يستحيى من التفوه بذلك ، وقد قال تعالى ـ مخاطباً لها ولصاحبتها بنت فاروقهم ـ «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملئكة بعد ذلك ظهير»(٣) .

فأىّ عدوّ للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أعدى منهما حتّى يكون اللّه تعالى و جبريل و صالح المؤمنين ـ أى أمير المؤمنين عليه السلام ـ مولاه والملئكة بعد ذلك ظهير لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فى قبالهما .

لكنّ الأصل فى قوله محبّة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لها فاروقهم لمّا أراد أن يعطيها

(١) الاحزاب : ٣٣ .

(٢) الاحزاب : ٣٠ .

(٣) التحريم : ٢ .

من بيت المال و حقوق المسلمين أكثر من حقّها خلافاً على اللّه ورسوله وشكراً لها لمساعدتها له ولصاحبه صدّيقهم فى مرض موت النبيّ صلى الله عليه وآله فإنّه لولا هالما تمّ أمرهما من صلوة أبي بكر بالناس فيجعله عمر دليلاً على استخلافه . فاعتذر عمر لعمله بأنّ النبيّ كان يحبّها .

وقد ضرب اللّه تعالى لهما المثل بالكفار فقال «ضرب اللّه مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من اللّه شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين»(١) إلاّ أنّ ذلك من فساد المبنى . فالمساكين لا يدرون ما يقولون .

وعن الأصبغ قال : كنت واقفاً مع عليّ عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتّى وقف بين يديه . فقال : كبّر القوم ، وكبّرنا ، وهلّل القوم و هلّلنا ، وصلّى القوم و صلّينا . فعلى م نقاتلهم؟ فقال علىّ عليه السلام : على ما أنزل اللّه تعالى في كتابه . فقال : الرجل ليس كلّ ما أنزل اللّه أعلمه فعلّمنيه .

فقال علىّ عليه السلام : ما أنزل في سورة البقرة . فقال الرجل : ليس كلّ ما أنزل في تلك السورة أعلمه . فقال عليه السلام «تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض- إلى- ولو شاء اللّه ما اقتتل الّذين من بعدهم من بعد ما جائتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر»(٢) فنحن الّذين آمنّا ، وهم الّذين كفروا . فقال الرجل : كفر القوم و ربّ الكعبة ثمّ حمل فقاتل حتّى قتل .

«بعد إن ماج غيهبها» قال ابن دريد فى الجمهرة «غيهب» ثقيل وخم وكساء غيهب : كثير الصوف ، والغيهب : سواد الليل .

والمراد هنا الأخير .

«واشتدّ كلبها» بولاية عثمان ، وتصدّى بني اُميّة اللأمور .

(١) التحريم : ١٠ .

(٢) البقرة : ٢٥٣ .

« فاسألونى قبل أن تفقدونى» قال لبيد :

فى مقام ضيّق فرّجته ببيان و لسان و جدل

لويقوم الفيل أوفيّاله زلّ عن مثل مقامى و زحل

فى صاحبى ابن فارس فى [باب الأسباب الاسلامية] .

قال علىّ ـ صلوات اللّه عليه ـ والمهاجرون والانصار متوافرون : سلونى فواللّه مامن آية إلاّ و أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل ، وحتّى قال صلوات اللّه عليه ـ و أشار إلى ابنيه ـ ياقوم استنبطوا منّى و من هذين علم مامضى وما يكون .

هذا ، وفى تاريخ بغداد قال مقاتل يوماً : سلونى عمّا دون العرش. فقام قيس القيّاس فقال: من حلق رأس آدم فى حجّته . فبقى لا يدرى ما يقول .

وفيه قال مقاتل أيضاً يوماً: سلونى عمّا دون العرش. فقال له رجل : أرأيت النملة أمعاؤها فى مقدّمها أو موخّرها فبقى لا يدرى ما يقول .

وفى الكشاف دخل قتادة الكوفة . فقال : اسألونى عمّا شئتم ، وكان أبو حنيفة حاضراً و هو إذن غلام حدث فقال : اسألوه عن نملة سليمان أكان ذكراً أم اُنثى؟ فسئلوه فلم يجب . فقال أبوحنيفة : كانت اُنثى . فقيل له : بم عرفت؟ فقال : من قوله (وقالت نملة) ولو كان ذكراً لقال (قال نملة) فلفظ النملة تقع على الذكر والاُنثى كلفظ الحمامة والشاة و إنّما يميّز بينهما بعلامة التأنيث .

قلت : من أين أنّه ليس تاء الوحدة وفى حيوان الدميرى كان أبويوسف يحفظ التفسير والمغازى وأيّام العرب . فمضى يوماً ليسمع المغازى و أخلّ بمجلس أبى حنيفة أيّاماً . فلمّا آتاه قال له يا أبايوسف من كان صاحب راية جالوت . فقال له أبويوسف : إنّك إمام و إن لم تمسك عن هذا سألتك على رؤوس الناس أيّما كان أوّل وقعة بدر أواُحد . فإنّك لا تدرى ذلك وهى أهون

مسائل التاريخ فامسك عنه .

وفى الطبرى خطب إبراهيم بن هشام المخزومى خال هشام ـ وهو وال على الحجاز من قبله ـ فى سنة (١١٠) بمنى . فقال : سلونى فأنا ابن الوحيد لا تسألون أحداً أعلم منّى . فقام اليه رجل من أهل العراق . فسأله عن الأُضحية أو اجبة هى أم لا ؟ فما درى أىّ شىء يقول له . فنزل .

وفى العقد قال مقاتل بن سليمان ـ وقد دخلته ابهّة العلم ـ سلونى عمّا تحت العرش إلى أسفل من الثرى . فقام إليه رجل . فقال : ما نسألك عمّا تحت العرش : ولا أسفل الثرى ، ولكن أسألك عمّا كان فى الأرض ، وذكره الله فى كتابه اخبرنى عن كلب أهل الكهف ماكان لونه . فافحمه .

وقالوا : قال ابن الجوزى يوماً على المنبر : سلونى قبل أن تفقدونى فسألته امرأة عمّا روى أنّ علياً عليه السلام سار فى ليلة إلى سلمان فجهّزه ورجع . فقال : روى ذلك . قالت : فعثمان طرح ثلاثة أيّام على المزابل منبوذاً وعلىّ حاضر قال : نعم . قالت : فقد لزم الخطا لأحدهما . فقال لها : إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك . فعليك لعنة الله ، وإلاّ فعليه . فقالت المرأة : خرجت عايشة إلى حرب علىّ عليه السلام بإذن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أم لا . فانقطع ولم يحر جواباً .

وشتّان بينه عليه السلام يقول : سلونى عمّا أردتم من الدين والدنيا ، والأرض والسماء ، وبين أئمّتهم الّذين حظروا الناس عن سؤال تفسير قرآنهم . فرووا أنّه قيل لعمر : انّ ضبيعا التميمى يسأل الناس عن تفسير حروف من القرآن . فقال : اللّهمّ امكّنى منه فبينما كان عمر يوماً جالساً يغدّى الناس إذا جائه الضبيع ، وعليه ثياب وعمامة . فتقدّم فأكل فلمّا فرغ قال لعمر : ما معنى قوله تعالى «والذاريات ذروا فالحاملات وقراً» قال : ويحك أنت هو . فقام إليه فحسر عن ذراعيه . فلم يزل يجلده حتّى سقطت عمامته . فإذا له ضفيرتان .

فقال له : والّذى نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ثمّ أمر به فجعل فى بيت ثمّ يخرجه كلّ يوم فيضربه مأة فإذا برء أخرجه فضربه مأة أخرى ثمّ حمله على قتب وسيّره إلى البصرة ، وكتب إلى أبى موسى أن يحرّم على الناس مجالسته ، ويقوم فى الناس خطيباً ثمّ يقول «إنّ ضبيعاً قد ابتغى العلم واخطأه» فلم يزل وضيعا فى قومه ـ وكان قبل سيّدهم ـ حتّى مات .

قلت : وصدق عمر فى أنّ ضبيعا ابتغى العلم فاخطأه . فإنّه كان ترك باب مدينة علم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وابتغى العلم عند من كان كلّ الناس أفقه منه حتّى المخدرات . أفمن يهدى إلى الحقّ أحق أن يتّبع أمّن لا يهدّى الاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون .

وكانوا لا يعلمون شيئاً من اُمور أنفسهم حتّى يخبرهم اليهود والنصارى ففى كامل الجزرى فى فتح البيت المقدس ـ بعد ذكر فتح عمرو بن العاص مرج عيون ـ فلمّا تمّ له ذلك أرسل إلى أرطبون رجلاً يتكلّم بالرومية و قال له : اسمع ما يقول وكتب معه كتاباً . فلمّا وصل قال ارطبون لوزرائه : لا يفتح عمر و شيئاً من فلسطين بعد أجنادين . فقالوا : من أين علمت ؟ قال : صاحبها رجل صفته كذا وكذا ـ وذكر صفة عمر ـ فرجع الرسول إلى عمرو ، وأخبره فكتب عمرو إلى عمر «إنّى اعالج بلاداً قد ادّخرت لك» فعلم عمر أنّ عمراً لم يقل ذلك إلاّ لشىء سمعه . فسار عمر ـ إلى أن قال ـ .

فلمّا قدم عمر الجابية قال له رجل من اليهود : إنّك لا ترجع إلى بلادك حتّى يفتح الله عليك ـ إلى أن ذكر طلبهم الأمان ، ومصالحة عمر لهم على الجزية ـ فشهد ذلك اليهودى الصلح . فسأله عمر عن الدجّال ـ وكان كثير السؤال عنه ـ فقال له اليهودى : وما مسألتك عنه أنتم والله تقتلونه دون باب لدّ ببضع عشر ذراعاً .

وروى ابن بابويه ، وابن قولويه بأسنادهما عن الأصبغ قال : بينا علىّ

عليه السلام يخطب الناس وهو يقول «سلونى قبل أن تفقدونى . فواللّه لا تسألونى عن شىء مضى ، ولا عن شىء يكون إلاّ نبّأتكم به» فقام إليه سعد بن أبى وقاص فقال : أخبرنى كم فى رأسى ولحيتى من شعرة ؟

فقال له : أما أنّه لقد سألتنى عن مسئلة حدّثنى خليلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنّك ستسألنى عنها ، وما فى رأسك ولحيتك من شعرة إلاّ فى أصلها شيطان جالس ، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابنى ـ وعمر يومئذ يدرج بين يديه ـ .

وفى الإرشاد روى زكريا بن يحيى القطّان ، عن فضيل بن الزبير ، عن أبى الحكم قال : سمعت مشيختنا وعلمائنا يقولون : خطب علىّ عليه السلام فقال «سلونى قبل أن تفقدونى فواللّه لا تسألونى عن فئة تضلّ مأة وتهدى مأة إلاّ نبّأتكم بناعقها ، وسائقها إلى يوم القيامة» فقام إليه رجل . فقال : أخبرنى كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟

فقال عليه السلام : واللّه لقد حدّثنى خليلى بما سألت عنه ، وأنّ على كلّ طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك ، وعلى كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يستفزّك ، وأنّ فى بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول اللّه ، وآية ذلك مصداق ما أخبرتك به ، ولولا أنّ الّذى سألتنى عنه يعسر برهانه لاخبرتك به ـ وكان ابنه فى ذلك الوقت صغيراً يحبو ـ فلمّا كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان فولّى قتله ، وكان الأمر كما قال عليه السلام

«فو الّذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين الساعة» صدّر عليه السلام كلامه بالتأكيد القسمى حيث إنّ ما قاله عليه السلام من أنبائهم عن كلّ ما سألوه فيما بينهم وبين القيامة أمر عظيم ينكره كثير من الناس . فإنّ عيسى عليه السلام ـ وهو أحد المرسلين ، ومن أُولى العزم من النبيّين ـ إنّما قال «و أُنبّئكم بما تأكلون وتدّخرون فى بيوتكم» من إنبائهم بأُمور معيّنة مشخّصة و أمّا

الإنباء بما يحدث إلى يوم القيمة . فأمور غير متناهية لا يحصل ذلك إلاّ لمن له اتّصال تام بالمبدء الأعلى .

وهذا يصدّق ماعليه جمهور الإمامية من كون الأئمّة عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء حتّى اُولى العزم من الرسل فإنّ بالأعلمية يحصل الأفضلية بحكم البداهة فكما أنّ العالم أفضل من الجاهل كذلك أكثر علماً أفضل من الأقلّ علماً .

قال الجاحظ فى رسالة له فى فضل أهل البيت عليهم السلام ـ وقد نقلها الشيخ سليمان الحنفى بتمامها فى كتابه (ينابيع المودّة) ـ : لا يعلم الناس كيف كان كلام علىّ ـ كرّم اللّه وجهه ـ قاعداً وقائماً ، وفى الجماعات ومنفرداً . فى الشرائع والأحكام ، والحلال والحرام ، واخبار الأكوان ، وتأويلات القرآن وإنباء الحوادث بما كان ، وما يكون أكان بالتعلّم من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أو بالكشف الجلى أو بالجفر والميراث أو بالوهب اللدنى .

وروى عن عمار قال : كنت مع علىّ عليه السلام فى بعض غزواته . فمررنا بواد مملوّ نملاً . فقلت : ياأميرالمؤمنين يكون أحد يعلم كم عدد هذا النمل؟ قال : نعم ياعمار أعرف رجلاً يعلم كم عدده ، وكم فيه من ذكر ، وكم فيه من اُنثى . فقلت : من ذاك؟ . فقال : أوما قرأت فى سورة يس «وكلّ شىء أحصيناه فى إمام مبين» أنا ذلك الإمام المبين .

وفى فواتح الميبدى عن تفسير الثعلبى «كان ابن عباس يتلو (حم عسق) ويقول : كان علىّ عليه السلام يعلم الفتن بهذين اللفظين .

وفى أنساب البلادرى فى عنوان «عبيد اللّه بن زياد» (روى مسنداً عن مجاهد قال : قال علىّ عليه السلام وهو بالكوفة «كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيّكم يحمل قويّهم ضعيفهم» فقالوا : «نفعل ونفعل» فحرّك رأسه ثمّ قال «تورد ون ثمّ تعرّدون ثمّ تطلبون البرائة ولا برائة لكم» .

وروى عن يوسف بن موسى مثله ، وزاد و تعينون عليه شرّ أهل زمانه فى

نسبه و سيرته .

«ولا عن فئة تهدى مأة ولا تضلّ مأة إلاّ أنبأتكم بناعقها» الأصل فى النعق صياح الراعى بالغنم قال تعالى «كمثل الّذى ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاء» : أى الغنم تسمع صوت الراعى ولا تدرى ما يقال لها ، وقال الأخطل :

انعق بضانك يا جرير فإنّما منّتك نفسك فى الخلاء ضلالاً

ثمّ استعير لمن يأمر ويزجر جمعاً تحت أمره وقالوا : الناعقان ، كوكبان من كواكب الجوزاء .

«وقائدها وسائقها» روى أبو مخنف ـ ونقله (حد) فى موضع آخر ـ أنّه عليه السلام قال فى عايشة وفئتها «وقد علمت والله أنّها الراكبة الجمل لا تحلّ عقدة ، ولا تسير عقبة ، ولا تنزل منزلاً إلاّ إلى معصية الله حتّى تورد نفسها ، و من معها مورداً يقتل ثلثهم ، ويهرب ثلثهم ، ويرجع ثلثهم .

وفى مقاتل أبى الفرج ـ بعد ذكر صلح الحسن عليه السلام معاوية و دخول معاوية الكوفة ـ مسندا (عن عطاء بن السائب عن أبيه قال : بينما علىّ عليه السلام على المنبر إذ دخل رجل . فقال : مات خالد بن عرفطة فقال علىّ عليه السلام (لا والله ما مات) إذ دخل آخر . فقال (مات خالد بن عرفطة ، فقال علىّ عليه السلام (لا والله ما مات) إذ دخل رجل آخر فقال (مات خالد بن عرفطة) فقال (لا والله ما مات) ولا يموت حتّى يدخل من باب هذا المسجد ـ يعنى باب الفيل ـ براية ضلالة يحملها حبيب بن جماز فوثب رجل . فقال (أنا حبيب بن جماز ، وأنا لك شيعة) قال علىّ عليه السلام (فإنّه كما أقول) .

قال : فقدم خالد بن عرفطة على مقدّمة معوية يحمل رايته حبيب بن جماز ـ قال مالك : حدّثنا الأعمش بهذا الحديث . فقال : حدّثنى صاحب هذه الدار ـ وأشار إلى دار السائب أبى عطا ـ أنّه سمع عليّا عليه السلام يقول هذه المقالة .

وروى أواخر روضه الكافى عن معلّى بن خنيس. قال : كنت عند أبى عبد الله عليه السلام إذ أقبل محمّد بن عبد الله . فسلّم ثمّ ذهب . فرقّ أبو عبد الله عليه السلام له و دمعت عيناه . فقلت له : رأيتك صنعت له مالم تكن تصنع . فقال : رققت له لأنّه ينسب إلى أمر ليس له . فانّى لم أجده فى كتاب علىّ عليه السلام من خلفاء الاُمّة و لا ملوكها .

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى ـ بعد ذكر تخيير عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بين ردّه عهد الرى أو تصدّيه لقتال الحسين عليه السلام وقتله و اختياره التصدّى ـ قال محمّد بن سيرين : وقد ظهرت كرامة علىّ عليه السلام فى هذا فإنّه لقى عمر بن سعد يوماً وهو شابّ . فقال له (ويحك يا ابن سعد كيف بك إذا قمت يوماً مقاماً تخيّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار .

«ومناخ ركابها» : أى اضجاع آبالها على ركباتها .

«و محطّ رحالها» : أى إنزال أمتعتها من ظهورها .

روى نصر بن مزاحم فى صفينه ، عن الحسن بن كثير ، عن أبيه أنّ علياً عليه السلام أتى كربلا . فقيل له هذه : كربلا . فقال : ذات كرب و بلاء ـ ثمّ أومىء بيده إلى مكان ـ فقال (هيهنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم) وأومىء إلى موضع آخر فقال (هيهنا مهراق دماءهم) .

قلت : والموضع الأوّل الّذى أشار عليه السلام إليه يقال له (خيمگاه) والموضع الثانى يقال له (قتلگاه) .

وروى اُسد الغابة عن غرفة الأزدى ـ بالغين المعجمة ـ قال : دخلنى شكّ من شأن علىّ عليه السلام فخرجت معه على شاطىء الفرات . فعدل وعدلنا ، و وقف و وقفنا حوله . فقال بيده (هذا موضع رواحلهم فى مناخ ركابهم ، ومهراق دماءهم بأبى من لا ناصر له فى الأرض ولا فى السماء إلاّ الله) فلمّا قتل الحسين عليه السلام خرجت حتّى أتيت المكان الّذى قتلوا فيه . فإذا هو كما قال ما أخطأ شيئاً

فاستغفرت اللّه ممّا كان منّى من الشك ، وعلمت أنّ عليّاً لم يقدم فيه إلاّ بما عهد إليه .

«ومن يقتل من أهلها قتلاً ، ومن يموت منهم موتاً» روى الكشى أنّ رشيد الهجرى كان من أصحاب أسرار أمير المؤمنين عليه السلام وكان عليه السلام علّمه من يقتل من شيعته بقتله ، ومن يموت منهم بميتته ، وكان يسمّيه رشيد البلايا .

قال (حد) وهذه الدعوى : أى قوله عليه السلام (فاسألونى قبل أن تفقدونى ـ الى ـ ومن يقتل من أهلها قتلاً ، ومن يموت منهم موتاً) ـ ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبيّة ، ولا ادّعاء النبوّة ، ولكنّه كان يقول : إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بذلك ، ولقد امتحنّا إخباره . فوجدناه موافقاً فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة كإخباره عن الضربة الّتى تضرب بها فى رأسه فتخضب لحيته .

وكإخباره عن قتل الحسين ابنه عليه السلام وما قاله فى كربلا حيث مرّ بها .

وكإخباره بملك معوية الأمر بعده .

وكإخباره عن الحجاج ، وعن يوسف بن عمر ، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان ، وما قدّمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم ، وصلب من يصلب منهم .

وكإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين .

وكإخباره بعدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها .

وكإخباره عن عبد اللّه بن الزبير ، وقوله فيه (خبّ ضبّ يروم أمراً ولا يدركه ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا ، وهو بعد مصلوب قريش) .

وكإخباره عن هلاك البصرة تارة بالغرق ، وأخرى بالزنج ـ وهو الّذى صحّفه قوم . فقالوا : بالريح .

وكإخباره عن الائمّة الّذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعى

وغيرهما فى قوله عليه السلام (وإنّ لآل محمّد صلى الله عليه وآله بالطالقان لكنزاً سيظهره الله إذا شاء دعاه حتّى يقوم بإذن الله فيدعو إلى دين الله).

وكإخباره عن مقتل النفس الزكية بالمدينة، وقوله فيه «يقتل عند أحجار الزيت» وكقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباخمرا «يقتل بعد أن يظهر ويقهر بعد أن يقهر يأتيه سهم غرب يكون فيه منيّته. فيا بؤساً للرامى شلّت يده، ووهن عضده».

وكإخباره عن قتلى فخّ وقوله فيهم «هم خير — أو من خير — أهل الأرض».

وكإخباره عن المملكة العلوية بالغرب وتصريحه بذكر كتّابه وهم الّذين نصروا أباعبدالله المعلّم، وكقوله عليه السلام — مشيراً إلى عبيدالله المهدى وهو أوّلهم — «ثمّ يظهر صاحب القيروان الغضّ البضّ ذو النسب المحض المنتجب من سلالة ذى البداء المسجّى بالرداء» وكان عبيدالله المهدى مترفاً مشرباً حمرة رخص البدن تارّ الأطراف — (وذو البداء) اسمعيل بن جعفر بن محمّد وهو (المسجّى بالرداء) لأنّ أباه أباعبدالله جعفراً سجّاه بردائه لمّا مات، وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته، وتزول عنهم الشبهة فى أمره —.

وكإخباره عن بنى بويه وقوله فيهم «ويخرج من ديلمان بنو الصيّاد» اشارة إليهم، وكان أبوهم صياد السمك يصيد منهم بيده مايقوت هو وعياله بثمنه. فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة، ونشر ذرّيّتهم حتّى ضربت الأمثال بملكهم، وكقوله عليه السلام فيهم «ثمّ يستثرى أمرهم حتّى يملكوا الزوراء ويخلعوا الخلفاء» فقال له قائل: فكم مدّتهم ياأميرالمؤمنين؟ فقال عليه السلام «مأة أو تزيد قليلاً» وكقوله عليه السلام فيهم «والمترف ابن الأجذم يقتله ابن عمّه على دجلة» وهو إشارة إلى عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة أبى الحسين — وكان معزّ الدولة أقطع اليد قطعت يده فى الحرب — وكان ابنه بختيار مترفاً صاحب لهو وشراب، وقتله عضد الدولة فنّا خسرو ابن عمّه بقصر الجصّ على دجلة فى

الحرب، وسلبه ملكه ـ فأمّا خلعهم للخلفاء فانّ معزّ الدولة خلع المستكفى، و رتّب عوضه المطيع و أنّ بهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة خلع الطائع، و رتّب عوضه القادر ـ وكانت مدّة ملكهم كما أخبر به عليه السلام ـ.

وكإخباره لعبد اللّه بن العباس من انتقال الأمر إلى أولاده فإنّ علىّ بن عبد اللّه لمّا ولد أخرجه أبوه عبد اللّه بن عبّاس إلى علىّ عليه السلام فأخذ موتفل فى فيه، وحنّكه بتمرة قد لاكها، ودفعه إليه، وقال له: خذ إليك أبا الاملاك » ـ هكذا الرواية الصحيحة، وهى الّتى ذكرها أبو العبّاس المبرّد فى كتاب الكامل، وليست الرواية الّتى تذكر فيها العدد بصحيحة، ولا منقولة من كتاب معتمد عليه، وكم له من الإخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى، ممّا لو أردنا استقصائه لكسرنا له كراريس كثيرة، وكتب السير يشتمل عليها مشروحة.

قلت: إنّ (حد) قال: إنّ هذا الادّعاء منه: لا تسألونى عن شىء فى ما بينكم وبين الساعة. إلى آخر ما مرّ ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبية، ولا ادّعاء النبوّة كون ذلك عدم ادّعاء منه عليه السلام للربوبيّة ولا للنبوّة مسلّم لكن لم لم يذكر أنّ ذلك ادّعاء منه للامامة إن أراد بذلك إلاّ المغالطة فإنّه عليه السلام إنّما كان مدّعياً للإمامة وأقام على دعواه هذه البيّنة كما أنّ الأنبياء أقاموها على دعواهم الرسالة فيقول عيسى عليه السلام «وأُنبّئكم بما تأكلون وتدّخرون فى بيوتكم».

قال محمّد بن محمّد بن النعمان فى إرشاده: ومن آيات اللّه الباهرة فى أمير المؤمنين عليه السلام والخواصّ الّتى أفرده بها، ودلّ بالمعجز منها على إمامته، ووجوب طاعته، وثبوت حجّته ما هو من جملة الحجج الّتى أبان اللّه تعالى بها الأنبياء والرسل، وجعلها أعلاماً لهم على صدقه. فمن ذلك ما استفاض عنه عليه السلام من إخباره عن الغائبات والكائن قبل كونه. فلا يخرم من ذلك شيئاً، ويوافق المخبر عنه خبره حتّى يتحقّق الصدق، وهذا من أشهر معجزات الأنبياء ألا ترى إلى قوله تعالى فى ما أبان به المسيح عليه السلام من

المعجز الباهر على نبوّته «وأُنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون فى بيوتكم» و جعل تعالى مثل ذلك من عجيب آيات النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال عند غلبة فارس على الروم «الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين» فكان الأمر كما قال تعالى ، وقال تعالى فى أهل بدر قبل الوقعة «سيهزم الجمع ويولّون الدبر» فكان الأمر كما قال ، وقال ـ عزّوجلّ ـ «لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون» فكان الأمر كما قال، وقال سبحانه مخبراً عن ضمائر قوم من أهل النفاق «ويقولون فى أنفسهم لولا يعذّبنا الله بما نقول» فخبّر عن ضمائرهم ولما أخفوه من سرائرهم ، وقال تعالى فى قصّة اليهود «قل ياأيّها الّذين هادوا إن زعمتم أنّكم أولياء لله من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنّونه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين» فكان الأمر كما قال تعالى ، ولم يجسر أحد منهم أن يتمنّاه فحقّق ذلك خبره وأبان به عن صدقه ودلّ به على نبوّته .

وقول (حد) «ولكنّه عليه السلام كان يقول : إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بذلك» لايدلّ على عدم إمامته بل على عدم نبوّته . فإنّ الإمام علومه من النبىّ ، والنبىّ من الله تعالى ، وإذا كانت إخباره الغيبية من الكثرة بمثابة تكون مظنّة لزعم الإلهية فيه عليه السلام كما وقع من جمع فقال شاعرهم فيه عليه السلام :

ومن قال على المنبر يوماً سلونى فحاروا فى معانيه

لم يقل بامامته عليه السلام .

لكن إخواننا أنكروا فى مورده عليه السلام البديهيّات والمتواترات والفطريات وجعلوا أقوال الله تعالى ، و أقوال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيه عليه السلام من اللغويات ألم يقل الله تعالى «هل يستوى الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون» ولم يقل «أفمن يهدى إلى الحق أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدى إلاّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون» ألم يقل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى غدير خم بالتواتر : ألست أولى بكم من أنفسكم

قالوا : بلى . فقال : فمن كنت مولاه وأولى به من نفسه . فعلىّ مولاه ، وأولى به من نفسه . إلى غير ذلك من يوم دعوته أوّلاً عشيرته الأقربين إلى يوم وفاته.

وأمّاقوى (حد) فيما مرّ «وأمّا الرواية الّتى يذكر فيها العدد: أى من بنى العباس فليست بصحيحة ولا منقولة من كتاب معتمد عليه» فلعلّه أشار إلى ما فى الطبرى: ذكر عن علىّ بن يحيى المنجم أنّه قال: كنت أقرء على المتوكّل قبل قتله بأيّام كتاباً من كتب الملاحم . فوقفت على موضع من الكتاب فيه «إنّ الخليفة العاشر يقتل فى مجلسه» فتوقفت فقال لى : مالك توقّفت قلت : خير . قال : لابدّ واللّه من أن تقرأه فقرأته ، وحُدت عن ذكر الخلفاء . فقال المتوكّل : ليت شعرى من هذا الشقى المقتول .

وفى الطبرى أيضاً قال أبوالبديل : بعث الربيع والحسن الحاجب إلىّ فى الليل . فجئت وعندهما رجل . فقال : هذا غلام الغمربن يزيد: وقد أصبنا معه كتاب الدولة . ففتحت الكتاب فنظرت فيه إلى سنى المهدى ، فإذا هى عشر سنين ـ إلى أن قال ـ فأتى بعنبسة الورّاق الأعرابى مولى آل بديل. فقلت له : «خطّ مثل هذا الخطّ ، وورقة مثل هذه الورقة ، وصيّر مكان (عشر سنين) (أربعين سنة) وصيّرها فى الكتاب . ففعل فواللّه لولا أنّى رأيت (العشر) فى تلك (والأربعين) فى هذه ما شككت أنّ الخطّ ذلك الخطّ وأنّ الورقة تلك الورقة .

وفى الطبرى أيضاً عن أبى حشيشة قال : كان المأمون يقول «إنّ الخليفة بعدى فى اسمه عين» فكان يظنّ أنّه العباس ابنه ، فكان المعتصم ، و يقول: «وبعده فى اسمه هاء» فيظنّ أنّه هرون . فكان الواثق ، ويقول «وبعده أصفر الساقين» فكان يظنّ أنّه أبو الجنائز العباس. فكان المتوكّل فلقد رأيته إذا جلس على السرير يكشف ساقيه كأنّما صبغا بزعفران ، واسم الواثق هارون .

وكتاب الدولة و إن لم يذكر فيه أنّه عمّن إلاّ أنّ الأصل فيه هو عليه السلام فقال

الطبرى فى ذيله : أوصى أبوهاشم بن محمّد بن الحنفية إلى محمّد بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس، ودفع إليه كتبه ،وقال له «إنّ هذا الأمر إنّما هو فى ولدك . فكانت الشيعة الّذين كانوا يأتون أبا هاشم ، ويختلفون إليه قد صاروا بعد ذلك إلى محمّد بن علىّ ـ الخ ـ

ومعلوم أنّ كتب أبى هاشم من أبيه محمّد بن الحنفية وأنّ كتب ابن الحنفية من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام .

وفى تاريخ القرطبى ـ بعد ذكره أسر سنكرى من فارس سنة (٢٩٨) وادخاله على فيل ، وعليه برنس، وبين يديه ثلاثة عشر أسيراً عليهم البرانس ـ قال الصولى شهدت هذا اليوم فتذكّرت فيه حديثاً كان حدّثناه صافى الحرم يوم بويع فيه المقتدر قال : رأيت المقتدر ، وهو صبى فى حجر المعتضد أبيه والمعتضد ينظر فى دفتر كان كثيراً ما ينظر فيه وهو يضرب على كتف المقتدر ، ويقول له «كأنّى بملوك فارس قد أدخلوا عليك على الفيلة والجمال عليهم البرانس» كان صافى يوم بيعة المقتدر يحدّث بهذا ويدعو أن يحقّق اللّه هذا القول .

وقد أخبر عليه السلام ابنه محمّد بن الحنفية بإرادة ابن الزبير إهلاكه وخلاصه منه بخيل المختار .

ففى مروج المسعودى قال الذيال بن حرملة : كنت فى من استفزّه أبو عبد اللّه الجدلى من قبل المختار . فنفرنا معه فى أربعة آلاف فارس . فقال الجدلى : هذه خيل عظيمة ،وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر . فيعجل على بنى هاشم . فيأتى عليهم . فانتدبوا معى فانتد بنا معه فى ثمانمأة فارس جريدة خيل فما شعر ابن الزبير إلاّ والرايات تخفق على رأسه ـ إلى أن قال ـ وخطب ابن الزبير . فقال : قد بايعنى الناس، ولم يتخلّف إلاّ هذا الغلام ـ يعنى ابن الحنفية ـ والموعد بينى وبينه أن تغرب الشمس . ثمّ أضرم داره

عليه ناراً . فدخل ابن العباس عليه وقال : إنّى لا آمنه عليك فبايعه . فقال له ابن الحنفية «سيمنعه عنّى حجاب قوىّ» فجعل ابن عبّاس ينظر إلى الشمس و يفكّر فى كلام ابن الحنفية ، وقد كادت الشمس أن تغرب . فوافا هم الجدلى : فى الخيل .

وقد نقل (حد) فيما مرّ اخباره عليه السلام بعدم نيل ابن الزبير خلافة تامة وكونه مصلوب قريش ولم يذكر اخباره عليه السلام بقتله فى مكّة و خراب الكعبة بواسطته ففى الطبرى قال ابن سليم وابن المشمعل الأسديان : خرجنا حاجّين من الكوفة حتّى قدمنا مكّة : قدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين عليه السلام و ابن الزبير عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب . فتقرّبنا منهما . فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين عليه السلام : إن شئت أن تقيم آزرناك وبايعناك فقال له الحسين عليه السلام : إنّ أبى حدّثنى أنّ بها كبشا يستحل حرمتها . فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش .

ولم يذكر (حد) أيضاً فيما أخبر عليه السلام به من حال أهل بيته زيد الشهيد فروى أبو الفرج فى مقاتله مسنداً عنه عليه السلام قال : يخرج بظهر الكوفة رجل يقال له : زيد فى أُبّهة ـ الخبر ـ

ولم يذكر فيما أخبر عليه السلام به من حال الرجال أبا مسلم مبيد بنى أُميّة ومؤسّس الدولة العباسيّة فروى الأعمش كما ـ فى مناقب السروى . أنّ أهل الشام لمّا هزموا ميمنة علىّ عليه السلام قال ـ ثلاث مرّات ـ «يا أبا مسلم خذهم» فقال الأشتر : أو ليس أبو مسلم معهم . فقال عليه السلام : لست أُريد الخولانى ، و إنّما أُريد رجلاً يخرج فى آخر الزمان من المشرق يهلك به أهل الشام ، و يسلب عن بنى أُميّة ملكهم .

ولم يذكر اخباره عليه السلام ببناء بغداد كما رواه الخطيب وغيره ، و ببناء المعتصم سامرا واتّخاذه جنده من الترك ، وتركه العرب كما فى خطبته

المعروفة بالزهراء لكن عرفت أنّ (حد) أراد الإجمال حيث قال: وكم لـه من الإخبار عن الغيوب الجارية، هذا المجرى ممّا لو أردنا استقصائه لكسرنـا له كراريس.

وقد أخبر عليه السلام ببناء الحلّة وببانيه سيف الدولة، وبعلماء الشيعة علـيّ بن طاووس وغيره. نقل المجلسي عن خط الجباعي عن الشهيد عن خط العلّامة عن خط والده قال: وجدت رقعة عليها مكتوب بخط عتيق ما صورته «بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما أخبرنا به الشيخ الأجل أبو المكارم حمزة بن علىّ بن زهرة الحسيني الحلبي إملاء من لفظه عند نزوله الحلّة السيفية ـ وقد وردها حاجّاً سنة (٥٧٤) ورأيته يلتفت يمنة ويسرة فسألته عن سبب ذلك. فقـال: إنّي لأعلم أنّ لمدينتكم هذه فضلاً جزيلاً.

قيل: وما هو؟

قال: أخبرني أبي، عن أبيه، عن جعفر بن قولويه: عن محمّد بن يعقوب الكليني، عن علىّ بن إبراهيم القمي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي حمزة الثمالي، عن الأصبغ بن نباته. قال: صحبت أمير المؤمنين عليه السلام عنـد وروده إلى صفّين، وقد وقف على تلّ ثمّ أومىء إلى أجمة ما بين بابل والتل، وقال «مدينة وأيّ مدينة».

فقلت له: أكان هيهنا مدينة وانمحت آثارها؟ فقال: لا ولكن ستكـون مدينة يقال لها: الحلّة السيفية يمدّنها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار لو أقسم أحدهم على اللّه لأبرّ قسمه».

وقد أخبر عليه السلام بهدم الكعبة. فعن غريب الحديث والفائق قال علـيّ عليه السلام: أكثروا الطواف بهذا البيت. فكأنّي برجل من الحبشة أصلع أصـمع جالس عليه وشويهد.

وقد أخبر عليه السلام بسفيان الثوري. فروى الكشي في عنوان سفيان الثوري

دخول جمع من أهل حديث البصرة على الصادق عليه السلام وتحديث رجل منهم، عن سفيان عن جعفر ـ يعني الصادق عليه السلام ـ بمفتريات. فقال الصادق عليه السلام له: إنّ عليّاً عليه السلام لمّا أراد الخروج من البصرة لعنها، وقال: فيك الداء الدوى كلام القدرى الّذى فيه الفرية على اللّه، واستحلالهم الكذب علينا.

وقد أخبر عليه السلام بتزلزل أمر بني اُميّة تارة بكونه بعد هشام. ففي نسب قريش الزبيربن بكار في عنوان عاصم بن المنذر روى عاصم عن ابن الزبير أنّه سمع عليّ بن أبي طالب يقول: هلاك بنى اُميّة على رجل الأحول منهم، وهشام كان أحول.

واُخرى بكونه بعد سنة مأة بقيام دعاة العباسيّين. فروى المنهال عن نعيم بن دجاجة قال: قال أبو مسعود لعليّ عليه السلام: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا يأتى على الناس سنة مأة وعلى الأرض عين تطرف. فقال عليه السلام له، غلطت في أوّل ظنّك وهل الرخاء إلاّ بعد المأة.

وفي اخباره عليه السلام المنامية مافي نشوان التنوخى حدّثنى أبو الحسين المنجّم الصوفى فى عضد الدولة ثمّ حدّثنى عضد الدولة وأبو الحسين حاضر ـ وقد مضت سنون على حديث أبى الحسين، ولم أكن حدّثته ولا غيره ـ فقال عضد الدولة: اعتللت علّة صعبة آيس منها الطبيب، وأيست من نفسى ـ وكان تحويل سنتى تلك فى النجوم ردّيا نحساً موحشاً ـ ثمّ زادت العلّة علىّ. فأمرت أن يحجب الناس كلّهم، ولا يدخل علىّ أحد إلاّ حاجب النوبة، وحتّى منعت الطبيب. فأقمت كذلك أيّاماً ثلاثة أو أربعة وأنا أبكى في خلوتى على نفسى إذ جاء حاجب النوبة. فقال أبوالحسين الصوفى: يطلب الوصول، وقد اجتهدنا به فى الانصراف. فما فعل وقال عندى بشارة.

فقلت: بصوت ضعيف يريد أن يقول لي: بلغ الكوكب الفلانى، و يمخرق علىّ من هذا القبيل مايزيد به ألمى. فلينصرف. فخرج الحاجب، و رجع و

قال : أما أن يكون أبو الحسين جنّ أو معه أمر عظيم . فانّه قال : قل لـه لو أمرت بضرب عنقى ما أنصرفت ، ووالله ما اكلّمك في معنى النجوم بكلمة واحدة .

فقلت : ادخله فلمّا دخل قال : أنت والله فى عافية واليوم تبرء رأيت فى منامي أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام والناس يهرعون إليه يسألونه المسائل فتقدّمت أنا وقلت : أنا رجل غريب ، وتعلّقت بحبّ هذا الأمير الّذى أنا معه ، وقد بلغ إلى اليأس من العلّة الّتي أصابته فادع الله له بالعافية .

فقال : تعنى فنا خسروبن الحسين بن بويه . فقلت : نعم .

فقال : قل له أنسيت ما أخبرتك به أُمّك فى المنام الّذي رأته — و هى حامل بك — ألست قد أخبرتها بمدّة عمرك و أنّك ستعتلّ إذا بلغت كذا وكذا سنة علّة تيأس منها الأطباء ثمّ تبرء منها ، و أنت تصلح من هذه العلّة غدا و يتزايد صلاحك إلى أن تركب وتعاود عاداتك كلّها فى يوم كذا ، وكذا يوماً ولا قطع عليك قبل الأجل الّذى أخبرتك به أُمّك عنّى .

قال : وقد كنت نسيت أنّ أُمّى قالت لى : أنّها رأت فى المنام أنّى إذا بلغت هذه السنة اعتللت هذه العلّة — فحين سمعت الكلام من أبي الحسين ذكرت وحدثت لي في نفسي قوّة لم تكن قبل — إلى أن قال — :

وعادت عاداتى فى اليوم الّذى قال ابو الحسين ثمّ قال : ما فاتنى فى نفسى من هذا المنام إلاّ شيء كنت أشتهى أن يكون فيه ، وشئ كنت أشتهى ألاّ يكون فيه : أمّا الّذى أشتهى ألاّ يكون فهو عليه السلام وقف على أنّى أملك حلب ، ولو كان عنده أنّى أملك شيئا ممّا يجاوز حلباً لقاله . فأخاف أن يكون هذا غاية حدّى من تلك الناحية حتّى لمّا جاءنى الخبر بأنّ سيف الدولة قد أخذ لى الدعوة بحلب ذكرت المنام فتنغّص علىّ لأجل هذا الاعتقاد ، وأمّا الّذى كنت أشتهى أن يكون فيه فهو أن أعلم من هذا الّذى يملك من ولدى .

قال التنوخى : وبقى عضد الدولة بعد هذا سنين وما تجاوزت دعوته ،

حلب.

وفي مروج المسعودي رأى المعتضد في النوم ـ وهو في سجن أبيه كان شيخاً جالساً على دجلة يمدّ يده إلى ماء دجلة فيصير في يده و تجفّ دجلة ثمّ يردّه من يده. فتعود دجلة كما كانت قال: فسألت عنه. فقيل لي: هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: فقمت وسلّمت عليه. فقال لي: يا أحمد إنّ هذا الأمر صائر إليك. فلا تتعرّض لولدي ولا تؤذهم. فقلت: السمع و الطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام

قال المسعودي: لمّا ورد مال من محمّد بن زيد من بلاد طبرستان ـ ليفرّق في آل أبي طالب سرّاً، وغمز بذلك إلى المعتضد. فأحضر الرجل الّذي كان يحمل المال إليهم. فأنكر عليه إخفاء ذلك، و أمره بإظهاره، و قرب آل أبي طالب.

وفي كامل الجزري ـ بعد ذكر القبض على الطائع و اعادة القادر ـ و كان في البطيحة ـ من قبل بهاء الدولة ـ حكى هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة صاحب البطيحة إنّي كنت احضر القادر كلّ اسبوع مرّتين. فيكرمني. فدخلت عليه يوماً. فلم أر منه ما آلفته من اكرامه، ورأيته تأهّب تأهّباً لم يجربه عادته. فسألته عن السبب. فقال: رأيت البارحة في منامي كأنّ نهركم هذا قد اتّسع. فصار مثل دجلة دفعات. فسرت على حافته متعجباً منه، ورأيت قنطرة عظيمة إذا رأيت شخصاً قد تأمّلني من ذلك الجانب. فقال: أتريد أن تعبر؟ قلت: نعم. فمدّ يده حتّى وصلت إليّ فأخذني و عبرني، فهالني فعله. فقلت: من أنت قال: عليّ بن أبي طالب، و هذا الأمر صائر إليك، و يطول عمرك فيه. فأحسن إلى ولدي و شيعتي.

قال هبة الله. فما انتهى القادر إلى هذا القول حتّى سمعنا صياح الملاّحين الواردين لاصعاده ليتولّى الخلافة فخاطبته بالإمرة، وكان في

عزله سنتين وأحدعشر شهراً .

«ولو فقدتمونى ونزلت بكم كرائه الاُمور» ومن الأمثال «معضلة و لا أبا له حسن» .

و روى الأمالى عن زرّ بن حبيش قال: مرّ علي عليه السلام على بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلمان في ملاء فقال سلمان: ألا تقومون تأخذون بحجزته تسألونه فوالّذى فلق الحبة، وبر النسمة أنّه لا يخبركم بسرّ نبيّكم أحد غيره، وأنّه لعالم الأرض، وربّانيها، و إليه تسكن، ولو فقدتموه لفقدتم العلم و أنكرتم الناس.

«و حوازب الخطوب»: أى شدائد الاُمور.

«لا أطرق»: أى أرخى عينيه ينظر إلى الأرض، ولم يتكلّم.

«كثير من السائلين» لتحيّره من يسأل.

«و فشل»: أى جبن.

«كثير من المسؤولين» إنّما قال عليه السلام (كثير من المسؤولين) لأنّ المراد باقى الناس غير أهل بيته، وأما أهل بيته فهم مثله

روى أبو الفرج الإصبهانى فى مقاتله بأسانيد متعدّدة عن فضل بن عبد الرحمن الهاشمى و ابن داجة، وعبد الأعلى بن أعين، و محمّد بن أبي الكرام الجعفرى، وعبد اللّه بن يحيى، وعبد اللّه بن محمّد بن عمر بن علىّ ـ قال: وقد دخل حديث بعضهم فى بعض ـ أنّ جماعة من بنى هاشم اجتمعوا بالأبواء ـ وفيهم إبراهيم الإمام، وأبو جعفر المنصور، و صالح بن علىّ، وعبد اللّه بن الحسن، و أبناه محمّد، و إبراهيم، و محمّد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان ـ .

فقال صالح بن علىّ: قد علمتم أنّكم الّذين يمدّ الناس إليهم أعينهم، وقد جمعكم اللّه فى هذا الموضع. فاعقد و ابيعة لرجل منكم تعطونه إيّاها من أنفسكم، و تواثقوا على ذلك حتّى يفتح اللّه و هو خير الفاتحين.

فقال عبد الله بن الحسن : قد علمتم أنّ ابنى هذا هو المهدى فهلموا فلنبايعه .

وقال أبو جعفر المنصور : والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أصور أعناقاً ولا أسرع اجابة إلى هذا الفتى ـ أى محمّد بن عبد الله .

فقالوا : والله صدقت إنّ هذا لهو الّذى نعلم . فبايعوا محمّداً جميعاً ، و مسحوا على يده ـ إلى أن قال ـ

وجاء جعفر بن محمّد عليه السلام فاوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه ، و تكلّم عبد الله بمثل كلامه .

فقال جعفر عليه السلام : لا تفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد ، و إن كنت ترى يا عبد الله أنّ ابنك هذا هو المهدى . فليس به ، ولا هذا أوانه ، و إن كنت إنّما تريد أن تخرج غضبا لله ولتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر . فإنّا والله لا ندعك و أنت شيخنا ، ونبايع ابنك فى هذا الأمر . فغضب عبد الله ، و قال : لقد علمت خلاف ما تقول ، و الله ما اطلعك الله على غيبه ولكنه يحملك على هذا ، الحسد لابنى .

فقال : والله ما ذاك يحملنى ، ولكن هذا ـ و ضرب بيده على ظهر السفاح ـ و إخوته و أبنائهم ، دونكم ـ و ضرب بيده على كتف عبد الله ـ وقال : إنّها والله ما هى إليك ، ولا إلى إبنيك ، ولكنّها لهم ، و إنّ إبنيك لمقتولان ثمّ نهض و توكّأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهرى . فقال : أرأيت صاحب الرداء الأصفر ـ يعنى أبا جعفر المنصور ـ والله يقتل محمّداً . قال عبد العزيز : قلت : أيقتل محمّداً فقال : نعم . فقلت : في نفسي حسده و ربّ الكعبة ، ثمّ والله ما خرجت من الدنيا حتّى رأيت قتلهما .

قال : فلمّا قال جعفر ذلك نهض القوم وافترقوا ، وتبعه عبد الصمد و المنصور فقالا له : أتقول هذا . قال : نعم أقوله والله و أعلمه .

و روى مسنداً عن عليّ بن اسمعيل بن صالح بن ميثم أنّ عيسى بن موسى العباسي ـ وهو الّذى قتل محمّداً وإبراهيم من قبل المنصور، وكان ولىّ العهد بعده من السفاح فجعله المنصور بعد ابنه المهدى وخلعه رأساً ـ لمّا قدم قال جعفربن محمّد عليه السلام: أهو هو قيل: من تعنى يا أباعبد-الله قال: المتلعّب بدمائنا، والله لا يحلاً منها بشيء.

وعن الرومى قال: أرسلني جعفربن محمّد أنظر ما يصنعون. فجئته فأخبرته أنّ محمّداً قتل، وأنّ عيسى بن موسى قبض على عين أبى زياد. فابلس طويلاً. ثمّ قال: مايدعو عيسى إلى أن يسىء بنا، و يقطع أرحامنا. فوالله لا يذوق هو ولا ولده منها شيئاً أبداً.

وفى الأخبار الطوال للدينورى قال الأصمعى: دخلت على الرشيد ـ و كنت غبت عنه حولين بالبصرة ـ فأومىء إلىّ أن أجلس فجلست فى خفّ الناس ثمّ قال: أتحبّ أن ترى محمّداً وعبدالله ـ إلى أن قال ـ:

كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما، ووقع بأسهما بينهما حتّى يسفك الدماء، و يودّ كثير من الأحياء أنّهم كانوا موتى، فقلت للرشيد: هذا شيء قضى به المنجّمون عند مولدهما أو شيء أخبر به العلماء فى أمرهما قال: بل شيء أخبر به العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء فى أمرهما قالوا: فكان المأمون يقول فى خلافته: كان الرشيد سمع جميع ماجرى بيننا عن موسى بن جعفر عليه السلام فلذلك قال ماقال.

و روى النعماني أنّ علياً عليه السلام دخل المسجد الحرام يوماً ومعه الحسن عليه السلام إذ جاء رجل حسن الهيئة. فسلّم عليه عليه السلام وقال: أسألك عن ثلاث قال: سل عمّا بدا لك:

فقال: أخبرنى عن الإنسان إذا نام أين يذهب روحه، وعن الرجل كيف يذكر وينسى، وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال فالتفت عليه السلام

إلى الحسن عليه السلام و قال : أجبه يا أبا محمّد .

فقال له : أمّا ماسألت من الروح . فإنّ الروح معلّقة بالريح ، و الريح معلّقة بالهواء إلى وقت مايتحرّك صاحبها لليقظة فإن أذن اللّه تعالى بردّ تلك الروح على ذلك البدن جذبت تلك الروح الريح ، وجذبت الريح الهواء فأستكنت فى بدن صاحبها ، و إلاّ جذب الهواء الريح ، و جذبت الريح الروح . فلا تردّ على صاحبها إلى وقت بعثه .

«و ذلك إذا قلّصت» : أى ارتفعت .

«حربكم و شمّرت عن ساق» : أى خفّت فى خلفاء ابن قتيبة لمّا أخبر علىّ عليه السلام الناس بغلبة أهل الشام عليهم قالوا: قد علمنا أنّ قولك كلّه و جميع لفظك يكون حقّا أترى معاوية يكون علينا أميراً . فقال : لاتكرهون إمرة معاوية فإنّ إمرته سلم و عافية . فلو مات رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنّها الحنظل وعداً كان مفعولاً .

«وضاقت الدنيا عليكم تستطيلون معه» هكذا فى المصرية وكلمة (معه) زائدة لعدم وجودها فى (حد ، و ثم) ، والخطية) .

«أيّام البلاء عليكم حتّى يفتح اللّه لبقية الأبرار منكم» روى مقاتل أبى الفرج بأسانيد عن سفيان بن اللّيل قال : أتيت الحسن بن علىّ عليه السلام حين بايع معاوية ـ إلى أن قال ـ

قال الحسن عليه السلام : ابشر يا سفيان . فإنّى سمعت علياً عليه السلام يقول : سمعت النبىّ صلى الله عليه وآله يقول : يرد علىّ الحوض أهل بيتى ، ومن أحبّهم كهاتين ، ـ يعنى السبابتين ـ أو كهاتين يعنى السبابة والوسطى ـ يفضل إحداهما على الأخرى ابشر يا سفيان فإنّ الدنيا تسع البر والفاجر حتّى يبعث اللّه إمام الحقّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله .

٤/ فى ١٨٤ ـ بعد مامرّ فى الامامة العامة

أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا ، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا .

أقول : الظاهر أنّ الأصل فى العنوان ما رواه المدائنى قال : خطب على عليه السلام فذكر الملاحم فقال : سلونى قبل أن تفقدونى أما و اللّه لتشغرن الفتنة الصماء برجلها ، و تطأ فى خطامها يالها من فتنة شبّت نارها بالحطب الجزل مقبلة من شرق الأرض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة أوحولها ذاك إذا استدار الفلك قلتم مات او هلك بأىّ واد سلك» فقال : قوم تحت منبره «للّه أبوه ما أفصحه كاذباً» .

«أيّها الناس سلونى قبل أن تفقدونى» قال (حد) حدّثنى من أثق به من أهل العلم حديثاً ـ و إن كان فيه بعض الكلمات العامية إلاّ أنّه يتضمّن ظرفاً و لطفاً ، و يتضمّن أيضاً أدباً ـ .

قال : كان ببغداد فى أيّام الناصر لدين اللّه أحمد بن المستضىء ـ باللّه واعظ مشهور بالحذق ومعرفة الحديث و الرجال ، وكان يجتمع تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد و فضلائها ـ و كان مشتهرا بذمّ أهل الكلام وخصوصاً المعتزلة على قاعدة الحشوية ، و مبغضى أرباب العلوم العقلية ـ وكان أيضاً منحرفاً عن الشيعة يرضى العامة بالميل عليهم ـ فاتّفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من يسأله من تحت منبره ، ويخجله فسألوا عمّن ينتدب لهذا . فأشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبد العزيز الكزى ـ ويشتغل بشىء يسير من كلام المعتزلة ، ويتشيّع وقد شدا طرفاً من الأدب ـ وقد رأيته أنا فى آخر عمره ، والناس يختلفون إليه فى تعبير الرؤيا ـ فأحضروه و طلبوا إليه أن يعتمد ذلك فأجابهم ، و جلس ذلك الواعظ يوماً ، واجتمع الناس عنده على طبقاتهم ، و تكلّم على عادته .

فأطال. فلمّا مرّ في ذكر صفات الباري تعالى في أثناء الوعظ قام إليه الكزّى. فسأله أسئلة عقليّة على منهاج معتزلى المتكلّمين. فلم يكن للواعظ عنها جواب نظرى. وإنّما دفعه بالخطابة والجدل، وسجع الالفاظ، وقال في آخر كلامه.

أعين المعتزلة حول وأصواتى في مسامعهم طبول، وكلامى فى أفئدتهم نصول، يامن بالاعتزال يصول، ويحك كم تحوم وتجول حول من لا تدركه العقول كم أقول كم أقول، خلّوا هذا الفضول، فارتجّ المجلس، وصرخ الناس، وعلت الأصوات، وطاب الواعظ، وطرب وخرج من هذا الفصل إلى غيره فشطح شطح الصوفية، وقال: سلونى قبل أن تفقدونى، وكرّرها. فقام إليه الكزى.

فقال: ياسيّدى ما سمعنا أنّه قال هذه الكلمة إلاّ عليّ بن أبي طالب وتمام الخبر معلوم ـ.

واشار الكزى بقوله وتمام الخبر معلوم. إلى قول على عليه السلام: لا يقولها بعدى إلاّ مدّع فقال الواعظ: وهو فى نشوة طربه، وأراد اظهار فضله ومعرفته برجال الحديث والرواة ـ من عليّ بن أبي طالب عليه السلام أهو عليّ بن أبي طالب بن المبارك النيسابورى؟ أم عليّ بن أبي طالب بن اسحق المروزى أم عليّ بن أبي طالب بن عثمان القيروانى؟، أم عليّ بن أبى طالب بن سليمان الرازى؟ ـ وعدّ سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث كلّهم يقال له: علىّ بن ابى طالب ـ.

فقام الكزى: وقام من يمين المجلس آخر، ومن يسار المجلس ثالث وانتدبوا له، وبذلوا أنفسهم للحميّة ووطّنوا على القتل.

فقال الكزى: ياسيّدى صاحب هذا القول هو عليّ بن أبي طالب زوج فاطمة سيّدة نساء العالمين، وإن كنت ماعرفته بعد بعينه. فهو الشخص الّذى لمّا آخى النبى صلى الله عليه وآله بين الاتباع والأذناب آخى بينه وبين نفسه، وأسجل على نفسه على أنّه نظيره، ومماثله. فهل نقل فى جهازكم أنتم من

هذا شئ أو ثبت تحت حبّكم من هذا شئ ،

فأراد الواعظ أن يكلّمه . فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن و قال : يا سيّدى محمّد بن عبد اللّه كثير فى الأسماء ، ولكن ليس فيهم من قال له ربّ العزة ﴿ما ضلّ صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى﴾ وكذلك عليّ بن أبي طالب كثير فى الأسماء ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة : أنت منّى بمنزله هرون من موسى إلّا أنّه لا نبىّ بعدى .

فالتفت إليه الواعظ ليكلّمه . فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر و قال ان كنت لا تعرف عليّا عليه السلام فانت معذور .

و إذا خفيت على الفتى فعاذر ألا ترانى مقلة عمياء

واضطرب المجلس وماج كما يموج البحر ، وافتتن الناس ، و تواثب بعضهم على بعض ، وتكشفت الرؤوس ، ومزّقت الثياب ، ونزل الواعظ واحتمل حتّى أدخل داراً أغلقت عليه بابها ، وحضر أعوان السلطان فسكّنوا الفتنة ، وصرفوا الناس إلى منازلهم ، و أنفذ الناصر لدين اللّه فى آخر ذاك اليوم . فأخذ الكرى والرجلين اللّذين قاما معه فحبسهم أيّاما ليطفئ النائرة . ثمّ أطلقهم .

وفى نجوم ابن طاووس عن كتاب ابن جمهور القمى بأسناده أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا صعد المنبر وقال : سلونى قبل أن تفقدونى قام إليه رجل فسأله عن السواد الّذى فى القمر . فقال : أعمى سأل عن عمياء أما سمعت اللّه ـ عزّ و جلّ ـ يقول ﴿فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾[1] . فالمحو السواد الّذى تراه فى القمر اللّه تعالى خلق من نور عرشه شمسين ، وأمر جبرئيل . فأمرّ جناحه بالّذى سبق من علمه لمّا أراد أن يكون من اختلاف

(١) الاسراء : ١٢ .

الليل والنهار والشمس والقمر ـ الخبر ـ .

وروى الخصال أنّه عليه السلام كان بالكوفة بالجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام . فسأله عن مسائل ، وكان فى ما سأله أن قال له : أخبرنى عن ستّة من الأنبياء لهم اسمان . قال عليه السلام : هم يوشع بن نون ـ وهو ذو الكفل ـ ، ويعقوب ـ وهو إسرائيل ـ والخضر ـ وهو حلقيا ـ و يونس ـ وهو ذو النون ـ وعيسى ـ و هو المسيح ـ ومحمّد ـ وهو أحمد ـ صلواته عليهم أجمعين ـ

وفى تذكرة سبط ابن الجوزى قال ابن عباس ـ فى ما روى العوفى عنه شهدت يوماً علياً عليه السلام ـ و سئل عن الفاتحة ـ فقال : نزلت من كنز تحت العرش ولو ثنيت لي وسادة لذكرت فى فضلها حمل بعير ذكر ، وليس فى القرآن آية إلاّ و أنا أعلم متى نزلت ، وفى أىّ شىء نزلت ـ ثمّ انشد :

إذا المشكلات تصدّين لى كشفت حقائقها بالنظر
وإن برقت فى خلال الصواب عمياء لا يعتر بنى فكر
مقنعة بغيوب الامور وضعت عليها نفيس الدرر
لساناً كشقشقة الأرحبى أو كالحسام إذا ما سطر
و لست بأمّعة فى الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنّنى مدرة الأصغرين و جلاب خير و دفّاع شر

«فلأنا بطرق السماء أعلم منّى بطرق الأرض» قال «حد» المراد ما اختصّ عليه السلام به من العلم بمستقبل الامور ، ولا سيّما فى الملاحم والدول ، وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكرّرة لا مرّة ، ولا مأة مرّة حتّى زال الشك والريب فى أنّه إخبار عن علم لا على سبيل الاتفاق ، و قيل : المراد أنا بالأحكام الإلهية أعلم منّى بالامور الدنيوية ، والأوّل أظهر .

قلت : وأيّاً كان المراد هو دليل على اتّصاله بالمبدء الأعلى ، وكونه حجّة الله على الخلق كالرسول صلى الله عليه وآله فطرق الأرض وجغرافيتها يمكن أن يعلمها

جميع الناس ، وطرق السماء لا يمكن علمها إلاّ لحجج الله تعالى كما أنّ العلم بالأحكام الالهيّة على ما هى عليه لا يمكن إلاّ لهم ، وقد قال عليه السلام فى خطبة «لا يقع اسم الهجرة على أحد إلاّ بمعرفة الحجّة في الأرض»

«قبل أن تشغر» أى ترفع.

«برجلها فتنه تطأ» : أى تضع قدمها

«فى خطامها» : أى زمامها .

«و تذهب بأحلام» : أى عقول .

«قومها» ومراده عليه السلام بفتنة تطأ فى خطامها ، وتذهب بأحلام قومها فتنة بنى أُميّة و بنى العباس بعده عليه السلام و قوله عليه السلام و قبل أن تشغر ـ الخ ـ ظرف لقوله عليه السلام أوّلاً « سلونى قبل أن تفقدونى» وقوله عليه السلام بينهما «فلأنا بطرق السماء أعلم منّى بطرق الأرض» معترضة لبيان وجوب سؤاله ، والرجوع إليه .

روى مسند أحمد بن حنبل عنه عليه السلام خبر ارتقائه على كتف النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال ـ قال علىّ عليه السلام : فنهض بى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و أنّه ليخيّل إلىّ أنّى لو شئت أن أنال أُفق السماء لنلته ـ إلى أن قال ـ .

قال سعيد بن المسيّب : فلهذا كان علىّ عليه السلام يقول : «سلونى عن طرق السموات . فإنّى أعرف بها من طرق الأرضين ، ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» .

قال سعيد بن المسيب : لم يكن أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقولها إلاّ علىّ عليه السلام .

٥/ ٠ ١٧٠/ ١ وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . أَلَا وَإِنِّى مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ . وَالَّذِى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا . وَقَدْ عَهِدَ إِلَىَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو ، وَمَآلِ هٰذَا الْأَمْرِ . وَمَا أَبْقَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِى إِلَّا أَفْرَغَهُ فِى أُذُنِى وَأَفْضَى بِهِ إِلَىَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى وَاللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا ، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا

أقول : رواه منذر مع زيادات ـ وقد نقله «ثم» عند قوله عليه السلام «فتن كقطع الليل» ـ ففيه «والذى فلق الحبة ، وبرء النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب ، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة ، وإنّ عندى من ذلك علماً جمّا ، وأن تسئلونى تجدونى به عالماً لا أخطىء منه علما ولا ذا فناء ، ولقد استودعت علم القرون الاولى ، وما هو كائن إلى يوم القيامة .

«والله لو شئت أن اخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه» روى أنّ جاثليقاً جاء فى نفر من النصارى إلى أبي بكر ، وسأله مسائل عجز عنها أبوبكر . فقال له : كفّ أيّها النصرانى ، وإلاّ أبحنا دمك . فقال الجاثليق : أهذا عدل على من جاء مسترشداً طالباً دلّونى على من أسأله عمّا احتاج إليه . فجاء علىّ عليه السلام ـ إلى أن قال ـ فقال له الجاثليق : بم بنت أيّها العالم عن الرعية الناقصه؟ قال عليه السلام : بما اخبرتك به عن علمى بما كان وما يكون قال : فهلمّ شيئاً من ذلك أتحقّق به دعواك . فقال عليه السلام : خرجت أيّها النصرانى من مستقرّك مستنكراً لمن قصدت بسؤالك له مضمراً خلاف ما أظهرت من الطلب و

الاسترشاد . فأريت فى منامك مقامى ، وأُمرت فيه باتباعى قال : صدقت والله وأنا أشهد ألاّ إله الاّ الله ، وأنّ محمّداً رسوله ، وأنّك وصيّه ، وأحق الناس بمقامه ـ وأسلم الّذين معه أيضاً ـ فقال عمر له : الحمدلله الّذى هداك غير أنّه يجب أن تعلم أنّ علم النبوّة فى أهل بيت صاحبها ، والأمر بعده لمن رضى به العامة ـ الخبر ـ .

وفى مناقب السروى عن الأصبغ قال : أمرنا علىّ عليه السلام بالمسير من الكوفة إلى المدائن . فسرنا يوم الأحد ، وتخلف عنّا عمروبن حريث ، والأشعث ، و جرير البجلى مع خمسة نفر . فخرجوا إلى مكان بالحيرة يقال له : الخورنق ، و السدير ، وقالوا : إذا كان يوم الجمعة لحقنا علياً قبل أن يجمع الناس . فصلّينا معه . فبينا هم جلوس ، وهم يتغدون إذ خرج عليهم ضبّ فاصطادوه فاخذه عمروبن حريث فبسط كفّه . فقال : بايعوا هذا . فبايعوه ثمّ أفلتوه ، و قالوا : خلعنا علياً ، وبايعنا مكانه ضباً ـ إلى أن قال بعد ذكر لحوقهم به عليه السلام وهو على المنبر ـ فقال : «إنّ الله تعالى يقول فى كتابه «يوم ندعوا كلّ اناس بامامهم» وأنا اُقسم بالله ليبعثنّ يوم القيامة ثمانية نفر من هذه الاُمّة إمامهم ضبّ ، ولو شئت أن اسميهم لفعلت» فتغيّرت ألوانهم ـ الخبر ـ «وجميع شأنه لفعلت» قال (حد) أقسم عليه السلام أنّه لو شاء أن يخبر كلّ واحد منهم أين خرج ، وكيفية خروجه ، وأين يلج ، وكيفية ولوجه : وجميع شأنه من مطعمه ، ومشربه ، وما عزم عليه من أفعاله ، وما أكله ، وما ادّخره فى بيته ، وغير ذلك من شؤونه وأحواله لفعل ، وهذا كقول المسيح عليه السلام «و انبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون فى بيوتكم»[1] .

وفى الطبرى لمّا خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليّا عليه السلام أصحابه و شيعته . فبايعوه وقالوا : نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت . فشرط

(١) آل عمران : ٤٩

لهم فيه سنة النبى صلى الله عليه وآله فجاءه ربيعة بن أبى شداد الخثعمى ـ وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم ـ فقال له على عليه السلام : بايع على كتاب الله وسنّة رسوله . فقال ربيعة : على سنّة أبى بكر وعمر . فقال له على عليه السلام : ويلك لو أنّ أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسوله لم يكونا على شىء من الحقّ فبايعه . فنظر إليه على عليه السلام وقال له «أما والله لكأنّى بك ، وقد نفرت مع هذا الخوارج فقتلت ، وكأنّى بك وطئتك الخيل بحوافرها » . فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة .

ورواه خلفاء ابن قتيبة وزاد : قال قبيصة : فرأيته يوم النهروان قتيلا وقد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه ، ومثلت به . فذكرت قول على عليه السلام ، وقلت : لله درّ أبى الحسن ما حرّك شفتيه قط بشىء إلاّ كان كذلك ـ .

و رووا عن أبى الجهم العدوى ـ وكان معادياً لعلى عليه السلام ـ قال : خرجت بكتاب عثمان ، والمصريون قد نزلوا بذى خشب إلى معاوية ، وقد طويته طيّاً لطيفاً ، وجعلته فى قراب سيفى ، وقد تنكبت عن الطريق وتوخّيت سواد الليل حتّى كنت بجانب الجرف إذاً رجل على حمار مستقبلى ، و معه رجلان يمشيان أمامه فإذا هو علىّ بن أبي طالب ، وقد أتى من ناحية البدو فاثبتنى ولم أثبته حتّى سمعت كلامه . فقال : أين تريد يا صخر؟ قلت : البدو . قال : فما هذا الّذى فى قراب سيفك؟ قلت : لا تدع مزاحك أبداً ثمّ جزته .

و رووا أنّه ذكر لاسقف بدير الديلم من أرض فارس ـ وقد أتت عليه عشرون ومأة سنة ـ أنّ رجلاً ـ يعنونه عليه السلام ـ قد فسّر الناقوس . فقال : سيروا بى إليه . فإنّى أجده أنزع بطيناً . فلمّا وافاه عليه السلام قال : قد عرفت صفته فى الإنجيل وأنا أشهد أنّه وصيّ ابن عمّه .

فقال عليه السلام له : جئت لتؤمن ، أم أزيدك رغبة فى أيمانك قال : نعم . قال عليه السلام : أنزع مدرعتك . فأر أصحابك الشامة الّتى بين كتفيك . فقال : أشهد ألاّ

إله إلاّ اللّه ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وشهق شهقة . فمات .

فقال عليه السلام : عاش فى الإسلام قليلاً ، وينعم فى جوار اللّه كثيراً .

وروى أبو مخنف أنّ عمروبن اليثربى الّذى قتل يوم الجمل فى أصحاب عايشة زيد بن صوحان ، وعلباء ، وهند الجملى من أصحابه عليه السلام : أسره عمّار بن ياسر ، وجاء به إليه قال له عليه السلام : ادننى منك أُسارّك . فقال عليه السلام له : أنت متمرّد ـ وقد أخبرنى النبى صلى الله عليه وآله بالمتمرّدين ، وذكرك فيهم ـ فقال له أما واللّه لو وصلت إليك لعضضت أنفك عضّة ابانته منك . ثمّ أمر عليه السلام فضربت عنقه ـ ومثله وقع لابنه الحسن عليه السلام مع ابن ملجم ـ .

وروى محمّد بن يعقوب أنّ عايشة أنفذت رجلاً شديد العداوة له بكتاب لها إليه . فمضى فاستقبله راكباً فناوله الكتاب . ففضّ خاتمه ثمّ قرأه ثمّ قال له : تبلغ إلى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ، ونكتب جواب كتابك قال : هذا واللّه لا يكون . فثنّى عليه السلام رجله فنزل وأحدق به ثمّ قال للرجل : أسألك قال : نعم قال : وتجيبنى قال : نعم .

قال : ناشدتك اللّه أقالت عايشة : التمسو إلى رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل فاتى بك . فقالت : مابلغ من عداوتك لهذا الرجل . فقلت كثيراً ما أتمنى على ربّى أنّه وأصحابه فى وسطى ، وأنّى ضربته ضربة بالسيف يسبق السيف الدم . فقال : اللّهمّ نعم .

قال : فانشدك اللّه أقالت : فاذهب بكتابى هذا فادفعه إليه ظاعنا كان أو مقيماً أما أنّك إن رأيته ظاعنا رأيته راكباً بغلة النبىّ متنكّباقوساً معلقاً كنانته بقربوس سرجه أصحابه خلفه كأنّهم طير صواف قال : اللّهمّ نعم .

قال : فانشدك اللّه هل قالت لك : ان عرض عليك طعامه أو شرابه فلا تنالن منه شيئاً . فإنّ فيه السحر قال : اللّهمّ نعم ـ

قال فمبلغ عنى قال : اللّهمّ نعم . فإنّى أتيتك وما فى الأرض خلق

أبغض إلىّ منك و أنا الساعة ما فى الأرض خلق أحبّ إلىّ منك. فمرنى بما شئت.

فقال: ادفع كتابى هذا إليها، وقل لها: ما اطعت اللّه ورسوله حيث أمرك اللّه بلزوم بيتك ـ الخبر ـ.

وروى محمّد بن جبلة الخيّاط عن عكرمة عن زيد الأحمسى أنّ علياً عليه السلام كان جالساً فى مسجد الكوفة، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حريث إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تعرف. فقالت لعلىّ عليه السلام: يا من قتل الرجال وسفك الدماء، وأيتم الصبيان، وأرمل النساء. فقال عليه السلام: إنّها لهى السلقلق الجعة المجعة، وأنّها لهى هذه شبيهة الرجال الّتى ما رأت دماً قط». فولّت هاربة منكسة رأسها. فتبعها عمرو بن حريث. فلمّا صارت بالرحبة قال لها: واللّه سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل. فادخلى منزلى حتّى أهب لك وأكسوك. فلمّا دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها، وكشف ثيابها، و نزع ثيابها لينظر صدقه. فبكت وسألته أن لا يكشفها، وقالت: أنا واللّه كما قال، لى ركب النساء و انثيان كانثيى الرجال، وما رأيت دماً قط. فتركها وأخرجها ثمّ جاء إلى علىّ عليه السلام فأخبره.

فقال: إنّ خليلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أخبرنى بالمتمرّدين من الرجال و المتمرّدات من النساء إلى أن تقوم الساعة ونقله (حد) عند قوله عليه السلام فقمت بالأمر.

وروى البصائر عن الحرث الأعور قال: كنت ذات يوم مع أمير المؤمنين عليه السلام اذ أقبلت امرئة مستعدية على زوجها. فتكلّمت بحجّتها فتكلّم الزوج بحجّته. فوجب القضاء عليها. فغضبت وقالت: لقد حكمت علىّ بالجور.

فقال لها: يا سلفع يا مهيع يا فروع بل حكمت عليك بالحقّ. فلمّا سمعت هذا ولّت هاربة ـ إلى أن قال ـ قالت: أمّا قوله لى: يا سلفع أنّى

لا أحيض من حيث تحيض النساء.

وقال (حد) ومن عجيب ما وقفت عليه من إخباره عليه السلام عن الغيوب قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم - وهو عليه السلام يشير إلى القرامطة ينتحلون لنا الحبّ والهوى، ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلك قتلهم وراثنا و هجرهم أجداثنا.

وصحّ ما أخبر عليه السلام به لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب خلقاً كثيراً - وأسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الاصبهاني.

ومرّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابيّ في جيشه بالمغرى، و بالحائر فلم يعرّج على واحد منهما ولا دخل ولا وقف.

قلت: ومن غريب ما وقفت عليه ما رواه النعماني في غيبته بأسناده عن أبي صادق أنّه عليه السلام قال ملك بني العباس لا يسرفيه دولتهم لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربر لم يزيلوه، ولا يزالون يتمرغون ويتنعمون في غضارة من ملكهم حتّى يشذّ عنهم مواليهم و أصحاب ألويتهم، ويسلّط الله عليهم علجا يخرج من حيث بدى ملكهم لا يمرّ بمدينة إلّا فتحها ولا ترفع له راية إلّا هدّها، ولا نعمة إلّا أزالها. الويل لمن ناواه. فلا يزال كذلك حتّى يظفر ويدفع بظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحقّ ويعمل به -.

فقوله عليه السلام «حتّى يشذّ عنهم مواليهم وأصحاب ألويتهم» إشارة إلى خروج الأتراك الّذين كانوا امراء جيوش العباسيّين من زمان المعتصم عليهم وعزلهم خليفة، ونصبهم آخر، و سلمهم لهم.

وقوله عليه السلام «ويسلّط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدى ملكهم لا يمرّ بمدينة إلّا فتحها، ولا ترفع له راية إلّا هدّها، ولا نعمة إلّا أزالها الويل لمن ناواه» إشارة إلى هلاكوخان، وفتحه لبلاد الإسلام إلى بغداد، و استيصالهم دولة العباسيّين، وقتله للمستعصم آخرهم.

وقوله : ويدفع بظفره الى رجل من عترتى يقول بالحقّ ويعمل به، إشارة إلى تفويضه الأمر إلى عليّ بن طاووس الّذى كان تالى العصمة صاحب كرامات فإنّه كان وجيهاً فى دولة المغول ، ومقرّباً عند هلاكو .

ونظيره روى عن الصادق عليه السلام وقد وقف ابن طاووس على ذاك ، واعتقد أنّه المراد ولكن لم يتفطن لهذا . فقال فى إقباله : عزم على الافطار فى ١٣ ربيع الأوّل من سنة (٦٦٢) فصامه لوجدانه حديثاً فى ملاحم البطائنى عن أبي بصير أنّ الصادق عليه السلام قال له : «إنّ اللّه أجلّ من أن يترك الأرض بلا إمام عادل ، وليس ترى أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله فرجاً أبداً مادام لولد بنى فلان ملك حتّى ينقرض ملكهم . فإذا انقرض ملكهم أتاح اللّه لأُمّة محمّد برجل منّا أهل البيت يشير بالتقى ، ويعمل بالهدى ، ولا يأخذ فى حكمة الرشى ، وأنّى لأعرفه باسمه واسم أبيه» .

قال ابن طاووس : ومن حيث انقرض ملك بني العبّاس لم أجد ولم أسمع برجل من أهل البيت يشير بالتقى ، ويعمل بالهدى ، ولا يأخذ فى حكمة الرشى كما قد تفضّل اللّه علينا ظاهراً وباطناً ، وغلب على ظنّى أنّ ذلك اشارة إلينا ، وإنعام علينا . فقلت : اللّهمّ إن كنت أنا الرجل المشار إليه . فلا تمنعنى عن صومه على عادتك عندى . فوجدت إذناً وأمراً بصومه فصمته وقد تضاحى نهاره ، وقلت : إن كنت أنا المشار إليه . فلا تمنعنى من صلوة الشكر وأدعيتها فقمت . ولم أمنع بل وجدتنى مأموراً . فصلّيتها ، و دعوت بأدعيتها ، وقد رجوت أن يكون تعالى شرّفنى بذكر فى الكتب السالفة على لسان الصادق عليه السلام فإنّا قبل الولاية على العلويين كنّا فى تلك الصفات مجتهدين ، وبعد الولاية على العلويين زدنا فى الاجتهاد فى هذه الصفات والسيرة فيهم بالتقوى ، والعمل معهم بالهدى وترك الرشا قديماً وحديثاً ، ولا يخفى ذلك على من عرفنا ، ولم يتمكّن أحد فى هذه الدولة القاهرة من

العترة كما تمكّنا نحن من صدقاتها المتواترة ، واستجلاب الفرامين المتضمنة لعدلها ورحمتها المتظاهرة ـ الخ ـ .

والنعمانى ألّف كتابه فى سنه (٣٤٠) فقال فيه مشيراً إلى القائم عليه السلام «وله الآن نيف وثمانون سنة» وهلاكوكان بعد (٦٦٠) هذا ، واختلف تعبيره مع تعبير الصادق عليه السلام عن ابن طاووس فقال عليه السلام (من عترتى) وقال : الصادق عليه السلام (منّا أهل البيت) لأنّ ابن طاووس كان حسنياً .

وقال (حد) وقال عليه السلام فى هذه الخطبة ـ وهو يشير إلى السارية الّتى كان يستند إليها فى مسجد الكوفة ـ «كأنّى بالحجرالاسود منصوباهنا ويحهم انّ فضيلته ليست فى نفسه ، بل فى موضعه واسه يمكث هنابرهه ثم هنا ـ وأشار إلى البحرين ـ برهة ثمّ يعود إلى مأواه و أمّ مثواه» ـ ووقع الأمر فى حجر الأسود بموجب ما أخبر عليه السلام به .

وقال (حد) أيضاً : وقد وقفت عنه عليه السلام على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم ، ووجدت فى كثير منها اختلالاً ظاهراً ، وهذه المواضع الّتى أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة بل من كلام له عليه السلام وجدته متفرّقاً فى كتب مختلفة ـ .

ومن ذلك أنّ تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمى اعترضه ـ و هو يخطب على المنبر ويقول «سلونى قبل أن تفقدونى . فواللّه لا تسألونى عن فئة تضلّ مأة ، وتهدى مأة إلاّ نبّأتكم بناعقها وسائقها ، ولو شئت لاخبرت كلّ واحد منكم بمخرجه ، ومدخله وجميع شأنه » .

فقال له فكم فى رأسى طاقة شعر . فقال له : «أما واللّه أنّى لاعلم ذلك ولكن أين برهانه لو أخبرتك به ، ولقد اُخبرت بقيامك ، ومقالك ، وقيل لى : إنّ على كلّ شعرة رأسك ملكاً يلعنك ، وشيطاناً يستفزّك ، وآية ذلك أنّ فى بيتك سخلاً يقتل ابن رسول اللّه ، ويحّض على قتله » .

فكان الامر بموجب ما أخبر به عليه السلام كان ابنه حصين ـ بالصاد المهملة يومئذٍ طفلاً رضيعاً . ثمّ عاش إلى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد فأخرجه الى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعّده إن أرجأ ذلك فقتل عليه السلام صبيحة اليوم الّذى ورد فيه الحصين بالرسالة فى ليلته .

وقال (حد) أيضاً ومن ذلك قوله عليه السلام للبراء بن عازب يوماً : «يا براء أيقتل الحسين عليه السلام وأنت حىّ فلا تنصره» فقال : لاكان كذلك . فلمّا قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك ويقول : أعظم بها حسرة إذ لم أشهده و أقتل دونه .

قلت : وروى صفين نصر مسنداً عن هرثمة بن سليم قال : غزونا مع علىّ عليه السلام غزوة صفين . فلمّا نزلنا بكربلا صلّى بنا صلوة . فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثمّ قال «واهاً لك أيّها التربة ليحشرن منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب» .

فلمّا رجع قال لامرأته جرداء بنت سمير ـ وكانت شيعة لعلىّ عليه السلام : ألا اُعجبك من صديقك أبى الحسن لمّا نزلنا كربلا رفع إليه من تربتها فشمّها و قال «واهاً لك ياتربة ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب» .

فقالت له : دعنا منك أيّها الرجل . فانّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلاّ حقّاً .

فلمّا بعث عبيد الله البعث الّذى بعثه إلى الحسين عليه السلام وكان فيهم : قال : فلمّا انتهيت إلى الحسين وأصحابه عرفت المنزل الّذى نزل بنا علىّ عليه السلام فيه والبقعة الّتى رفع إليه من ترابها ، والقول الذى قاله . فكرهت مسيرى . فأقبلت على فرسى حتّى وقفت على الحسين عليه السلام فسلّمت عليه و حدّثته بالّذى سمعت من أبيه فى هذا المنزل .

فقال : معنا أنت أو علينا ؟

فقلت: يا ابن رسول الله لا معك، ولا عليك تركت أهلى وولدى و أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين عليه السلام فولّ هربا حتّى لا ترى لنا مقتلاً، والّذى نفس الحسين بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل، ولا يغيثنا إلاّ أدخله الله النار فأقبلت فى الأرض هارباً حتّى خفى علىّ مقتله.

وروى عن ابن جحيفة قال: جاء عروة البارقى إلى سعيد بن وهب فسأله وأنا أسمع. فقال: حدّث حدثته عن على عليه السلام فقال: نعم بعثنى مخنف بن سليم إلى علىّ عليه السلام فأتيته بكربلا. فوجدته يشير بيده ويقول: ههنا ههنا. فقيل له: وما ذاك؟

قال عليه السلام: «ثقل لآل محمّد صلى الله عليه وآله ينزل ههنا. فويل لهم منكم، وويل لكم منهم».

فقيل له: ما معنى ذلك؟

قال: ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار.

ومرّ فى العنوان السابق اخباره عليه السلام بكون خالد بن عرفطة صاحب جيش ضلالة، وصاحب لوائه حبيب بن جمّاز يدخل بها من باب الفيل. فكان خالد على مقدّمة عمر بن سعد، وصاحب رايته حبيب أدخلها المسجد من باب الفيل.

وروى عيون ابن بابويه مسنداً عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى عن أبيه عن الرضا عن آبائه صلى الله عليهم عن علىّ عليه السلام قال: كأنّى بالقصور قد شيّدت، حول قبر الحسين، وكأنّى بالمحامل تخرج من الكوفة إلى قبره، ولا تذهب الليالى والأيام حتّى يسار إليه من الآفاق، وذلك عند انقطاع ملك بنى مروان

وعن النعمان بن سعد قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سيقتل الرجل من ولدى بأرض خراسان اسمه اسمى، واسم أبيه اسم ابن عمران موسى ألا فمن زاره فى غربته غفر الله تعالى ذنوبه ـ الخبر ـ.

وروى مروج المسعودى أنّه لمّا بلغه عليه السلام تثبيط أبى موسى الأشعرى،

أهل الكوفة عن اللحوق به ، ويقول لهم : إنّما هى فتنة كتب عليه السلام إليه اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموماً مدحوراً . فما هذا أوّل يومنا منك ، وأنّ لك فيها لهنات و هنيّات ـ و قوله (و أنّ لك) إشارة إلى صيرورته حكماً وحكمه عليه عليه السلام .

«ولكن أخاف أن تكفروا فى برسول الله صلى الله عليه وآله» قال (حد) : أى أخاف عليكم الغلو فى أمرى ، وأن تفضّلونى على النبى صلى الله عليه وآله بل أخاف عليكم أن تدّعوا فىّ الإلهية كما ادّعت النصارى ذلك فى المسيح عليه السلام لمّا أخبرهم بالامور الغائبة .

ومع أنّه عليه السلام قد كتم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه بالنبى صلى الله عليه وآله فقد كفر كثير منهم ، وادّعوا فيه النبوّة وادّعوا فيه أنّه شريك الرسول فى الرسالة ، وادّعوا فيه أنّه هو كان الرسول ، ولكن الملك غلط فيه ، وادّعوا أنّه الّذى بعث محمّداً إلى الناس ، وادّعوا فيه الاتّحاد ، ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلالة فيه إلاّ قالوه ، واعتقدوه ، وقال شاعرهم فيه :

ومن أهلك عاداً و ثموداً بدواهيه ومن كلّم موسى فوق طور إذ يناديه
ومن قال على المنبر يوما وهو راقيه سلونى أيّها الناس فحاروا فى معانيه

و أيضاً :

إنّما خالق الخلائق من زعزع أركان حصين خيبر جذباً
قد رضينا به إماماً و مولى وسجدنا له إلهاً و ربّا

وقال الشهرستانى فى ملله : السبائية أصحاب عبدالله بن سبا الّذى قال لعلىّ عليه السلام (أنت أنت) يعنى أنت الإله ـ فنفاه إلى المدائن وزعموا أنّه كان يهودياً . فأسلم ، وكان فى اليهودية يقول فى يوشع وصىّ موسى مثل ما قال فى على عليه السلام ، وهو أوّل من أظهر القول بالفرض بامامة علىّ عليه السلام و منه انشعبت أصناف الغلاة ، وزعموا أنّ علياً حىّ لم يقتل ، وفيه الجزء الإلهى

ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الّذى يجئ فى السحاب والرعد صوته ، و البرق سوطه ، وأنّه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

وإنّما أظهر ابن سبا هذه المقالة بعد انتقال علىّ عليه السلام و اجتمعت عليه جماعة : وهم أوّل فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة ، وقالت بتناسخ الجزء الإلهى فى الائمّة بعد علىّ ، وهذا المعنى ممّا كان يعرفه الصحابة و إن كانوا على خلاف مراده هذا عمر ـ رضى اللّه عنه ـ كان يقول فيه حين فقأعين واحد فى الحرم ، ورفعت القصة إليه (ماذا أقول فى يد اللّه فقأت عيناً فى حرم اللّه) فاطلق عمر اسم الالهة عليه لمّا عرف منه ذلك ـ الخ ـ .

«ألا و إنّى مفضية إلى الخاصة ممّن يؤمن ذلك منه» و ممّن أفضى عليه السلام و أظهر له مآل أمره من خواص شيعته ميثم التمار ، وكميل بن زياد ، وقنبر ورشيد الهجرى ، ومزرع بن عبيد اللّه ، وجويرية بن مسهر وحجر بن عدى ، و عمرو بن الحمق ، وجمع آخر .

فروى محمّد بن محمّد بن النعمان أنّ ميثماً كان عبداً لإمرئة من بنى أسد فاشتراه عليه السلام منها فأعتقه . فقال له : ما اسمك ؟ قال : سالم . قال عليه السلام أخبرنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّ اسمك الّذى سمّاك به أبواك فى العجم ميثم . قال : صدق اللّه ورسوله ، وصدقت يا أمير المؤمنين ، واللّه أنّه لاسمى . قال : فارجع إلى اسمك الّذى سمّاك به النبى صلى الله عليه وآله وسلم ودع سالما . فرجع الى ميثم ، واكتنى بأبى سالم ، وقال عليه السلام له ذات يوم : «انّك تؤخذ بعدى فتصلب وتطعن بحربه فاذا كان يوم الثالث ابتدر منخراك وفمك ، دما يخضب لحيتك فانتظر ذلك الخضاب فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة ، و أقربهم من المطهرة ، وامض حتّى أريك النخلة تصلب على جذعها» فأراه إيّاها .

وكان ميثم يأتيها فيصلّى عندها ويقول «بوركت من نخلة لك خلقت ولى

غذيت ، ولم يزل يتعاهدها حتّى قطعت ، وكان يلقى عمروبن حريث . فيقول له : إنّى مجاورك . فاحسن جوارى . فيقول له عمرو : أتريد أن تشترى دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم ـ وهو لا يعلم ما يريد ـ .

وحجّ فى السنة الّتى قتل فيها . فدخل على أمّ سلمة . فقالت : من أنت قال : أنا ميثم . قالت : واللّه لربما سمعت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يذكرك ، ويوصى بك عليّا عليه السلام فى جوف الليل . فسألها عن الحسين عليه السلام فقالت : هو فى حايط له قال : اخبريه أنّنى قد أحببت السلام عليه ، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين ، فدعت أمّ سلمة بطيب ، وطيّبت لحيته ، و قالت له : أمّا أنّها ستخضب بدم .

فقدم الكوفة فأخذه عبيد اللّه بن زياد فادخل عليه . فقيل له : هذا كان من آثر الناس عند علىّ قال : ويحكم هذا الأعجمى قيل له : نعم قال له عبيد اللّه : أين ربّك ؟ قال : بالمرصاد لكلّ ظالم وأنت أحد الظلمة قال إنّك على عجمتك لتبلغ الّذى تريد ، ما أخبرك صاحبك إنّى فاعل بك؟ قال : أخبرنى أنّك تصلبنى عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة ، وأقربهم إلى المطهرة . قال : لنخالفنّه قال : كيف تخالفه فواللّه ما أخبرنى إلاّ عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عن اللّه تعالى فكيف تخالف هؤلاء ، ولقد عرفت الموضع الّذى أُصلب عليه أين هو من الكوفة ، وأنا أوّل خلق اللّه أُلجم فى الإسلام» .

فحبسه وحبس معه المختار بن أبى عبيد . فقال له ميثم : إنّك تفلت و تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام . فتقتل هذا الّذى يقتلنا . فلمّا دعا عبيد اللّه بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد اللّه يأمره بتخلية سبيله . فخلاّه .

وأمر بميثم أن يصلب . فاخرج فقال له رجل لقيه : ماكان أغناك عن هذا يا ميثم فتبسّم وقال ـ وهو يؤمى إلى النخلة ـ «لها خلقت ولى غذيت» فلمّا

رفع على الخشبة احتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث ـ وقال عمرو : قد كان والله يقول «إنى مجاورك» فأمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشّه وتجميره - فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم . فقيل لابن زياد : قد فضحكم هذا العبد فقال : ألجموه ـ وكان أوّل خلق الله الجم فى الإسلام ـ وكان قتله قبل قدوم الحسين عليه السلام إلى العراق بعشرة أيّام ـ

فلمّا كان اليوم الثالث من صلبه طعن ميثم بالحربة . فكبّر ثمّ انبعث فى آخر النهار فمه وأنفه دماً ـ قال المفيد : والرواية به بين العلماء مستفيضة -

وفى الإرشاد أيضاً روى جرير عن المغيرة قال : لمّا ولىّ الحجّاج طلب كميل بن زياد . فهرب منهم فحرم قومه عطاياهم . فلمّا رأى ذلك كميل قال : أنا شيخ كبير وقد نفد عمرى ، ولا ينبغى أن أحرم قومى عطاءهم . فخرج فدفع بيده إلى الحجّاج . فلمّا رآه قال له : لقد كنت أحبّ أن أجد عليك سبيلاً . فقال له كميل : لا تصرف علىّ أبْنيابك ، ولا تهدّم علىّ فوالله ما بقى من عمرى إلاّ مثل كواسل الغبار . فاقص ما أنت قاض . فانّ الموعد الله وبعد القتل الحساب ، ولقد خبّرنى أمير المؤمنين عليه السلام أنّك قاتلى .

فقال له الحجّاج : الحجّة عليك إذن . فقال له كميل : إذا كان القضاء إليك قال : بلى قد كنت فى من قتل عثمان اضربوا عنقه . فضربت عنقه .

وفيه أيضاً روى أصحاب السيرة من طرق مختلفة أنّ الحجّاج قال ذات يوم : أحبّ أن أصيب رجلاً من أصحاب أبى تراب . فأتقرّب إلى الله بدمه . فقيل له : ما نعلم أحداً كان أطول صحبة لأبى تراب من قنبر مولاه . فبعث فى طلبه . فأتى به . فقال له : أنت قنبر؟ قال : نعم قال : أبوهمدان؟ قال نعم . قال : مولى علىّ بن أبى طالب ؟ قال : الله مولاى وأمير المؤمنين ولىّ نعمتى . قال : ابرء من دينه قال : فتدلنى على دين أفضل من دينه . قال : إنّى قاتلك فاختر أىّ قتلة أحبّ إليك قال : قد صيّرت ذلك إليك قال : ولم

قال : لانّك لا تقتلنى قتلة إلاّ قتلتك مثلها ، ولقد أخبرنى أميرالمومنين عليه السلام أنّ منيّتى تكون ذبحاً ظلماً بغير حقّ . فأمر به فذبح .

وفيه روى ابن عياش عن مجالد عن الشعبى عن زياد بن النضر الحارثى قال : كنت عند زياد إذ أتى برشيد الهجرى . فقال له زياد : ماقال لك صاحبك ـ يعنى عليّا عليه السلام ـ أنا فاعلون بك ؟ قال : تقطّعون يدى و رجلى ، وتصلّبوننى .

فقال زياد : أم واللّه لاكذّبنّ حديثه خلّوا سبيله . فلمّا أراد أن يخرج قال زياد : واللّه ما نجد له شيئاً شرّاً له ممّا قال صاحبه اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه . فقال رشيد : هيهات قد بقى لى عندكم شىء أخبرنى به أميرالمؤمنين عليه السلام . فقال زياد : اقطعوا لسانه . فقال رشيد : الآن جاء واللّه تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهذا الخبر قد نقله المؤالف والمخالف عن ثقاتهم واشتهر عند علماء الجميع ـ

وفيه روى عبد العزيز بن صهيب عن أبى العالية قال : حدّثنى مزرع بن عبداللّه قال : سمعت عليّا عليه السلام يقول : أم واللّه ليقبلنّ جيش حتّى إذا كان بالبيداء خسف بهم قال أبو العالية : فقلت لمزرع : إنّك لتحدّثنى بالغيب قال احفظ ما أقول لك واللّه ليكوننّ ما أخبرنى عليه السلام به ، وليؤخذنّ رجل فليقتلن وليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد . قال أبو العالية : قلت له : إنّك لتحدّثنى بالغيب قال : حدّثنى الثقة المأمون علىّ بن أبى طالب عليه السلام قال : أبو العالية : فما أتت علينا جمعة حتّى اُخذ مزرع فقتل و صلب بين الشرفتين ، وحدّثنى بثالثة . فنسيتها .

وفيه روى العلماء أنّ جويرية بن مسهر وقف على باب القصر . فقال : أين أميرالمؤمنين ؟ قيل له : إنّه نائم . فنادى أيّها النائم استيقظ فو الّذى نفسى بيده لتضربنّ ضربة على رأسك تخضب منها لحيتك كما أخبرتنا بذلك من قبل فسمعه

عليه السلام فنادى أقبل ياجويرية حتّى أحدّثك بحديثك. فاقبل فقال: وأنت ـ والّذى نفسى بيده ـ لتعتلنّ إلى العتلّ الزنيم، وليقطعنّ يدك ورجلك ثمّ لتصلبنّ تحت جذع كافر. فمضى على ذلك دهر حتّى ولى زياد فى أيّام معاوية. فقطع يده ورجله ثمّ صلبه على جذع ابن مكعبر ـ وكان جذعاً طويلاً ـ فكان تحته.

و روى النسوى أنّ عليّا عليه السلام قال «يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الاُخدود» ـ فقتل حجر و ستّة من أصحابه بمرج عذراء.

و روى الكشى فى خبر أنّ عليّا عليه السلام لمّا نزل الكوفة أتاه عمرو بن الحمق فأقام معه ثمّ قال عليه السلام له يوماً: أ لك دار؟ قال: نعم قال: بعها واجعلها فى الأزد. فأنّى غدا لو اغبت لطلبت. فمنعك الأزد حتّى تخرج من الكوفة متوجّهاً إلى حصن الموصل ـ إلى أن قال: ـ

فإذا صرت قريباً من الحصن فى موضع كذا وكذا رهقتك الخيل. فانزل عن فرسك وامر إلى الغار فإنّه يشترك فى دمك فسقة من الجنّ والإنس» ـ إلى أن قال ـ:

فنزل عن فرسه ودخل الغار وعار فرسه. فلمّا دخل الغار ضربه أسود سالخ فيه، وجاءت الخيل. فلمّا رأوا فرسه عارياً قالوا: هذا فرسه وهو قريب. فطلبوه فأصابوه فى الغار فكلّما ضربوا أيديهم إلى شىء من جسمه تبعهم اللّحم. فأخذوا رأسه. فأتوا به معاوية فنصبه على رمح، وهو أوّل رأس نصب فى الإسلام.

وفى اُسد الغابة كان ممّن سار إلى عثمان وهو أحد الأربعة الّذين دخلوا عليه الدار، وصار بعد من شيعة على عليه السلام وأعان حجر بن عدى فخاف زياد فهرب من العراق إلى الموصل، واختفى فى غار بالقرب منها. فأرسل

معوية إلى عامله بالموصل ليحمله إليه . فأرسل العامل ـ وهو عبد الرحمن بن ام الحكم ابن اخت معوية ـ ليأخذه من الغار . فوجده ميّتاً قد نهشته حيّة . فأخذوا رأسه . قال عمار الذهبى : أوّل رأس حمل فى الإسلام رأس عمرو .

«والّذى بعثه بالحقّ ، واصطفاه على الخلق . ما أنطلق إلاّ صادقاً» روى الثقفى فى غاراته عن الاعمش عن رجاله قال : خطب على عليه السلام فقال : لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مأة ثمّ شئت لحدّثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لا أخبرتكم إلاّ حقّاً ثمّ لتخرجنّ فلتزعمنّ أنّى أكذب الناس ، وأفجرهم .

«وقد» هكذا فى المصرية والصواب (ولقد) كما فى (حد) و (ثم) و الخطية .

«عهد إلىّ بذلك كلّه» ومن كلامه عليه السلام المتواتر أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لى : إنّ الأُمّة ستغدر بك بعدى .

«و بمهلك من يهلك ، ومنجى من ينجو» قال (حد) : أى من الصحابة وغيرهم .

«وما آل هذا الأمر» وفي (ثم) (ومئآل هذا الأمر) وهو الصحيح قال (حد) : أى أمر الإسلام ، وأمر الخلافة والدولة .

قال (حد) اعلم أنّه غير مستحيل أن يكون بعض النفوس مختصّة بخاصية تدرك بها المغيبات ، ولكن لا يمكن أن تكون نفس تدرك كلّ الغائبات لأنّ القوّة المتناهية لا تحيط بأُمور غير متناهية ، وكلّ قوّة في نفس حادثة ، فهى متناهية . فوجب أن يحمل كلامه عليه السلام لا على أن يريد به عموم العالمية بل بأُمور محدودة من المغيبات ممّا اقتضت حكمة البارى سبحانه أن يؤهله لعلمه ، و كذلك القول فى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّه إنّما كان يعلم أُموراً معدودة لا غير متناهية .

قلت : العلم الفعلى كما ذكر لا يمكن حصوله عموماً لبشر من نبىّ أو وصىّ وإنّما هو مختصّ بالله تعالى الّذى علمه ذاتى ولدنّى ، وأما العلم القُوّى .

فلا مانع من حصول ملكة عمومه على قدر الطاقة البشرى.

وروى ابن المغازلي عن ابن عباس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ما علّمني ربّي شيئاً إلاّ علّمته عليّاً فهو باب مدينة علمي» ـ ثمّ دعاه فقال له: «سلمك سلمي، وحربك حربي وأنت العلَم فيما بيني وبين أُمّتي بعدي».

وعن ابن مسعود قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة إبراهيم «واجنبني و بنيّ أن نعبد الأصنام» لمّا قال تعالى له «لا ينال عهدي الظالمين» فانتهت الدعوة إليّ، وإلى عليّ عليه السلام لم يسجد أحدنا لصنم قط. فاتّخذني نبيّاً و اتّخذ عليّاً وصيّاً لي.

«وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلاّ أفرغه في أُذني» جمعه عليه السلام بين المرّ على الرأس، والإفراغ في الأُذن في غاية الفصاحة كما أنّ كلاًّ من المرّ على الرأس والإفراغ في الأُذن كناية حسنة في نفسه كقوله عليه السلام.

«و أفضى به الىّ»: أي أصحره لي: أي في أيّام الثلاثة وغدرهم به وعدم رعايتهم لقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه يوم الغدير، وفي أيّام قيامه، ونكث الناكثين، وقسط القاسطين، ومروق المارقين، وتخاذل الناس له إلى شهادته ومثله أهل بيته المعصومون كانوا يعلمون ما يجري عليهم من أعدائهم أبّاء حياتهم، ولذا كانوا يقولون شيعتنا أصبر منّا لأنّا نصبر على ما نعلم، وهم يصبرون على ما لا يعلمون.

«أيّها الناس إنّي والله ما أحثّكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها ولا أنهاكم عن معصية إلاّ وأتناهى قبلكم عنها» كونه عليه السلام كما قال أمر واضح يصدّقه كلّ مؤالف ومخالف، ولا ينكره إلاّ مكابر، وأما قول عروة بن الزبير ـ وكان من بغضه له عليه السلام أنّه كان يأخذه الرمع عند ذكره عليه السلام فيسبّه ويضرب بيده على الأُخرى ـ «ما يغني على أنّه لم يخالف إلى ما نهى عنه، وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق» فيقال له: إنّما أراق عليه السلام دماء المنافقين بشهادة قوله تعالى «يا أيّها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم»[1] فجاهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الكفّار

(١) التوبة: ٧٣

بشخصه وحاهد المنافقين بنفسه : أى بأميرالمؤمنين عليه السلام لقوله تعالى وأنفسنا ولولاه يلزم أن يكون النبى صلى الله عليه وآله ما امتثل أمره تعالى .

٦٪ ١٨٥ / ٣

وَقَالَ ع: مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ وَلَا ضَلَلْتُ وَلَا ضُلَّ بِي

أقول : قال (حد) قاله مراراً إحديها فى واقعة النهروان .

قلت : إنّما روى من قوله عليه السلام الفقرة الاُولى فى تلك الواقعة كما سترى ، وقد رويت فى تلك مرتين : إحديها فى ذى الثدية ، والاُخرى فى عبور الخوارج الجسر ، وروى جميع العنوان مع إضافة في الجمل ، ورويت الفقرة الاُولى فى إخباره عن تسلّط بنى اُميّة بعده أيضاً .

ففى المروج دسّ معاوية اُناساً إلى الكوفة ويشيعون موته . فاكثر الناس القول فى ذلك حتّى بلغ عليّا عليه السلام فقال فى مجلسه : قد أكثرتم من نعى معاوية والله مامات ولا يموت حتّى يملك ماتحت قدمى ، وإنّما أراد ابن آكلة الاكباد أن يعلم ذلك منّى . فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ما عندى فيه ـ ومرّ عليه السلام فى كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاه من يزيد ومروان و بنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب . فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق . فقام رجل و قال : لقد وصفت اُموراً عظيمه أنّ ذلك كائن قال عليه السلام «والله إنّ ذلك كائن ما كذبت ولا كذبت» فقال آخر متى ذلك ؟ فقال : إذا خضبت هذه من هذه ـ ووضعت إحدى يديه على لحيته والاُخرى على رأسه ـ فقال عليه السلام : لا تبكوا فى وقتكم هذه فستبكون بعدى طويلاً .

«ما كذبت ولا كذبت» فى الطبرى عن أبى مخنف خرج علىّ عليه السلام فى طلب ذى الثدية . فوجده الريان بن صبرة فى حفرة على شاطىء النهر فى أربعين أوخمسين قتيلاً . فلمّا استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه

كثدى المرأة . فلمّا استخرج قال علىّ عليه السلام : الله اكبر ماكذبت ولا كذبت أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل لاخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيكم مستبصراً فى قتالهم عارفاً بالحقّ الّذى نحن عليه .

وروى الخطيب فى أبى قتادة أنّ عليّاً عليه السلام لمّا فرغ من قتال أهل النهروان قفل أبوقتادة ومعه ستّون أوسبعون من الأنصار فبدء بعايشةفقالت له : ماوراءك ؟ فقال لها لمّا تفرقت المحكّمة من عسكر أميرالمؤمنين لحقناهم فقتلناهم . فقالت : ماكان معك من الوفد ؟ قال : بلى ستّون أوسبعون، قالت : أفكلّهم يقول مثل الّذى تقول؟ قال : نعم . قالت : فقصّ علىّ القصّة ـ إلى أن قال ـ :

قال لها أبوقتادة : فأقمنا ندور على القتلى حتّى وقفت على بغلة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلى راكبها . فقال : اقلبوا القتلى وهم فى نهر . فقلبناهم حتّى خرج فى آخرهم رجلاً أسود على كتفه مثل حلمة الثدى . فقال علىّ عليه السلام : الله أكبر ، و الله ماكذبت ولا كذبت كنت مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد قسم فيئاً . فجاء هذا فقال : اعدل يامحمّد فوالله ماعدلت منذ اليوم . فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ثكلتك أمّك و من يعدل إذا لم أعدل . فقال عمر : ألاّ أقتله . فقال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم له : دعه فإنّ له من يقتله .

فقالت عايشة : مايمنعنى مابينى وبين علىّ أن أقول الحقّ سمعت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : تفترق أمّتى على فرقتين تمرق بينهما فرقة محلّقون رؤوسهم محفّون شواربهم أزرهم إلى إنصاف سوقهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقتلهم أحبّهم إلىّ ، وأحبّهم إلى الله تعالى .

قال أبوقتادة : فقلت : يا أمّ المؤمنين فأنت تعلمين هذا فلم كان الذى منك .

قالت : ياأبا قتادة كان أمر الله قدراً مقدوراً ، وللقدر أسباب ـ الخبر-

قلت: الّذى كان من أبى جهل مع النبى صلى الله عليه وآله أيضاً كان قدراً و له أسباب.

ـ وروى الخطيب أيضاً فى ابن عباس عنه قال: خرج علىّ عليه السلام و أنا خلفه فجعل يقول: ويلكم التمسوه ـ يعنى المخدج ـ فالتمسوه فقالوا: لم نجده فعرف ذلك فى وجهه. فقال: ويلكم ضعوا عليهم القصب فجاؤا به. فلمّا رآه خرّ ساجداً.

وروى فى أبى جحيفة عنه قال: قال: علىّ عليه السلام: إنّ فى الحروريّة رجلاً مخدجاً ـ إلى أن قال ـ فالتمسوه فلم يوجد ـ وأنا في من يلتمس ـ فما رأيت علياً عليه السلام جزع جزعاً قط أشدّ من جزعه. فقالوا: ما نجده قال: ويلكم ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال: كذبتم إنّه لفيهم فالتمسوه فالتمسناه فوجدناه فى ساقية ـ الخبر ـ.

وروى فى عبد الله بن خباب أنّه عليه السلام قال: اطلبوا فى القوم رجلاً يده كثدى المرأة فطلبوا ثمّ رجعوا إليه. فقالوا: ما وجدنا. فقال: والله ما كذبت ولا كذبت و أنه لفي القوم ـ قاله ثلاث مرّات ـ يجيئونه فيقولون ما وجدنا. فيقول هذا القول.

وروى العوام بن حوشب عن أبيه عن جده يزيد بن رويم قال: قال على عليه السلام: يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثدية. فلمّا طحن القوم ورام استخراج ذى الثدية أمرنى أن أقطع له أربعة آلاف قصبة، وركب بغلة النبى صلى الله عليه وآله وقال: اطرح على كلّ قتيل منهم قصبة. فلم أزل كذلك، وأنا بين يديه وهو راكب خلفى والناس يتّبعونه حتّى بقيت فى يدى واحدة فنظرت إليه و إذا وجهه أربد و إذا هو يقول «ما كذبت ولا كذبت» فإذا خريرماء عند موضع فقال: فتّش هذا ففتّشته فإذا قتيل قد صار فى الماء، و إذا رجله فى يدى فجذبتها وقلت: هذه رجل إنسان. فنزل عن البغلة مسرعاً فجذب

الرجل الاُخرى ، وجرّرناه حتّى صار على التراب . فإذا هو المخدج . فكبّر علىّ عليه السلام بأعلى صوته ثمّ سجد فكبّر الناس كلّهم .

وفى كامل المبرد قيل لعلى عليه السلام إنّهم يريدون الجسر . فقال لن يبلغوا النطفة ، وجعل الناس يقولون له فى ذلك حتّى كادوا يشكّون ثمّ قالوا : قد رجعوا . فقال : «واللّه ما كذبت ولا كذبت» ـ الخبر ـ .

وعن أبى مخنف قام في الجمل رجل إلى علىّ عليه السلام فقال : أىّ فتنة أعظم من هذه إنّ البدريّة ليمشى بعضها إلى بعضها بالسيف . فقال عليه السلام له «ويحك أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها ، والّذى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحقّ وكرّم وجهه ماكذبت ولا كذبت ، ولا ضللت ، ولاضلّ بى ولا زللت ولا زلّ بى و أنّى لعلى بيّنة من ربّى بيّنها اللّه لرسوله وبيّنها رسوله لى وسادعى يوم القيٰمة ، ولا ذنب لي ولو كان لي ذنب لكفّر عنّى ذنوبى ما أنا فيه من قتالهم» .

هذا وروى المدائنى فى صفينه أنّ علياً عليه السلام خطب بعد النهروان فذكر طرفاً من الملاحم ـ إلى أن قال ـ فقال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه : اشهد أنّه كاذب على اللّه ورسوله . فقال الكوفى : وما يدريك قال : فواللّه ما نزل علىّ عليه السلام عن المنبر حتّى فلج الرجل فحمل إلى منزله له فى شق محمل . فمات من ليلته .

«ولا ضللت ولا ضلّ بى» روى القمى فى تفسير قوله تعالى «ماضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى»[1] .

عن أبى جعفر عليه السلام يعنى ما ضلّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى علىّ ، وما ينطق فيه بالهوى وما كان قال فيه إلاّ بالوحى الّذى أوحى إليه .

(١) النجم : ٣

٣٥ ٧ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَخْوِيفِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ وَبِأَهْضَامِ هٰذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ. قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ. وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ. وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ. حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ. وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ. سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بُجْرًا / وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا

٥٧ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كلم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ / وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ. أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ. لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ. وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ. أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا. وَسَيْفًا قَاطِعًا. وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً

(قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ يُرْوَى بِالْبَاءِ وَالرَّاءِ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ آبِرٌ لِلَّذِي يَأْبِرُ النَّخْلَ أَيْ يُصْلِحُهُ. وَيُرْوَى آثِرٌ وَهُوَ الَّذِي يَأْثِرُ الْحَدِيثَ أَيْ يَرْوِيهِ وَيَحْكِيهِ، وَهُوَ أَصَحُّ الْوُجُوهِ عِنْدِي. كَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ (لَا بَقِيَ مِنْكُمْ مُخْبِرٌ. وَيُرْوَى آبِزٌ بِالزَّايِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ الْوَاثِبُ. وَالْهَالِكُ أَيْضًا يُقَالُ لَهُ آبِزٌ)

أقول : جمعنا بينهما لأنّ الطبرى رواهما كلاماً واحداً مع اختلاف ما فروى عن أبى مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب أنّ علياً عليه السلام أتى أهل النهر . فوقف عليهم «فقال أيتّها العصابة الّتى أخرجها عداوة المراء واللجاجة ، وصدّها عن الحقّ الهوى ، وطمح بها النزق ، وأصبحت فى اللبس ، والخطب العظيم إنّى نذير لكم إن تصبحوا تلفيكم الأُمّة غدا صرعى بأثناء هذا النهر ، وباهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربّكم ، ولا برهان بيّن ألم تعلموا أنى نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إيّاها منكم وهن ومكيدة لكم ونبّأتكم إنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن ، و أنّى أعرف بهم منكم عرفتهم أطفالاً ورجالاً فبئس أهل المكر والغدر ، وأنّكم إن فارقتم رأيى جانبتم الحقّ . فعصيتمونى حتّى إذا أقررت بأن حكّمت . فلمّا فعلت شرطت واستوثقت . فأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحيى القرآن ، و أن يميتا ما أمات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة . فنبذنا أمرهما : و نحن على أمرنا الأوّل . فما الّذى بكم ومن أين أتيتم» ـ قالوا : إنّا حكّمنا فلمّا حكّمنا أثمنا وكنّا بذلك كافرين ، وقد تبنا فان تبت كما تبنا . فنحن منك ومعك و إن أبيت فاعتزلنا . فإنّا منّا بذوك على سواء انّ الله لا يحبّ الخائنين ـ فقال علىّ عليه السلام «أصابكم حاصب ، ولا بقى منكم وأبرأ بعد إيمانى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله أشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين» .

ورواه الزبير بكار في موفقياته أيضاً عن علىّ بن صالح قال : لمّا استوى الصفّان بالنهروان تقدّم أمير المؤمنين علىّ عليه السلام بين الصفّين ثمّ قال أمّا بعد أيتّها العصابة الّتى أخرجتها عادة المراء (والضلالة) (واللجاجة) و صدف بها عن الحقّ إلى الهوى والزيغ ـ الى ـ :

فقال : خطيبهم : أما بعد يا علىّ فإنّا حين حكمنا كان ذلك كفراً منّا

فإن تبت كما تبنا فنحن معك ومنك، وان أبيت فنحن منا بذوك على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين. فقال علي عليه السلام أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وأبر أبعد إيماني بالله وجهادي في سبيل الله، وهجرتي مع رسول الله صلى الله عليه وآله أقرّ بالكفر لقد ضللت إذن، وما أنا من المهتدين، ولكن منيت بمعشر إخفاء الهام سفهاء الأحلام، والله المستعان ثمّ حمل عليهم فهزمهم.

وروى الطبري أيضاً عن أبي مخنف عن أبي سلمة الزهري ابن بنت أنس بن مالك أنّ عليّاً عليه السلام قال لأهل النهر: يا هؤلاء إنّ أنفسكم قد سوّلت فراق هذه الحكومة الّتي أنتم أبدئتموها. وسألتموها وأنا لها كاره وأنبأتكم إنّ القوم سألوكموها مكيدة ووهناً فأبيتم عليّ إباء المخالفين، وعدلتم عنّي عدول النكداء العاصين حتّى صرفت رائي إلى رأيكم وأنتم والله معاشر اخفاء الهام سفهاء الأحلام فلم آت ـ لا أباً لكم ـ حراماً والله ما خبنتكم عن أموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة، ولا دنيت لكم الضراء وان كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً. فاجمع رأي ملاكم أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدواه فتاها وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما، وقد سبق استيثاقنا عليهما في الحكم بالعدل والصدق للحقّ بسوء رأيهما، وجور حكمهما والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ، وأتيا بما لا يعرف فبيّنوا بما ذا تستحلّون قتالنا والخروج من جماعتنا أن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ثمّ تستعرضوا الناس تضربون رقابهم، وتسفكون دماءهم إنّ هذا لهو الخسران المبين، والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها فكيف بالنفس الّتي قتلها عند الله حرام.

هذا، وقال (حد) بعد العنوان الأوّل: روى محمّد بن حبيب قال: خطب علي عليه السلام الخوارج يوم النهر. فقال: نحن أهل بيت النبوّة، وموضع

الرسالة ، ومختلف الملئكة ، وعنصر الرحمة ، ومعدن العلم والحكمةنحن أُفق الحجاز بنا يلحق البطئ ، وإلينا يرجع التائب أيّها القوم آنّى نذير لكم أن تصبحوا صرعى باهضام هذا الوادى ـ إلى آخر الفصل ـ .

قول المصنف «فى تخويف أهل النهروان» فى بلدان الحموىّ النهروان ثلاث نهروانات : الاعلى والأوسط ، والأسفل ، وهى كورة واسعة بين بغداد ، وواسط من الجانب الشرقى حدّها الاعلى متّصل ببغداد ، وفيها عدّة بلاد متّصلة منها اسكاف ، وجرجرايا ، والصافية ، ودير قنّى .

وقال حمزة الاصبهانى : ويقبل من نواحى آذربيجان إلى جانب العراق وادجراء . فيسقى قرى كثيرة ثمّ ينصبّ مابقى منه فى دجلة أسفل المدائن ، ولهذا النهر اسمان سريانى (تاترا) وفارسى (جوروان) فعرب الفارسى . فقيل : نهروان .

وفى بلدان ابن الكلبى «تاترا» ونهروان ابنا جوخى حفرا النهرين فنسبا إليهما .

وفى الطبرى لمّا بعث علىّ عليه السلام أبا موسى لانفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً فاجتمعوا فى منزل عبدالله بن وهب الراسبى . فقال لهم : فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذا البدع المضلّة ، فقال له حرقوص بن زهيران المتاع بهذه الدنيا قليل ، وقال حمزة بن سنان الأسدى : ولّوا أمركم رجلاً منكم فإنّه لابدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفّون بها وترجعون اليها فعرضوها على زيد بن حصين الطائى فأبى وعرضوها على حرقوص بن زهير ، فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسى ، فأبيا ، وعرضوها على عبدالله بن وهب فقال : هاتوها فبايعوه . فقال بشر : نخرج إلى المدائن فننزلها ونأخذ بأبوابها فقال زيد بن حصين : إنّكم ان خرجتم مجتمعين اتبعتم

اخرجوا وحدانا مستخفّين حتّى تنزلوا جسر نهروان . فأما المدائن فبها من يمنعكم واجتمع خوارج البصرة أيضاً فى خمسمأة رجل ، وجعلوا عليهم مسعر بن فدكى التميمي ، وأقبل يعترض الناس ،وعلى مقدّمته الأشرس بن العوف الشيبانى ، وسار حتّى لحق بعبد اللّه بالنهر

قوله عليه السلام «فأنا نذيركم» هكذا في المصرية ،والصواب (فأنا نذير لكم) كما فى (حد) و(ثم) والخطية .

«أن تصبحوا صرعى» : أى هلكى .

«بأثناء هذا النهر» فى الصحاح الثنى واحد أثناء الشىء :أى تضاعيفه تقول «أنفذت كذا ثنى كتابى» أى فى طيه .

«وبأهضام» جمع هضم بالكسر المطمئن من الأرض يقال فى التحذير «الليل واهضام الوادى» أى لعل هناك من لا يؤمن اغتياله .

«هذا الغائط» الأصل فى الغائط المطمئن من الأرض الواسع ، ولمّا كان من أراد قضاء الحاجة أتى الغائط صار (أتى الغائط) كنايةً عن قضاء الحاجة و (الغائط) عن العذرة .

«على غير بيّنة من ربّكم ولا سلطان مبين معكم» فتكونوا خسرتم الدنيا و الآخرة .

«قد طوّحت بكم الدار» : أى توّهت بكم وذهبت بكم ههنا وههنا وفيه رمز إلى عدم إمكان الإستقرار للخوارج بأرض فإنّهم كلّ يوم كانوا بموضع و هو اخبار بالغيب منه عليه السلام فيهم غير اخباره عليه السلام بهلاكتهم .

«واحتبلكم المقدار» : أى جعلكم القدر والقضاء فى حبالته واصطادكم بها .

قال (حد) فى مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال قالت لى عايشة : إنّك من أحبّ ولدى إلىّ . فهل عندك علم من المخدج . فقلت : نعم قتله

علىّ على نهر يقال لأعلاه (تاترا) ولأسفله النهروان بين الخافيق و طرفاء قالت: ابغنى على ذلك بيّنة فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك. فقلت لها: سألتك بصاحب القبر ما الّذى سمعت من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيهم فقالت: سمعته يقول: إنّهم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة، و أقربهم عند اللّه وسيلة.

وفى صفين المدائنى لمّا عرفت عايشة أنّ علياً عليه السلام قتل ذا الثدية قالت لمسروق: لعن اللّه عمرو بن العاص كتب إلىّ أنّه قتله بالإسكندرية إلاّ أنّه ليس بمنعنى ما فى نفسى أن أقول ما سمعته من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه يقول «يقتله خير أُمّتي من بعدى».

«وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة» الّتى طلبها معاوية بتدبير عمرو بن العاص له وقال عليه السلام ـ كما عرفت من رواية الطبرى ـ «وأخبرتكم أن طلب القوم إيّاها منكم وهن ومكيدة، لكم نبّأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنّى أعرف بهم منكم عرفتهم أطفالاً ورجالاً أهل المكر والغدر».

«فأبيتم علىّ إباء المخالفين المنابذين» إنّما قال عليه السلام (المخالفين المنابذين) لأنّهم لم يقنعوا بمجرد المخالفة بل قالوا له عليه السلام: لولم تقبل الحكومة لقتلناك أونأخذك و نعطيك بيد معوية. فنابذوا إليه عليه السلام طاعته يقال: نابذه الحرب: أى كاشفه.

«حتّى صرفت رأيى إلى هواكم» دفعاً لغائلتكم.

«وأنتم معاشر أخفّاء» جمع خفيف.

«الهام»: أى الرؤوس، وخفة الرأس دليل قلة العقل.

«سفهاء الأحلام» والسفيه مقابل الحليم. فإضافة السفهاء إلى الأحلام تفيد أنّ حلمهم سفه.

«ولم آت لكم بجراً» بالضم: أى شراً.

ولا آردت لكم ضرّا» بل نفعاً و خيرا ·

أصابكم حاصب» قال الجزرى : أى عذاب من الله وأصله رميتم بالحصباء من السماء ، وفى الجمهرة «ريح حاصب : تقشر الحصى عن وجه الأرض»·

«ولا بقى منكم آبر» قد عرفت أنّ الطبرى رواه (وابر) وهو الصحيح · فإنّه الانسب · قال الجوهرى : وما بها وابر : أى أحد · قال الشاعر :

فابت إلى الحى الّذين ورا هم جريضا ولم يفلته من الجيش وابر

وفى الجمهرة : ولا يستعمل وابر إلاّ فى النفى ·

هذا وقال (حد) يمكن أن يزداد فى تفسيرات الرضى بأن يقال المراد بقوله (آبر) : أى نمام يفسد ذات البين ، والآبر أيضاً من يبغى القوم من أبرت الكلب إذا أطعمته الأبرة فى الخبز·

قلت : هما إن صحا مفهوماً لم يصحّا مراداً · فإنّه لا معنى لأن يقال : لا بقى منهم نمام أو آبر كلب · فليس كلّما يصحّ مفهوماً يصحّ مراداً ، ولذا فرّق الرضى بين معنيى (الآبز) بالزاى · ففسره بالأوّل ، واقتصر فى الثانى على أنه مجرّد مفهوم ·

وكيف كان فاستجيب دعائه عليه السلام عليهم كما وقع اخباره عليه السلام فيهم قال (حد) روى أبو عبيدة معمر بن المثنى قال : استنطقهم علىّ عليه السلام بقتل عبد الله بن خباب فأقرّوا به · فقال : انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة فتكتبوا كتائب وأقرّت كلّ كتيبة بمثل ما أقرّت به الأخرى من قتل ابن خباب و قالوا : ولنقتلنّك كما قتلناه · فقال : والله لو أقرّ أهل الدنيا كلّهم بقتله هكذا ، وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم ثمّ التفت إلى أصحابه · فقال لهم : شدّوا عليهم فأنا أوّل من شدّ عليهم ، وحمل بذى الفقار حملة منكره ثلاث مرّات كلّ حملة يضرب به حتّى يعرج متنه ثمّ يخرج فيسوّيه بركبته ثمّ يحمل به حتّى أفناهم ·

وروى الطبرى أنه ما لبثوا عبد الله بن وهب وألفين وثمانمأة معه أن

أناموهم ، وروى عن حكيم بن سعد قال : ما هو إن لقينا أهل البصرة . فما لبثناهم . فكأنّما قيل لهم : موتوا فماتوا قبل أن تشتدّ شوكتهم .

وروى عن عون بن أبى جحيفة أنّ علياً عليه السلام لمّا أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه زرعة بن البرج الطائى ، وحرقوص بن زهير السعدى فقالا له : لا حكم إلاّ للّه . فقال علىّ عليه السلام : لا حكم إلاّ للّه

فقال له حرقوص : تب من خطيئتك وارجع عن قضيّتك . واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم .

فقال لهم : علىّ عليه السلام قد اردتكم على ذلك فعصيتمونى ، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً و شرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا وقد قال ـ عزّ وجلّ ـ «وأوفوا بعهد اللّه اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم اللّه عليكم كفيلاً إنّ اللّه يعلم ما تفعلون»[1] .

فقال حرقوص : ذلك ذنب ينبغى أن نتوب منه .

فقال علىّ عليه السلام ما هو ذنب ولكنّه عجز من الرأى و ضعف من الفعل ، وقد تقدّمت إليكم فى ما كان منه ونهيتكم عنه .

فقال له زرعة : أما واللّه لئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب اللّه قاتلتك .

فقال له علىّ عليه السلام : بؤساً لك ما اشقاك كأنّى بك قتيلا تسفى عليك الريح .

قال : وددت أن قد كان ذلك .

فقال له علىّ عليه السلام «لوكنت محقاً كان فى الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا إنّ الشيطان قد استهواكم ـ الخبر ـ .

«أبعد إيمانى باللّه» أوّل من آمن به .

«وجهادى مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم» فى جميع غزواته وليس صلى الله عليه وآله وسلم فى المصرية مع أنه فى الثلاثة .

(١) النحل : ٩١

«أشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين» قال (حد) : قال المبرد فى كامله : ومن شعره عليه السلام الّذى لا اختلاف فيه أنّه قاله انّ الخوارج لمّا ساموه أن يقرّ لهم بالكفر ويتوب حتّى يسيروا معه إلى الشام فقال «ابعد صحبته رسوله صلى الله عليه وآله والتفقه فى الدين أرجع كافراً» ثمّ قال :

يا شاهد اللّه علىّ فاشهد أنّى على دين النبىّ أحمد

من شك فى اللّه فانّى مهتد

وفى كامل المبرد أيضاً أنّ علياً عليه السلام فى أوّل خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدى ـ وقد كان وجّهه وزياد بن النضر مع ابن عباس إليهم ـ فقال له : بأىّ القوم رأيتهم أشدّ أطافة قال ، يزيد بن قيس الارحبى فركب عليه السلام إلى حروراء . فجعل يتخلّلهم حتّى صار إلى مضرب يزيد . فصلّى فيه ركعتين ثمّ خرج فاتّكأ على قوسه ، وأقبل على الناس . فقال : هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة ثمّ كلّمهم وناشدهم . فقالوا : إنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم ، وقد تبنا فتب إلى اللّه كما تبنا بعد ذلك . فقال علىّ عليه السلام أنا أستغفر اللّه من كلّ ذنب . فرجعوا معه وهم ستّة آلف . فلمّا استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ علياً عليه السلام رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً وقالوا : إنّما ينتظران يسمن الكراع ، ويجبى الأموال ثمّ ينهض بنا إلى الشام . فأتى الأشعث علياً عليه السلام فقال : إنّ الناس قد تحدّثوا أنك رأيت الحكومة ضلالاً والاقامة عليها كفراً فقام علىّ عليه السلام فخطب فقال «من زعم انّى رجعت عن الحكومة . فقد كذب ومن رآها ضلالاً فقد ضلّ» فخرجت حينئذٍ الخوارج من المسجد فحكمت .

قلت : العجب من الخوارج يجعلون نصب من يحكم من القرآن ـ لا من نفسه ـ كفراً ولا يجعلون نصب إمام يحكم لهم من نفسه على خلاف حكم اللّه كفراً ، وأغرب أنّهم جعلوا تحكيمه عليه السلام على وفق القرآن ضلالاً ، ولم يجعلوا تحكيم عمر فى ستّة الشورى ضلالاً .

ولمّا خرج حوثرة الأسدى على معاوية فى عام الجماعة بعث معوية إليه جيشاً من أهل الكوفة. فلمّا نظر حوثرة إليهم قال لهم «يا أعداء اللّه أنتم بالأمس تقاتلون معوية لتهدّوا سلطانه، وأنتم اليوم تقاتلون معه لتشدّوا سلطانه» فيقال له: لازم قولكم بصحة إمامة أبي بكر وعمر أن يكون الأمر كذلك فهل سبب إمامتهما إلاّ بيعة جمع كرهاً وطوعاً يوم السقيفة ومعوية فى عام الجماعة صار كذلك، وقد كان كتب إلى الحسن عليه السلام أنّه في ذاك اليوم ـ بمنزلة أبي بكر بعينه بعد النبىّ صلى الله عليه وآله ولعمرى صدق فإن كان أهل الكوفة أعداء اللّه فهم أيضاً أعداء اللّه.

وكذلك القول فى عبد الملك قبل فتحة الكوفة وبعده. فسأل الخوارج جند العراق عن عبد الملك ـ وقد كان فتح الكوفة، ولم يعلموا به ـ فقالوا عدوّ اللّه وأخبروا غداً بفتحه. فسألهم الخوارج عنه. فقالوا: ولىّ اللّه فقالوا لهم: يا أعداء اللّه كيف صار عدوّ اللّه بالأمس ولىّ اللّه اليوم ـ فيقال لهم: هو لازم قولكم أيضاً بإمامة الرجلين، وإنّما أنتم جئتم بالتضاد والتفرقة بين الملزوم واللازم.

وسأل عبيدة بن هلال اليشكرى أبا حرابة التميمى من جند المهلب عن سيرة أئمّتهم صدقاً وحقّاً. فقال: يبيحون الدم الحرام، ويجبون المال من غير حلّه، وينفقونه فى غير وجهه، ويظلمون اليتيم ماله، وينيكون امّه. فقال له عبيدة: أمثل هؤلاء يتّبع؟ فيقال له: أنت تقول بإمامة عمر وهو نصب عثمان الّذى كان نصبه نصب السفيانية والمروانية مع علمه بصدور جميع ذلك مع مناكر أكبر، وكبائر أكثر منه ومنهم.

هذا، ولمّا غلب الحجاج فى دير الجماجم على أهل العراق أخذ يبايع الناس، وكان لا يبايع أحداً إلاّ قال له: اِشهد أنّك كفرت. فإن قال: نعم بايعه، وإلاّ قتله. فأتاه رجل من خثعم كان معتزلاً للناس جميعاً.

فسأله عن حاله . فأخبره باعتزاله . فقال له : أنت متربّص اشهد أنّك كافر . قال بئس الرجل اذن أنا أعبد الله ثمانين سنة ثمّ أشهد على نفسى بالكفر قال : إذن أقتلك قال : وإن قتلتنى فقتله . فلم يبق أحد من أهل العراق والشام إلاّ رحمه .

«فاوبوا شرّ مآب» : أى ارجعوا شرّ مرجع وهو الكفر بعد الإيمان .

«وارجعوا على أثر الاعقاب» «ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً» (١)

«أما إنّكم ستلقون بعدى ذلاًّ شاملاً ، وسيفاً قاطعاً» فى كامل المبرد قال زياد : ألا ينهى كلّ قوم سفهائهم لولا أنّكم أطفأتم هذه النار لقلت أنّكم ارئتموها . فكانت القبائل إذا أحسّت بخارجية فيهم شدّتهم ، وأتت بهم زياداً فكان هذا أحد ما يذكر من تدبير زياد ، وله تدبير آخر اخرجوا معهم إمرأة فظفر زياد بها فقتلها ثمّ عراها . فلم تخرج النساء بعد على زياد ، وكنّ إذا دعين إلى الخروج قلن : لولا التعرية لسار عنا ، وكانت الخوارج أيّام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لأحدهما : كحيلة ، والاُخرى قطام ، فجعل أصحاب ابن عامر يعيرونهم و يصيحون بهم يا أصحاب كحيلة و قطام يعرضون لهم بالفجور ـ .

وبعث عبيد الله بن زياد إلى البلجاء ـ وكانت من مجتهداتهم ـ فأتى بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها فى السوق .

«وأثره يتّخذها الظالمون فيكم سنّة» فى الكامل لما رأى أبو هلال مرداس ـ وكان من قعّدى الخوارج ـ جدّ ابن زياد فى طلب الخوارج عزم على الخروج . فقال لأصحابه : والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين يجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله إنّ الصبر على هذا لعظيم وانّ تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ولكنّا ننتبذ عنهم ، ولا

(١) آل عمران : ١٤٤

نجرّد سيفاً ، ولا نقاتل إلاّ من قاتلناه . فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً منهم حريث بن حجل ، وكهمس بن طلق الصريمى . فلمّا مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الأنصارى ـ وكان له صديقاً ـ فقال له : أين تريد ؟ قال : إن أهرب بدينى ودين أصحابى من أحكام هؤلاء الجورة . فقال له : أعلم بكم أحد قال لا قال : فارجع قال : أوتخاف علىّ مكروهاً قال : نعم وأن يؤتى بك قال : فلا تخف فإنّى لا اجردّ سيفاً ولا أخيف أحداً ، ولا أُقاتل إلاّ من قاتلنى ثمّ مضى حتّى نزل (آسك) ـ بين رامهرمز وأرّجان ـ فمرّ به مال يحمل لابن زياد ، وقد قارب أصحابه الأربعين فحطّ ذلك المال . فأخذ منه عطائه و اعطيات أصحابه وردّ الباقي على الرجل وقال : قولوا لصاحبكم : إنّما قبضنا اعطياتنا ، وروى أنّ رجلاً من أصحاب ابن زياد قال : خرجنا فى جيش نريد خراسان . فمررنا بآسك فإذاً نحن بهم ستّة وثلاثين رجلاً فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا . فقلنا إنّما نريد خراسان . فقال : ابلغوا من لقيكم إنّا لم نخرج لنفسد فى الأرض ، ولا لنروّع أحداً ولكن هرباً من الظلم ، ولسنا نقاتل إلاّ من يقاتلنا ، ولا نأخذ من الفىء إلاّ اعطياتنا ـ ثمّ قال ـ اندب إلينا أحد قلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابي قال : فمتى ترونه يصل إلينا قلنا يوم كذا وكذا . فقال : حسبنا الله ـ وكان ابن زياد وجّه أسلم فى ألفين ، وقد تتامّ أصحاب مرداس ـ فلمّا صار إليهم أسلم صاح به أبو بلال ما الّذى تريد قال إن أردّكم إلى ابن زياد قال : إذن يقتلنا قال : وان قال تشركه فى دمائنا قال : إنّى أدين أنّه محقّ وأنّكم مبطلون . فصاح به حريث بن حجل أهو محقّ وهو يطيع الفجرة ، ويقتل بالظنّة ، ويخصّ بالفىء ، ويجور بالحكم أما علمت أنّه قتل بابن سعلد أربعة برءاء وأنا أحد قتلته ، ولقد وضعت فى بطنه دراهم كانت معه ثمّ حملوا عليه حملة رجل واحد . فانهزم هو و أصحابه من غير قتال . فلمّا ورد على ابن زياد غضب غضباً شديداً ، وقال له : ويلك أتمضى

فى ألفين . فتنهزم لحملة أربعين ـ وكان أسلم يقول : لئن يذمّنى ابن زياد وأنا حيّ أحبّ إلىّ من أن يمدحنى ميّتاً وكان إذا خرج إلى السوق أومرّ بصبيان صاحوا به «أبو بلال وراءك» وربّما صاحوا به : يا معبد خذه حتّى شكا ذلك الى ابن زياد . فأمر الشرط أن يكفّوا الناس عنه . فقال أحد الخوارج في هزيمته :

ألفاً مؤمن فى ما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكنّ الخوارج مؤمنونا

ثمّ ندب لهم ابن زياد عباد بن أخضر فالتقوا فى يوم جمعة ـ و ذكر قتل عباد لهم فى الصلوة بعد إعطائهم الامان ـ وكتب ابن زياد من الكوفة إلى عبيد اللّه بن أبى بكرة خليفته على البصرة يالجدّ فى طلب الخوارج . فكان يأخذهم ويحبسهم فإذا شفع فى أحد كفّله إلى أن يقدم ابن زياد . فلمّا قدم أخذ من فى السجن فقتلهم وطلب الكفلاء . فمن لم يأت بمن كفل له قتله ، و كان ابن أبى بكرة أتى بعروة بن ادية فى من أتى به منهم فاطلقه ، و قال أنا كفيلك . فقال له : ايت بعروة قال . لاأقدر عليه . قال : إذن أقتلك فطلبه ابن أبي بكرة حتّى دلّ عليه فى سرب العلاء المنقرى . فقرء عليه الكاتب فى شرب العلاء فقال للكاتب : صحّفت ودد ت أنّه كان ممّن يشرب . فأتى به فأمر ابن زياد بقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره ـ إلى أن قال ـ :

وكان زياد ولىّ شيبان الاشعرى طلب الخوارج فجدّ فى طلبهم و أخافهم فأتاه ليلة وهو متّكئ ببابه داره رجلان منهم فضرباه بأسيافهم وقتلاه ثمّ أتى زياد برجل من الخوارج . فقال : اقتلوه متّكئاً كما قتل شيبان متّكئا . فصاح الخارجى يا عدلاه ـ يهز به ـ

قول المصنّف قال الشريف هكذا فى المصرية ، وهو زائد لعدم وجوده فى (حد) و (ثمّ) والخطية .

قوله عليه السلام «ولا بقى منكم آبر» يروى بالباء والراء هكذا فى المصرية ، و الصواب (يروى بالراء) كما فى (ثم) والخطية ولكن فى (حد) «يروى على ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون كما ذكرناه آبر بالراء» .

«من قولهم للذى» الخ هكذا فى المصرية ، والصواب «من قولهم آبر للذى» كما فى (ثم) والخطية ، ولكن فى (حد) «من قولهم رجل آبر للذى»

قوله «ويروى آثر وهو الّذى يأثر الحديث : أى يرويه ويحكيه» هكذا فى المصرية ، والصواب (أى يحكيه ويرويه) كما فى (ثم) والخطية ، وكذا (حد) ولكن قبله «ويروى آثر بالثاء بثلاث نقط يراد به الّذى يأثر الحديث» .

قوله «ولا بقى منكم مخبر» هكذا فى المصرية و (حد) والخطية ولكن فى (ثم) «لا بقى منكم من يروى حديثاً»

هذا ، وفى السير لمّا جيء بكتاب زياد إلى معوية فى إلاّ يردّ حجراو أصحابه قال ابن أمّ الحكم لمعاوية (جذاذها جذاذها) فقال معوية (لا تعّن آبرا) فلم يفهم أهل الشام معنى كلامهما . فأتوا النعمان بن بشير . فقال لهم قتل القوم .

١/٥٨/٨ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى حَرْبِ الْخَوَارِجِ وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ قَدْ عَبَرُوا جِسْرَ النَّهْرَوَانِ

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ . وَاللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ . (يَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءَ النَّهْرِ وَهُوَ أَفْصَحُ كِنَايَةٍ عَنِ الْمَاءِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا جَمًّا)

أقول : رواه المبرد فى كامله ، والخطيب فى تاريخ بغداده ، والمسعودى فى مروجه ، والمفيد فى ارشاده ، وابن طاووس فى نجومه و (ثم) فى شرحه .

ففى الاوّل «وقيل لعلىّ عليه السلام : إنّهم يريدون الجسر. فقال ، «لن يبلغوا النطفة» وجعل الناس يقولون له فى ذلك حتّى كادوا يشكّون ثمّ قالوا : قد رجعوا يا أميرالمؤمنين. فقال : «واللّه ماكذبت ولا كذبت» ثمّ خرج إليهم فى أصحابه ، وقال «إنّه واللّه ما يقتل منكم عشرة ، ولا يفلت منهم عشرة» فقتل من اصحابه، تسعة ، وأفلت منهم ثمانية ـ وكان مقدار من أصاب علىّ عليه السلام منهم بالنهروان ألفين وثمانمأة على أصحّ الأقاويل ـ وكان عددهم ستّة آلاف، وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يستر أمره ، ولم يشهد الحرب ، و أنّ رجلاً منهم قتل ثلاثة من أصحابه عليه السلام وقال :

أقتلهم ولا أرى عليّا ولو بدا أوجرته الخطيّا

فخرج إليه علىّ عليه السلام فلمّا خالطه السيف قال : حبّذا الروحة الى الجنّة. فقال عبداللّه بن وهب : ما أدرى إلى الجنّة أم إلى النار؟ فقال رجل : من سعد إنّما حضرت اغتراراً بهذا ، وأراه قد شك. فانخزل بجماعة من أصحابه ، ومال ألف إلى ناحية أبى أيوب الانصارى ـ وكان على ميمنة علىّ عليه السلام ـ و جعل الناس يتسلّلون.

وفى الثانى ـ فى عنوان عبداللّه بن خباب ـ قال أبو الأحوص كنّا مع علىّ عليه السلام يوم النهروان. فجائت الحرورية فكانت من وراء النهر قال «واللّه لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر» ثمّ نزلوا : فقالوا لعلىّ عليه السلام قد نزلوا قال «و اللّه لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر» فأعادوا عليه هذه المقالة ـ ثلاثا ـ كلّ ذلك يقول لهم على مثل قوله الاوّل. فقالت الحرورية بعضهم لبعض يرى على أنّا نخافه. فأجازوا. فقال علىّ عليه السلام لأصحابه «لا تحرّكوهم حتّى يحدثوا حدثا» فذهبوا إلى منزل عبداللّه بن خباب ـ وكان منزله على شاطئ النهر ـ فأخرجوه وقدّموه إلى الماء. فذبحوه كما تذبح الشاة. فسال دمه مثل الشراك ماامذقرّوا خرجوا امّ ولد مفتشقّوا عمّا فى بطنها. فأخبر علىّ عليه السلام بما صنعوا.

فقال علىّ عليه السلام : الله أكبر نادوهم أخرجوا لنا قاتل عبد الله قالوا :كلّنا قتله فناداهم ثلاثاً كلّ ذلك يقولون : هذا القول . فقال علىّ عليه السلام : دونكم القوم فما لبثوا أن قتلوهم . فقال علىّ عليه السلام : اطلبوا فى القوم رجلا يده كثدى المرأة — الخبر — .

وفى الثالث بعث الخوارج إلى علىّ عليه السلام كلّنا قتلة أصحابك ، وكلّنا — مستحلّ لدمائهم وأخبره الرسول — وكان من يهود السواد — إنّ القوم قد عبروا نهر طبرستان في هذا الوقت — وهذا النهر عليه قنطرة يعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان — .

فقال علىّ عليه السلام «والله ما عبروه ولا يقطعونه حتّى نقتلهم بالرميلة دونه» ثمّ تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ويحلف «أنّهم لم يعبروه وأنّ مصارعهم دونه» ثمّ قال «سيروا إلى القوم فوالله لا يفلت منهم إلاّ عشرة ، ولا يقتل منكم عشرة» ثمّ سار عليه السلام فأشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على ما قال لأصحابه . فلمّا أشرف عليهم قال : الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — إلى أن قال —

فأمر عليه السلام بطلب المخدج . فطلبوه . فلم يقدروا عليه . فقام عليه السلام وعليه أثر الحزن لفقد المخدج . فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض . فقال : افرجوا ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه . فقال عليه السلام الله أكبر ما كذبت على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأنّه لناقص اليد ليس فيها عظم طرفها حلمة ثدى المرأة عليها خمس شعرات أو سبع رؤوسها معقفة .

ثمّ قال ايتونى به فنظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدى المرأة عليه شعرات سود إذا مدّت اللحمة امتدت حتّى تحاذى بطن يده الاُخرى ثمّ تترك فتعود إلى منكبه . فثنى رجله ونزل وخرّ لله ساجداً .

وفى الرابع روى أصحاب السيرة فى حديثهم عن جندب بن عبد الله

الازدى قال : شهدت مع علىّ عليه السلام الجمل وصفين لا أشكّ فى قتال من قاتله حتّى نزلت النهروان . فدخلنى شكّ فى قتال القوم وقلت : قرّائنا وخيارنا نقتلهم ، إنّ هذا لأمر عظيم . فخرجت غدوة أمشى ، ومعى أدواة ماء حتّى برزت من الصفوف . فركزت رمحى ووضعت ترسى عليه ، واستترت من الشمس . فانّى لجالس حتّى ورد علىّ علىّ . فقال لى : يا أخا الازد أمعك طهور؟

قلت : نعم فناولته الأدواة . فمضى حتّى لم أره ثمّ أقبل ، وقد تطهّر فجلس فى ظلّ الترس ، واذا فارس يسأل عنه عليه السلام . فقلت : هذا فارس ـ يريدك قال : فاشر إليه فاشرت إليه فجاء فقال له عليه السلام : قد عبر القوم ، وقد تقطعوا النهر فقال «كلاّ ما عبروا» .

فقال الفارس «بلى والله لقد فعلوا» وأنّه لكذلك إذ جاء آخر . فقال له عليه السلام قد عبر القوم قال «كلاّ ماعبروا» . قال : والله ما جئتك حتّى رأيت الرايات فى ذلك الجانب والاثقال قال «والله مافعلوا وأنّه ثمّة لمصرعهم ومهراق دمائهم» ثمّ نهض ونهضت معه .

فقلت : فى نفسى الحمد لله الّذى بصّرنى هذا الرجل ، وعرّفنى أمره هذا أحد رجلين إمّا رجل كذّاب جرى أو على بيّنة من ربّه ، وعهد من نبيّه اللهمّ إنّى اعطيك عهداً تسألنى عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أوّل من يقاتله ، وأوّل من يطعن بالرمح فى عينه ، وإن كان القوم لم يعبروا أن اقيم على المناجزة والقتال فدفعنا إلى الصفوف . فوجدنا الرايات والاثقال كما هى . فأخذ بقفائى ودفعنى ثمّ قال : يا أخا الازد أتبيّن لك الامر قلت : أجل . فقال : شأنك بعدوّك . فقتلت رجلاً ثمّ آخر ثمّ اختلفت أنا ورجل آخر أضربه ويضربنى . فوقعنا جميعاً فاحتملنى أصحابى فافقت وقد فرغ من القوم ـ وهذا حديث مشهور شايع بين نقلة الآثار ـ

قلت : وفى الخبر زيادة دلالة إخباره عليه السلام بشكّ الرجل ـ .

وفي الخامس روينا بأسناد متّصل إلى الأصبغ قال: لمّا رحل عليّ عليه السلام من نهر براثا إلى النهروان، وقد قطع جسرها، وسمّرت سفنها. فنزل وقد سرّح الجيش إلى جسر بوران، ومعه رجل من أصحابه قد شكّ في قتال الخوارج. فإذا رجل يركض. فقال: لمّا بلغ الخوارج نزولك البارحة نهر براثا ولّوا هاربين. فقال له عليّ عليه السلام «أنت رأيتهم حين ولّوا» قال: نعم قال «كذبت ما والله ما عبروا النهروان، ولا يجاوزوا الأثيلات والنخيلات حتّى يقتلهم الله ـ عزّ وجلّ ـ على يدي، عهد معهود وقدر مقدور لا ينجو منهم عشرة ولا يقتل منّا عشرة ـ الخبر ـ.

وفي السادس في الخبر لمّا خرج عليه السلام إلى أصحاب النهر جاءه رجل من أصحابه. فقال له: البشرى إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله أكتافهم. فقال عليه السلام له: الله أنت رأيتهم قد عبروا. فقال: نعم. فقال عليه السلام «والله ما عبروه ولن يعبروه وإنّ مصارعهم دون النطفة والّذي فلق الحبّة وبرء النسمة لن يبلغوا الأثيلات، ولا قصر بوران حتّى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى» ثمّ جائه جماعة من أصحابه، واحداً بعد آخر كلّهم يخبره بما أخبره الأوّل. فركب عليه السلام وسار حتّى انتهى إلى النهر. فوجد القوم بأسرهم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم، وجثوا على الركب: وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل.

وروى أنّ شابّاً من أصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلام بما حكم من أمرهم وسار إلى النهر: والله لأكوننّ قريباً منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان رمحي في عينه أيدّعي علم الغيب. فلمّا وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه وأخبره بما روّى في نفسه وطلب منه أن يغفر له. فقال عليه السلام له «إنّ الله هو الّذي يغفر الذنوب جميعاً فاستغفره».

وفيه أيضاً روى أنّه عليه السلام قال لأبي أيّوب الأنصاري ـ وكان على ميمنته ـ

لمّا بدأت الخوارج بالقتال احملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم عشرة ، ولا يهلك منكم عشرة . فلمّا قتلهم وجدوا المفلت منهم تسعة ، والمقتول من أصحابه ثمانية .

وقال (حد) هذا الخبر من الأخبار الّتى تكاد تكون متواترة لاشتهاره ونقل الناس كافة له ، وهو من معجزاته و اخباره المفصّلة عن الغيوب . فالاخبار المفصّلة عن الغيوب مثل هذا الخبر فانّه لا يحتمل التلبيس لتقييده بالعدد المعيّن فى أصحابه ، وفى الخوارج ، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان ، وذلك أمر إلهى عرفه من جهة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وعرفه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من جهة الله سبحانه ، والقوّة البشرية تقصر عن ادراك مثل هذا ، ولقد كان له من هذا الباب مالم يكن لغيره وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر غلافيه من غلا حتّى نسب إلى أنّ الجوهر الإلهى حلّ في بدنه كما قالت النصارى فى عيسى عليه السلام .

وقد أخبره النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال له «يهلك فيك محبّ غال ومبغض قال» وقال له تارة اُخرى «والّذى نفسى بيده لولا أنّى أشفق أن يقول فيك طوائف من اُمّتي ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة» .

قال : ولمعترض أن يقول : قد يقع الإخبار عن الغيوب من طريق النجوم . فإنّ المنجمين قد اتّفقوا على أنّ شكلاً من أشكال الطالع إذا وقع لمولود اقتضى أن يكون صاحبه متمكّناً من الإخبار عن الغيوب ، وقد يقع الإخبار عن الغيوب لأصحاب زجر الطير والبهائم كما يحكى عن بنى لهب فى الجاهلية . وقد يقع الإخبار عن الغيوب للقافة كما يحكى عن بنى مدلج . أو قد يخبر به أرباب التسخيرات ، وأرباب السحر والطلسمات . وقد يقع الإخبار عن الغيوب لأرباب النفس الناطقة القوية الصافية الّتى تتّصل مادّتها الروحانية على ما

تقوله الفلاسفة . وقد يقع الإخبار عن الغيوب بطريق المنامات الصادقة على ما رآه أكثر الناس ، وقد ورد الشريعة نصاً به .

قال : وقد يقع الإخبار عن الغيوب بأمر صناعى يشبه الطبيعى كما رأيناه عن أبى البيان وابنه ، وقد يقع الإخبار عن الغيوب بواسطة إعلام ذلك انساناً آخر لنفسه بنفس ذلك المخبر ايجاداً أو كالايجاد ، وذلك كما يحكى أبو البركات بن ملكا الطبيب فى كتاب المعتبر قال : والمرأة العمياء الّتى رأيناها ببغداد وتكررت مشاهدتنا لها مدّة مديدة قدرها ما يقارب ثلاثين سنة وهى على ذلك إلى الآن تعرض عليها الخبايا . فتدلّ عليها بأنواعها وأشكالها و مقاديرها وأعدادها قريبها ومألوفها دقيقها ، وجليلها تجيب على أثر السؤال من غير توقف ولا استعانة بشىء من الاشياء إلاّ أنّها كانت تلتمس أن يرى الّذى يسأل عنه أبوها أو تسمعه فى بعض الاوقات دون بعض ، وعند قوم دون قوم . فيتصوّر فى أمرها أنّ الّذى تقوله باشارة من أبيها ، وكان الّذى تقوله يبلغ من الكثرة إلى مايزيد على عشرين كلمة إذا قيل بصريح الكلام الّذى هو الطريق الأخصر وإنّما كان أبوها يقول إذا رآى ما يراه من أشياء كثيرة مختلفة الانواع والاشكال فى مدّة واحدة كلمة واحدة واقصاه كلمتان ، وهي الّتى يكرّرها فى كلّ قول ، و مع كلّ مايسمع ويرى « سلها وسلها تخبرك » أو « قولى له » أو (قولى ياصغيرة).

قال أبو البركات : ولقد عاندته يوماً وحاققته فى أن لا يتكلّم واريته عدّة أشياء فقال : لفظة واحدة فقلت له : « الشرط أملك » فاغتاظ واحتدّ طيشه عن أن يملك نفسه . فباح بخبيئته قال : ومثلك يظنّ أننّى أشرت إلى هذا كلّه بهذه اللفظة فاسمع الآن ثمّ التفت إليها وأخذ يشير باصبعه إلى شىء وهو يقول تلك الكلمة وهى تقول « هذا كذا وهذا كذا » على الاتّصال من غير توقف وهو يقول تلك الكلمة لا زيادة عليها ، وهى لفظة واحدة بلحن واحد ، وهيئة واحدة حتّى ضجرنا ، واشتدّ تعجّبنا ، ورأينا أنّ هذه الإشارة لو كانت تتضمّن

هذه الأشياء لكانت أعجب من كلّ ما تقوله العمياء ،

ومن عجيب ما شاهدناه من أمرها أنّ أباها كان يغلط فى شيء يعتقده على خلاف ما هو به · فتخبر هى عنه على معتقد أبيها كأنّ نفسها نفسه ، و رأيناها تقول مالم يعلم أبوها من خبيئة فى الخبيئة الّتى اطّلع عليها أبوها فكانت تطّلع على ما قد علمه أبوها ، وعلى مالا يعلمه أبوها ، و هذا أعجب و حكاياتها أكثر من أن تعدّ ، وعند كلّ أحد من حديثها ما ليس عند الآخر لأنّها كانت تقول من ذلك على الاتّصال لشخص شخص جواباً بحسب السؤال وما زلت أقول : إنّ من يأتى بعدنا لا يصدّق ما رأيناه منها · فقلت لى اُريد أن تفيدنى العلّة فى معرفة هذه · فقلت لك العلّة الّتى تصلح فى جواب لم فى نسبة المحمول إلى الموضوع يكون الحدّ الأوسط فى القياس ، و هذه فالعلّة الفاعلة الموجبة لذلك فيها هى نفسها بقوّتها و خاصتها · فما الّذى أقوله فى هذا وهل لى أن أجعل ما ليس بعلّة علّة ·

قال (حد) واعلم أنّا لا ننكر أن يكون فى نوع البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب ، ولكن كلّ ذلك مستند إلى البارى سبحانه باقداره ، وتمكينه ، وتهيئة أسبابه · فإن كان المخبر عن الغيوب ممّن يدّعى النبوّة لم يجز أن يكون إلّا بإذن اللّه ، و إن يريد به استدلال المكلّفين على صدق مدّعى النبوّة لأنّه لو كان كاذباً لكان تمكين اللّه تعالى ذلك إضلالاً للمكلّفين ، وكذلك لا يجوز أن يمكّن اللّه سبحانه الكاذب فى ادّعاء النبوّة من الإخبار عن الغيب بطريق السحر وتسخير الكواكب والطلسمات ، ولا بالزجر ، والقيافة ، ولا بغير ذلك لما فيه من استفساد البشر ، و اغوائهم ، وأمّا اذا لم يكن المخبر عن الغيوب مدّعياً للنبوّة نظر فى حاله · فإن كان من الصالحين · نسب ذلك إلى أنّه كرامة أظهرها اللّه تعالى على يده ابانة له وتميزاً من غيره كما فى حق علىّ عليه السلام و إن لم يكن كذلك أمكن أن يكون ساحراً أو كاهناً ·

قلت: ماذكره أخيراً مغالطة. فكما كان اخبار النبيّ صلى الله عليه وآله عن الغيوب تصديق نبوّته كذلك اخبار أميرالمؤمنين عليه السلام عن الغيوب تصديق إمامته من الله تعالى بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله لأنه كان مدّعياً ذلك بالتواتر، وكونه تصديقاً له من فطريات العقول و ضروريا تها.

قول المصنّف: «وقيل له إنّهم عبروا جسر النهروان» قد عرفت من رواية المسعودى أنّه يقال لجسر النهروان قنطرة طبرستان.

قوله عليه السلام «مصارعهم»: أى محل هلاكتهم.

«دون النطفة» قد عرفت من رواية المسعودى أنه عليه السلام قال نقتلهم بالرميلة دونه.

«والله لا يفلت»: أى ينجو.

«منهم عشرة» قدعرفت أنّ المبرّد و(ثم) وابن طاووس رووه كالمصنّف، ولكن المسعودى رواه «منهم إلاّ عشرة» والظاهر وهمه.

«ولا يهلك منكم عشرة» قد عرفت من رواية (ثم) أنّ المخاطب له بذلك أبو أيوب الانصارى الّذى كان على ميمنته عليه السلام ثمّ قد عرفت من رواية المبرّد أنّ المفلت من الخوارج ثمانية، والمقتول من أصحابه عليه السلام تسعة و (ثم) قال بالعكس.

وروى الطبرى عن أبى مخنف أنّ المقتول من أصحابه عليه السلام سبعة، و به قال سبط ابن الجوزى والجزرى ـ وزاد الأخير ـ وكان فى من قتل من أصحابه عليه السلام يزيد بن نويرة الأنصارى، وشهد له النبيّ صلى الله عليه وآله بالجنّة ـ و كان أوّل من قتل ـ.

وفى الطبرى كان أحد الثمانية الّذين انهربوا من الخوارج يوم النهر علىّ بن أبى شمر التيمى، وكان من فرسان العرب ونسّاكهم.

وروى الخطيب فى أبى برزة كون المقتولين من أصحابه عليه السلام تسعة، و

للتشابه الخطى بين سبعة و تسعة حصل الاختلاف، والأصل واحد ، وأمّا قول (ثم) بالثمانية فساقط.

وأما مافى آخر صفين نصر (واُصيب من أصحاب علىّ يوم النهروان أنف وثلاثمأة ـ قال: وذكر جابر عن الشعبى ، وأبى الطفيل ذكروا فى عدّة قتلى صفين والنهروان والنخيلة نحواً ممّا ذكر تميم الناجى) فخبر شاذ مع أنّه لم يعلم كونه من نصر فقبل أوّل خبره (من هنا عبد اللّه بن عقبة) مع أن خبره مختلط. فعدّ زيد بن صوحان العبدى فى عداد أصحاب طلحة والزبير مع أنّه لا ريب فى كونه من أصحابه عليه السلام ، وبالجملة لاعبرة بما هو كذلك.

قول المصنّف «يعنى بالنطفة ماء النهر، وهو أفصح كناية» هكذا فى المصرية ، وسقط منها كلمة (عن الماء) كما فى (ثم) و (حد) والخطية.

«وإن كان كثيراً جمّا» يعنى انّ النطفة تكون كناية عن الماء وإن لم يكن قليلاً كما يوهمه كون أصل النطفة ماء قليلاً.

هذا ،وزاد (حد) فى كلام الرضى «وقد أشرنا إلى ذلك فى ما تقدّم عند مضىّ ما أشبهه» إلاّ أنّه ليس فى (ثم) الّذى نسخته بخط المصنّف، ولا فى الخطّية المصححة نسبة كما ليس فى المصرية ، ولعلّه كان حاشية خلّط بالمتن فى نسخة (حد) وكيف كان فمرّ فى (٤٧) قوله عليه السلام «وقد رأيت أن أقطع هذه النطفة» وقول المصنّف ثمة «ويعنى بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وعجيبها».

٩/ ٣٢٣/ ٣

(وَقَالَ ع وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ): بُؤْساً لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ (فَقِيلَ لَهُ مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ): الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ

وفى ٥٨/ ١ وَلَمَّا قُتِلَ الْخَوَارِجُ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ الْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ (قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ . كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصًا سَلَّابِينَ. (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ) لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ. (يَعْنِي مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ)

أقول : نقلنا الأوّل هنا لأنّ الثانى مربوط به قال المسعودى فى مروجه مرّ علىّ عليه السلام بالخوارج وهم صرعى فقال «لقد صرعكم من غرّكم» قيل و من غرّهم قال «الشيطان وأنفس السوء» فقال أصحابه : قد قطع اللّه دابرهم إلى آخر الدهر. فقال عليه السلام «كلاّ والّذى نفسى بيده أنّهم لفى أصلاب الرجال ، و أرحام النساء لا تخرج خارجة إلاّ خرجت بعدها مثلها حتّى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له : الاسمط يخرج إليه رجل منّا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة.

وروى الأوّل فقط الطبرى. فقال «مرّ علىّ عليه السلام على الخوارج وهم صرعى فقال «بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم» فقالوا : من غرّهم ؟ قال عليه السلام : الشيطان وأنفس أمارة بالسوء غرّتهم بالأمانى ، وزيّنت لهم المعاصى ونبّأتهم أنّهم ظاهرون».

وروى الثانى فقط الخطيب فى حبّة العرنى. فقال : قال حبّة : لمّا فرغنا من النهروان قال رجل : واللّه لا يخرج بعد اليوم حرورى أبداً. فقال عليه السلام مه لا تقل هذا. فوالّذى فلق الحبة وبرء النسمة أنّهم لفى أصلاب الرجال و أرحام النساء ، ولا يزالون يخرجون حتّى يخرج منهم طائفة بين نهرين حتّى

يخرج إليهم رجل من ولدى . فيقتلهم فلا يعودون أبداً .

قول المصنّف: «وقال عليه السلام: وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان» هكذا في المصرية، والصواب (يوم النهر) كما في (حد) و(ثم) والخطية.

وفي الطبري، وطلب عليّ عليه السلام في القتلى من به رمق. فوجد هم أربعمائة رجل فأمر بهم. فدفعوا إلى عشائرهم، وقال: احملوهم معكم. فداووهم فإذا برؤا فوافوا بهم الكوفة، وخذوا ما في عسكرهم من شيء، وأما السلاح والدوابّ وما شهدوا به عليه الحرب. فقسّمه بين المسلمين، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنّه حين قدم ردّه على أهله، ودفن رجال من الناس قتلاهم. فقال عليه السلام حين بلغه ذلك «ارتحلوا أقتلونهم ثمّ تدفنونهم» فارتحل الناس ـ الخ ـ

قلت: وهو دالّ على كفر جميع الخارجين عليه.

قوله عليه السلام «بؤسا لكم» دعاء عليهم لاستحقاقهم ذلك بفعلهم.

«لقد ضركم من غرّكم» حسب استناد فعل المسبب إلى فعل السبب. فالضارّ لهم في الحقيقة هو الغارّ لهم.

«فقيل له: من غرّهم يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام الشيطان المضلّ» «و غركم بالله الغرور[1]».

«والأنفس الأمارة بالسوء» وفي (حد) «والنفس الأمارة بالسوء» وقد عرفت أنّ الطبرىَ نقله «وأنفس أمارة بالسوء» وهو أحسن. فالتنكير أنسب في المقام.

«غرّتهم»: أي الشيطان، وأنفسهم الأمارة.

«بالأمانى» جمع الامنية بمعنى التمنّى قال تعالى حكاية عن المؤمنين للمنافقين يوم القيامة «ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأمانىّ حتّى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور[2]». وأما الأمانى في قوله تعالى «و منهم

(١) الحديد: ١٤

(٢) الحديد: ١٤

أُمّيّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانىّ »[١] فقيل : بمعنى قرائات من «تمنيت الكتاب» قرائة .

«وفسحت لهم» : أى وسعت لهم .

«بالمعاصى» هكذا فى المصرية ، والصواب (فى المعاصى) كما فى (حد) و(ثم) والخطية .

«ووعدتهم الا ظهار» هو نظير حكايته تعالى عن الشيطان مع كفار بدر فى قوله تعالى «و اذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وأنّى جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه[٢] » .

«فاقتحمت بهم النار» : أى أدخلتهم النار ، والاقتحام : الدخول فى مهلك وفى شديد .

«ولمّا قتل الخوارج وقيل له : يا أميرالمومنين هلك القوم بأجمعهم قال عليه السلام » هكذا فى المصرية ومثلها (حد) إلاّ أنّه قال (وقال لمّا) ـ الخ ـ و فى (ثم) (وقال عليه السلام لمّا قيل له يا أميرالمؤمنين هلك القوم بأجمعهم) و هو الصحيح .

«كلاّ واللّه انّهم نطف فى أصلاب الرجال» «يخرج من بين الصلب و الترائب »[٣] .

«وقرارات النساء» مأخوذ من قوله تعالى «ثمّ جعلناه نطفة فى قرار مكين »[٤] .

وفى العقد قال الحجاج لامرأة من الخوارج : لأحصدنّكم حصداً فقالت

(١) البقرة : ٧٨
(٢) الانفال : ٤٨
(٣) الطارق : ٧
(٤) المؤمنون : ١٣

أنت تحصد ، والله يزرع. فأين قدرتك من قدرة الله ؟

«كلّما نجم» : أى ظهر.

«منهم قرن» : أى كبير.

«قطع» فى زمان بنى أُمية وبنى العباس.

وفى المروج ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان من خبر الخوارج شأن مرداس التميمى وعطية الحنفى ، وأبى فديك ، وسودة الشيبانى ، ووقعة ابن الماحوز مع المهلب ، ومقتله ، وخبر عبد ربه ، وأخبار خوارج اليمن كأبى حمزة الأزدى وبيهس الهيصمى ، وذكرنا فى كتابنا المقالات فرقهم من الأباضية ـ وهم سراة عمان من الأزد ـ والحمرية والصفرية وغيرهم ، وذكرنا بلدانهم مثل بلاد سنجار وتلّ اعفر من بلاد ديار ربيعة ، والسن ، والبواريج والحديقة ممّا يلى بلاد الموصل ثمّ من سكن بلاد آذربيجان ، ومن سكن منهم بلاد سجستان ، وجبال هرات وهشتانه ، وبوشنج من بلاد خراسان ، ومن بلاد مكران ـ الخ ـ .

وفى تنبيه الأشراف غلب الضحاك الشيبانى فى أيام مروان الحمار على العراق ، ولم يغلب قبله ، ولا بعده أحد من الخوارج على العراق ، وسار للقاء مروان فى جيوش عظيمة ، ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك فى جمع مواليه ورجاله مؤتماً بالضحاك تابعاً ، وفى ذلك قال بعض شعراء الخوارج مفتخراً :

ألم تر أنّ الله أنزل نصره وصلّت قريش خلف بكر بن وائل

فالتقيا بكفر توثا ، وأقاموا يقتتلون أيّاماً إلى أن قتل الضحاك وخليفته الخيبرى ، وسارت الأباضية من اليمن من قبل عبد الله بن يحيى الكندى الملقّب طالب الحق عليهم أبو حمزة الأزدى ، وبلج بن عقبة . فنزلوا مكّة يوم عرفه فى سنة (١٢٩) ووادعهم عبد الملك بن سليمان بن عبد الملك عامل مكّة إلى إنقضاء الحج ثمّ هرب إلى المدينة . فجهّز عبد الواحد للقاء هم جيشاً أمّر عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فالتقو بقديد فى سنة (١٣٠)

فقتل عبد العزيز فى جمع كثير أكثرهم من قريش ـ فقالت نائحتهم :

ما للزمان ومالیه أفنت قديد رجاليـة

فلا بكين سريـرة ولا بكين علانيـة

ودخلت الخوارج المدينة . فغلبوا عليها ثلاثة أشهر فوجّه مروان إليهم عبد الملك السعدى . فالتقوا بوادى القرى . فقتل بلج ، وأكثر الخوارج ، ونجا أبو حمزة إلى مكّة . فلحقه بها . فقتله ، وسار إلى اليمن . فلقيه عبد اللّه بن يحيى بنواحى صنعاء . فقتل عبد اللّه ، وأكثر من معه ، ولحق بقيّتهم بعد قتل طالب الحق أيّام مروان إلى حضرموت . فأكثرها أباضية إلى هذا الوقت سنة (٣٣٢) .

وفى المروج ، وقد أتى الهيثم بن عدى ، والمدائنى ، وأبو البخترى القاضى وغيرهم على أخبار الخوارج ، وأصنافهم فى ما أفردوه من كتبهم ، وذكرنا فى كتابنا المقالات من خرج منهم من وقت التحكيم فى عصر عصر إلى آخر من خرج منهم بديار ربيعة على بنى حمدان فى سنة (٣١٨) الرجل المعروف بعرون خرج ببلاد كفرتوثى ، وورد إلى نصيبين . فكانت له مع أهلها حرب اسرفيها ، وقتل منهم خلق عظيم . والمعروف بأبى شعيب خرج فى بنى مالك وغيرهم من ربيعة ، وقد كان أدخل على المقتدر . وكان للأباضية بعد (٣٢٠) ببلاد عمان حروب وتحكيم وإمام نصبوه ، وقتل من كان معه .

وفيه وفى سنة (٧٧) كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجى وولّى عنه الحجاج بعد قتل ذريح كان فى أصحابه أحصى عددهم بالقضيب . فدخل الكوفة ، وتحصّن فى دار الأمارة ودخل شبيب وأمّه وزوجته غزالة الكوفة عند الصباح ـ وكانت غزالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة . فتصلّى ركعتين تقرء فيهما سورة البقرة وآل عمران ـ فأتوا الجامع فى سبعين رجلا فصلّوا بها لغداة وخرجت غزالة ممّا أوجبته على نفسها . فقال الناس:

وفت الغزالة نذرها ربّ لا تغفر لها

وكانت الغزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم ، وكذلك أُمّ شبيب ولمّا بلغ عبد الملك تحصين الحجاج في دار الأمارة من شبيب بعث من الشام بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الأبرد الكلبى لقتال شبيب . فخرجوا إلى شبيب فانهزم وقتلت الغزالة وأُمّه ومضى شبيب فى فوارس واتّبعه سفيان فلحقه بالاهواز فولى . فلمّا حصل على جسر دجيل نفربه فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ، ومغفر . فألقاه فى الماء . فقال له بعض أصحابه : اغرقا قال : ذلك تقدير العزيز العليم . فألقاه دجيل ميتاً بشاطئه . فحمل على البريد إلى الحجاج فأمر بشق بطنه . فاستخرج قلبه . فإذا هو كالحجر إذا ضربت بها : نباعنها فشق فاذا فى داخله قلب صغير كالكرة فشقّ فاصيب علقة الدم فى داخله .

«حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلاّبين» قال (حد) : ممن انتهى امره الى ذلك الوليد بن طريف الشيبانى فى أيّام هرون ، وعمرو الخثعمى فى أيّام المتوكّل ، و خرج بعدهما جمع بكرمان ، وجمع بعمان ممن قصده الفساد ذكرهم أبو اسحق الصابى فى كتابه .

قلت : لم أقف على مستند الرضى فى هذه العبارة ، وقد عرفت أنّ المسعودى ، والخطيب رويا العنوان بدون الفقرة ، ونقلا بدلها «حتّى يخرج إليهم رجل من ولدى . فيقتلهم فلا يعودون» والظاهر أصحية هذا ، وأنّ مراده عليه السلام القائم عليه السلام وهم إلى زماننا باقون ، ولا بد من انقراضهم على يد المهدى .

قول المصنّف وقال عليه السلام لا تقتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه ـ يعنى معاوية وأصحابه ـ لم أقف أيضاً على مستنده ، ويبعد أن يكون من كلامه عليه السلام حيث أنّه عليه السلام لو كان قال ذلك لما تصدى شيعته للقتال معهم مع أنّهم كانوا مجدّين فى ذلك ، وفى رأسهم صعصعة بن صوحان ثمّ معقل بن قيس ، وعدى بن حاتم ، و شريك بن

الأعور ثمّ شيعة الكوفة والبصرة.

ففى الطبرى أنّ المستورد الخارجى لمّا أراد الخروج فى سنة (١٤٣) أوسنة (١٤٢) فى أمارة المغيرة على الكوفة قام المغيرة خطيباً. فقال: أيم اللّه لا يخرجون فى حىّ من أحياء العرب فى هذا المصر إلاّ ابدتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم ـ إلى أن قال ـ فبعث المغيرة إلى الرؤساء فقال لهم: ليكفنى كلّ امرئ منهم قومه ـ إلى أن قال ـ فقام صعصعة ـ وذكر خطبته لقومه عبد القيس. الى أن قال: فى ما قال لهم ـ حتّى أهلك اللّه بكم، و بمن كان على مثل هديكم ورأيكم الناكثين يوم الجمل والمارقين يوم النهر ـ وسكت، عن ذكر أهل الشام لأنّه كان حينئذ سلطانهم ـ ولا قوم أعدى للّه ولكم، ولا هل بيت نبيكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة الّذين فارقوا إمامنا، واستحلّوا دمائنا، وشهدوا علينا بالكفر. فإيّاكم أن تؤوهم فى دوركم فانّه ليس ينبغى لحىّ من أحياء العرب أن يكونوا أعدى لهذه المارقة منكم، وقد واللّه ذكر لى أنّ بعضهم فى جانب من الحىّ، وأنا باحث عن ذلك. فإن كان حقّا تقربت إلى اللّه تعالى بدمائهم. فإنّ دمائهم حلال ـ يا معشر عبد القيس إنّ ولاتنا هؤلاء هم أعرف شىء بكم وبرأيكم ـ يعنى تشيعهم ـ فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً. فإنّهم أسرع شىء إليكم وإلى أمثالكم ـ إلى أن قال ـ فقال المغيرة للرؤساء: من ترون ابعث إليهم. فقام إليه عدى بن حاتم. فقال: كلّنا لهم عدى، ولرأيهم مسفّه فأينّا شئت سار إليهم.

فقام معقل بن قيس، وقال له: لا أرى أن تبعث إليهم أحداً من الناس أعدى لهم، ولا أشدّ عليهم منّى فابعثنى إليهم. فإنّى أكفيكهم بإذن اللّه تعالى فقال: اخرج على اسم اللّه، وجهّز معه ثلاثة آلاف رجل وقال المغيرة لقبيصة بن الدمون: الصق لي بشيعة علىّ. فاخرجهم مع معقل فإنّه كان من رؤساء أصحابه. فإذا بعث بشيعته الّذين كانوا يعرفون. فاجتمعوا جميعاً استأنس

بعضهم ببعض ، وتناصحوا ، وهم اشدّ استحلالاً لدماء هذه المارقة ، وأجر ء عليهم من غيرهم ، وقد قاتلوا قبل هذه المرّة ـ إلى أن قال ـ ولم يلبث قبيصة أن أخرج الجيش معه ثلاثة آلاف نقاوة الشيعة وفرسانهم ـ إلى أن قال ـ قال المستورد لأصحابه انّ هذا الخرف معقل بن قيس قد وجّه اليكم وهو من السبائية المفترين الكاذبين ـ إلى أن قال ـ سأل عبد اللّه بن عامر ـ أمير البصرة ـ عن المغيرة كيف صنع فقيل له : انّه نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتل الخوارج مع علىّ ، وكان من أصحابه فبعثه وبعث معه شيعة علىّ لعداوتهم لهم . فقال : أصاب الرأى .

فبعث عبد اللّه بن عامر إلى شريك بن الأعور الحارثى ـ وكان يرى رأى علىّ عليه السلام ـ فقال له اخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل من الناس ثمّ اتبعهم حتّى تخرجهم من أرض البصرة أو تقتله ، وقال له بينه وبينه اخرج إلى أعداء اللّه بمن يستحلّ قتالهم من أهل البصرة ـ فظنّ شريك به أنّه يعنى شيعة علىّ عليه السلام ولكنّه يكره أن يسمّيهم ـ فانتخب شريك الناس وألحّ على فرسان ربيعة الّذين كان رأيهم فى الشيعة ، وتجيبه العظماء منهم ثمّ أنه خرج فيهم مقبلاً إلى المستورد ـ إلى أن قال ـ فأخبر من قدم على المغيرة بالفتح أنّ معقلا والمستورد مشى كلّ واحد منهما إلى صاحبه ، وبيد المستورد الرمح وبيد معقل السيف . فالتقيا فاشرع المستورد الرمح فى صدر معقل حتّى خرج السنان من ظهره . فضربه معقل بالسيف على رأسه حتّى خالط السيف امّ الدماغ فخرّا ميّتين .

وأما استشهاد (حد) للعنوان بأنّ المبرّد فى كامله قال : خرج حوثرة الأسدى ، وحابس الطائى على معاوية فصار إلى موضع أصحاب النخيلة وكان معاوية بالكوفة ، وقد كان الحسن بن علىّ عليه السلام خرج يريد المدينة . فوجّه إليه معاوية ـ وقد تجاوز طريقه ـ يسأله أن يكون المتولّى لمحاربة

الخوارج . فكان جواب الحسن عليه السلام : والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بالقتال منهم، فاعمّ حيث أنّ حوثرة وحابساً لم يكونا ممّن قاتل أمير المؤمنين عليه السلام وإنّما اعتزلاه ، وشكّا فى أمره ، وأرادا بعد قتال معاوية لوضوح بطلانه .

ففى الطبرى رفع علىّ عليه السلام يوم النهروان راية أمان مع أبى أيوب — إلى أن قال — فقال فروة بن نوفل الأشجعى : والله ما أدرى على أىّ شىء نقاتل عليّاً لا أرى إلاّ أن أنصرف حتّى تنقذلى بصيرتى فى قتاله أو اتباعه ، وانصرف فى خمسمأة فارس حتّى نزل البندينجين والدسكرة .

وفيه خرجت الخوارج الّذين اعتزلت أيّام علىّ عليه السلام بشهرزور فى سنة (٤١) على معاوية قال عوانة : قدم معاوية الكوفة قبل أن يبرح الحسن حتّى نزل النخيلة . فقالت الخمسمأة من الحرورية الّتى كانت اعتزلت بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعى قد جاء الآن مالا شك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهد ومفاقبلوا وعليهم فروة حتّى دخلوا الكوفة فأرسل إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام . فكشفوهم . فقال معاوية لأهل الكوفة : لا أمان لكم والله عندى حتّى تكفّوا بوائقكم . فخرجوا إليهم . فقاتلوهم . فقالت الخوارج لهم : ويلكم ما تبغون منّا ، أليس معاوية عدوّنا وعدوّكم دعونا حتّى نقاتله وإن أصبناه كنّا قد كفيناكم عدوّكم وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا قالوا : لا والله حتّى نقاتلكم .

وبالجملة نهيه عليه السلام عن قتال الخوارج بعده عليه السلام بعد اصرار خواص شيعته على قتالهم غير معلوم اللّهمّ إلاّ أن يقال : إنّه بعد صلح إمامهم مع معاوية كان قتالهم لهم جايزاً ، ووجه كلامه عليه السلام مع العامة والكلام فى نفسه صحيح بكون معاوية أولى بالمقاتلة من الخوارج لكون الخوارج طلبوا الحقّ فأخطأوه لكونهم اخفّاء الهام سفهاء الاحلام ، ومعاوية واتباعه طلبوا الباطل . فادركوه .

وقد روى التهذيب فى باب قتال أهل البغى باسناده ، عن السكونى ، عن

جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام لمّا فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أهل النهروان قال: لا يقاتلهم بعدى إلاّ من هم اولى بالحقّ منه.

وعنه عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: ذكرت الحرورية عند علىّ عليه السلام قال: إن خرجوا على إمام عادل أو جماعة. فقاتلوهم، وإن خرجوا على إمام جائر. فلا تقاتلوهم فإنّ لهم فى ذلك مقالاً.

وفى الطبرى ـ بعد ذكر قصة المستورد المتقدّم، وندب المغيرة بن شعبة والى الكوفة من قبل معاوية الناس إليهم، وقيام معقل بن قيس من رؤساء الشيعة للتصدى لحربهم ـ ثمّ قام صعصعة بن صوحان وقال: ابعثنى إليهم أيّها الأمير فأنا والله لدمائهم مستحلّ، وبحملها مستقلّ.

فقال له المغيرة: اجلس فإنّما أنت خطيب ـ فاحفظه ذلك ـ وإنّما قال: ذلك لأنّه بلغه أنّه يعيب عثمان، ويكثر ذكر علىّ عليه السلام ويفضّله ـ وقد كان دعاه فقال: إيّاك أن يبلغنى أنّك تعيب عثمان عند أحد من الناس وإيّاك أن يبلغنى أنّك تظهر شيئاً من فضل علىّ علانية. فانّك لست بذاكر من فضل علىّ شيئاً أجهله بل أنا أعلم بذلك: ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا باظهار عيبه للناس. فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به، ونذكر الشىء الّذى لا نجد بدّاً منه ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية. فإن كنت ذاكرا فضله فاذكر بينك وبين أصحابك، وفى منازلكم سرّاً، وأمّا علانية فى المسجد. فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا فيه فكان يقول له نعم، ثمّ يبلغه انّه قد عاد إلى ما نهاه عنه.

١٠/ ١٧٦/ ١ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللَّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ

مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ : « أَأَمِنُوا فَقَطَنُوا أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا ؟ » فَقَالَ الرَّجُلُ : بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ . أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ ، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ . لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ ، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ . فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى ، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى ، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ

و/ ٤٣ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا هَرَبَ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَكَانَ قَدِ ابْتَاعَ سَبْيَ بَنِي نَاجِيَةَ مِنْ عَامِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَعْتَقَهُمْ ، فَلَمَّا طَالَبَهُ بِالْمَالِ خَاسَ بِهِ وَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ . فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ . فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ . وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ ، وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ

أقول : إنّما نقلنا الثانى هنا مع عدم تضمنه اخباراً منه عليه السلام عن المستقبل لكونه مربوطاً بالأوّل مع أنّه عليه السلام أخبر بعدم رجوع مصقلة كما سترى ، وإن لم يذكر فى العنوان .

والعنوان الأوّل جمع من المصنّف بين كلامه عليه السلام مع الرجل الّذى قال

وكتابه عليه السلام إلى زياد بن خصفة كما ستعرف، والأوّل إلى قوله عليه السلام «مخلّ عنهم» وإنّما جمع لكون كلّ من الكلامين فى أُولئك القوم وزاد فى كتابه الإخبار عنهم بأنّ جمعا منهم يقتلون وجمعاً يأسرون كما ترى، وهو من آيات إمامته عليه السلام أيضا روى العنوان الأوّل الطبرى والثانى هو والمسعودى.

قول المصنّف «وقد أرسل رجلا من أصحابه» الرجل هو فقيم بن عبد اللّه الأزدى.

«يعلم له علم أحوال قوم» هكذا فى المصرية والصواب «يعلم له علم قوم» كما فى (حد) و(ثم) والخطية.

«من جند الكوفة» هم ثلاثمأة رجل من بنى ناجية، ورأسهم الخرّيت بن راشد، وأصلهم من البصرة.

«قد همّوا» هكذا فى المصرية و(حد) ولكن فى الخطية و (ثم) (همّوا)

«باللحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه عليه السلام فلمّا عاد إليه الرجل» ليس فى نسخه (ثم) «إليه الرجل».

«قال له: آمنوا» هكذا فى المصرية و(حد) ولكن فى الخطية و (ثم) (أ آمنوا).

«فقطنوا»: أى أقاموا.

«أم جبنوا فظعنوا»: أى ارتحلوا.

«فقال الرجل» وليس فى (ثم) (الرجل).

«بل ظعنوا يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام بعدا لهم كما بعدت ثمود» قال تعالى «ألا بعداً لثمود»(١) «ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود»(٢).

«أمّا لو اشرعت الأسنّة إليهم» فى الصحاح (اشرعت الرمح قبله) أى

(١) هود: ٦٨

(٢) هود: ٩٥

سددّت قال «وليست بتاركة محرما ولو حفّ بالأسل الشُرّع».

«ووصبّت السيوف» كناية عن تواترها ، والأصل فيه قوله تعالى «فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب»[1].

«على هاماتهم» جمع الهامة بتخفيف الميم : أى الرأس.

«لقد ندموا على ماكان منهم» من فراقه ، والخروج عليه.

«إنّ الشيطان اليوم قد استفلّهم» فى الصحاح : فللت الجيش : هزمته ، والفلّ بالكسر : الأرض الّتى لم تمطر يقال : أفللنا : أى صرنا فى فلّ من الأرض ـ الخ ـ ولا مناسبة لواحد منهما وإن اختار (حد) الثانى و (ثم) الأول ويحتمل أن يكون مصحّف استفالهم يقال رجل : فال : أى ضعيف الرأى مخطىء الفراسة ، وبدّلته رواية الطبرى بقوله (قد استهواهم واضلّهم) وقال (حد) و يروى (من استفزّهم) : أى استخفّهم.

«وهو غداً متبرّئ منهم» «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمّا كفر قال إنّى برئ منك»[2] «و إذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس و إنّى جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّى برئ منكم إنّى أرى مالا ترون»[3].

«ومتخلّ عنهم» هكذا فى المصرية ، والصواب (ومخلّ عنهم) كما فى (حد) و(ثم) والخطية.

وفى الطبرى قال عبد الله بن فقيم : كان الخريت بن راشد مع ثلاثمأة رجل من بنى ناجية مقيمين مع علىّ عليه السلام بالكوفة قدموا معه من البصرة ـ و كانوا قد خرجوا إليه يوم الجمل ، وشهدوا معه صفّين والنهروان ـ فجاء فى

(١) الفجر : ١٣
(٢) الحشر : ١٦
(٣) الانفال : ٤٨

ثلاثين راكباً من أصحابه يسير بينهم إلى علىّ عليه السلام حتّى قام بين يديه فقال له «والله لا اطيع أمرك، ولا أصلّى خلفك، وأنّي غداً لمفارقك ـ وذلك بعد تحكيم الحكمين ـ فقال له علىّ عليه السلام «ثكلتك أمّك إذن تعصى ربّك، وتنكث عهدك، ولا تضرّ إلاّ نفسك خبّرنى لم تفعل ذلك قال: لأنك حكّمت فى الكتاب، وضعفت عن الحق إذ جدّ الجدّ، وركنت إلى القوم الّذين ظلموا أنفسهم فإنّا عليك زار وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مباين. فقال له علىّ عليه السلام «هلم ادارسك الكتاب واناظرك فى السنن، وافاتحك اموراً من الحق أنا أعلم بها منك. فلعلّك تعرف ما أنت له منكر الآن، وتستبصر ما أنت عنه الآن جاهل» قال: فانّى عائد إليك قال «لا يستهوينك الشيطان، ولا يستخفّنك الجهل، ووالله لئن استرشدتنى واستنصحتنى، وقبلت منّى لأهدينّك سبيل الرشاد» فخرج من عنده ـ إلى أن قال ـ قال عليه السلام لى «دعه فان عرف الحقّ وأقبل إليه عرفنا ذلك، وقبلنا منه، وان أبى طلبناه. فقلت ولم لا تأخذه الآن وتستوثق منه وتحبسه. فقال: انّا لو فعلنا ذلك بكلّ من نتّهمه من الناس ملأنا سجننا منهم ولا أرى الحبس والعقوبة حتّى يظهروا لنا الخلاف ـ إلى أن قال ـ مسرّا اذهب الى منزل الرجل. فاعلمنى ما فعل فانّه كلّ يوم لم يكن يأتينى فيه إلاّ قبل هذه الساعة. فأتيت إلى منزله فاذاً ليس منهم ديار فدعوت على أبواب دور اخرى كان فيها طائفة من أصحابه فإذاً ليس فيها داع، ولا مجيب. فرجعت. فقال لى حين رآنى «وطنوا فآمنوا أم جبنوا فظعنوا» فقلت: بل ظعنوا واعلنوا فقال «قد فعلوها بعداً لهم كما بعدت ثمود أمّا لوقد أشرعت لهم الأسنة، وصبّت على هامهم السيوف لقد ندموا أنّ الشيطان اليوم قد استهواهم، وأضلّهم، وهو غداً متبرّئ منهم، ومخلّ عنهم» فقام إليه زياد بن خصفه. فقال: إنّه لو لم يكن من

مضرّة هؤلاء إلاّ فراقهم إيّانا لم يعظم فقدهم. فناسى فإنّهم قلّما يزيدون فى عددنا لوأقاموا معنا، وقلّما ينقصون من عددنا بخروجهم عنّا، ولكنّا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممّن يقدمون عليه من أهل طاعتك فأذن فى اتّباعهم حتّى اردّهم إليك ـ إلى أن قال ـ قال عليه السلام: وسأكتب إلى عمّا لى فيهم فكتب نسخة واحدة. فأخرجها إلى العمّال «أمّا بعد فإنّ رجالاً خرجوا هرّابا ونظنّهم وجّهوا نحو بلاد البصرة فسل عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون فى كلّ ناحية من أرضك واكتب إلىّ بما ينتهى إليك عنهم.

وعن عبد اللّه بن وال التيمى قال: واللّه إنّى لعند أمير المؤمنين عليه السلام إذ جائه فيج بيده كتاب من قبل قرظة بن كعب الأنصارى أنّ خيلاً مرّت بنا من قبل الكوفة متوجّهة نحو نفر، وأنّ رجلاً من دهاقين أسفل الفرات يقال له: زاذان فروخ أقبل من قبل أخواله. فعرضوا له فقالوا: أمسلم أنت أم كافر؟ فقال: بل مسلم قالوا: فما قولك فى علىّ قال: أمير المؤمنين، وسيّد البشر. فقالوا له: كفرت ثمّ حملت عليه عصابة منهم فقطّعوه، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمّة. فقالوا: ما أنت؟ قال: من أهل الذمّة. قالوا: أمّا هذا فلا سبيل عليه. فكتب عليه السلام إليه «أمّا بعد فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة الّتى مرّت بك فقتلت البرّ المسلم، وأمن عندهم المخالف الكافر إنّ اُولئك قوم استهواهم الشيطان. فضلّوا وكانوا كالّذين حسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصمّوا فاسمع وابصر يوم يختبر أعمالهم».

«فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتداسهم فى الضلال والعمى» فى الصحاح (واللّه اركسهم بما كسبوا) أى ردّهم إلى كفرهم وارتكس فلان فى أمر كان قد نجا منه.

«وصدّهم عن الحقّ وجماحهم»: أى اسراعهم من قوله تعالى «لولوّا إليه وهم يجمحون».

«فى التيه» فى الصحاح: تاه فى الأرض: أى ذهب متحيّراً، والتيه: المفازة يتاه فيها.

فى الطبرى عن أبى سعيد العقيلى قال: كتب علىّ عليه السلام إلى زياد بن خصفة أمّا بعد فقد بلغنى كتابك، وفهمت ما ذكرت من الناجى واخوانه الّذين طبع اللّه على قلوبهم، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فهم يعمهون ويحسبون أنّهم يحسنون صنعا، ووصفت ما بلغ بك وبهم الأمر. فأمّا أنت وأصحابك فللّه، سعيكم، وعلى اللّه تعالى جزاؤكم. فابشر بثواب من اللّه خير من الدنيا الّتى يقتل الجهّال أنفسهم عليها. فإنّ ما عندكم ينفد، وما عند اللّه باق ولنجزينّ الّذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، وأمّا عدوّكم الّذين لقيتموهم فحسبهم بخروجهم من الهدى إلى الضلال وارتكاسهم فيه، وردّهم الحقّ، ولجاجهم فى الفتنة فذرهم وما يفترون ودعهم فى طغيانهم يعمهون. فتسمع وتبصر كأنّك بهم عن قليل بين أسير وقتيل.

وفيه لمّا بلغ عليّاً عليه السلام مصاب بنى ناجية، وقتل صاحبهم قال «هوت أمه ما كان أنقص عقله، وأجرأه على ربّه فإنّه جائنى مرّة. فقال لي فى أصحابك رجال قد حسبت أن يفارقوك فما ترى فيهم. فقلت له: إنّى لا أحدّ على التهمة، ولا أعاقب على الظنّ ولا أقاتل الأمن قاتلني وناصبني، وأظهر لي العداوة ولست مقاتله حتّى ادعوه، واعذر إليه. فإن تاب ورجع إلينا قبلنا منه وهو أخونا وإن أبى إلاّ الاعتزام على حربنا استعنّا عليه اللّه وناجزناه. فكفّ عنّى ما شاء اللّه ثمّ جائنى مرّة اُخرى. فقال لى: قد حسبت أن يفسد عليك عبد اللّه بن وهب الراسبى، وزيد بن حصين أنّى سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتها لم تفارقهما حتّى تقتلهما أو توثقهما. فلا يفارقاك من حبك ابدا فقلت: إنّى مستشيرك فيهما فما ذا تأمرنى قال: آمرك أن تدعوبهما فتضرب رقابهما. فعلمت أنه لا ورع ولا عاقل.

وفيه كتب علىّ عليه السلام إلى معقل بن قيس ـ بعد ذكر قتله سبعين من ناجية، و ثلثمأة من العلوج من أصحاب الخرّيت فى جبال رامهرمز، وفرار الخرّيت إلى أسياف البحر.

أمّا بعد فالحمد للّه على تأييد أوليائه، وخذلان أعدائه ـ جزاك اللّه والمسلمين خيراً ـ فقد أحسنتم البلاء، وقضيتم ماعليكم، وسل عن أخى بنى ناجية. فان بلغك أنّه قد استقرّ ببلد من البلدان فسر إليه حتّى تقتله أو تنفيه فإنّه لن يزال للمسلمين عدوّاً وللقاسطين وليّاً ما بقى.

وفيه قرء معقل كتاباً من علىّ عليه السلام عليهم (من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من يقرء عليه كتابى هذا من المؤمنين، والمسلمين، والنصارى والمرتدين سلام على من اتّبع الهدى، وآمن باللّه ورسوله، وكتابه والبعث بعد الموت، و أوفى بعهد اللّه، ولم يكن من الخائنين.

أمّا بعد فإنّى ادعوكم إلى كتاب اللّه، وسنّة نبيّه، والعمل بالحق، وبما أمر اللّه في الكتاب. فمن رجع إلى أهله منكم، وكفّ يده واعتزل هذا الهالك المحارب الّذى جاء يحارب اللّه ورسوله والمسلمين، وسعى في الأرض فساداً، فله الأمان على ماله ودمه، ومن تابعه على حربنا، والخروج من طاعتنا استعنّا باللّه عليه، وجعلنا اللّه بيننا وبينه، وكفى باللّه نصيراً».

قال: وأخرج معقل راية أمان. فنصبها وقال: من أتاها من الناس. فهو آمن إلاّ الخرّيت وأصحابه الّذين حاربونا و بدأونا أوّل مرّة. فتفرّق عن الخرّيت جلّ من كان معه من غير قومه، وعبّى معقل أصحابه فجعل على ميمنته يزيد بن المغفل الأزدى، وعلى ميسرته المنجاب بن راشد الضبى. ثمّ زحف بهم نحو الخرّيت وحضر معه قومه مسلموهم ونصاراهم، ومانع الصدقة منهم، و بعث معقل إلى الميمنة والميسرة إذا حملت فاحملوا بأجمعكم. فحرّك رايته، وهزّها ثمّ حمل أصحابه وبصر النعمان بن صهبان الراسبى بالخرّيت.

فحمل عليه فطعنه فصرعه عن دابته . ثمّ نزل وقد جرحه فاثخنه فاختلفا ضربتين فقتله النعمان ، وقتل معه فى المعركة سبعون وما بقى ذهبوا يميناً وشمالاً ، و بعث معقل الخيل إلى رجالهم . فسبى من أدرك منهم . فسبى رجالاً كثيراً و نساء وصبياناً . فمن كان منهم مسلماً خلاّه وأخذ بيعته وترك له عياله ، ومن ارتد عرض عليه الاسلام فرجع خلّى سبيله وسبيل عياله .

قوله عليه السلام فى كتابه إلى زياد بن خصفة بعد ما مرّ من المصنّف (كأنك بهم عن قليل بن أسير وقتيل) قد عرفت أنه من اخباره عن المستقبل الّذى لا يعلم بالحدس والتخمين بل من تعليم ربّ العالمين .

هذا ، ومن أحسن ما أُنشئ فى قتل العدو ، وأسره قول إبراهيم بن العبّاس ، وقسم اللّه عدوّه أقساماً ثلاثة : روحاً معجّلة إلى عذاب اللّه ، ورأساً منقولة إلى دار خلافة اللّه ، استنزلوه من معقل إلى عقال ، وبدّلوه آجالاً ، وقد يماً غذت العصبيته أبناءها ـ فحلبت عليهم درّها مرضعة . و ركبت بهم مخاطرها موضعة ، حتّى إذا وثقوا فآمنوا ، وركبوا فاطمأنّوا ، وامتدّ رضاع ، و آن فطام . فجرت مكان لبنها دما ، واعقبتهم من حلو غذاءها مرّاء ، ونقلتهم من عزّ الى ذلّ ، ومن فرحة إلى ترحة ، ومن مسرّة إلى حسرة . قتلاً وأسراً ، وغلبة و قسراً ، وقلّ من أوضع فى الفتنة مرهجا . واقتحم لهبها مؤجّجا . إلاّ استلحمته أخذه بمخنقة ، وموهنة بالحق كيده حتّى جعلته لعاجله جزراً ، ولآجله حطباً ، وللحق موعظة ، وعن الباطل مزجرة ، أُولئك لهم خزى فى الدنيا ، ولعذاب الآخرة اشدّ وما اللّه بظلاّم للعبيد .

«قول المصنّف : ومن كلام له عليه السلام لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشيبانى إلى معاوية» وكما أخبر عليه السلام بأنّ بنى ناجية الّذين خرجوا مع الخرّيت يؤول أمرهم إلى قتل وأسر ، وصار كما قال عليه السلام . استأذنه عليه السلام قوم مصقلة الكتاب إليه برجوعه . فأذن لهم وأخبرهم أنه لا يرجع حتّى يموت . فصار كما قال عليه السلام

ففى خلفاء ابن قتيبة ذكروا أنّه قام إلى علىّ عليه السلام وجوه بكربن وائل فقالوا: إنّ نعيماً أخا مصقلة يستحيى منك بما صنع مصقلة ، وقد أتانا اليقين أنّه لا يمنع مصقلة من الرجوع إليك إلاّ الحياء ، ولم يبسط منذ فارقنا لسانه ، ولا يده . فلو كتبنا إليه كتاباً ، وبعثنا من قبلنا . فانّا نستحيى أن يكون فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق إلى معاوية . فقال علىّ عليه السلام : اكتبوا فكتبوا أما بعد فقد علمنا أنّك لم تلحق بمعاوية رضى بدينه ، ولا رغبة فى دنياه ، ولم يعطفك عن علىّ عليه السلام طعن فيه ، ولا رغبة عنه ، ولكن توسطت أمراً . فقويت فيه الظن ، و أضعفت فيه الرجاء . فكان أولاهما عندك إن قلت أفوز بالمال ، والحق بمعاوية ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق ، ولا السكاسك بربيعة ، ولا معاوية بعلىّ عليه السلام ، ولا اصبت دنيا تهنأ بها ، ولا حظّاً تحسد عليه ، وإنّ أقرب ما يكون مع اللّه أبعد ما يكون مع معاوية . فارجع إلى مصرك . فقد اغتفر لك أمير المؤمنين عليه السلام الذنب ، واحتمل الثقل .

واعلم إنّ رجعتك اليوم خير منها غداً ، وكانت أمس خيراً منها اليوم ، و إن كان عليك حياء من الرجوع إلى الحقّ . فما أنت فيه أعظم فقبّح اللّه أمراً ليس فيه دنيا ولا آخرة .

فكتب مصقلة إليهم جاءنى كتابكم و أنّى أخبركم أنّ من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير ، وقد علمتم الأمر الّذى قطعنى من علىّ ، وأضافنى إلى معاوية ، وقد علمت أنى لو رجعت إلى علىّ و إليكم لكان ذنبى مغفوراً ، ولكنّى أذنبت إلى معاوية . فلو رجعت إلى علىّ أحدثت عيبا وأحييت عاراً ، وكنت بين لائمين : أوّلهما خيانة ، وآخرهما غدر ، ولكنّى أقيم بالشام . فان غلب معاوية فدارى العراق ، و إن غلب علىّ فدارى أرض الروم . فأمّا الهوى فإليكم طائر ، و كانت فرقتى علياً على بعض العذر أحبّ إلىّ من فرقتى معاوية ولا عذر لى ، فرجع الرسول بالكتاب . فاقرأه علياً . فقال : كفّوا عن صاحبكم فليس براجع حتّى يموت .

وفى بلـــدان البلادرى ولّى معاوية مصقلة طبرستان وجميع أهلها حرب وضمّ إليه عشرة آلاف ـ ويقال عشرين ألفاً ـ فكاده العدو واروه الهيبة له حتّى توغّل بمن معه فى البلاد . فلمّا جاوزوا المضايق أخذها العدوّ عليهم ، و هدّوا الصخور من الجبال على رؤوسهم . فهلك ذلك الجيش أجمع ، و هلك مصقلة فضرب به المثل فقالوا «حتّى يرجع مصقلة من طبرستان» .

«وكان قد ابتاع سبى بنى ناجية» فى الاغانى وناجية اُمّهم بنت جرم بن أبان وهو علاف ، وهو أوّل من اتّخذ الرحال العلافية . فنسبت إليه ، واسمها ليلى سميت ناجية لأنّها سارت فى مفازة معه . فعطشت فاستسقته . فقال لها : الماء بين يديك وهو يريها السراب حتّى جائت الماء . فشربت وسمّيت ناجية .

وفى جزئه التاسع فى علىّ بن الجهم الناجى يدّعون أنّهم من سامة بن لوى بن غالب ، وتدفعهم قريش عن ذلك ، وتسمّيهم بنى ناجية ـ ينسبون إلى اُمّهم ناجية إمرأة سامة بن لوى ـ وكان سامة فى ما يقال خرج إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لوى فى مماظّة كانت بينهما . فطأطأت ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب . فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قتبها فحكّته به . فدبّ الأفعى على القتب حتّى نهش ساق سامه . فقتله وكانت معه امرأته ناجية . فتزوّجت رجلاً من أهل البحرين . فولدت منه الحرث ، ومات أبوه ، وهو صغير . فلمّا ترعرع طمعت اُمّه فى أن تلحقه بقريش . فأخبرته أنه ابن سامة بن لوى . فرحل من البحرين إلى كعب بن لوى ، وأخبره أنّه ابن أخيه سامة بن لوى . فعرف كعب اُمّه ، وظنّه صادقاً فى دعواه ، ومكث عنده مدّة حتّى قدم مكّة ركب من أهل البحرين فرأوا الحرث . فسلّموا عليه ، وحادثوه ساعة فقال لهم كعب : من أين تعرفونه؟ قالوا له : هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان ـ وشرحوا له خبره ـ فنفاه كعب ونفى اُمّه . فرجعا إلى البحرين فكانا هناك ، وتزوّج الحرث وأعقب ، وعن النبىّ ﷺ عمّى سامة لم يعقب .

ثمّ نقل عن ابن الكلبى كون الحرث ابن سامة ، وأنّ ناجية لم تكن أُمّه بل أُمّ أخيه غالب ، وأنّ الحرث خلف عليها بعد أبيه سامة ، و هلك ولم يعقب ـ قال ومثله الهيثم بن عدى ـ وإنّما بنو ناجية انتموا إلى الحرث بن سامة باطلاً .

وفى أنساب البلادرى عن هشام بن محمّد الكلبى عن أبيه عن عدّة عن علىّ عليه السلام قال سامة حق أما العقب فليس له ، وقال قوم : كان لناجية ولد من غير سامة ، وكان سامة متبنّيا له . فنسب إليه . فالعقب لذلك الولد .

وقال (حد) وفى الأغانى فى مروان بن أبى حفصة (خطب علىّ بن الجهم امرأة من قريش . فلم يزوّجوه ، وبلغ المتوكّل ذلك . فسأل عن السبب فحدّث بقصّة بنى سامة بن لوى ، وأنّ أبا بكر وعمر لم يدخلاهم فى قريش ، و أنّ عثمان أدخلهم فيها ، وأنّ علياً عليه السلام أخرجهم منها . فارتدوا ، و أنّه قتل من ارتدّ منهم ، وسبى بقيتهم . فباعهم من مصقلة . فضحك المتوكّل ، وبعث إلى علىّ بن الجهم . فأحضره ، وأخبره بما قال القوم ، وكان فيهم مروان بن أبى حفصة ـ ، وكان المتوكّل يغريه بعلى بن الجهم وهجائه ـ فقال :

ان جهماً حين تنسبه ... ليس من عجم ولا عرب
لجّ فى شتمى بلا سبب ... سارق للشعر و النسب
من أُناس يدّعون أبا ... ماله فى الناس من عقب

فغضب علىّ بن الجهم ، ولم يجبه . فاومئ إليه المتوكّل أن يزيده فقال :

أنتم يا ابن جهم من قريش ... وقد باعوكم ممّن يزيد
أترجو أن تكاثرنا جهاراً ... بأصلكم وقد بيع الجدود

ولمّا أخذ بنوناجية يوم الجمل بخطام جمل عايشة قالت لهم : صبراً فإنّى أعرف فيكم شمائل قريش .

وفى مروج المسعودى أبى كثير من الناس كون بنى ناجية من ولد سامة

وقالوا : إنّ سامة ما أعقب قال علىّ بن محمّد بن جعفر العلوى فى من انتمى إلى سامة بن لوى :

فسامة منّا و أمّا بنوه فأمرهم عندنا مظلم
أناس أتونا بأنسابهم خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصى و كلّ اقاويله محكم
إذا ما سئلت فلم تدر ما تقول — فقل ربّنا أعلم

ولست ترى أحداً منهم إلاّ منحرفا عن علىّ عليه السلام وبلغ من انحراف علىّ بن الجهم الناجى أنه كان يلعن أباه . فسئل عن ذلك . فقال بتسميته إيّاى علياً .

وفى الأغانى سمع أبو العيناء علىّ بن الجهم يوماً يطعن على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أنا أدرى : لم تطعن عليه . فقال له : أتعنى قصّة بيعة أهلى من مصقلة قال : لا أنت أوضع من ذلك ، ولكن لأنّه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به وأنت أسفلهما . وفيه يقول البحترى :

إذا ما حصلت عليا قريش فلا فى العيرانت ولا النفير
ولو أعطاك ربّك ما تمنى لزاد الخلق فى عظم الايور
علام هجوت مجتهدا علياً بما لفقت من كذب و زور
أمالك فى استك الوجعاء شغل يكفّك عن أذى أهل القبور

وادخلهم الزبير بن بكار فى قريش لمخالفة فعل أمير المؤمنين عليه السلام لاجماعهم على بغضه حسب المشهور من مذهب الزبير ـ الخ ـ .

قلت : وسبقه فى ذلك عمّه مصعب الزبيرى ، ولا بد أنّهما قلّدا خالة جدّهما عايشة باشتراك بغضهم له عليه السلام مثل بنى ناجية قال مصعب فى نسب قريشه عبد البيت بن الحارث بن سامة هم الّذين قتلهم علىّ ، وكان رئيسهم الخرّيت .

هذا وفى البيان مرّ ابن أبى علقمة الموسوس بمجلس بنى ناجية فكبا حماره لوجهه . فضحكوا منه . فقال : مايضحككم رأى وجوه قريش فسحد .

«من عامل أميرالمؤمنين عليه السلام» يعنى أمير جنده معقل بن قيس و إلاّ فمصقلة كان عامله عليه السلام على أردشير خره .

ففى الطبرى أقبل معقل ببنى ناجية حتّى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيبانى — وهو عامل علىّ عليه السلام على أردشير خره — وهم خمسمأة انسان . فبكى النساء والصبيان ، وصاح الرجال يا أباالفضل ياحامى الرجال و فكّاك العناة امنن علينا فاشترنا . فقال مصقلة : اقسم باللّه لاتصدقنّ عليهم إنّ اللّه يجزى المتصدّقين . فبلغها عنه معقل . فقال : واللّه لوأعلم أنه قالهتوجعاً لهم وازراء عليكم لضربت عنقه ، ولو كان فى ذلك تفانى تميم وبكربن وائل .

ثمّ إنّ مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذهلى إلى معقل . فقال له : بعنى بنى ناجية . فقال : نعم أبيعهم بألف ألف ودفعهم إليه ، وقال له : عجل بالمال إلى أميرالمؤمنين عليه السلام . فقال : أنا باعث الآن بصدر ثمّ ابعث بصدر ، آخر كذلك حتّى لا يبقى منه شىء : وأقبل معقل إلى علىّ عليه السلام وأخبره بماكان منه فى ذلك . فقال له : أحسنت ، وأصبت ، وانتظر على مصقلة أن يبعث إليه بالمال ، وبلغ عليّا عليه السلام أنّ مصقلة خلّى سبيل الاُسارى ، ولم يسألهم أن يعينوه فى فكاك أنفسهم بشىء . فقال عليه السلام «ماأظن مصقلة إلاّ قد تحمّل حمالة إلاّ أراكم سترونه عن قريب ملبّدا» .

ثمّ إنّه عليه السلام كتب إليه «أما بعد فإنّ من أعظم الخيانة خيانة الاُمّة ، و أعظم الغشّ على أهل المصر غشّ الإمام ، وعندك من حقّ المسلمين خمسمأة ألف . فابعث بها إلىّ ساعة يأتيك رسولى ، و إلاّ فأقبل حين تنظر فى كتابى فإنّى قد تقدّمت إلى رسولى إليك لا يدعك أن تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلاّ أن تبعث بالمال» — وكان الرسول أبا جرّة الحنفى — .

فقال له أبوجرّة : ابعث بالمال الساعة ، وإلاّ فاشخص إلى أميرالمؤمنين فلمّا قرء كتابه أقبل حتّى نزل البصرة ـ إلى أن قال ـ ثمّ أقبل حتّى أتى عليّاً عليه السلام فأقرّه أيّاماً ثمّ سأله المال . فأدّى إليه مائتى ألف ثمّ إنّه عجز فلم يقدر عليه .

وقال ذهل بن الحرث : دعانى مصقلة إلى رحله . فقدّم عشاؤه . فطعمنا منه ثمّ قال : واللّه إنّ أميرالمؤمنين يسألنى ، ولا أقدر عليه . فقلت له : واللّه لو شئت ما مضت عليك جمعه حتّى تجمع جميع المال . فقال : واللّه ماكنت لاحملها قومى ، ولا أطلب فيها إلى أحد ثمّ قال : أما واللّه لوأنّ ابن هند هو طالبى بها أو ابن عفان لتركها لى ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعم الأشعث من خراج آذربيجان مأة ألف فى كلّ سنة .

فقلت له : إنّ هذا لا يرى هذا الرأى لا واللّه ما هو بباذل شيئاً كنت اخذته فما مكث إلاّ ليلة حتّى لحق بمعاوية ، وبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فقال « ما له برّحه اللّه فعل فعل السيّد ، وفرّ فرار العبد ، وخان خيانة الفاجر أما واللّه انّه لو أقام فعجز مازدنا على حبسه . فان وجدنا له شيئاً أخذناه ؛ وإن لم يقدر على مال تركناه » ثمّ سار إلى داره فنقضها وهدمها ، وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعياً مناصحاً لعلىّ عليه السلام وكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من النصارى من بنى تغلب يقال له : حلوان انى كلّمت معاوية فيك فوعدك الإمارة ، ومنّاك الكرامة فاقبل إلىّ ساعة يلقاك رسولى . فأخذه مالك بن كعب الأرحبى . فسرّح به إلى علىّ عليه السلام فأخذ كتابه . فقرءه . فقطع يد النصرانى . فمات فكتب نعيم إلى مصقلة :

لا ترمينّ ـ هداك اللّه ـ معترضاً ... بالظنّ منك فما بالى وحلوانا
ذاك الحريص على مانال من طمع ... وهو البعيد فلا يحزنك إذ خانا
ماذا أردت الى ارساله سفهاً ... ترجوا سقاط امرئ لم يلق وسنانا

عرّضته لعلىّ إنّه أسد يمشى العرنضى من آساد خفّانا
قدكنت فى منظرعن ذا ومستمع تحمى العراق و تدعى خير شيبانا
حتّى تقحمت أمراً كنت تكرهه للراكبين له سرّاً و إعلانا
لو كنت أدّيت ما للقوم مصطبراً للحقّ أحييت أحيانا و موتانا
لكن لحقت بأهل الشام ملتمساً فضل ابن هندٍ وذاك الرأى أشجانا
فاليوم تقرع سنّ الغرم من ندم ماذا تقول وقد كان الّذى كانا
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبةً لم يرفع اللّه بالبغضاء إنسانا

ورواه غارات الثقفى ، وزادعلى نقل (حد) وقيل لعلىّ عليه السلام حين هرب مصقلة: اردد الّذين سبوا ولم تستوف أثمانهم ، فى الرق. فقال : ليس ذلك فى القضاء بحق قدعتقوا اذ أعتقهم الّذى اشتراهم ، وصار مالى ديناً على الّذى اشتراهم.

«واعتقه» هكذا فى المصرية ، والصواب (واعتقهم) كما فى (حد) و(ثم) والخطية.

«فلمّا طالبه بالمال خاس به» : أى غدر به.

«وهرب إلى الشام» وفى أمثال الكرمانى وقال مصقلة لمّا هرب منه عليه السلام ولحق بمعاوية :

وفارقت خير الناس بعد محمّد لمال قليل لا محالة ذاهب

قوله عليه السلام «قبّح اللّه مصقلة» فى الصحاح قبّحه اللّه : أى نهى عن الخير

«فعل فعل السادات» هكذا فى المصرية ، والصواب (السادة) كما فى (حد) و(ثم) والخطية ثمّ فعله فعل السادة بشرائه السبى وعتقهم.

«وفرّ فرار العبيد» لئلاّ يؤدى الثمن.

«فما أنطق مادحه» فى شراء السبى وعتقهم وقال الأخطل فى ذلك :

وسل بمصقلة البكرى ما فعلا بمعتلف و مفيد لا يمنّ ولا
يعنف الناس فى مافاته عذلا

- إلى أن قال -

وقد فككت عن الاسرى وثاقهم وليس يرجون تلجاء ولا دخلا
وقد تنفذتهم من قعر مظلمة إذا الجبان رأى أمثالها زحلا
فهم فداءك إذ يبكون كلهم ولا يرون هم جاها ولا نفلا
ما فى معدّ فتى يغنى رباعته إذ أيّهم بأمر صالح عملا

- الخ - كما فى ديوانه ، وقال آخر:

ومصقلة الّذى قد باع بيعا ربيحا يوم ناجية بن سالم

«حتّى أسكته» بفراره قال عمرو بن معد يكرب كما فى بيان الجاحظ وغيره:

فلو أنّ قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ولكنّ الرماح اجرّت

قال الجاحظ: أى لم يطعن قومى بالرماح. فاثنى عليهم، ولكنّهم فرّوا فامسكت كالمجرّ الّذى فى فمه جرار - أى عود يعرض فى فم الفصيل لئلاّ يرتضع.

«ولا صدّق واصفه حتّى بكّته»: أى عنّفه. قال بشار فى بعضهم:

أثنى عليك ولى حال تكذّبنى فى ما أقول فاستحيى من الناس
قد قلت: إنّ أباحفص لاكرم من مشى فخاصمنى فى ذاك إفلاسى

هذا، وقال القطامى فى يزيد بن المهلب:

لعل عينى أن ترى يزيدا يقود جيشا جحفلا شديدا
تسمع للأرض به وئيدا

ثمّ إنّه سار بعد ذلك إلى العقر حتّى شهد مع مسلمة بن عبد الملك قتال يزيد. فقال يزيد: ما أبعد شعر القطامى من فعله.

هذا، ومدح شاعر الحسن بن سهل - وظن الحسن أنّ همّته قصيرة - فقال له: احتكم. فقال: ألف ناقة. فوجم الحسن ولم يمكنه، وكره أن يفتضح، و قال: يا هذا إنّ بلادنا ليست بلاد ابل، ولكن ما قال امرؤ القيس:

إذا مالم يكن ابل فمعزى كأنّ قرون جلّتها العصى

ثمّ أمر يحيى بن خاقان أن يعطيه بكلّ شاة ديناراً . هذا ، ولبعضهم

مدح الفضل نفسه بالفعال فعلا عن مديحنا بالمقال

امرونى بمدحه قلت كلاّ كبر الفضل عن مديح الرجال

«ولو أقام لأخذنا ميسوره» من ثلاثمأة ألف بقيت عليه على رواية الطبرى، ومن مأة ألف على رواية المسعودى .

«وانتظرنا بماله وفوره» مصدر وفر الشئ : أى كثر . وفى الصحاح قولهم «توفر وتحمد» مثل يضرب للرجل تعطيه الشئ فيردّه عليك من غير تسخط .

١/١٢/١١ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ . وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ . رَغَا فَأَجَبْتُمْ . وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ . أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ . وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ . كَأَنِّى بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ (٣) قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِى ضِمْنِهَا . (وَفِى رِوَايَةٍ) وَايْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ . أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ . (وَفِى رِوَايَةٍ) كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِى لُجَّةِ بَحْرٍ . (وَفِى رِوَايَةٍ) أُخْرَى بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ اللهِ تُرْبَةً . أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ . وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ . الْمُحْتَبِسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللهِ . كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِى لُجَّةِ بَحْرٍ

١١/ ١٣/ ١ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِثْلِ ذٰلِكَ

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ . بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ . خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ . فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ ، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ

أقول : رواها أبوحنيفة الدينورى فى اخبار طواله ، وابن قتيبة فى عيونه وابن عبد ربه فى عقده ، وسبط ابن الجوزى فى تذكرته ، والمسعودى فى مروجه والحموى فى معجمه ، ورواها القمى فى تفسيره ، والمفيد فى جمله و (ثم) فى شرحه .

قال الأوّل : دخل علىّ عليه السلام البصرة فأتى مسجدها الأعظم واجتمع الناس إليه . فصعد المنبر . فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلّى على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثمّ قال ـ أما بعد فانّ الله ذو رحمة واسعة ، وعقاب أليم . فما ظنّكم بى يا أهل البصرة جند المرأة ، وأتباع البهيمة . رغا فقاتلتم ، وعقر فانهزمتم . أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ، وماؤكم زعاق ، أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء وأيم الله ليأتين عليها زمان لا يرى منها إلاّ شرفات مسجدها فى البحر مثل جؤجؤ السفينة » ـ إلى أن قال ـ ، وشخص عليه السلام عن البصرة . فلما انتهى إلى المربد التفت إلى البصرة ـ ثمّ قال ـ الحمد لله الّذى أخرجنى من شرّ البقاع تراباً ، وأسرعها خراباً ، وأقربها من الماء ، وأبعدها من السماء .

وقال الثانى : رقى علىّ عليه السلام فى البصرة المنبر . فقال : يا أهل البصرة ، ويا بقايا ثمود . يا أتباع البهيمة ، ويا جند المرأة . رغا فاتّبعتم ، وعقر فانهزمتم ، دينكم نفاق وأخلاقكم دقاق ، ومائكم زعاق يا أهل البصرة والبصيرة والسبيخة والخريبة

أرضكم أبعد أرض من السماء ، وأقربها من الماء ، وأسرعها خراباً وغرقاً .

ومثله السادس ـ وزاد ـ ألا وأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : أما علمت أنّ جبرئيل حمل جميع الأرض على منكبه الأيمن . فأتانى بها ألا وأنى وجدت البصرة أبعد بلاد الله من السماء ، وأقربها من الماء ، وأخبثها تراباً ، وأسرعها خراباً ليأتين عليها يوم لا يرى منها إلّا شرافات جامعها كجؤجؤ السفينة فى لجّة البحر ـ إلى أن قال ـ وفى رواية ـ قال : أما بعد . فانّ الله ذو رحمة واسعة . فما ظنّكم يا أهل البصرة يا أهل السبخة يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً ، وعلى الله الرابعة يا جند المرأة ـ إلى أن قال ـ حتّى صار إلى المربد ، والتفت ، وقال : الحمد لله الّذى أخرجنى من شرّ البقاع نراياً ، وأسرعها خراباً ـ الخ ـ .

وقال الثالث : لمّا انقضى الجمل دعا علىّ عليه السلام بآجرتين فعلاهما فحمد الله ، وأثنى عليه . ثمّ قال « يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة . رغا فاجبتم ، وعقر فهزمتم . نزلتم شر بلاد أبعدها من السماء . مغيض كلّ ماء ، ولها شر أسماء هى البصرة ، والبصيرة ، والمؤتفكة وتدمر »

وقال الرابع : قال علىّ عليه السلام : يا جند المرأه ، وأتباع كلّ ناعق . ماءكم زعاق ، ودينكم نفاق . دعاكم الشيطان . فاجبتم ، وعقر فعقرتم . كأنّى أنظر إلى مسجدكم وقد بعث الله عليه العذاب من فوقه ، ومن تحته . فهو كجؤجؤ سفينة أو كنعام جاثمة أو كجؤجؤ طائر فى لجّة بحر . أرضكم بعيدة من السماء قريبة من الماء . خفّت عقولكم ، وسفهت أحلامكم .

وقال الخامس : وخطب علىّ عليه السلام بالبصرة خطبته الطويلة الّتى يقول فيها : يا أهل المسجد يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها من الدهر ثلاثاً ، وعلى الله تمام الرابعة . يا جند المرأة يا أتباع البهيمة يا جند المرأة ـ الخ ـ .

وقال القمى فى سورة النجم فى قوله تعالى « والمؤتفكة أهوى » المؤتفكة

البصرة ، والدليل عليه قول أمير المؤمنين : يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة يا جند المرأة ، وأتباع البهيمة : رغا فأجبتم ، وعقر فانهزمتم : ماؤكم زعاق ، وأديانكم رقاق ، وفيكم ختم النفاق : لعنتم على لسان سبعين نبيّاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرنى أنّ جبرئيل أخبره أنّه طوى له الأرض : فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء ، وأبعدها من السماء ، وفيها تسعة أعشار الشر : والداء العضال ، المقيم فيها مذنب ، والخارج منها برحمة ، وقد ائتفكت بأهلها مرّتين ، وعلى الله الثالثة : أى تمام الثالثة ، وتمامها فى الرجعة :

وقال المفيد : روى نصر بن مزاحم ، عن عمر بن سعد ، عن أبى خالد ، عن عبد الله بن عاصم ، عن محمّد بن بشير الهمدانى ، عن الحرث بن سريع قال : لمّا ظهر علىّ عليه السلام على أهل البصرة ، وقسم ماحواه العسكر قام فيهم خطيباً ، وقال : أيّها الناس إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ ذو رحمة واسعة ، ومغفرة دائمة لأهل طاعته ، وقضى أنّ نقمته وعقابه على أهل معصيته : يا أهل البصرة : يا أهل المؤتفكة ، ويا جند المرأة ، وأتباع البهيمة : رغا فرجفتم ، وعقر فانهزمتم : أخلاقكم دقاق ، وعهدكم شقاق ، ودينكم نفاق ، وأنتم فسقة مرّاق : أنتم شرّ خلق الله : أرضكم قريبة من الماء : بعيدة من السماء : خفّت عقولكم ، وسفهت أحلامكم : شهرتم سيوفكم علينا ، وسفكتم دماءكم ، وخالفتم إمامكم : فأنتم أكلة الآكل ، و فريسة الظافر ، والنار لكم مدّخر ، والعار لكم مفخر :

يا أهل البصرة نكثتم بيعتى ، وظاهرتم علىّ ذوى عداوتى : فما ظنّكم :

يا أهل البصرة الأن ـ فقام إليه رجل منهم : فقالوا : نظنّ خيراً ، ونرى أنك ظفرت : وقدرت : فان عاقبت : فقد أجرمنا ، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى ربّ العالمين ـ فقال عليه السلام ـ قد عفوت عنكم : فايّاكم والفتنة : فإنّكم أوّل من نكث البيعة ، وشق عصا الأمّة : فارجعوا من الحوبة ، وأخلصوا فيما بينكم و بين الله بالتوبة :

وقال (ثم) روى أنه قال: ياأهل البصرة. ياأهل المؤتفكة. ائتفكت بأهلها ثلاثاً، وعلى الله تمام الرابعة. ياجند المرأة، وأعوان البهيمة. رغا فاجبتم، وعقر فانهزمتم. أخلاقكم دقاق، وماؤكم زعاق. بلادكم أنتن بلاد الله تربة وأبعدها من السماء. بها تسعة أعشار الشر المحتبس فيها بذنبه، والخارج منها بعفو الله كأنى أنظر إلى قريتكم هذه، وقد طبّقها الماء حتّى ما يرى منها إلّا شرف المسجد. كجؤجؤ طير فى لجّة بحر.

ـ فقام إليه الأحنف بن قيس. فقال ـ: متى ذلك؟ قال: «إذا صارت أجمتكم قصوراً».

ـ وبعد هذا الفصل من الخطبة فصول لا تعلق لها بهذا الموضع ـ.

ـ إلى أن قال: وفى فصل آخر من هذه الخطبة ماذحاً ـ «يا أهل البصرة إنّ الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطّة شرف، ولا كرم الّا وقد جعل فيكم أفضل ذلك، وزادكم من فضله ماليس لهم. أنتم أقوم الناس قبلة. قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكة، وقارئكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس، وعابدكم أعبد الناس، وتاجركم أتجر الناس، وأصدقهم فى تجارته، ومتصدقكم أكرم الناس صدقة، وغنيكم أشد الناس بذلاً، وتواضعاً، وشريفكم أحسن الناس خلقاً، وأنتم أكرم الناس جواراً، وأقلّهم تكلّفاً لما لا يعينه، وأحرصهم على الصلوة فى جماعة ثمرتكم أكثر الثمار، وأموالكم أكثر الأموال، وصغاركم أكيس الأولاد، ونسائكم أقنع الناس، وأحسنهم تبعّلا. سخّر لكم الماء يغدو عليكم، ويروح صلاحا لمعاشكم، والبحر سبباً لكثرة أموالكم. فلو صبرتم، واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً، وظلاً ظليلاً غير أنّ حكم الله فيكم ماض، وقضاء نافذ لا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب يقول الله «وإن من قرية إلّا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة أو معذّبوها عذاباً شديداً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً[1]».

(١) الاسراء: ٥٨

وأُقسم لكم يا أهل البصرة ما الّذى ابتدأتكم به من التوبيخ إلاّ تذكيراً ، وموعظة لما بعد لكيلا تستدعوا إلى الوثوب فى مثل الّذى وثبتم ، وقد قال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم «وذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين[1]» ولا الّذى ذكرت فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة منّى لكم ، ولا رغبة فى شئ ممّا قبلكم . فإنّى لا اُريد المقام بين أظهركم إن شاء الله لاُمور تحضرنى قد يلزمنى القيام بها فى ما بينى ، وبين الله لاعذر لى فى تركها ، ولا علم لكم بشئ منها حتّى يقع ممّا اُريد أن أخوضها مقبلاً ، ومدبراً . فمن أراد أن يأخذ بنصيبها فليفعل . فلعمرى إنّه للجهاد الصافى صفّاه لنا كتاب الله ، ولا الّذى أردت به من ذكر بلادكم موجدة منّى عليكم لما شاققتمونى غير أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لى يوماً ـ وليس معى غيرى ـ ياعلىّ إنّ الروح الأمين حملنى على منكبه الأيمن حتّى أرانى الأرض ، ومن عليها ، و أعطانى أقاليدها ، وعلّمنى مافيها ، وما كان على ظهرها ، وما يكون إلى يوم القيمة ، ولم يكبر ذلك علىّ كما لم يكبر على أبى آدم . علّمه الأسماء كلّها ، ولم يعلّمها الملئكة المقرّبون .

وأنّى رأيت بقعة على شاطئ البحر تسمّى البصرة . فإذا هى أبعد الارض من السماء ، وأقربها من الماء ، وأنّها الأسرع الأرض خراباً ، وأخبثها تراباً ، و أشدّها عذاباً ، ولقد خسف بها فى القرون الخالية مراراً ، وليأتينّ عليها زمان وأنّ لكم ياأهل البصرة ، وما حولكم من القرى ، من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه ، و أنّى لاعرف موضع منفجرة من قريتكم هذه ثمّ اُمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أخفيت عنكم ، وعلمناها . فمن خرج عنها عند دنوّ غرقها . فبرحمة من الله سبقت له ، ومن بقى فيها غير مرابط بها . فبذنبه ، وما الله بظلّام للعبيد .

هذا ، وروى ابن قتيبة فى عيونه عن الحسن البصرى ـ خبر الذم ـ إلى أن قال بعد قوله : وعقر فانهزمتم ـ أمّا أنى لا أقول رغبة فيكم ، ولا رهبة منكم

(١) الذاريات : ٥٥

غير أنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : تفتح أرض يقال لها البصرة أقوم الأرضين قبلةً ، قارئها أقرء الناس، وعابدها أعبد الناس، وعالمها أعلم الناس، ومتصدّقها أعظم الناس صدقة ، وتاجرها أعظم الناس تجارة . منها إلى قرية يقال : لها الأُبُلّة أربعة فراسخ يستشهد عند مسجد جامعها أربعون ألفا الشهيد منهم يومئذٍ كالشهيد معى يوم بدر .

و رواه الحموى لكن فيه «يستشهد عند مسجد جامعها ، وموضع عشورها ثمانون ألف شهيد » .

قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام فى ذم أهل البصرة» هكذا فى المصرية ، ولكن فى (ثم) (فى ذم البصرة وأهلها) ومثله فى الخطّية ، وكذا فى (حد) فى نسخة فهو الصواب .

وفى الجمهرة «البصرة حجارة رخوة ، وبه سمّيت البصرة لأنّ أرضها الّتى بين العقيق ، وأعلى المربد كذلك ، وهو الموضع الّذى يسمّى الحزيز . قال ذو الرمة «تداعين باسم الشيب فى متثلم جوانبه من بصرةٌ و سلام » .

وفى المعجم قال ابن الأنبارى : البصرة فى كلام العرب : الأرض الغليظة وقال ابن الأعرابى : البصرة : حجارة صلاب . وذكر الشرقى بن القطامى أنّ المسلمين حين ، وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد ، و أبصروا الحصا عليها . فقالوا : إنّ هذه أرض بصرة يعنون حصية .

وذكر أحمد بن محمّد الهمدانى ، عن محمّد بن شرحبيل بن حسنة قال سمّيت البصرة لأنّ فيها حجارة سوداء صلبة قال الطرماح بن حكيم :

مؤلعة تهوى جميعاً كما هوى من النيق فوق البصرة المتطحطح

وقال الازهرى : البصر : الحجارة إلى البياض ـ بالكسر ـ فاذا جاؤا بالهاء قالوا بصرة .

وقال حمزة الاصبهانى : قال مؤبد بن اسوهشت : البصرة تعريب (بس

راه) لانّها كانت ذات طرق إلى أماكن.

وعن نافع بن الحارث بن كلدة أنّ ثابت السدوسى قال لعمر: انّى مررت بمكان دون دجلة فيه قصر، وفيه مسالح للعجم يقال له: الخريبة، ويسمى أيضاً البُصيرة بينه وبين دجلة أربعة فراسخ له خليج يجرى الماء إلى أجمة قصب. فأعجب ذلك عمر ـ الخ ـ

ويقال فى النسب إليها: البصرى ـ بالكسر. فيغيّر كما يقال فى النسب إلى اليمن يمان، وإلى تهامه تهام، وإلى الرى رازى.

وقالوا: البصرة عثمانية، والكوفة علوية، والشام أُموية، والجزيرة خارجية، والحجاز سنيّة

وعن غارات الثقفى أنّ رجلا قال لعلىّ عليه السلام: أتيتك من بلدة مارأيت لك فيها محبّا: أى البصرة. قال: أما أنّهم لو يستطيعون أن يحبّونى لأحبّونى إنّى وشيعتى فى ميثاق اللّه لايزداد فينا رجل، ولا ينقص إلى يوم القيامة.

وعنه أنّ عبيد اللّه بن زياد بنى أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علىّ عليه السلام والوقيعة فيه: مسجد بنى عدى، ومسجد بنى مجاشع، ومسجد كان فى العلاّفين على فرضة البصرة، ومسجد فى الأزد.

قوله عليه السلام «كنتم جند المرأة» وقد قال النبىّ صلى الله عليه وآله لمّا بلغه أنّ أهل فارس ملّكوا عليهم بنت كسرى كما فى تذكرة سبط ابن الجوزى، أولمّا ذكر عنده ملكة سبا كما فى عيون القتيبى، وجمل المفيد: «لاأفلح قوم تدبّرهم إمرأة» و أراد أبوبكرة اللحوق بطلحة والزبير: فلمّا سمع أنّ عايشة هى المتولية لأمرهم تذكر قول النبىّ صلى الله عليه وآله ذاك انصرف.

وروى أيضا أنه تذكر قول النبىّ صلى الله عليه وآله «إنّ قوماً يخرجون بعدى فى فتنة رأسها امرأة لا يفلحون أبداً» فانصرف.

وفى مروج المسعودى ذكر المدائنى عن بعضهم أنّه رأى بالبصرة رجلاً

مصطلم الأُذن . فسأله عن قصّته . فذكر أنّه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى فنظر إلى رجل منهم يخفض برأسه ويرفعه وهو يقول :

لقد اوردتنا حومة الموت أُمّنا فلم تنصرف إلاّ و نحن رواء
أطعنا بنى تيم لشقوة جدّنا وما تيم إلاّ اعبدوا ماء

فقلت : أتقول هذا عند الموت قل : لا إله إلاّ اللّه قال «يابن اللخناء إيّاى تأمر بالجزع عند الموت» فولّيت متعجّباً منه . فصاح أُدن لقّنى الشهادة فصرت إليه فاستدنانى والتقم أُذنى فذهب بها ، فجعلت ألعنه . فقال : إذا صرت إلى أُمّك فقالت : من فعل بك هذا ؟ فقل : عميربن الأهلب الضبى مخدوع المرأة الّتى أرادت أن تكون أميرالمؤمنين .

وفى حيوان الجاحظ قال السيّد الحميرى فى عايشة وأتباعها :

جاءت مع الاشقين فى هودج تزجى إلى البصرة أجنادها
كأنّها فى فعلها هرّة تريد أن تأكل أولادها

وفى الطبرى أطافت ضبة ، والأزد بعايشة يوم الجمل ، وإذاً رجال من الأزد يأخذون بعر الجمل . فيفتّونه ويشمّونه ويقولون : بعر جمل أُمّنا ريحه ريح مسك ، وخرج من أهل الجمل شيخ صبيح نبيل عليه جبّة وشى وهو يقول :

يا معشر الأزد عليكم أُمّكم فإنّها صلوتكم و صومكم
والحرمة العظمى الّتى تعمّكم فاحضروها جدّكم وحزمكم
لا يغلبن سمّ العدوّ سمّكم إنّ العدو إن علاكم زمّكم
وخصّكم بجوره و عمّكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

قال أبو مخنف : لم يقل أحد من رجّاز البصرة قولاً كان أحبّ إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ . فاستقتل الناس عند قوله ، وثبتوا حول الجمل فخرج عوف بن قطن الضبى وهو ينادى : ليس لعثمان ثار إلاّ علىّ و ولده . فأخذ خطام الجمل وقال :

يا أمّ يا أمّ خلا منى الوطن لا ابتغى القبر ولا أبغى الكفن
من هـهنا محشر عوف بن قطـن إن فاتنا اليوم علىّ فالغبن
أو فاتنا ابناه حسين وحسن إذن أمت بطول همّ وحـزن

ثمّ تقدم يضرب بسيفه حتّى قتل.

وروى الواقدى ـ كما فى جمل المفيد ـ إنّ عليّا عليه السلام لمّا فرغ من قسمة المال قام خطيباً. فقال ـ مشيراً إلى عايشة ـ كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة.

وروى أيضاً أنّ علياً عليه السلام كتب بعد الفتح كتاباً إلى أهل الكوفة ـ و فيه ـ فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذاك المصر مع ما جائت به من الحوب الكبير.

وفى العقد قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لعايشة: ياحميراء كأنّى بك تنبحك كـلاب الحوأب تقاتلين علياً وأنت له ظالمة.

هذا، وفى مقاتل أبى الفرج لمّا أرادوا دفن الحسن عليه السلام عند النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ركبت عايشة بغلاً، واستعونت بنى أُميّة ومروان، ومن كان هناك منهم، و من حشمهم، وهو قول القائل «فيوماً على بغل، ويوماً على جمل».

وفى تاريخ اليعقوبى. فأتاها القاسم بن محمّد بن أبي بكر. فقال لها: يا عمة ماغسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر أتريدين أن يقال يـوم البغلة الشهباء.

هذا، وفى عيون القتيبى فخر ناس من بنى الحرث بن كعب عند السفاح فقال لخالد بن صفوان: ألا تكلّم ياخالد قال: أخو آل الخليفة وأهله. قـال فأنتم أعمامه وعصبته. فقال خالد: ماأقول لقوم بين ناسج برد، ودابغ جلد، وسائس قرد، دلّ عليهم هدهد، وغرقتهم فارة، وملكتهم امرأة.

«وأتباع البهيمه» قال (حد) كان جمل عايشة راية عسكر البصرة قتلـوا

دونه كما يقتل الرجال تحت راياتها .

قال المدائنى والواقدى : ماحفظ رجز أكثر من رجز قيل يوم الجمل ، و أكثره لبنى ضبة ، والأزد الّذين كانوا حول الجمل يحامون عنه وكانت الرؤوس تندر عن الكواهل ، والأيدى تطيح من المعاصم ، وأقتاب البطن تندلق من الأجواف ، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ، ولا تتزلزل حتّى لقد صرخ علىّ عليه السلام بأعلى صوته ، ويلكم اعقروا الجمل . فانّه شيطان .

وقال فى موضع آخر لمّا عزمت عايشة على الخروج : طلبوا لها بعيراً يحمل الهودج . فجاءهم يعلى بن أُميّة بالبعير المسمّى عسكرا ـ وكان عظيم الخلق شديداً ـ فلمّا رأته أعجبها ، وأنشأ الجمّال يحدّثها بقوّته وشدّته و يقول فى أثناء حديثه (عسكر) فلمّا سمعت هذه اللفظة استرجعت ، وقالت : ردّوه لا حاجة لي فيه ، وذكرت حيث سئلت أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله ذكر لها هذا الاسم ، ونهاها عن ركوبه وأمرت أن تطلب لها غيرها . فلم يوجد لها مايشبهه ، فغيّر لها جلال غير جلاله ، وقيل لها قد أصبنا أعظم منه خلقاً وأشدّ قوّة .

وفى الاستيعاب عن النبىّ صلى الله عليه وآله قال لنسائه « أيتّكنّ صاحبة الجمل الأدبب يقتل حولها قتلى كثيرة ، وتنجو بعد ماكادت » قال « وهذا من أعلام نبوته » قلت : ومن أعلام إمامته عليه السلام .

وروى الكشى عن سلمان أنّه كان إذا رأى الجمل الّذى يقال له عسكر . يضربه . فيقال له : ماتريد من هذه البهيمة . فيقول : ماهذا بهيمة ، ولكن هذا عسكربن كنعان الجنى ياأعرابى لا ينفق جملك ههنا ، ولكن اذهب به إلى الحوأب فإنّك تعطى به ماتريد .

وعن الباقر عليه السلام قال : اشتروا عسكراً بسبعمأة درهم وكان شيطاناً .

« رغا » فى الصحاح رغا البعير يرغو رغاء إذا ضجّ ، وفى المثل « كفى برغاءها مناديا » : أى أنّ رغاء بعيرهُ يقوم مقام ندائه فى التعرّض للقرى ، و

الضيافة ،وقولهم (ماله ثاغية ولا راغية) أى شاة وناقة .

«فأجبتم» قال (حد) قالوا : واستدار الجمل كما تدور الرحا ،وتكاثفت الرجال حوله ،واشتد رغاه ،واشتد زحام الناس عليه ،ونادى الحتات المجاشعى أيّها الناس أُمّكم أُمّكم ،وتقدّم عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أُميّة ـ وكان اسم سيفه ولول ـ فارتجز فقال :

أنا ابن عتاب وسيفى ولول والموت عند الجمل المجلّل

فحمل عليه الاشتر .فقتله قالوا : وأخذ خطام الجمل سبعون من قريش قتلوا كلّهم ،ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحد إلاّ سالت نفسه أوقطعت يده وتناول عبد الله بن أبزى خطام الجمل ـ وكان كلّ من أراد الجدّ فى الحرب وقتال مستميت يتقدم إلى الجمل فيأخذ بخطامه ـ ثمّ شدّ وقال :

أضربهم ولا أرى أبا حسن ها إنّ هذا حزن من الحزن

فشدّ عليه السلام عليه بالرمح فقتله ،وقال : قد رأيت أبا حسن .فكيف رأيته و ترك الرمح فيه .

«وعقر فهربتم» قال (حد) قال أبومخنف : حدّثنا مسلم الأعور عن حبّة العرنى قال : لمّا رأى علىّ عليه السلام أنّ الموت عند الجمل ،وأنه ما دام قائماً فالحرب لا تطفئ ،وضع سيفه على عاتقه ،وعطف نحوه ،وأمر أصحابه بذلك و مشى نحوه ، والخطام مع بنى ضبّة فاقتتلوا قتالاً شديداً ،وقتل منهم مقتلة عظيمة ،و خلص على عليه السلام فى جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل .فقال لرجل من النخع ـ اسمه بحير ـ دونك الجمل .فضرب عجز الجمل بسيفه . فوقع لجنبه ،و ضرب بجرانه الأرض ،وعجّ عجيجاً لم يسمع بأشدّ منه . فما هو إلاّ أن صرع الجمل حتّى فرّت الرجال كما يطير الجراد فى الريح الشديدة الهبوب ، و احتملت عايشة بهودجها .فحملت إلى دار عبد الله بن خلف ،وأمر علىّ عليه السلام بالجمل أن يحرق ثمّ يذرى فى الريح ،وقال عليه السلام : لعنه الله من دابة . فما أشبهه

بعجل بني اسرائيل ثمّ قرأ «وانظر إلى إلهك الّذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثمّ لننسفنه في اليم نسفاً»[1].

وأقول صدق رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله للناس «لتتبعن بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه» فكما عبد بنو إسرائيل العجل عبدت هذه الأُمّة هذا الجمل الّذي كان كعجل بني إسرائيل، و صاحبته. فكانوا يفتون بعره، ويقولون: بعر جمل أُمّنا مسك كما عبدوا أبا هما الّذي كان عجل فاروقهم، ويشهد له أيضاً قوله عليه السلام ـ وهو الّذي يدور معه الحق حيثما دار ـ لمّا اتوا به عليه السلام لبيعته مخاطباً للنبي صلى الله عليه وآله «يا ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[2].

وقال (حد) عند قوله «إنّ النساء نواقص الإيمان» لما فني الناس على خطام الجمل، وقطعت الأيدي قال علي عليه السلام «ادعوا إلى الأشتر وعمارا». فجاءا. فقال: اذهبا فاعقرا هذا الجمل فإنّ الحرب لا يبوخ ضرامها مادام حيّاً إنّهم اتّخذوه قبلة.

وفي جمل المفيد روى منصور بن أبي الأسود، عن مسلم بن الأعور، عن حبّة العرني قال: والله لأنظرن إلى الرجل الّذي ضرب الجمل ضربة على عجزه: فسقط لجنبه. فكأنّي أسمع عجيج الجمل ما سمعت قط عجيجاً أشدّ منه ولمّا عقر وانقطع بطان الهودج. فزال عن ظهر الجمل، وانفضّ أهل البصرة منهزمين، وجعل عمار، ومحمّد بن أبي بكر يقطعان الحقب والانساع، و احتملا الهودج ووضعاه على الأرض، فأقبل علي عليه السلام فقرع الهودج بالرمح، وقال: يا حميراء أرسول الله أمرك بهذا المسير؟.

وروى أماليه أنّ منادي علي عليه السلام نادى عليكم بالبعير إنّه شيطان

(١) طه: ٩٧

(٢) الاعراف: ١٥

فعقره رجل برمحه ، وقطع آخر إحدى يديه . فبرك ورغا ، وصاحت عايشة صيحة شديدة . فولّى الناس منهزمين .

هذا ، و قال (حد) قصد أهل الكوفة قصد الجمل ، والناس دونه كالجبال كلّما خفّ قوم جاء أضعافهم . فنادى عليه السلام ويحكم ارشقوا الجمل بالنبل لعنه الله ـ فرشق بالسهام . فلم يبق فيه موضع إلاّ أصابه النبل ـ وكان مجفحفاً . فتعلّقت السهام به . فصار كالقنفذ ، ونادت الأزد وضبّة يا لثارات عثمان فأخذوها شعاراً ، ونادى أصحاب علىّ عليه السلام (يا محمّد) فاتّخذوها شعاراً ، و اختلط الفريقان ، ونادى علىّ عليه السلام بشعار النبىّ صلى الله عليه وآله (يا منصور امت) وهذا فى اليوم الثانى من أيام الجمل . فلمّا دعا بها تزلزلت أقدام القوم ، وذلك وقت العصر بعد أن كان الحرب من وقت الفجر .

وقال الواقدى : روى أنّ شعاره عليه السلام كان فى ذلك اليوم «حم لا يبصرون اللّهمّ انصرنا على القوم الناكثين» ثمّ تحاجز الفريقان ، والقتل فاش فيهما إلاّ أنه فى أهل البصرة أكثر ، وأمارات النصر لائحة لعسكر الكوفة ثمّ توافقوا فى اليوم الثالث . فبرز أوّل الناس ابن الزبير ـ الخ ـ .

قلت : إنّما قال المسعودى : إنّ الوقعة كانت فى يوم واحد . فقال (كانت وقعة الجمل فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاُولى من سنة ستّ وثلاثين قتل فيها من أصحاب الجمل من أهل البصرة ، وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً ، ومن أصحاب علىّ عليه السلام خمسة آلاف ـ إلى أن قال ـ وكانت وقعة واحدة فى يوم واحد .

وهو المفهوم من الطبرى ناسباً له إلى الواقدى . فقال « وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة (٣٦) فى قول الواقدى .

وفى المروج قيل لأبى لبيد الجهمى من الازد : أتحبّ علياً ؟ قال : كيف اُحبّ رجلاً قتل من قومى فى بعض يوم ألفين وخمسمأة ، وقتل من الناس

حتّى لم يكن أحد يعزّى أحداً واشتغل أهل كلّ بيت بمن لهم.

«أخلاقكم دقاق» فى تاريخ بغداد قدم شريك القاضى البصرة فأبى أن يحدّثهم فاتبّعوه حين خرج، وجعلوا يرمونه بالحجارة فى السفينة، وهو يقول لهم: يا أبناء الظؤرات، ويا أبناء السنائخ لا سمعتم منّى حرفا.

«وعهدكم شقاق»: أى خلاف.

«ودينكم نفاق» ليس فيه إيمان، ولمّا ارتدّ عيينة بن حصن الفزارى، وتبع طليحة الأسدى. فأسروا دخل المدينة فكان الصبيان يقولون له: ياعدوّ الله أكفرت بعد ايمانك؟ فيقول: ما آمنت طرفة عين.

«وماؤكم زعاق»: أى ملح مرّ. فى المروج قال رجل من الكوفة لرجل من البصرة: ماؤكم كدر. زهك زفر، وماؤنا أصح للأجسام من ماء دجلة فإنّ ماؤها يقطّع شهوة الرجال، ويذهب بصهيل الخيل، وإن لم يتدسم النازلون عليها أصابهم قحول فى عظامهم، ويبس فى جلودهم، وإذا كان فضيلة ماءنا على دجلة. فما ظنّك بفضيلته على ماء البصرة، وهو يختلط بماء البحر، و الماء المستنقع فى أصول القصب والهروى، وقال الصابى:

نحن بالبصرة الذميمة نسقى شرّ سقياً من ماءها الأترنجى
أصفر منكر ثقيل غليظ خاثر مثل حقنة القولنج

«والمقيم» هكذا فى المصرية، والصواب (المقيم) كما فى (حد) و(ثم) و(الخطية).

«بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربّه» وفى جمل المفيد قال عليه السلام «هى مسكن الجن الخارج منها برحمة، والداخل إليها بذنب أما أنّها لا تذهب الدنيا حتّى يجىء إليها كلّ فاجر، و يخرج منها كلّ مؤمن».

وفى البلدان قدم أعرابى البصرة فكرهها. فقال:

هل اللمن وادى البصيرة مخرجى فأضبح لا تبدو لعينى قصورها
وأصبح قد جاوزت سيحان سالما وأسلمنى أسواقها و جسورها
ومر بدها المذرى علينا ترابها إذا شجحت أبغالها وحميرها
فنضحى بها غبر الرؤوس كأننا أناسى موسى نبش عنها قبورها

وقال الجاحظ: من عيوب البصرة اختلاف هواءها فى يوم واحد لأنهم يلبسون القمص مرّة والمبطّنات مرة لاختلاف جواهر الساعات، ولذلك سميّت الرعناء قال الفرزدق:

لولا أبو مالك المرجونائلـه ماكانت البصرة الرعناء لى وطنا.

وفى كتب الأدب ضاقت على النضربن شميل اللغوى النحوى الأديب الأسباب فى البصرة. فعزم على الخروج إلى خراسان. فشيّعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدّثين، والفقهاء، واللغويين، والنحاة، و الادبـاء. فجلس لوداعهم بالمربد، وقال: يا أهل البصرة لو وجدت عندكم كيلجة من الباقلاء مافارقتكم، فلم يكن فيهم واحد يتكفل له ذلك فسار إلى مرو، وأقام بها فاثرى.

وفى اللسان فى حديث أنس (البصرة إحدى المؤتفكات. فانـزل فى ضواحيها وإيّاك والمملكة) قال شمر: أراد (بالمملكة) وسطها.

وفى ملاحم سنن أبى داود عن أنس عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الناس يمصّرون أمصاراً، وأنّ مصراً منها يقال له البصرة ـ أو البُصيرة فإن أنت مررت بهـا أودخلتها فإيّاك وسباخها، وكلاءها، وسوقها، وباب اُمراءها وعليك بضواحيها فإنّه يكون بها خسف، وقذف، ورجف، وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير).

هذا، ولمّا زنا المغيرة بن شعبة بالبصرة لمّا كان عاملاً عليها من قبل عمر، ولقّن عمر شاهده الرابع زياداً المنع عن أداء الشهادة حتّى لا يرجـم عزله عن البصرة جزاء فعله إلاّ أنه ولاّه الكوفة. فصار استهزاء بين الناس قال ابن سيرين كما فى عيون القتيبى: يقول الرجل لصاحبه: غضب الله عليك كما

غضب عمر على المغيرة عزله عن البصرة وولاّه الكوفة .

«كأنّى بمسجدكم كجؤجؤ سفينة» : أى صدرها .

«قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من فى ضمنها» قال (حد) غرقت البصرة مرّتين : مرّة فى أيّام القادر ، ومرّة فى أيّام القائم غرقت بأجمعها ، ولم يبق منها إلاّ مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطير حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة فارس ، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام وخربت دورها ، وغرق كلّ ما فى ضمنها ، وهلك كثير من أهلها ، وأخبار هذين الغرقين عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عن سلفهم .

هذا ، وفى عرائس الثعلبى اختلف فى موضع قتل هابيل حكى الطبرى قال جعفر الصادق عليه السلام بالبصرة فى موضع المسجد الأعظم ـ الخ ـ .

قلت : وفى أخبارنا ما بنى مسجد إلاّ على قطرة من دم نبىّ .

«وفى رواية ـ وأيم الله لتغرقنّ بلدتكم حتّى كأنّى أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة ، أو نعامة» وفى الصحاح النعامة من الطير يذكّر ويؤنّث .

«جاثمة» فى الصحاح جثم الطائر : أى تلبّد بالأرض .

«وفى رواية كجؤجؤ طير فى لجّة بحر» وروى غارات إبراهيم الثقفى أنّ جارية بن قدامة لمّا حرّق بالبصرة ابن الحضرمى الّذى قدم بها من قبل معاوية ، ودفع غائلته ، وكتب زياد ـ وكان خليفة ابن عباس عليها يومئذٍ ـ إلى أمير المؤمنين عليه السلام بذلك مع ظبيان بن عمارة . فقال عليه السلام لظبيان «إنّ البصرة أوّل القرى خراباً إمّا غرقاً ، وإمّا حرقاً حتّى يبقى مسجدها كجؤجؤ سفينة» ثمّ قال له : أين منزلك منها ؟ فقال : مكان كذا . فقال عليك بضواحيها .

«وفى رواية أُخرى» ـ الظاهر كون هذا (الخ) حاشية خلطت بالمتن لعدم وجوده فى (حد) و(ثم) و(الخطية) .

«بلادكم أنتن بلاد الله تربةً» فى المعجم قدم ابن شد قم البصرة فآذاه قذرها . فقال :

إذا ما سقى الله البلاد فلا سقى بلاداً بها سيحان برقاً ولا رعدا
بلاد تهبّ الريح فيها خبيثة وتزداد نتناً حين تمطر أو تندى

وقال الصابى :

ليس يغنيك فى الطهارة بالبصرة إن حانت الصلوة اجتهاد
إن تطهرت فالمياه سلاح أو تيممت فالصعيد سماد

وفى طرائف الثعالبى قال ابن لنكك :

نحن بالبصرة فى لون من العيش ظريف
نحن ما هبّت شمال بين جنات و ريف
فإذا هبّت جنوب فكأنّا فى كنيف

(قال زياد : مثل الكوفة كمثل اللهاة يأتيها الماء ببرده وعذوبته ، و مثل البصرة كالمثانة يأتيها الماء ، وقد تغيّر وفسد) .

«أقربها من الماء ، وأبعدها من السماء ، وبها تسعة أعشار الشرّ . المحتبس فيها بذنبه ، والخارج بعفو الله» سأل الصادق عليه السلام عن أهل البصرة . فقيل : إنّهم مرجئة ، وقدريّة ، وحرورية . فقال : لعن الله تلك الملل المشركة الّتى لا تعبد الله بشىء .

وفى المعجم قال أبو العيناء : قال لى المتوكل : بلغنى انك رافضى فقلت : وكيف أكون رافضياً وبلدى البصرة ، ومنشأى مسجد جامعها واستادى الاصمعى وجيرانى بأهله .

«كأنّى أنظر إلى قريتكم هذه قد طبّقها الماء حتّى ما يرى منها إلّا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير فى لجّة بحر» مرّ شرحه مع أنّك قد عرفت عدم كون تمام الكلام من قوله (وفى رواية أُخرى) إلى هنا من النهج .

قول المصنّف «ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك» هكذا في المصرية و(حد) والخطية ولكن في (ثم) (ومنها في مثل ذلك).

قوله عليه السلام «أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء» قال (حد) إنّ أرباب علم الهيئة وصناعة التنجيم يذكرون أنّ أبعد موضع في الأرض عن السماء الأُبلّة وذلك موافق لقوله عليه السلام «بعيدة من السماء» ومعنى البعد عن السماء ههنا هو بعد تلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدّل النهار، والبقاع والبلاد تختلف في ذلك، وقد دلّت الإرصاد، والآلات النجومية على أنّ أبعد موضع في المعمورة عن دائرة معدّل النهار هو الأُبلّة، والأُبلّة قصبة البصرة، وهذا الموضع من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب، ولا تهتدي إليه، وهو مخصوص بالمدققين من الحكماء، وهذا من أسراره، وغرائبه البديعة.

«خفّت عقولكم، وسفهت حلومكم» روى (كش) في سفيان الثوري أنّ قوماً أتوا الصادق عليه السلام يسألونه عن الحديث: فقال لرجل منهم: هل سمعت، الحديث من غيري؟ قال: نعم وحدّثه بأحاديث موضوعة عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمّد فقال عليه السلام له: من أيّ البلاد أنت؟ قال: من أهل البصرة قال: هذا الّذي تحدّث عنه، وتذكر اسمه جعفر بن محمّد هل تعرفه؟ قال: لا قال: فهل سمعت منه شيئاً قط؟ قال: لا. قال: فهذه الأحاديث عندك حقّ قال: نعم. قال: فمتى سمعتها؟ قال: لا أحفظ إلاّ أنّها أحاديث أهل مصرنا منذ دهر لا يمترون فيها. فقال عليه السلام له: لو رأيت هذا الرجل الّذي تحدّث عنه فقال لك: هذه الّتي ترويها عنّي كذب ولا أعرفها، ولم احدّث بها هل كنت تصدّقه؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال: لأنه شهد على قوله رجال لو شهد أحدهم على عنق رجل لجاز قوله - إلى أن قال -.

قال عليه السلام: اعجب حديثهم عندي الكذب عليّ والحكاية عني ما لم أقل،

وقولهم لو أنكر الأحاديث ما صدّقناه ما لهؤلاء لا أمهل الله لهم إن عليّاً عليه السلام لمّا أراد الخروج من البصرة قام على أطرافها ، وقال : لعنك الله يا أنتن الأرض تراباً ، وأسرعها خراباً ، وأشدّها عذاباً . فيك الداء الدوىّ قيل : ما هو؟ قال : كلام القدرى الّذى فيه الفرية على الله ، وبغضنا أهل البيت ، واستحلالهم الكذب علينا ـ الخبر ـ .

«فأنتم غرض» : أى هدف .

«لنابل» : أى رامى النبل ، وهو السهم .

«وأكلة لاكل ، وفريسة» : أى مصيدة .

«لصائل» : أى من حمل عليكم ، ومن أراد شاهداً لكلامه عليه السلام راجع التاريخ فى وقائع صاحب الزنج وغيره بها ، وكانوا أيام ابن الزبير أرادوا الخروج عنها خوفاً من الخوارج حتّى تصدّى المهلب لحربهم وآمنها حتّى قيل : بصرة المهلّب .

وتغلب عليها اسماعيل بن أرسلان جق عشر سنين نافذ الأمر حتّى أخذها منه سيف الدولة صدقة صاحب الحلة فى سنة (٤٩٩) واستناب بها مملوكاً لجده دبيس بن مزيد . فاجتمع ربيعة وغيرهم من العرب فقاتلوه فهزموه ولم يقدر أهل البصرة حفظها . فدخلوها بالسيف وأحرقوا الأسواق ، والدور الحسان ونهبوا ما قدروا عليه ، وأقاموا ينهبون ويحرقون ثلاثة وثلثين يوماً ، وتشرد أهلها فى السواد ، ونهبت خزانة كتب وقفها أبو الفرج بن أبى البغاء إلى أن أرسل محمّد بن ملكشاه عميداً إليها . فعاد أهلها وشرعوا فى عمارتها .

وفى سنة (٥١٣) استولى عليها علىّ بن سكمان ـ أحد امراء بلد قية الترك ـ وكان أوّلا أمير حاجّهم ـ فسيّر السلطان محمود فى سنة (٥١٤) عسكراً إليه فأخذها منه .

ولمّا انهزم دبيس بن صدقة أمير الحلة من المسترشد العباسى ، وسبى نسائه فى سنة (٥١٧) ونجا وحده بفرسه وسلاحه رحل إلى المنتفق على

قصد البصرة ، وأخذها . فساروا إليها ودخلوها ونهبوها ، وقتل سختكمان مقدم عسكرها وأجلى أهلها منها .

وسار أيضاً فى سنة (٣٢٣) إلى العراق ، وبذل ثلاثمأة حصان منعّلة بالذهب ، ومأتى ألف دينار ليرضى السلطان محمود السلجوقى . فلم يجبه . فقصد البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة ، وما هناك للخليفة والسلطان من الدخل ثمّ دخل البرية .

ولمّا قتل المستنجد العباسى منكبرس مقطع البصرة قصد ابن شيكا صهره ، البصرة ونهب قراها فى سنة (٥٦١) وعاودها فى سنة (٥٦٢) فنهبها وخربها من الجهة الشرقية .

ونهب بنو عامر فى سنة (٥٨٨) أيضاً البصرة ، وفارقها أهلها ، وجرت أُمور عظيمة ذكر ذلك كلّه الجزرى فى تاريخه .

هذا وأما ما نقله (ثم) فى الخطبة زيادة على ما نقله الرضى من قوله «قارئكم أقرأ الناس ، وزاهدكم أزهد الناس» فعدّة من القراء السبعة ، والزهاد الثمانية من أهل البصرة ، ومن أهل البصرة الحسن فى علمائهم ، والأحنف فى حلمائهم ، وأبو العيناء فى أُدبائهم ، والمازنى فى نحاتهم ، والأصمعى فى لغوييهم ، والجاحظ فى متكلّميهم .

وقوله «أموالكم أكثر الأموال» فى المعجم ـ بعد ذكر تكلّم وفد مكّة و المدينة والكوفة عند عبد الملك فى وصف بلادهم ـ قام خالد بن صفوان وافد البصرة ، وقال (يغدو قانصنا . فيجىء هذا بالشبوط والشيم ، و هذا بالظبى و الظليم ، ونحن أكثر الناس عاجاً ، وساجاً ، وخزّا ، ودیباجاً ، وبرذوناً هملاجا ، و خريدة مغناجاً . بيوتنا الذهب ، ونهرنا العجب أوله الرطب ، وأوسطه العنب ، وآخره القصب .

وقوله «ونسائكم أقنع الناس» فيه دخل فتى من أهل المدينة البصرة . فلمّا

انصرف قالوا له : كيف رأيت البصرة قال : خير بلد للجائع والغريب و المفلس أمّا الجائع فيأكل خبز الارز والصحنائه . فلا ينفق فى شهر إلاّ درهمين ، و أما الغريب فيتزوّج بشق درهم .

«قوله ثمرتكم أكثر الثمار» فيه قال الأصمعى سمعت الرشيد يقول : نظرنا فإذا كلّ ذهب وفضّة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن نخل البصرة .

«سخر لكم الماء يغدو عليكم ، ويروح صلاحاً لمعاشكم ، والبحر سبباً لكثرة أموالكم» فيه قال الجاحظ : بالبصرة ثلاث اعجوبات ليست فى غيرها من البلدان منها أنّ عدد المدّ والجزر فيها شئ واحد فى جميع الدهر . فيقبل عند حاجتهم إليه ، ويرتدّ عند استغنائهم عنه ثمّ لا يبطئ عنها إلاّ بقدر هضمها واستمرائها وجمامها واستراحتها . لا يقتلها عطشاً ولا غرقاً ، ولا يغبّها ظمأ ، يجئ على حساب معلوم ، وتدبير منظوم ، وحدود ثابتة ، وعادة قائمة . يزيدها القمر فى امتلائه كما يزيدها فى نقصانه . فلا يخفى على أهل الغلات متى يتخلفون ، و متى يذهبون ويرجعون بعد أن يعرفوا موضع القمر ، وكم مضى من الشهر . فهى آية واعجوبة ومفخر واُحدوثة لا يخافون المحل ، ولا يخشون الحطمة .

وقال الحموى فى بيانه وشرحه : إنّ دجلة والفرات يختلطان قرب البصرة ويصيران نهراً يجرى من الشمال إلى الجنوب ـ وهو الجزر ـ ثمّ يرجع من الجنوب إلى الشمال ـ وهو المدّ ـ يفعل ذلك فى كلّ يوم وليلة مرّتين يزيد فى أوّل كلّ شهر ووسطه أكثر من سايره . فإذا انتهى أوّل الشهر إلى غايته ، وسقى المواضع العالية والأراضى القاصية أخذ يمدّ كلّ يوم وليله أنقص من اليوم الّذى قبله ، وينتهى غاية نقص زيادته فى آخر يوم من الاُسبوع الأوّل ثمّ يمدّ فى كلّ يوم أكثر من مدّة فى اليوم الّذى قبله حتّى ينتهى غاية زيادة مدّه فى نصف الشهر ثمّ يأخذ فى النقص إلى آخر الاُسبوع ثمّ فى الزيادة إلى آخر الشهر هكذا أبداً .

١٢/ فى ١/٩٨

(ومِنْهُ):

فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَيُجْهِدُهَا رَاكِبُهَا. أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ. يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ. فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ. فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ لَا رَهَجَ لَهُ وَلَا حِسَّ.

وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ

وفى ١/١٢٤ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ مِنَ الْمَلَاحِمِ بِالْبَصْرَةِ

يَا أَحْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ. يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ (يُومِي بِذٰلِكَ إِلَى صَاحِبِ الزِّنْجِ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ): وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا

أقول: قال (ثم) بعد العنوان الأوّل: نبّه عليه السلام فى هذا الفصل على ا سيقع بعده من الفتن، ويختص منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة ـ إلى أن

قال ـ وقال عليه السلام ـ بعد فصل فى غرق البصرة وقيام الأحنف إليه عليه السلام وقوله له متى يكون ذلك ـ «يا أبا بحر إنّك لن تدرك ذلك الزمان ، وإنّ بينك وبينه لقروناً ، ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكى يبلّغوه إخوانهم ، إذا هم رأوا البصرة قد تحوّلت أخصاصها دوراً ، وآجامها قصوراً . فالهرب الهرب . فإنّه لا بصرة لكم يومئذٍ ـ ثمّ التفت عن يمينه فقال ـ كم بينكم وبين الأبُلّة ـ فقال له المنذر بن الجارود : أربعة فراسخ . فقال عليه السلام له ـ صدقت فوالّذى بعث محمداً وأكرمه بالنبوّة ، وخصّه بالرسالة ، وعجّل بروحه إلى الجنّة . لقد سمعت منه كما تسمعون منّى أن قال : ياعلىّ هل علمت أنّ بين الّتى تسمّى البصرة ، والّتى تسمّى الأبُلّة أربعة فراسخ ، وسيكون فى الّتى تسمّى الأبُلّة موضع أصحاب العشور يقتل فى ذلك الموضع من أُمّتى سبعون ألف شهيد هم يومئذٍ بمنزلة شهداء بدر .

فقال له عليه السلام المنذر : ومن يقتلهم؟

قال عليه السلام : يقتلهم إخوان الجن ، وهم جيل كأنّهم الشياطين . سود ألوانهم منتنة أرواحهم . شديد كلبهم ، قليل سلبهم . طوبى لمن قتلهم ، وطوبى لمن قتلوه . ينفر لجهادهم فى ذلك الزمان قوم أذلّة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان . مجهولون فى الأرض . معروفون فى السماء . يبكى السماء عليهم وسكّانها ، والأرض وسكّانها ـ ثمّ هملت عيناه بالبكاء ثمّ قال : ويحك يا بصرة . ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حسّ ـ .

فقال له المنذر : وما الّذى يصيبهم من قبل الغرق فى ما ذكرت وما الويح ، وما الويل ؟

قال عليه السلام : هما بابان . فالويح باب الرحمة ، والويل باب العذاب يا ابن الجارود نعم تارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضاً ، ومنها فتنة تكون منها اخراب منازل ، وخراب ديار ، وانتهاك أموال ، وقتل رجال ، وسبى نساء .

يذبحن ذبحاً ياويل أمرهن به حديث عجيب، ومنها أن يستحلّ بها الدجال الأكبر الأعور. الممسوح العين اليمنى، والأخرى كأنّها ممزوجة بالدم لكأنّها في الحمرة علقة تأتي الحدقة كهيئة حبّة العنب الطافية على الماء. فيتبعه من أهلها عدّة من قتل بالأبلّة من الشهداء أناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب. ثمّ رجف ثمّ قذف. ثمّ خسف ثمّ مسخ. ثمّ الجوع الأغبر. ثمّ الموت الأحمر، وهو الغرق ـ الخ ـ.

قلت: إنّه وإن كان قوله في روايته «يقتلهم إخوان الجن، وهم جيل كأنّهم الشياطين سود ألوانهم. منتنة أرواحهم. شديد كلبهم. قليل سلبهم» ينطبق على أصحاب صاحب الزنج لأنّهم كانوا زنوجاً، وكذلك قوله «ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حسّ» فإنّه نظير قوله عليه السلام في الثاني ـ الوارد فيهم بالاتفاق ـ «وقد سار بالجيش الّذي لا يكون له غبار، ولا لجب، ولا قعقعة لجم، ولا حمحمة خيل» إلاّ أنّه لا يوافقه قوله «يقتل في ذلك الموضع ـ أي الأبلّة ـ من أمّتي سبعون ألف شهيد هم يومئذٍ بمنزلة شهداء بدر» فإنّه وإن ذكر التاريخ «أنّ في رجب سنة (٢٥٦) دخل الزنج الأبلّة وقتلوا فيها خلقاً كثيراً وأحرقوها ـ وكانت مبنية بالساج ـ فأسرعت النار فيها وحووا الأموال العظيمة، وكان ما أحرقت النار أكثر من الّذي نهب» إلاّ أنّ المقتولين كانوا عامة عمياء، وكذلك لا يوافقه.

قوله في رواية المصنف «يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلّة عند المتكبرين في الأرض مجهولون وفي السماء معروفون» وزيادته في رواية (ثم) «تبكي السماء عليهم» ـ إلخ ـ فإنّ المحاربين مع أصحاب الزنج كانوا ناصبة سفيانية من جنس من قال الآبي في كتابه نثر الدرّ إنّه لمّا أُدخل المعتضد رأس صاحب الزنج إلى بغداد دخل في جيش لم ير مثله قال العلاء بن صاعد فلمّا صرنا بباب الطاق صاح قوم من درب من دروب الأسواق رحم الله معاوية

ـ وزاد حتّى علّت أصوات العامة بذلك ـ فتغيّر وجه المعتضد ، وقال لى : ألا تسمع ما أعجب هذا ، وما الّذى اقتضى ذكر معاوية فى هذا الوقت ، والله لقد بلغ أبى إلى الموت ، وما نجوت إلاّ بعد مشارفته ، ولقينا كلّ جهد وبلاء حتّى انجينا هؤلاء الكلاب من عدوّهم وحصّنا حرمهم ، وأولادهم فتركوا أن يترحموا على العباس ، وابن عباس ، ومن ولد من الخلفاء ، وتركوا الترحم على علىّ عليه السلام ، وحمزة ، وجعفر ، والحسن والحسين عليهما السلام والله لا برحت أو أؤدب هؤلاء ـ الخ ـ

والظاهر أنّه وقع فى الرواية خلط من الرواة أو النساخ ، وأنّه عليه السلام ذكر فتن البصرة ومحنها بعد عصره عليه السلام إلى الأبد مرّة بعد مرّة كما يشهد له قوله عليه السلام «يا ابن الجارود نعم تارات عظيمة منها كذا ومنها كذا» وأنّ قوله عليه السلام «يقتل» ـ الخ .

وقوله عليه السلام «يجاهدهم» ـ الخ ـ كانا مذكورين فى غير فتنة الزنج ، و خلطا بقوله عليه السلام «إخوان الجن» ـ إلخ ـ .

وقوله عليه السلام «من جيش» ـ إلخ ـ وممّا يدلّ على أنّهما روايتان أنّ الحموى فى البلدان روى أنه عليه السلام قال بالبصرة فى خطبة له يستشهد عند مسجد جامعها ، وموضع عشورها ثمانون ألف شهيد ـ إلى أن قال ـ وفى رواية أخرى أنّه قال : ليأتين عليها يوم لا يرى منها إلّا شرافات جامعها كجؤجؤ السفينة ثمّ قال : ويحك يا بصرة من جيش لا غبار له ـ إلخ ـ فترى أنّه جعل رواية شهداء الأبلّة غير رواية صاحب الزنج .

وبعد ما استظهرنا من الخلط لا يبعد أن يكون قوله عليه السلام «فتن ـ إلى قوله قليل سلبهم» من العنوان الأوّل وصف التتار لا أصحاب الزنج . فان وصف الأتراك بكونهم شديداً كلبهم قليلاً سلبهم . معروف ذكره الجاحظ فى رسالته فى مناقب الأتراك ، وفى الكامل «سمعت من بعض أكابر الكرج قال : من حدّثكم أنّ التتر انهزموا أو أسروا فلا تصدّقوه ، وإذا حدّثتم أنّهم قتلوا . فصدّقوا .

فإنّ القوم لا يفرّون أبداً ،ولقد أخذنا أسيراً منهم ·فألقى نفسه من الدابة ، وضرب رأسه بالحجر إلى أن مات »وكذلك كلّ فقرة منه من قوله «لا تقوم ـ إلخ ـ وقوله «لا ترد» ـ إلخ ـ وقوله «يحفزها» انطباقها على التتار واضح دون الزنج نعم قوله عليه السلام «فويل لك يا بصرة» ـ الخ ـ وصف الزنج ·كما أنّ قوله «ثمّ الموت الأحمر وهو الغرق» فى رواية (ثم) محرف «ثمّ الموت الأحمر ثمّ الغرق» فإنّ الموت الأحمر إنّما هو القتل بالسيف وتصحيح (ثم) له خطأ ·

ويشهد لما قاله عليه السلام من الغرق فى تارات البصرة مافى الطبرى أنّ فى ذى القعدة من سنة (٢٥٥) جمع أهل البصرة لصاحب الزنج ،وحشدوا له وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحماد الساجى ـ وكان من غزاة البحر فى الشذا وله علم بركوبها والحرب فيها فجمع المطّوّعة ،ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ،ومن خفّ معه من حزبى البلاليّة والسعديّة ، ومن أحبّ النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميّين ،والقرشيّين ،وساير أصناف الناس فشحن ثلاثة مراكب من الشذا من الرماة ،وجعلوا يزدحمون فى الشذا حرصاً على حضور ذلك المشهد ،ومضى جمهور الناس رجّالة منهم من معه السلاح ،ومنهم نظّارة لا سلاح معهم ·فدخلت الشذا والسفن النهر المعروف بامّ حبيب بعد زوال الشمس، ومرّت الرجّالة والنظّارة على شاطئ النهر قد سدّوا ماينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة ،وكان صاحب الزنج مقيماً بموضعه من النهر المعروف بشيطان ،ولمّا أتته طلائعه بذلك وجّه زريقاً وأبا الليث الإصبهانى في جمع فى الجانب الشرقى كميناً ،والحسين الحمّامى في جمع في الجانب الغربى كذلك ،وأمر عليّ بن أبان ومن بقى معه بتلقّى القوم ،وأمر نساء الزنج بجمع الآجر وامداد الرجال به ـ إلى أن قال ـ:

وخرج الكمينان عن جنبتى النهر من وراء السفن والرجالة وخبطوا من ولى من الرجالة والنظّارة الّذين كانوا على شاطئ النهر ·فغرقت طائفة ، و

قتلت طائفه ، وهربت طائفة نحو الشط طمعاً فى النجاة · فأدركها السيف فمن ثبت قتل ، ومن رجع إلى الماء غرق ، ولجأ من كان على شاطئ النهر من الرّجالة إلى النهر · فغرقوا ، وقتلوا حتّى ابير أكثر ذلك الجمع ، ولم ينج منهم الاّ الشريد وكثرت المفقودون بالبصرة ، وعلا العويل من نسائهم ·

وهذا يوم الشذا الّذى ذكره الناس وأعظموا ما كان فيه من القتل وقتل من بنى هاشم جمع من ولد جعفر بن سليمان ، وأربعون من الرماة المشهورين ، وجمعت له الرؤوس فذهب إليه جماعة من أوليائهم · فأخذوا ما عرفوا منها ·

كما يشهد لقوله عليه السلام فى رواية (ثم) « ثمّ خسف » فى تارات البصرة ـ وهو فى غير مورد صاحب الزنج ـ ما فى الكامل أنّ فى سنة (٢٨٩) هبّ ريح عاصف بالبصرة · فقلعت كثيراً من نخلها ، وخسف بموضع منها هلك فيه ستّة آلاف نفس ·

كما يشهد لقوله عليه السلام فى روايته أيضاً « يذبحن ذبحاً » ما فى المروج ذكر أنّ امرأة من الزنج قد احتضرت ، وعندها اختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت · فيأكلون لحمها · فما ماتت حتّى ابتدروها فقطعوها ، وأكلوها ، وجائت اختها ومعها رأسها وهى تبكى · فقيل لها : ويحك ما لك تبكين قالت اجتمعوا على اختى فما تركوها حتّى تموت موتاً حسناً حتّى قطعوها · فظلمونى فلم يعطونى من لحمها شيئاً إلاّ رأسها هذا ·

كما يشهد لقوله عليه السلام فى روايته أيضاً « ياويل اُمرهنّ به حديث عجيب ما فى المروج أيضاً أنّه بلغ من أمر عسكر صاحب الزنج أنّه كان ينادى فيه على المرأة من ولد هاشم وقريش ، وغيرهم من ساير العرب تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ، وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلانى لكلّ زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ، ويجد من النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ·

قول المصنّف «و منه» هكذا فى المصرية ، والصواب (منها) كما فى (ثم) والخطية .

«فتن كقطع الليل المظلم» فى الشدّة وعدم الاهتداء فيها إلى حيلة .

«لا تقوم لها قائمة» : أى لا تقدر قائمة على القيام فى قبالها .

«ولا تردّ لها راية» لعدم وجود مقاوم لها .

«تأتيكم» تلك الفتن .

«مزمومة» كدابة جعلت لها زمام .

«مرحولة» كناقة انتخبت راحله .

«يحفزها» : أى يدفعها شديداً .

«قائدها» القيّم بأمرها .

«ويجهدها» كما فى الثلاثة ، وأما (ويجدّها) كما فى المصرية فغلط : أى يحملها على الجهد والمشقة .

«راكبها» حتّى يبلغ قريبا مقصده .

«أهلها قوم شديد كلبهم . قليل سلبهم» قد عرفت انطباق هذا الكلام على التتار دون الزنج كما ادعاه (ثم) .

«يجاهدهم فى سبيل الله» هكذا فى المصرية ، والصواب (فى الله) كما فى (حد) و (ثم) والخطية .

«قوم أذلّة عند المتكبّرين فى الأرض مجهولون ، وفى السماء معروفون» روى المدائنى فى صفينه — كما فى (حد) عند قوله عليه السلام «يا أهل العراق» — إنّه عليه السلام خطب بعد النهروان . فذكر طرفاً من الملاحم . فقال عليه السلام «إذا كثرت الأخلاط — إلى أن قال — فيا ابن حرّة الاماء متى تنتظر ، ابشر بنصر قريب من رب رحيم ألا فويل للمتكبّرين عدد حصد الحاصدين ، وقتل الفاسقين عصاة ذى العرش العظيم فبامى وامى من عدّة قليلة . أسماؤهم فى الأرض مجهولة

قد دان حينئذ ظهورهم» .

ثمّ قدعرفت عدم انطباق هذا الكلام كسابقه على صاحب الزنج كما ادعاه (ثم) لكن لا ينطبق على التتار أيضاً ،وكان سابقه قابلا للانطباق على التتار، وأما الآتى فينطبق جميعه على صاحب الزنج احتمالاً .

«فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله» جيش من نقمه تعالى يمكن أن يكونوا على الحقّ فيكون الكلام اشارة إلى جيش الغضب أصحاب القائم عليه السلام ـ ويؤيّده سابقه ـ ويمكن أن يكونوا على الباطل فقد قال تعالى وكذلك نولّى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون[1]» فيحتمل إرادة صاحب الزنج به ويؤيّده ما بعده .

«لا رهج له»: أى لا غبار له .

«ولا حسّ»: أى ولا صوت .

«وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر»: أى القتل .قال المسعودى: قد كان أتى صاحب الزنج بالبصرة فى وقعة واحدة على قتل ثلاثمأة ألف، وفى رسالة ابن القادح قتل علوى البصرة فى موضع بها يقال له: العقيق أربعة وعشرين ألفاً عدّوهم بالقصب وحرّق جامعها .

وقال الجزرى: نادى أصحاب صاحب الزنج فى البصرة من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم بن يحيى المهلّبى .فحضروا حتّى ملأوا الرحائب فلمّا رأى اجتماعهم انتهز الفرصة .فأمر بقتلهم .فكان السيف يعمل فيهم ،وأصواتهم مرتفعة بالشهادة .

«والجوع الأغبر»: أى القحط ،وصف عليه السلام الجوع بالأغبر لأنّ الجائع لا يقدر على النهوض .فيسقط على التراب فيكون مغبراً كما وصف عليه السلام الموت بالأحمر لأنّ من يقتل بالسيف يصير محمرا من الدم .

(١) الانعام: ١٢٩ .

فى المروج كان المهلّبى ـ من علّية أصحاب الزنج ـ بعد تلك الوقعة بالبصرة ينصب منبراً بالموضع المعروف بمقبرة بنى يشكر، ويصلى يوم الجمعة بالناس، ويخطب لصاحبه، ويترحم بعد ذلك على أبى بكر وعمر، ولا يذكر عثمان ولا علياً عليه السلام فى خطبته ويلعن جبابرة بنى العباس، وأبا موسى الأشعرى، و عمرو بن العاص، ومعاوية. فركن من بقى بالبصرة من الناس إلى هذا الفعل منه. فاجتمعوا فى بعض الجمع. فوضع فيهم السيف. فمن ناج سالم، ومن مقتول ومن غريق، واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار. فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب. فيذبحونها، ويأكلونها والغيران والسنانير. فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شىء. فكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه وعدموا مع ذلك الماء العذب.

قول المصنّف فى الثانى «فى ما يخبر به من الملاحم» جمع الملحمة الوقعة العظيمة فى الفتنة بالبصرة.

قوله عليه السلام «يا أحنف» قال (خو) «شهد أحنف الجمل، ولم يشهد صفين، وكان يكنى أبا بكر».

قلت: بل شهد صفين ولم يشهد الجمل وكنيته أبو بحر لا أبو بكر.

«كأنّى به، وقد سار بالجيش الّذى لا يكون له غبار، ولا لجب»: أى صوت.

«ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل» أشار عليه السلام إلى صاحب الزنج. قال الطبرى: وفى النصف من شوال من سنة (٢٥٥) ظهر فى فرات البصرة رجل زعم أنه (على بن محمّد بن أحمد بن على بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين وجمع إليه الزنج الّذين كانوا يكسبون السباخ ـ إلى أن قال ـ كان رجوعه إلى البصرة فى شهر رمضان سنة (٢٥٥) ـ إلى أن قال ـ فذكر عن ريحان بن صالح ـ أحد غلمان الشورجيّين، وهو أوّل من صحبه منهم ـ

قال: كنت موكّلاً بغلمان مولاى أنقل الدقيق إليهم من البصرة، وأفرّقه

فيهم ٠فحملت ذلك إليهم كما كنت أفعل ٠فمررت به ،وهو مقيم ببرنخل فى قصر القرشى ٠فأخذنى أصحابه فصاروا بى إليه وأمرونى بالتسليم عليه بالإمرة ففعلت فسألنى عن الموضع الّذى جئت منه ٠فأخبرته أنّى أقبلت من البصرة ـ إلى أن قال ـ فسألنى عن أخبار غلمان الشورجيّين ،وما يجرى لكلّ غلام منهم من الدقيق ،والسويق ،والتمر ،وعمّن يعمل فى الشورج ،من الأحرار و العبيد ٠ فأعلمته ذلك فدعانى إلى ما هو عليه ٠فاجبته فقال لى : احتل فى من قدرت عليه من الغلمان ٠فأقبل بهم إلىّ ووعدنى أن يقوّدنى على من آتيه به منهم ، وأن يحسن إلىّ ثمّ رجعت إليه ،وقد قدم عليه رفيق بشبل بن سالم من غلمان الدباسيين ،وبحريرة كان أمره بابتياعها ليتّخذها لواء ٠فكتب فيها بحمرة و خضرة «إنّ اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم» ـ الآية ـ وكتب اسمه واسم أبيه وعلّقها فى رأس مردى ،وخرج فى السحر لليلتين بقيتا من شهر رمضان ٠فلمّا صار إلى مؤخر القصر الّذى كان فيه لقيه غلمان رجل من الشورجيّين يعرف بالعطّار متوجّهين إلى أعمالهم ٠فأمر بأخذهم ٠فأخذوا وكتف وكيلهم ٠إلى أن قال : وأُخذ معهم مكتوفاً ٠وكانوا فى نهر يعرف بنهر المكاثر ثمّ مضى إلى موضع السيرافى ٠فأخذ منه خمسين ومأة غلام فيهم زريق ، و أبو الخنجر ثمّ صار إلى موضع ابن عطاء ٠فأخذ طريقاً وصبيحاً الاعسر ، و راشد المغربى ،وراشدا القرماطى ،واخذ معهم ثمانين غلاماً ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سهل الطحان ثمّ لم يزل يفعل ذلك كذلك فى يومه حتّى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيّين ٠ثمّ جمعهم ،وقام فيهم خطيباً فمنّاهم ،ووعدهم أن يقوّدهم ويرأّسهم ،ويملّكهم الأموال إلى أن قال :

ثمّ دعا مواليهم ،فقال: قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الّذين استضعفتموهم ـ إلى أن قال ـ

ثمّ سار حتّى وافى دجيلاً ٠فوجد سفن سماد تدخل فى المد ٠فركبوها ،

وصاروا إلى نهرميمون ، وأقام هناك يجتمع إليه السودان إلى يوم الفطر فصلّى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ماكانوا عليه من سوء الحال ، وأنّ اللّه قد استنقذهم به إلى أن قال :

فلمّا كثر من اجتمع إليه من الزنج قوّد قوّاده ، فانتهى إليه أن الحميرى وعقيلا مع خليفة ابن أبى عون قد أقبلوا نحوه وليس فى عسكره يومئذٍ إلاّ ثلاثة أسياف سيفه ، وسيف علىّ بن أبان ، وسيف محمّد بن سلم — إلى أن قال — :

فقال له علىّ بن أبان قد كنا نرى من وراءنا بارقة ، ونسمع حسّ قوم يتّبعوننا فلم يستتم كلامه حتّى لحق القوم ، وتنادى الزنج السلاح ، وكان فتح الحجام يأكل فلمّا نهض تناول طبقاً كان بين يديه وتقدّم فلقيه رجل يقال له : بلبل فحمل عليه وحذفه بالطبق الّذى كان فى يده . فرمى بلبل بسلاحه ، وولّى هارباً و انهزم أصحابه — وكانوا أربعة آلاف — فذهبوا على وجوههم وقتل من قتل منهم ، ومات بعضهم عطشا ، وأسر منهم قوم . فأتى بهم صاحب الزنج فأمر بضرب أعناقهم فضربت وحملت الرؤوس على بغال كان أخذها من الشورجيّين ، وأتى قرية تعرف بحبّى فأهدى له رجل فرساً كميتاً . فلم يجد سرجاً ولا لجاماً . فركبه بحبل وسنفه بليف — إلى أن قال — .

أتاه يحيى بن يحيى المعروف بالزبيرى رئيس وكلاء الهاشميّين فى سيب بمأتين وخمسين ديناراً ، وألف درهم فكان هذا أوّل مال صار إليه ثمّ سأله عن دوابّ وكلاء الهاشميّين . فدلّه على ثلاثة براذين : كميت ، واشقر ، واشهب فدفع أحدها إلى ابن سلم والآخر إلى يحيى بن محمّد ، وأعطى مشرقاً الثالث ووجد بعض السودان لبعض بنى هاشم داراً فيها سلاح . فانتهبوه . فصار فى أيدى الزنوج سيوف وبالات وزقايات وتراس — إلى أن قال — :

وأمر بانتهاب القادسية والشيفيا ، فانتهب منهما مالاً عظيماً عيناً وورقاً ؛ وجوهراً ، وحليا ، وأوانى ذهب ، وفضة ، وسبى منهما يومئذٍ غلماناً ونسوة ، و

ذلك أوّل سبى سبى ـ إلى أن قال ـ :

أعلمه أحدهم أنّ أصحابه قد شغلوا بخمور وانبذة وجدوها فى القادسية فصار إليهم ، وأعلمهم أنّ ذلك ممّا لا يجوز لهم ، وحرّم النبيذ فى ذلك اليوم عليهم ، وقال لهم : إنّكم تلاقون جيوشاً تقاتلونهم فدعوا شرب النبيذ ، والتشاغل به . فاجابوه إلى ذلك .

وروى أنّه لاقاه أبوهلال الترك مع زهاء أربعة آلاف ، وفى مقدمته قوم عليهم ثياب مشهرة ، وأعلام وطبول . فحملوا عليهم ، وألقى صاحب علمهم بخشبتين كانتا معه عليه . فصرعه . فانهزموا ، وأفلت أبوهلال على دابة أخرى ، وقتل من أصحابه زهاء ألف وخمسمأة ثمّ حال بينهم الليل . فأمر فى الصبح بتتبّعهم . فجاؤا برؤوس وأسرى فقتلهم .

وقال المسعودى : تكلّم الناس فى مقدار ماقتل صاحب الزنج فى أيّامه والمقلل يقول : أفنى من الناس خمسمأة ألف ألف .

«يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النعام» لم يذكر أحد أنّ الزنوج كانوا يثيرون الأرض بأقدامهم ، والظاهر أنه لمّا كان الاخبار بهم ، وبالتتار فى خطبة واحدة ـ كما يأتى ـ حصل الخلط ، وأنّ الأصل كان «تثير خيولهم الأرض بأقدام كأنّها أقدام النعام» فقال الجزرى فى التتار «وأما دوابّهم الّتى يركبونها . فإنّها تحفر الأرض بحوافرها ، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير» .

قول المصنّف «يؤمى بذلك إلى صاحب الزنج» لا ريب أنّ العنوان إلى قوله «ولا حمحمة خيل» إشارة إلى صاحب الزنج ، وأما قوله «يثيرون الأرض بأقدام كأنّها أقدام النعام» فقد عرفت الاشكال فيه ، واستظهار كونه من كلامه عليه السلام فى التتار ، وحصل الخلط .

هذا وفى رسالة ابن القارح إلى المعرّى فى كلام علىّ عليه السلام «تهلك

البصرة بالزنج» فصحفّوه وقالوا: قال «تهلك البصرة بالريح».

«ثمّ قال عليه السلام «ويل لسككم العامرة، والدور المزخرفة الّتى لها أجنحة» جمع جناح.

«كأجنحة النسور، وخراطيم» جمع خرطوم.

«كخراطيم الفيلة» فى الطبرى لمّا أخرب صاحب الزنج البصرة، وانتهى إليه عظيم مافعله أصحابه فيها كان الخبيث يقول: دعوت على أهل البصرة، وقال: تولّت الملائكة أخرابها دون أصحابى، ولو كان أصحابى تولّوا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الّذى يحكى عنها.

وفى المروج كانت مدّة أيام صاحب الزنج أربع عشرة سنة، وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير، والذكر والأنثى، ويحرّق ويخرب.

وفى الكامل أُحرقت البصرة فى عدّة مواضع: منها المربد، وزهران، وغيرهما، واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل، وعمّها القتل والنهب والاحراق

«من أُولئك» متعلّق بقوله عليه السلام «ويل»، وفى رسالة ابن القارح قال، صاحب الزنج لأصحابه إنّكم اعنتم بقبح مظهر. فاشفعوه بقبح مخبر. اجعلوا كلّ عامر قفرا، وكلّ بيت قبراً.

«لا يندب قتيلهم، ولا يفتقد» هكذا فى المصرية، والصواب، ولا يفقد كما فى الثلاثة.

«غائبهم» فى الكامل أوقع سعيد الحاجب فى رجب (٢٥٧) بجماعة من الزنج. فهزمهم واستنقذ ما معهم من النساء والنهب، وبلغه الخبر بجمع آخر منهم. فسار إليهم فهزمهم فكانت المرأة من تلك الناحية تأخذ الزنج فتأتى به عسكر سعيد فلا يمتنع عليها.

وفيه ـ بعد ذكر أمر صاحب الزنج المهلبى لكبس عسكر المكرم، وانهزام الزنج وقتل بعضهم وغرقهم وأسر أكثرهم ـ «فأمر المعتضد أن يحمل الأسرى

ورؤوس القتلى ويعبر بهم على مدينة صاحبهم ، وبلغ الموفق أنّ الخبيث قال لهم : إنّ الاُسرى من المستأمنة إليهم وأنّ الرؤوس تمويه عليكم . فأمر بالقاء الرؤوس ، فى منجنيق إليهم . فلمّا رأوها عرفوها . فاظهروا الجزع والبكاء ، وظهر لهم كذب الخبيث » ـ فترى تضمن الكلام أنّ جمعاً منهم قتلوا ولم يتفقد هم أحد ولا ندب عليهم ، وذلك لعدم كونهم أقارب وإنّما تجمعهم الزنجية وبكائهم بعد مشاهدة رؤوس جمع منهم إنّما كان خوفاً على نفوسهم .

هذا ، وقال (حد) قال الطبرى : انصرف الموفق لليلتين خلتا من صفر من سنة (٢٧٠) من نهر أبى الخصيب ورأس الناجم ـ أى صاحب الزنج ـ منصوب بين يديه على قناة فى شذاة ، والناس من جانبى النهر ينظرون إليه حتّى وافى قصره بالموفقية .

وذكر المسعودى فى مروجه « أنّ الناجم ارتثّ وحمل إلى أبى أحمد وهو حىّ . فسلّمه إلى ابنه المعتضد ، وأمر بتعذيبه . فجعله كردناجا على النار و جلده . يتفرقع حتّى هلك » .

والصحيح رواية الطبرى ، وإنّما الّذى جعل كردناجا هو قرطاس الّذى رمى الموفق بسهم .

قال التنوخى فى شواذ المحاضرة : كان الزنج يصيحون ـ لما رمى الموفق ، وتأخّر لعلاج جراحته عن الحرب ـ ملّحوه ملّحوه ـ أى قدمات ، و أنتم تكتمون موته ، فاجعلوه كاللحم المملوح ـ وكان قرطاس الرامى يصيح ـ بالمعتضد فى الحرب إذا أخذتنى فاجعلنى كردناج ـ يهزؤ به ـ فلّما ظفر به أدخل فى دبره سيخاً من حديد وأخرجه من فيه وجعله على النار كردناجا .

قلت : لم يذكر المسعودى أنّ المعتضد جعل صاحب الزنج كردناجا على النار حتّى ينافى قول الطبرى بقتله فى الحرب ، وانّما قال المسعودى : إنّ المعتضد جعل محمّد بن الحسن بن سهل ـ اول من كتب اخبار صاحب الزنج ـ

كرد ناجا على النار ولكن (حد) خلط.

هذا ،وخرج الزنج بالبصرة مرتين قبل تلك المرّة المعروفة أو لاهما فى آخر أيام مصعب بن الزبير .فأفسدوا ،وتنالوا الثمار .فشكا الناس ذلك الى واليهم فأرسل إليهم جيشاً .فتفرّقوا ،وأخذ بعضهم فقتل وصلب .

والثانية فى أيام الحجّاج لمّا وثب ابن الجارود مع جمع على الحجّاج لما أراد نقص عطائهم .فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وأمّروا عليهم رجلاً ملقباً (شيرزنج) فلمّا فرغ الحجّاج من أمر ابن الجارود أمر شرطة البصرة أن يرسل إليهم جيشاً .فهزمهم وقتلهم ـ ومراده عليه السلام تلك المعروفة .

«أنا كأبّ الدنيا لوجهها ،وقادرها بقدرها ،وناظرها بعينها» قال (حد) هو مثل الكلمات المحكية عن عيسى عليه السلام :أنا الّذى كببت الدنيا على وجهها ليس لى زوجة تموت ،ولا بيت يخرب ،وسادى الحجر ،وفراشى المدر ،وسراجى القمر

قلت :كونه مثله غير معلوم .فهو عليه السلام قال «كابّ الدنيا لوجهها» وكلام عيسى عليه السلام «كابّ الدنيا على وجهها» فالظاهر أنّه عليه السلام لمّا قال ذلك بعد اخباره عن المغيبات قال :إنّه محيط بظاهر الدنيا وباطنها كمن يقلب الشىء ويكبّه لوجهه .فينظر بعينه إلى جميعه .فالظاهر أنّه نظير ما ورد عن عترته عليهم السلام فى إحاطة الإمام بما فى الدنيا .فروى الصفار عن حمزة الجعفى قال :دخلت على الرضا عليه السلام ومعى صحيفة أوقرطاس فيه (عن جعفر عليه السلام أنّ الدنيا مثلّث لصاحب الأمر فى مثل فلقة الجوز» فقال :ياحمزة ذا والله حقّ .

١٣/فى ١٢٤

(مِنْهُ ، وَيُومِي بِهِ إِلَى وَصْفِ الْأَتْرَاكِ) كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ

اَلْخَيْلَ اَلْعِتَاقَ . وَيَكُونُ هُنَاكَ اِسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ اَلْمَجْرُوحُ عَلَى اَلْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ اَلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ اَلْمَأْسُورِ (فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ اَلْغَيْبِ ، فَضَحِكَ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا) : يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ . وَإِنَّمَا عِلْمُ اَلْغَيْبِ عِلْمُ اَلسَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ « إِنَّ اَللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلسَّاعَةِ » اَلْآيَةَ ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي اَلْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي اَلنَّارِ حَطَبًا ، أَوْ فِي اَلْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا . فَهَذَا عِلْمُ اَلْغَيْبِ اَلَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اَللَّهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اَللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي

أقول : جميع ما مضى ويأتى من إخباره عليه السلام عن المستقبل يمكن لمشكك أن يشكك فيها ببعض الشبهات بأنّا لم نجده فى غير النهج فى كتاب كان مقدّماً على وقوعه ، وأما هذا فلا مجال لتشكيك فيه . ففرغ الرضى من النهج فى (٤٠٠) وتوفى فى سنة (٤٠٦) وكان أوّل واقعة التتار فى سنة (٦١٧) . ومرّ فى سابقه أنّ قوله عليه السلام فى ذاك بنقل المصنّف «يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النعام» كان جزء هذا لكونهما فى خطبة واحدة . فخلطهما الرواة مع تحريف ، وأنّ الأصل «خيولهم تثير الأرض بأقدام كأنّها أقدام النعام» .

ومرّ فى سابقه أيضاً أنّ قوله عليه السلام فى عنوان آخر «فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ، ولا ترد لها راية . تأتيكم مزمومة مرحولة . يحفزها قائد ها

ويجهدها راكبها ·قوم شديد كلبهم ·قليل سلبهم» ينطبق على التتار ·

قول المصنّف «منها» :أى من خطبة الملاحم ،ولكن فى (حد) و الخطية (ومنه) وفى (ثم) (ومن كلام له عليه السلام) ·

«ويؤمى بذلك الى وصف التتار» وفى (ثم) و(حد) «يؤمى به إلى وصف الأتراك» ·

قال الجزرى :كان طائفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديماً ،ونزلوا وراء بلاد تركستان ،وكان بينهم وبين الخطا عداوة و حروب ·فلمّا سمعوا بما فعله خوارزمشاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشليخان ـ إلى أن قال ـ بعد ذكر الاختلاف بين كشليخان وخوارزمشاه و إرادته حربه ،ثمّ اتّفق خروج هؤلاء ·التتر الّذين خربوا الدنيا وملكهم جنگيز خان النهرجى على كشليخان التترى الأوّل ·فاشتغل بهم كشليخان عن خوارزم ـ شاه ـ إلخ ـ ·

وللجاحظ رسالة فى الترك قال فيها نقلاً عن حميد بن عبد الحميد قال التركى :يرمى بعشرة أسهم قبل أن يفوّق الخارجى سهماً واحداً وتركض دابته منحدراً من جبل أو متسفلاً إلى بطن واد بأكثر ممّا يمكن الخارجى على بسيط الأرض·

وللتركى أربعة أعين : عينان فى وجهه ،وعينان فى قفاه ،وإذا أدبر فهو السم الناقع لأنّه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب به وهو مقبل ، ولو حصّلت مدّة عمر التركى ،وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض، وليس فى الأرض أحد إلّا وبدنه ينتقص على اقيئات اللحم وحده غيره ،وكذلك دابته تكتفى بالعنقر والعشب و الشجر لا يظلها من شمس، ولا يكنّها من برد ·

والتركى هو الراعى ،وهو السائس، وهو الرائض ،وهو النخاس ، و هو

البيطار، وهو الفارس.

فالتركى الواحد أمّة على حده، وإذا سار فى غير عساكره وساروا عشرة، أميال سار عشرين لأنّه ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة، ويصعد فى ذرى الجبال ويستبطن قعور الأودية فى طلب الصيد، وهو فى ذلك يرمى كلّ مادبّ، ودرج، وطار ووقع، وإن بلغوا وادياً. فازدحموا على مسلكه أو قنطرته بطن التركى برذونه فاقحمه. ثمّ طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب، وإن انتهوا إلى عقبة صعبة ترك السنن، وذهب فى الجبل صعداً ثمّ تدلى من موضع يعجز عنه الوعل.

وليس فى الأرض قوم إلاّ والتساند فى الحروب والاشتراك فى الرياسة ضار لهم إلاّ الأتراك. فإنهم إذا صادفوا جيشاً. فإن كان فى القوم موضع عنوه. فكلّهم قد أبصرها وعرفها، وإن لم يكن هناك عوره، ولم يكن فيهم مطمع وكان الرأى الانصراف. فكلّهم قد رأى ذلك الرأى، وعرف الصواب فيه، وخواطرهم واحدة، ودواعيهم مستوية باقبالهم، وليس لبدن التركى على ظهر الدابة ثقل، ولا لمشيه على الأرض وقع، وأنّه ليرى وهو مدبر مالا يرى الفارس منّا، وهو مقبل، وهو يرى الفارس منا صيداً، ويعدّ نفسه فهداً، ويعدّ غيره ظبياً، وأنّه لورمى به فى قعر بئر مكتوفاً لما أعجزته الحيلة.

والتركى ينال الكفاف غصباً أحبّ إليه من أن ينال الملك عفواً، ولم يتهنّ تركى بطعام قط إلاّ أن يكون صيداً أو مغنماً.

وقال ثمامة بن أشرس: «التركى لا يخاف إلاّ مخوفاً، ولا يطمع فى غير مطمع، ولا يكفّه عن الطلب إلاّ اليأس صرفاً، ولا يدع القليل حتّى يصيب أكثر منه، وإن قدر أن يجمعهما لم يفرّط فى واحد منهما، والباب الّذى لا يحسنه لا يحسن منه شيئاً، والباب الّذى يحسنه قد أحكمه بأسره، وخفيّه عنده كظاهره، ولا يتشاغل بشئ ليس فيه شئ، ونومه مشوب باليقظة، ويقظته سليمة من

الوسنة.

وفى المأثور من الخبر «تاركوا الترك ما تركوكم» وبقوله «اتركوهم» سمّوا الترك، وما ظنك بقوم لم يعرض لهم ذو القرنين بعد أن غلب على جميع الأرض قسراً وعنوة وقهراً.

قوله عليه السلام: «كأنّى أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ» جمع المجنّ وهو الترس.

«المطرّقة» هذا صفة مطلق الترك قال المبرد فى كامله ـ فى خبر ـ رأيت علياً ـ يعنى ابن عبد الله بن عباس ـ مضروباً بالسوط يداربه على بعير ووجهه ممّا يلى ذنب البعير، وصائح يصيح عليه هذا علىّ بن عبد الله الكذاب فأتيته فقلت: ما هذا الّذى نسبوك فيه إلى الكذب؟ قال: بلغهم قوله «إ نّ هذا الأمر سيكون فى ولدى، وأنّه ليكوننّ فيهم حتّى يملكهم عبيدهم الصغار العيون، العراض الوجوه الّذين كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة ـ الخ ـ و كان يقول ذلك عن اخباره عليه السلام

فروى المبرد أنه لمّا ولد على ذاك اتى به أبوه ابن عباس إليه. فأخذوه ر ردّه إلى أبيه، وقال له: خذ إليك أبا الأملاك.

وفى تنبيه أشراف المسعودى من كان من الترك واغلاً فى الشمال. فلبعدهم من مدار الشمس فى حال طلوعها وغروبها كثرت الثلوج فيهم، و غلبت البرودة والرطوبة على مساكنهم. فاسترخت أجسامهم، وغلظت ولانت فقارات ظهورهم، وخرز أعناقهم حتّى تأتى لهم الرمى بالنشاب فى كرّهم و فرّهم، وغارت مفاصلهم لكثرة لحومهم. فاستدارت وجوههم و صغرت أعينهم لاجتماع الحرارة فى الوجه حين تمكنت البرودة من أجسادهم.

ومراده عليه السلام هنا ترك التتار، وما صدر منهم مع الناس الّذى أثبته التاريخ قال الجزرى ـ فى عنوان سنة (٦١٧) وخروج التتار إلى بلاد الإسلام

لقد بقيت عدّة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهاً لذكرها ·فأنا أقدّم إليه رجلاً، وأؤخّر أخرى ·فمن الّذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ،ومن الّذى يهوّن عليه ذكر ذلك ·فياليت أمّى لم تلدنى ،ويالیتنى متّ قبل هذا ،وكنت نسياً منسيّاً إلاّ أننّى حثّنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها ،وأنا متوقف ثمّ رأيت أنّ ترك ذلك لا يجدى نفعاً · فنقول : هذا الفصل يتضمّن ذكر الحادثة العظمى ،والمصيبة الكبرى الّتى عقمت الأيّام والليالى عن مثلها ·عمّت الخلائق وخصّت المسلمين ·فلوقال قائل إنّ العالم مذ خلق اللّه تعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً · فانّ التواريخ لم تتضمّن مايقاربها ،ولا مايدانيها .

ومن أعظم مايذكرون من الحوادث مافعله بختنصر ببنى اسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ماخرب هؤلاء من البلاد الّتى كلّ مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو بنى اسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا ·فإنّ أهل مدينة واحدة ممّن قتلوا أكثر من بنى اسرائيل ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم ،وتفنى الدنيا إلاّ يأجوج و مأجوج ،وأما الدجال ·فإنّه يبقى على من اتّبعه ،ويهلك من خالفه ،وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقّوا بطون الحوامل ،وقتلوا الأجنّة فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون لهذه الحادثة الّتى استطال شررها ،وعمّ ضررها ،وسارت فى البلاد كالسحاب استدبرته الريح ·فإنّ قوماً خرجوا من أطراف الصين ·فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر ، وبلاساغون ثمّ منها إلى بلاد ماوراء النهر مثل سمرقند ،وبخارا ، و غيرهما فيملكونها و يفعلون بأهلها ماذكره ثمّ تعبر طائفة منهم إلى خراسان · فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ثمّ يتجاوزونها إلى الرى ،وهمدان ، و بلد الجبل ،وما فيه من البلاد إلى حدّ العراق ·ثمّ يقصدون بلاد آذربيجان ،

وأرانية ، ويخربونها ، ويقتلون أكثر أهلها ، ولم ينج إلاّ الشريد النادر فى أقلّ من سنة . هذا مالم يسمع بمثله ، ثمّ لمّا فرغوا من آذربيجان وأرانية ساروا إلى دربند شروان . فملكوا مدنه ، ولم يسلم غير القلعة الّتى بها ملكهم ، وعبروا عندها الى بلد اللآن واللكز ، ومن فى ذلك الصقع من الاُمم المختلفة فاوسعوهم قتلاً ونهباً وتخريباً ثمّ قصدوا إلى بلاد قفحاق ـ وهم من أكثر الترك عدداً . فقتلوا كلّ من وقف لهم . فهرب الباقون إلى الغياض ، ورؤوس الجبال ، وفارقوا بلادهم ، واستولى هؤلاء التتر عليها . فعلوا هذا فى أسرع زمان لم يلبثوا إلاّ بمقدار مسيرهم لا غير ، ومضى طائفة اُخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة و أعمالها ، وما يجاورها من بلاد الهند ، وسجستان ، وكرمان . ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء ، وأشدّ هذا مالم يطرق الأسماع مثله . فإنّ الإسكندر الّذى اتّفق المورّخون على أنّه ملك الدنيا لم يملكها فى هذه السرعة إنّما ملكها فى نحو عشر سنين ، ولم يقتل أحداً إنّما رضى من الناس بالطاعة ، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض ، وأحسنه وأكثره عمارة وأهلاً ، وأعدل أهل الأرض أخلاقاً ، وسيرة فى نحو سنة ، ولم يبت أحد من البلاد الّتى لم يطرقوها إلاّ وهو خائف يتوقعهم ، ويترقب وصولهم . ثمّ إنّهم لم يحتاجوا إلى ميرة ، ومددٍ يأتيهم فإنّهم معهم الأغنام ، والبقر والخيل ، وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير ، وأما دوابهم الّتى يركبونها . فإنّها تحفر الأرض بحوافرها ، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير . فهم إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شىء من خارج.

وأمّا ديانتهم فإنّهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرّمون شيئاً . فإنّهم يأكلون جميع الدواب حتّى الخنازير والكلاب ، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال . فإذا جاء الولد لا يعرف أباه إلى أن قال :

واستقام لهم هذا الأمر لعدم المانع لأنّ خوارزمشاه محمّداً كان قد استولى على البلاد ، وقتل ملوكها ، وأفناهم ، وبقى هو وحده سلطان البلاد

جميعها ·فلمّا انهزم منهم لم يبق فى البلاد من يمنعهم ،وكان مدّة ملك خوارزمشاه (٢١) سنة ،وشهوراً واتّسع ملكه ،وأطاعه العالم بأسره ،ولم يملك بعد السلجوقية أحد مثل ملكه ملك من حدّ العراق إلى تركستان ،وملك بلاد غزنة ،و بعض الهند ،وملك سجستان ،وكرمان وطبرستان ،وجرجان ،و بلاد الجبال ،وخراسان ،و بعض فارس ، وفعل بالخطا الأفاعيل العظيمة ،وملك بلاد هم ـ ولمّا ملك التتار خوارزم وقتلوا كلّ من فيه ونهبوا كلّ مافيه فتحوا السكر الّذى يمنع ماء جيحون عن البلد ·فدخله الماء ·فغرق البلد جميعه ،و تهدمت الأبنية ،وبقى موضعه ماء ،ولم يسلم من أهله أحد ·فمن اختفى غرقه الماء أو قتله الهدم ·

وقال (حد) إنّ چنگيزخان سيّر عشرين ألفاً فى طلب خوارزمشاه ،و قال لهم اطلبوه ولو تعلّق بالسماء ·ففرّ منهم ·فوصل إلى بحر طبرستان ·فنزل هو وأصحابه فى سفن ،ووصل التتار ·فلمّا عرفوا نزوله البحر آيسوا ·

واختلف فى أمره فقوم يحكون أنّه أقام بقلعة له فى بحر طبرستان منيعة · فتوفّى بها ،وقوم يحكون أنه غرق فى البحر ·فهلك ،وقوم يحكون أنّه غرق و نجا عرياناً ·فصعد إلى قرية من طبرستان فعرفوه ·فقال :احملونى فى مركب إلى الهند إلى شمس الدين الملك نسيبه من جهة زوجته ·فيقال :وصل إليه وقد تغيّر عقله ممّا اعتراه من خوف التتار ·فكان يقول :هوذا هم قد خرجوا من هذا الباب قد هجموا من هذه الدرجة ويرعد وتحوّل لونه ·

وحكى أنه لمّا تغيّر عقله لهج بأن يقول «قراتتركلدى» أى التتر السود جاؤا ·

ـ وفى التتر صنف سود يشبهون الزنوج لهم سيوف عريضة جدّاً على غير صورة هذه السيوف يأكلون لحوم الناس ـ ورقى به شمس الدين إلى قلعة من قلاع الهند شاهقة لا يعلوها الغيم أبدا ،و إنّما يمطر السحاب من تحتها ، و

قال له كن آمنا قال: لا أقدر على المقام لأنّ التتر يطلبوننى ويقدمون إلى هيهنا، ولوشاؤا لوضعوا سروج خيلهم واحداً على واحد تحت القلعة، فبلغت إلى ذروتها، وصعدوا عليها فأخذونى قبضاً باليد، فعلم الملك أنّ عقله قد تغيّر. فقال: فما الّذى تريد؟ قال: تحملنى فى البحر إلى كرمان فحمله ثمّ خرج إلى أطراف بلاد فارس. فمات هناك، وأخفى موته لئلاّ يقصده التتر.

«يلبسون السرق والديباج» فى الكامل فى وقايع سنة (٦٢٨) ـ وهى آخر تاريخه ـ أنّ فى تلك السنة أطاع جميع أهل بلاد آذربيجان للتتروحملوا إليهم الأموال والثياب الخطائى، والخوئى، والعتابى، وأرسل الملك إلى تبريز ـ وهو أصل بلاد آذربيجان ـ يهدّدهم أن امتنعوا عليه. فارسلوا إليه المال الكثير والتحف من أنواع الثياب الأبريسمى، وغيرها.

ثمّ طلب أن يحضروا عنده من صنّاع الثياب الخطائى، وغيرها ليستعمل لملكهم الأعظم. فاحضروا الصناع فاستعملوهم فيما أرادوا، وطلب أيضاً خركاة لملكهم فعملوا له خركاة لم يعمل مثلها، وعملوا غشائها من الأطلس الجيد الزركش، وعملوا من داخلها السمور، والقندر فجائت عليهم بجملة كثيرة.

هذا وفى الكامل أيضاً لم يبقوا على مدينة إلاّ خرّبوها، وكلّ ما مرّوا عليه نهبوه، وما لا يصلح لهم أحرقوه. فكانوا يجمعون الأبريسم تلالاً، ويلقون فيه النار.

«ويعتقبون الخيل العتاق» قدعرفت فيما تقدّم قول الجزرى «معهم الأغنام والبقر والخيل وغير ذلك» ـ إلخ ـ ولعلّه محرّف «يعتقبون الخول العتاق»: أى يجيئون معهم بأسارى يجعلونها خولاً لهم. فقال الجزرى: و كانت عادتهم إذا قاتلوا مدينة قدّموا من معهم من أسارى المسلمين بين أيديهم وهم ـ المساكين ـ كما قيل كالأشقر إن تقدّم ينحر، وإن تأخّر يعقر، وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين. فيكون القتل فى المسلمين الأسارى

وهم بنجوة منه .

وقال ـ بعد ذكر فتح بخارى ـ استصحبوا معهم أُسارى بخارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة فكلّ من أعيى قتل . فلمّا قاربوا سمرقند قدّموا الخيّاله وتركوا الرجّالة ، والأبغال ، والأُسارى وراءهم حتّى يقدّموا شيئاً فشيئاً فيكون أرعب لقلوب الأعداء . فلمّا رأى أهل البلد سواد هم استعظموه ، و وصل فى اليوم الثانى الرجالة والأُسارى ، ومع كلّ عشرة من الأُسارى علم . فظن أهل البلد أنّ الجميع عساكر .

«ويكون هناك استحرار قتل» كان استحرار القتل أوّلاً فى الطرفين لما ذهب حوارزمشاه إليهم قبل أن يعلم حقيقة الأمر . فوصل إلى بيوتهم ، ولم يكن فيها غير نسائهم وأطفالهم ـ وكانوا ساروا إلى محاربة كشلوخان ـ فسبى النساء والأطفال فأدركوهم ـ كما فى الكامل ـ قبل أن يخرج من بيوتهم ، و تصافّوا وبقوا فى الحرب ثلاثة أيّام بلياليها . فقتل من الطائفتين مالا يعدّ ، واشتدّ بهم الأمر حتّى أن أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلاً ، و يتضاربون بالسكاكين ، وجرى الدم على الارض حتّى صارت الخيل تزلق من كثرة الدم ، وأحصى من قتل من المسلمين . فكانوا عشرين ألفاً .

هذا ، وقال (حد) قد لاح لى من فحوى كلامه ﷺ أنّه لا بأس على بغداد والعراق منهم ، وأنّ الله تعالى يكفى هذه المملكة شرهم ، وذلك من قوله ﷺ «ويكون هناك» فأتى بالكاف ، ولو كان لهم استحرار قتل فى العراق لما قال (هناك) بل كان يقول «هنا» لانّه ﷺ خطب بهذه الخطبة فى البصرة ومعلوم أنّ البصرة وبغداد شىء واحد ، وكانوا جاؤا إلى بغداد ، ورجعوا ، و كان ماجرى من دلائل النبوّة لأنّه ﷺ وعد هذه الملة بالظهور إلى يوم القيمة ، ولو حدث على بغداد منهم حادثة كما جرى على غيرها انقرضت ملّة الإسلام .

قلت: ما ذكره خطأ فإنّ (هناك فى قوله عليه السلام نحو (هنالك) فى قوله تعالى «هنالك تبلوا كلّ نفس ما أسلفت»[1] والإسلام ليس بسلطنة بل ديانة وقد وعد صلى الله عليه وآله وسلم أمّته ببقاء دينه لا سلطنة المسلمين، وكيف، وقد تسلّط هلاكو حفيد چنگيز على بغداد، وقتل خليفتهم وختم بسلطنتهم.

ونظيره فى الخطاء قول الجزرى المتقدّم «ومن الّذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين» فعلى قوله لم يكن اسلام أيام كون النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مكّة قبل هجرته بل صار دخول أولئك التتار الّذين وصفهم فى بلاد الاسلام سبباً إلى دخولهم فى الاسلام كمحمّد خدابنده منهم، وجمع آخر منهم، وإنّما كان فعلهم ما فعل عقوبة من اللّه تعالى للناس بتركهم حقيقة الاسلام واكتفائهم باسمه بل اتيانهم بكلّ منكر باسم الاسلام، وكونهم خلفاء الاسلام مع أنّهم لم يكونوا إلاّ جبابرة لئاماً، وقد وصف عليه السلام صاحب الزنج، وما عمل أصحابه بكونهم جيشاً من نقم اللّه تعالى كما مرّ، وقد قال تعالى لبنى اسرائيل (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدنّ فى الأرض مرّتين ولتعلنّ علواً كبيراً فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ـ إلى أن قال ـ فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة وليتبّروا ما علوا تتبيرا»[2].

ومن الغريب أنّ هذا الرجل ذكر فى تاريخه ما فعل بنو أميّة أعداء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الطفّ بأهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم قتلاً لرجالهم وسبياً لنسائهم وإرادتهم استيصالهم، ولا يقول: ياليت أمّى لم تلدنى، ويقوله هنا لكن لم يقل ثمة لأنّه أسّس لهم ذلك صدّيقهم وفاروقهم.

«حتّى يمشى المجروح على المقتول، ويكون المفلت»: أى الناجى.

---

(١) يونس: ٣٠.

(٢) الاسراء: ٤ ـ ٧.

«أقلّ من المأسور» ذكر الجزرى ـ فى ملك التتار مراغة من آذربيجان ـ قتل منهم ما يخرج عن الحد والاحصاء ، واختفى بعض الناس منهم فكانوا يأخذون الاُسارى ، ويقولون لهم : نادوا فى الدروب أنّ التتر قد رحلوا . فاذا نادى اُولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل ، وسمعت أنّ رجلاً من التتر دخل دربا فيه مأة رجل فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتّى أفناهم ، ولم يمدّ أحد يده إليه بسوء .

وذكر ـ فى دخولهم كرخ ـ فأخذهم السيف ، ولم يسلم منهم إلاّ الشريد ـ وقال فى دربند شروان ـ صعدوا سورا بالسلاليم ـ وقيل : بل جمعوا كثيراً من الجمال ، والبقر والغنم ، وغير ذلك ، ومن قتلى الناس ، ومن غيرهم ، وألقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التل ـ وصعدوا عليه . فأشرفوا على المدينة ، وقاتلوا أهلها .

وقال ـ فى أهل مرو ـ وأمر باحصاء القتلى . فكانوا نحو سبعمأة ألف قتيل وقيل لهم : إنّ قتلاهم سلم منهم كثير ، ونجوا فأمروا بأهل نيسابور أن تقطع رؤوسهم لئلاّ يسلم من القتل أحد ، وفعلوا بطوس كذلك ، وخربوا المشهد الّذى فيه علىّ بن موسى الرضا عليه السلام .

وقال ـ فى خوارزم ـ لمّا ملكوا البلد قتلوا كلّ من فيه ، ونهبوا كلّ ما فيه وفتحوا السكر الّذى يمنع ماء جيحون عن البلد . فغرق البلد جميعه ، وتهدمت الأبنية ، وبقى موضعه ماء وغير خوارزم قد كان سلم بعض أهله . فمنهم من يختفى ومنهم من يهرب ، ومنهم من يخرج ثمّ يسلم ، ومنهم من يلقى نفسه بين القتلى فينجو ، وأما أهل خوارزم . فمن اختفى غرقه الماء أو قتله الهدم .

وقال ـ فى دخول التتر ديار بكر ـ بلغنى أنّ رجلاً منهم أخذ رجلاً ، ولم يكن مع التترى ما يقتله به . فقال له : ضع رأسك على الأرض ولا تبرح . فوضع رأسه ومضى التترى فاحضر سيفاً . فقتله به .

قال : وحكى لى رجل قال : كنت أنا ومعى سبعة عشر رجلاً فى طريق فجاءنا فارس من التتر ، وقال لنا حتّى يكتّف بعضنا بعضاً . فشرع أصحابى يفعلون ما أمرهم . فقلت لهم : هذا واجد . فلم لا نقتله ونهرب . فقالوا : نخاف فقلت : هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعل الله يخلّصنا فوالله ما جسر أحد يفعل ذلك . فأخذت سكّيناً وقتلته وهربنا ونجونا .

«فقال له بعض أصحابه عليه السلام : لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام » ـ قال (حد) النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أو الولى إن تجدّدت عنده نعمة لله سبحانه وعرف الناس وجاهته يضحك ، وروى أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ضحك فى مناسب هذا الحال لما استسقى فسقى وأشرف دروز المطر . فسألوه أن يحبسه عنهم . فأشار بيده إلى السحاب . فأنجاب حول المدينة كالاكليل فضحك صلى الله عليه وآله وسلم حتّى بدت نواجذه ، وقال : أشهد أنّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

«وقال للرجل ـ وكان كلبيا ـ يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وإنّما هو تعلّم من ذى علم» قال شيخنا المفيد فى مقالاته ـ فى عنوان القول فى علم الأئمة عليهم السلام بالضمائر والكائنات واطلاق القول عليهم بعلم الغيب ـ «إنّ الأئمة من آل محمّد عليهم السلام قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ، ويعرفون لما يكون قبل كونه ، وليس ذلك بواجب فى صفاتهم ، ولا شرط فى إمامتهم وإنّما أكرمهم الله تعالى به ، وأعلمهم إيّاه للطف فى طاعتهم ، والتمسك بإمامتهم ، وليس ذلك بواجب عقلاً لكنّه واجب لهم من جهة السماع ، وأما اطلاق القول بأنّهم يعلمون الغيب . فمنكر بيّن الفساد لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقّه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد ، وهذا لا يكون إلاّ لله ـ عزّوجل ـ و على قولى هذا جماعة أهل الإمامة إلاّ من شذّ منهم ، وانتمى إليهم من الغلاة .

«و إنّما علم الغيب علم الساعة ، وما عدّد اللّه بقوله» هكذا فى المصرية ، والصواب (وما عدّده اللّه سبحانه بقوله) .

«إنّ اللّه عنده علم الساعة الأية» هكذا فى المصرية و (حد) و الخطية ، ولكن فى (ثم) (إنّ اللّه عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم مافى الأرحام) .

«فيعلم سبحانه مافى الأرحام من ذكر وأنثى» هكذا فى المصرية ، و الصواب (أوانثى) كما فى (حد) وغيره «وقبيح أوجميل ، وسخى أوبخيل ، وشقى أو سعيد» وهو معنى الخبر (السعيد سعيد فى بطن أمّه ، و الشقى شقى فى بطن أمّه) بمعنى أنّه تعالى يعلم أنّه يكون سعيداً أويكون شقياً .

«ومن يكون فى النار حطباً» إشارة إلى قوله تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً[1])

«أوفى الجنان للنبيّين مرافقاً» إشارة إلى قوله تعالى «ومن يطع اللّه و الرسول فاُولئك مع الّذين أنعم اللّه عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اُولئك رفيقاً)[2] .

«فهذا علم الغيب الّذى لا يعلمه أحد إلاّ اللّه» ولكن ورد فى أخبار إخبارهم عليهم السلام بكون الحمل ذكراً أو اُنثى ، وغير ذلك .

«وما سوى ذلك» من علم الساعة وغيرها الّذى ذكر معها

«فعلم علّمه اللّه نبيّه صلى الله عليه وآله» وسقطت التصلية من المصرية .

«فعلّمنيه ودعا لى بأن يعيه» : أى يجعل له وعاء .

«صدرى» فى مناقب الكنجى الشافعى روى الحاكم عن بريدة الأسلمى قال : قال النبىّ صلى الله عليه وآله لعلىّ عليه السلام : إنّ اللّه تعالى أمرنى أن اُدنيك ، و لا اُقصيك ، وأن اُعلّمك ، و أن تعى ، و حقّ على اللّه أن تعى . فنزل قوله تعالى

(١) الجن : ١٥ .
(٢) النساء : ٦٩ .

(وتعيها أذن واعية)[1] .

«وتضطمّ» افتعال من الضم .

«عليه جوانحى» فى الصحاح الجوانح الاضلاع الّتى تحت الترائب ، وهو ممّا يلى الصدر كالضلوع ممّا يلى الظهر الواحدة جانحه .

١٤ / ٤٦ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ الْكُوفَةِ

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ[1] تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ . وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ

«كأنّى بك ياكوفة» فى المعجم قال ابن الكلبى : سمّيت الكوفة كوفة بجبل صغير فى وسطها كان يقال له : كوفان ، وعليه اختطّت مهرة موضعها ، وقيل : سمّيت بموضعها لأنّ كلّ رملة يخالطها حصباء تسمّى كوفة ، وقيل : لأنّ جبل (ساتيدما) يحيط بها كالكفاف عليها ، وقيل : لاجتماع الناس بها من قولهم «تكوّف الرّمل» وقيل : لاستدارتها من قولهم (رأيت كُوفاناً وكَوفاناً) للرملة المستديرة .

وفى الفتوح قال بشر القرشى : كان قدر الكوفة ستّة عشر ميلاً وثلثى ميل ، وفى المعجم كان ظهر الكوفة يدعى خدّ العذراء ينبت الخزامى ، والاقحوان ، والشيح ، والقيصوم ، والشقائق .

وفى المروج والمعجم لمّا فرغ الحجاج من دير الجماجم وفد على عبد الملك ومعه أشراف أهل الكوفة والبصرة فتذاكروا البلدان . فقال محمّد بن عمير بن عطارد : إنّ الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرّها وعمقها ، وسفلت عن الشام ، ووباءها ، وجاورها الفرات . فعذب ماءها ، وطاب ثمرها إذا أتتنا

(١) الحاقة : ١٢ .

الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور ، وإذا هبّت الجنوب جائتنا ريح السواد وورده وياسمينه وأترنجه ، ماءنا عذب وعيشنا خصب . فقال خالد بن صفوان : نحن أوسع منهم برية ، وأسرع منهم فى السرية ، وأكثر منهم قنداً ، وعاجاً ، وساجاً . ماؤنا صفو ، وخيرنا عفو لا يخرج من عندنا إلّا قائد أو سائق أو ناعق .

فقال الحجّاج : إنّى بالبلدين خيبر وقد وطئتها جميعاً .

فقال له عبد الملك : قل . فأنت عندنا مصدّق .

فقال : أمّا البصرة فعجوز شمطاء ، دفراء بخراء أُوتيت من كلّ حلىّ وزينة ، وأمّا الكوفة فشابة حسناء جميلة لا حلىّ لها ، ولا زينة .

فقال عبد الملك : فضّلت الكوفة على البصرة ـ إلخ ـ وأمّا قول زياد ، لو ضلّت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلّنى عليها » فعصبية .

وفى الكامل لمّا أراد عمر طوف البلدان بعد طاعون عمواس قال : اشيروا علىّ . فقال له علىّ عليه السلام : إنّ الكوفة للهجرة بعد الهجرة ، وإنّما هى لقبّة الإسلام ليأتينها يوم لا يبقى مسلم إلّا حنّ عليها ، ولينتصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط .

وفى أخبار الدينورى سار علىّ عليه السلام من البصرة إلى الكوفة . فلمّا أشرف عليها قال : ويحك ياكوفان ما أطيب هواءك ، وأغذى تربتك ، الخارج منك بذنب والداخل إليك برحمة . لا تذهب الأيام والليالى حتى يجيىء اليك كل مؤمن ، و يبغض المقام بك كلّ فاجر ، وتعمرين حتّى أنّ الرجل من أهلك ليبكر إلى الجمعة فلا يلحقها من بعد مسافة .

وفى المعجم كان علىّ عليه السلام يقول : الكوفة كنز الايمان ، وحجر الاسلام ، و سيف اللّه ورمحه يضعه حيث يشاء ، والّذى نفسى بيده لينتصرن اللّه بأهلها فى شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز ، وكان اذا أشرف على الكوفة قال

«ياحبذا مقامنا بالكوفة ·أرض سواء سهلة معروفة تعرفها جمالنا المعلوفة» وكان سلمان الفارسى يقول :أهل الكوفة أهل اللّه ،وهى قبلة الاسلام ·

وفى صفين نصربن مزاحم قال علىّ عليه السلام ـ وأشار إلى قبر عظيم فى النخيلة يدفن اليهود موتاهم حوله ـ ما يقول الناس فيه ·فقال الحسن عليه السلام يقولون قبر هود النبىّ عليه السلام فقال عليه السلام :كذبوا هذا قبر يهودا ابن يعقوب بكره ثمّ قال هيهنا أحد من مهرة ·فأتى بشيخ كبير ·فقال :أين منزلك قال :على شاطىء البحر ·قال :أين من الجبل الأحمر قال :قريب منه قال :فما يقول قومك فيه؟ قال :يقولون :قبر ساحر ·قال :كذبوا ذاك قبر هود عليه السلام ،وهذا قبر يهودا يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرة الشمس والقمر يدخلون الجنّة بغير حساب ·

وقال (حد) قال أميرالمؤمنين عليه السلام :الكوفة مدينتنا ومحلّ شيعتنا يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم على صورة القمر ·

وفى المعجم ورد فى مسجد الكوفة فضائل روى حبة العرنى قال :كنت جالساً عندعلىّ عليه السلام فأتاه رجل ·فقال :هذه راحلتى وزادى أريد هذا البيت ـ يعنى بيت المقدس ـ فقال عليه السلام :كل زادك ،وبع راحلتك ،وعليك بهذا ـ المسجد ـ يعنى مسجد الكوفة ـ فإنّه أحد المساجد الأربعة ركعتان فيه تعدلان عشراً فى ماسواه من المساجد ،والبركة منه إلى إثنى عشر ميلاً حيث ماأتيته وهى نازلة من كذا ألف ذراع ،وفى زاويته فار التنور ،وعند الاسطوانة الخامسة صلّى إبراهيم عليه السلام ،وقد صلّى فيه ألف نبىّ ،وألف وصى ،وفيه عصا موسى ،و شجرة اليقطين ،وفيه هلك يغوث ،ويعوق ،وهو الفاروق ،وفيه مسير بجبل الأهواز ،وفيه مصلّى نوح ،ويحشر منه يوم القيمة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ،ووسطه على روضة من رياض الجنّة ،وفيه ثلاث أعين من الجنّة يذهب الرجس ، ويطهر المؤمنين لو يعلم الناس مافيه من الفضل لأتوه ولو

حبواً .

ورواه ابن قتيبه فى غريب حديثه مختصراً ، وفيه «فيه ثلاث أعين أنبتت بالضغث تذهب الرجس ، وتطهّر المؤمنين : عين من لبن ، وعين من دهن ، وعين من ماء ، جانبه الأيمن ذكر ، وجانبه الأيسر مكر ، ولو يعلم الناس ما فيه من الفضل لأتوه ولوحبواً» ـ قوله عليه السلام «أنبتت بالضغث» احسبه الضغث الّذى ضرب أيوب أهله ، والعين الّتى ظهرت لما ركض الماء برجله ، وقوله عليه السلام «فى جانبه الأيمن ذكر» يعنى الصلوة ، وقوله «فى جانبه الأيسر مكر» أراه أراد المكر به عليه السلام حين قتل فى مسجد الكوفة ـ الخ ـ .

وفى المعجم قال السيّد الحميرى فى مسجد الكوفه :

لعمرك ما مسجد بعد مسجد ... بمكّة ظهراً أو مصلّى بيثرب
بشرق ولا غرب علمنا مكانه ... من الأرض معموراً ولا متجنّب
بأبين فضلاً من مصلّى مبارك ... بكوفان رحب ذى أراس ومخصب
مصلّى به نوح تأثل و ابتنى ... به ذات حيزوم و صدر محنّب
وفار به التنور ماء و عنده ... له قيل يا نوح فى الفلك فاركب
وباب أميرالمؤمنين الّذى به ... ممر أميرالمؤمنين المهذّب

«تمدين مدّ الأديم» وجمعه أدم ، وآدمه .

«العكاظى» عكاظ اسم سوق للعرب بناحية مكّة يجتمعون بها فى كلّ سنة شهراً يتبايعون .

«تعركين» : أى تدلكين .

«بالنوازل» جمع النازلة شدّة تنزل .

«وتركبين بالزلازل» فى فتن بنى اُميّة وبنى العباس .

«وأنّى لأعلم أنّه ما أراد بك جبّار سوء إلاّ ابتلاه اللّه بشاغل و رماه بقاتل» قال (حد) قال جعفربن محمّد عليه السلام : الكوفة تربة تحبّنا ونحبّها اللّهمّ

ارم من رماها ، وعاد من عاداها .

قال : وقال المنصور له عليه السلام : لقد هممت أن أبعث إلى الكوفة من ينقض منازلها ، و يجمّر نخلها ، ويستصفى أموالها ، ويقتل أهل الريبة منها . فاشر علىّ . فقال « إنّ المرء ليقتدى بسلفه ، ولك أسلاف ثلاثة : سليمان اعطى فشكر ، وأيوب ابتلى فصبر ، ويوسف قدر فغفر . فاقتد بأيّهم شئت » فصمت قليلاً ثمّ قال : قد غفرت قال : وفى منتظم ابن الجوزى لمّا حصب أهل الكوفة زياداً وهو يخطب قطع أيدى ثمانين منهم ، وهمّ أن يخرب دورهم فجمعهم حتّى ملأ بهم المسجد والرحبة ليعرضهم على البرائة من علىّ عليه السلام وعلم أنّهم سيمتنعون فيحتجّ بذلك على استيصالهم ، و اخراب بلدهم .

قال عبد الرحمن بن السائب الأنصارى : فانّى لمع نفر من قومى والناس يومئذٍ فى أمر عظيم إذ هوّمت تهويمه . فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق مثل عنق البعير أهدرأهدل . فقلت : ما أنت قال « أنا النقاد ذو الرقبة بعثت إلى صاحب هذا القصر » فانتبهت فزعاً . فقلت لأصحابى : هل رأيتم ما رأيت قالوا : لا فاخبرتهم وخرج علينا خارج من القصر . فقال : انصرفوا فإنّ الأمير يقول « إنّى عنكم اليوم مشغول » و إذا الطاعون قد ضربه فكان يقول : إنّى لأجد فى جسدى حرّ النار حتّى مات . فقال عبد الرحمن :

ماكان منتهيا عمّا أراد بنا حتّى تناوله النقاد ذو الرقبة
فأثبت الشقّ منه ضربة عظمت كما تناول ظلماً صاحب الرحبة

قال : يعنى بصاحب الرحبة اميرالمؤمنين عليه السلام لأنّه كان يجلس معظم زمانه فى رحبة المسجد يحكم بين الناس .

قلت : ورواه المروج مع أدنى اختلاف . وفى تاريخ اليعقوبى روى أنّ زياداً كان احضر قوماً بلغه أنّهم شيعة لعلىّ عليه السلام ليدعوهم إلى سبّه والبرائة منه ، أو يضرب أعناقهم ـ وكانوا سبعين رجلاً ـ فصعد المنبر ، وجعل يتكلّم

بالوعيد والتهديد . فنام بعض القوم ـ وهو جالس ـ فقال له بعض أصحابه : تنام وقد احضرت لتقتل . فقال : من عمود إلى عمود فرجان لقد رأيت فى نومتى هذه عجباً . رأيت رجلاً أسود يضرب رأسه السقف دخل المسجد : فقلت : من أنت يا هذا ؟ فقال : النقاد ذو الرقبة . قلت : وأين تريد قال : أدّق عنق هذا الجبار الّذى يتكلّم على هذه الأعواد .

فبينا زياد يتكلّم على المنبر إذ قبض على اصبعه ثمّ صاح ، يدى وسقط عن المنبر مغشياً عليه ، فأُدخل القصر ، وقد طعن فى خنصره اليمنى . فاحضر الطبيب ، وقال له : اقطع يدى قال : أخبرنى عن الوجع الّذى تجده فى يدك أوفى قلبك . قال : فى قلبى . قال : فعش سوياً .

فلمّا نزل به الموت كتب إلى معاوية إنّى كتبت وأنا فى آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة ـ الخبر ـ .

وفى الطبرى قال أبومخنف : لمّا قتل يوسف بن عمر زيد بن على أقبل حتّى دخل الكوفة ، فصعد المنبر . فقال : ياأهل هذه المدرة الخبيثة أنّى والله ما تقرن بى الصعبة ، ولا يقعقع لى بالشنان ، ولا أُخوّف بالذئب هيهات حبيت بالساعد الأشد ابشروا ياأهل الكوفة بالصغار والهوان ، لاعطاء لكم عندنا ، ولا رزق ، ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم واحرمكم أموالكم أم والله ما علوت منبرى إلاّ أسمعتكم ماتكرهون . فانّكم أهل بغى وخلاف ما منكم إلاّ من حارب الله ورسوله إلاّ حكيم بن شريك المحاربى ، ولقد سألت الخليفة أن يأذن لى فيكم ، ولو أذن لقتلت مقاتلتكم ، وسبيت ذراريكم .

هذا وقال (خو) قال أبو الحسن الكيدرى فى شرحه : فمن الجبابرة الّذين ابتلاهم الله بشاغل زياد أصابه الفالج ، وابنه عبيد الله أصابه الجذام والحجاج قد تولّدت الحيات فى بطنه حتّى مات ، وعمر بن هبيرة ، وابنه يوسف ، وقد أصابهما البرص ، وخالد القسرى ، وقد حبس حتّى مات ، جوعاً .

وأما الّذين رماهم اللّه بقاتل · فعبيد اللّه ، ومصعب ، وأبو السرايا قتلوا جميعاً ، ويزيد بن المهلب قتل على أسوء حال ـ إلى أن قال ـ وزاد (ثم) عليهم المختار ، ولا وجه لعدّه فى الجبابرة ·

قلت : العجب منهم جميعاً فإنّهم عن التاريخ ومعرفة الرجال بمعزل · فقول الأوّلين عمر بن هبيرة ، وابنه يوسف ، وتقريرا الأخير لهم مضحك · فإنّ يوسف الّذى أراد سوء بالكوفة كما عرفت ممّا نقلنا من الطبرى لم يكن ابن عمر بن هبيرة الفزارى بل ابن عمر بن محمّد بن الحكم الثقفى ابن ابن عم الحجاج فهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بل لم يكن لعمر بن هبيرة ابن مسمى بيوسف بل بيزيد ولّى العراقين لمروان بن محمّد كما وليهما أبوه ليزيد بن عبد الملك · مات عمر بن هبيرة بالشام ، وقتل يزيد غدراً من المنصور بعد أمانه له ، واصابتهما البرص غير معلومة · فعنون معارف ابن قتيبة الأبرصين من الأشراف ، ولم يذكره فيهم · كما أنّ قولهم بموت خالد القسرى جوعاً فى الحبس غلط · فلم يقل ذلك أحد بل عذّب حتّى مات ·

قال الطبرى : قال يوسف بن عمر للوليد بن يزيد أنا أشترى منك خالداً بخمسين ألف ألف · فأرسل الوليد إلى خالد إن كنت تضمن ما قال ، و إلاّ دفعتك إليه · فقال : ماعهدت العرب تباع ـ ورفع عودا ـ وقال : واللّه ما أضمن هذا ، فدفعه إلى يوسف · فنزع ثيابه ودرعه عباءة ولحفه بأخرى ، وحمله فى محمل بغير وطاء ـ إلى أن قال ـ وعذّبه عذاباً شديداً · فمكث يوماً فى العذاب ثمّ وضع على صدره المضربة فقتله من الليل ، ودفن فى عباءته الّتى كان فيها ·

كما أنّ قولهم بموت زياد بالفلج أيضاً خطأ بل ابتلى بطاعونة وآكلة كما عرفته من تاريخ اليعقوبى وغيره ، وقال الطبرى : خرجت طاعونة على اصبع زياد فأرسل إلى شريح يستشيره فى قطع يده · فقال : لا تفعل فان عشت

صرت أجذم و إن هلكت كنت جانياً على نفسك · فقال : أنام والطاعون فى لحاف فعزم أن يفعل · فلمّا نظر إلى النار والمكاوى جزع فتركه ·

كما أنّ قولهم : إنّ عبيد الله أصابه الجذام لم أقف على من ذكر فعنون معارف ابن قتيبة جذمى الأشراف ، ولم يذكره فيهم ، وببالى أنّى رأيت ـ ولم أذكر موضعه ـ أنه أصاب فخذه قطرة من دم رأس الحسين عليه السلام فثقبه ، وتعفن فكان يستعمل المسك ، وبه عرفه إبراهيم بن الأشتر ·

ففى الطبرى لمّا قتل إبراهيم عبيد الله قال لأصحابه : قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك فالتمسوه ـ الخ ـ ·

كما أنّ قولهم ويزيد بن المهلب (قتل على أسوء حال) غلط فانّه خرج على يزيد بن عبد الملك ، ومع انهزام أصحابه ثبت و قاتل حتّى قتل ، وقد عدّوه فى أباة الضيم ، وقال الشاعر فيه :

«إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن عاراً و رب قتل عار»

وأكثر ولايته أيّام الحجاج ، وأيام سليمان كان على خراسان لا الكوفة ، و إنّما خرج بالبصرة · فتركه أهلها ، وانهزموا عنه · فقال : اضربوا وجوه من ينهزم · ففعلوا ذلك حتّى كثروا عليه · فقال : دعوهم ترحمهم الله غنم عدا فى نواحيها الذئب ·

كما أنّ اقتصار (خو) فى إنكاره على (ثم) عدّ المختار فى الجبابرة غلط بل عدّه فى أصل من أراد سوء بالكوفة خطأ فإنّه إنّما تتبّع قتلة الحسين عليه السلام من أهل الكوفة وكيف وأنصاره شيعة الكوفة ·

كما أنّ مصعباً لم يرد سوء بالكوفة بل قتل أصحاب المختار ، وخذل لأهل الكوفة فى حربه مع عبد الملك ، وغدروا به ·

ومن المضحك عدّهم أبا السرايا فيهم · فهل كان أصحابه إلاّ أهل الكوفة ·

ففى مقاتل أبى الفرج خرج مع أبى السرايا أكثر أهل الكوفة زهاء مأتى ألف وأكثر ـ الخ ـ وإنّما كاد جيش العباسيين أصحابه من أهل الكوفة فلامهم على ذلك كما كاد جيش معاوية أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام من أهل الكوفة فلامهم عليه السلام .

ففى المقاتل بعث أبوالسرايا علىّ بن محمّد بن جعفر المعروف بالبصرى فى جيل وأمره أن يأتى هرثمة من وراءه .فمضى ولم يشعر هرثمة حتّى قرب منه فصاح هرثمة ياأهل الكوفة على ماتسفكون دماءنا ودمائكم ـ إلى أن قال ـ ، وإن أحببتم اخراج الأمر من ولد العباس .فانصبوا إمامكم واتفقوا معنا نتناظر فيه ،فامتنع أهل الكوفة عن القتال ،وقالوا :لا يحلّ لنا قتالهم فغضب أبو السرايا .فقال :ياأهل الكوفة ياقتلة علىّ عليه السلام وخذلة الحسين عليه السلام إنّ المغتر بكم لمغرور ،وإنّ المعتمد على نصركم لمخذول ،وإنّ الذليل لمن أعززتموه ، واللّه ما حمد علىّ عليه السلام أمركم فى حمده ،ولا رضى مذهبكم فى رضاه ، ولقد حكمكم فحكمتم عليه ،وائتمنكم فخنتم أمانته ،ووثق بكم فحلتم عن ثقنة ثم لم تنفكّوا عليه مختلفين ـ الخ ـ .

فان أرادوا به هذا فهو كما ترى إنّما لامهم بمعاملتهم مع أميرالمؤمنين عليه السلام ماعاملوه به ،وأى ربط لذلك بما قالوا ،وقد شكا من أهل الكوفة كلّ برّ وفاجر .

قال البلادرى :إنّ عمر استعمل على أهل الكوفة سعداً .فشكوه بأنّه لا يحسن الصلوة .فاستعمل عليهم عمّاراً .فشكوه بأنّه ضعيف لا علم له بالسياسة فقال :من عذيرى من أهل الكوفة إن استعملت عليهم القوى فجرّوه ،وإن ولّيت عليهم الضعيف حقّروه ،ثمّ دعا المغيرة .فقال :إن ولّيتك الكوفة أتعود إلى شئ ممّا قرفت به قال :لا ـ الخ ـ .

ومراد عمر بقوله للمغيرة :أتعود إلى شئ ممّا قرفت به زناه بالبصرة حتّى

عزله عنها . فاستعمله على الكوفة كما أسقط الحدّ عنه . فصار سخرية بين الناس فى قولهم : غضب الله عليك كما غضب عمر على المغيرة عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة كما مرّ فى سابقه .

وبالجملة فكلامهم فى غاية السقوط . فإنّ مراده عليه السلام من أراد سوءاً بالكوفة من حيث كونها معدن الشيعة : والمحقّق من المنخرط فى العنوان زياد وكذا منصور كما عرفتهما من (حد) ويوسف بن عمر بن محمّد الثقفى الّذى ذكرناه ، و فى (٦٦) من باب الكتب فى كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة واصفالهم بجبهة الأنصار ، وسنام العرب .

هذا ، وفى الطبرى أنّ أهل الكوفة لا تزال الجماعة منهم قد طعنوا على عاملهم ، وتظلّموا على أميرهم ، وتكلّموا كلاماً فيه طعن على سلطانهم فرفع ذلك إلى المنصور . فقال للربيع : اخرج إلى من بالباب من أهل الكوفة . فقل لهم إنّ الخليفة يقول لكم : لئن اجتمع اثنان منكم فى موضع لا لحقنّ رؤوسهما ولحاهما ، ولأضربن ظهورهما . فالزموا منازلكم ، وابقوا على أنفسكم . فخرج إليهم الربيع بهذه الرسالة . فقال له ابن عياش : يا شبه عيسى بن مريم ـ وكان الربيع لم يعرف له أب ـ ابلغ الخليفة عنّا كما ابلغتنا عنه . فقل له : والله مالنا بالضرب طاقة فأما حلق اللحى . فإذا شئت ـ وكان ابن عياش منتوفا ـ فابلغه فضحك وقال : قاتله الله ما أدهاه وأخبثه .

١٥ / ٥٦ / ١ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ

أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي . فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ

وَلَكُمْ نَجَاةٌ . وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ

قوله عليه السلام «أما إنّه سيظهر عليكم بعدى رجل» وذلك عقوبة تركهم له اتّباعهم معاوية أخيراً كتركهم له واتّباعهم أبا بكر أوّلاً . روى نصر بن مزاحم فى صفينه عن أبى سنان الأسلمى قال : خطب علىّ عليه السلام أصحابه ـ الى أن قال ـ وأيم اللّه ما اختلف أمّة قط بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها قال أبو سنان : أشهد لقد سمعت عمّار بن ياسر يقول للناس : أما أمير المؤمنين عليه السلام فقد أعلمكم أنّ الأمّه لم تستقم عليه أوّلاً ، وأنّها لن تستقيم عليه آخراً . قال : ثمّ تفرّق الناس وقد نفذت أبصارهم فى قتال عدوهم .

وفى مقاتل أبى الفرج قال الشعبى : خطب معاوية حين بويع له . فقال : «ما اختلفت أمّة بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها» ثمّ إنه انتبه فندم . فقال : إلاّ هذه الأمّة فإنّها وإنّها ـ الخ ـ .

وفى (حد) روى قيس بن الربيع عن يحيى بن هانى المرادى عن زياد بن فلان المرادى قال : كنّا فى بيت علىّ عليه السلام نحن وشيعته ، وخواصّه فالتفت فلم ينكر منّا أحداً . فقال : إنّ هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم ، ويسملون أعينكم . فقال رجل منّا : وانت حىّ يا امير المومنين قال : أعاذنى اللّه من ذلك ، فالتفت فإذا واحد يبكى . فقال له : يا ابن الحمقاء أتريد اللذات فى الدنيا والدرجات فى الآخرة إنّما وعد اللّه الصابرين .

«رحب البلعوم» : أى واسع الحلق قال الوليد بن عقبة معرضا بمعاوية

إذا ماخرجنا من دمشق فلا نعد ... بها أبدا ما دام فيها الجرأضم[1]

(١) أى الأكول .

بصير بما في الطبل بالبقل عالم حزون لما التفّت عليه اللهازم

«مندحق البطن» في الجمهرة «ناقة داحق» هي الّتي تخرج رحمها بعد النتاج» قالوا : كان معاوية إذا جلس يقعد بطنه على فخذيه .

وفي المروج قال معاوية يوماً وعنده صعصعة ـ وقد كان قدم عليه بكتاب عليّ عليه السلام وعنده ـ وجوه الناس ـ الأرض لله ، وأنا خليفة الله . فما آخذ من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جائزاً لي . فقال صعصعة :

تمنيك نفسك مالا يكون جهلاً معاوى لا تأثم

فقال معاوية : ياصعصعة : تعلّمت الكلام . فقال : العلم بالتعلّم ، ومن لا يعلم يجهل قال : ما أحوجك إلى أن إذيقك وبال أمرك قال : ليس ذلك بيدك بل بيد الّذى لا يؤخّر نفسا إذا جاء أجلها قال : ومن يحول بيني و بينك قال : الّذي يحول بين المرء وقلبه قال معاوية : اتسع بطنك للكلام كما اتّسع بطن البعير للشعير . قال صعصعة : أتسع بطن من لا يشبع ، ودعا عليه من لا يمنع .

«يأكل مايجد» روى صفين نصربن مزاحم : عن بليد بن سليمان ، عن الأعمش ، عن عليّ بن الأقمر قال : وفدنا على معاوية و قضينا حوائجنا ثمّ قلنا : لومررنا برجل قدعاين النبيّ صلى الله عليه وآله فأتينا عبد الله بن عمر . فقلنا : حدثنا ماشهدت قال : رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله أرسل إلى معاوية يدعوه ـ وكان يكتب بين يديه ـ فجاء الرسول . فقال : هو يأكل . فأعاد عليه الثانية . فقال : هو يأكل . فأعاده عليه الثالثة . فقال : هو يأكل . فقال : لا أشبع الله بطنه . فهل ترونه يشبع ـ الخ ـ وضرب به المثل في ذلك . قال الشاعر :

وصاحب لي بطنه كالهاوية كأنّ في أحشائه معاوية

هذا ، ومن الأكولين ميسرة الرأس ، والفيل استدعاهما المهدى العباسى وجعل يرمى لكلّ واحد منهما رغيفاً . فامتنع الفيل من تمام المأة ، وأكل ميسرة

تمام المأة وزاد عليها ·

ومنهم أبو السرايا فكان ـ كما في المقاتل ـ يؤتى بمكوكين من شعير فيطرح أحدهما بين يديه ، والأخرى بين يدى فرسه · فيستوفى الشعير قبل فرسه ·

ومنهم العلاف أبو أبي بكر بن العلاف ركب إلى الوزير المهلبى على حمار · فأمر الوزير أن يؤخذ حماره ، ويذبح فيطبخ بماء وملح · ثمّ قدّم له على مائدة الوزير فأكل وهو لا يظنّه ويستطيبه حتّى أتى عليه · فلمّا خرج ليركب طلب الحمار · فقيل له : حمارك في جوفك ·

«ويطلب مالا يجد» قالوا كان معاوية يأكل فيكثر · ثمّ يقول : ارفعوا فوالله ما شبعت ، ولكن مللت ·

وفي سفيانيه الجاحظ قال معاوية لأبى ذر : يا عدو الله . وعدوّ رسوله تأتينا كلّ يوم فتصنع ما تصنع ـ وكان أبو ذر يأتي كلّ يوم باب دار معاوية و يصرخ «آتتكم القطار · يحمل النار · اللّهمّ العن الآمرين بالمعروف التاركين له · اللّهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له» ـ فقال له معاوية : يا عدوّ الله ورسوله · فقال أبو ذر : ما أنا بعدوّ لله ولرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله أظهرتما الإسلام ، وأبطنتما الكفر ، ولقد لعنك النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ودعا عليك أن لا تشبع ، وسمعت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول «إذا ولى الأمّة الأعين الواسع البلعوم الّذي يأكل ، ولا يشبع · فلتأخذ الأمّة حذرها منه» ·

فقال معاوية : ما أنا ذاك الرجل · قال أبو ذر : بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم سمعته يقول ـ وقد مررت به ـ «اللّهمّ العنه ولا تشبعه إلاّ بالتراب» وسمعته يقول «است معاوية في النار» فضحك معاوية وأمر بحبسه ·

وفي مقاتل أبي الفرج بأسانيد عن سفيان بن اللّيل قال : أتيت الحسن بن علىّ عليه السلام حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط · فقلت السلام

عليك يا مذل المؤمنين ·فقال : عليك السلام يا سفيان انزل ·فنزلت ·فعقلت راحلتي ثم أتيته فجلست إليه ·فقال :كيف قلت يا سفيان ؟ فقلت : قلت : السلام عليك يا مذل المؤمنين ·فقال ماجرّ هذا منك إلينا ·فقلت «أنت والله بأبي أنت وأمّي أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة ،وسلّمت الأمر الى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الاكباد ،ومعك مأة ألف كلّهم يموت دونك ،وقد جمع الله لك أمر الناس».

فقال :ياسفيان إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به ،وإنّي سمعت عليّا عليه السلام يقول : سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول :لاتذهب الليالي والايام حتّى يجتمع أمر هذه الامّة على رجل واسع السرم ·ضخم البلعوم ·يأكل ولا يشبع ،ولا ينظر الله إليه ،ولا يموت حتّى لايكون لهفي السماء عاذر ،ولا في الأرض ناصر ،وأنّه لمعاوية ،وأنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره» ·

هكذا وجدت والظاهر وقوع تحريف ،وأنّ الأصل (في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر)

وروي نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال :اتيت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والناس يقولون :نعوذ بالله من غضب الله ،وغضب رسوله ·فقلت : ماهذا؟ قالوا : قام الساعه معاوية فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد ·فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لعن الله التابع والمتبوع رب يوم لامتي من معاوية ذي الاستاه قالوا : يعني العجز الكبير ـ·

ومن الخبرين يظهر وصف معاوية بذى الاستاه ،وواسع السرم كوصفه برحب البلعوم وضخمه ·

«فاقتلوه ولن تقتلوه» وكيف كانوا يقتلونه بأمره عليه السلام ،وقد جحدوا امامته علانية ،وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بقتله قبله عليه السلام :ولم يمتثلوه مع اقرارهم بنبوّته ظاهراً ·

روي نصر بن مزاحم في صفّينه عن ابن مسعود قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى ، فاقتلوه . قال الحسن البصري : فما فعلوا ، ولا افلحوا .

وعن أبي سعيد الخدرى قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : إذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فاقتلوه . قال أبو سعيد : فلم نفعل ، ولم نفلح .

ثمّ الغريب أنّهم لم يقتصروا على عدم امتثال أمر نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم بل حرّفوا كلامه وجعلوه مدحاله . فنقله الخطيب الناصبي في عنوانه محمّد بن اسحق بن مهران هكذا اذا رأيتم معاوية على منبرى . فأقبلوه فإنّه أمين مأمون ـ فترا ه حرّف وزاد تصحيحاً لتحريفه .

وروي الثقفي في غاراته عن الأعمش عن أنس بن مالك قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول «سيظهر على الناس رجل من أُمّتى عظيم السرم ، واسع البلعوم يأكل ولا يشبع يحمل وزرا لثقلين يطلب الامارة يوماً فإذا أدركتموه . فابقروا بطنه » و كان في يد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية .

«ألا وأنّه سيأمركم بسبّي والبرائة منّي» قال (حد) قال الجاحظ : كان معاوية يقول في آخر خطبة الجمعة : اللّهمّ إنّ أباتراب ألحد في دينك ، و صدّ عن سبيلك . فالعنه لعناً وبيلاً ، وعذّبه عذاباً أليماً ـ وكتب بذلك إلى الآفاق . فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد ـ العزيز .

قال : وروي أنّ قوماً من بني أُميّة قالوا لمعاوية : إنّك قد بلغت ما أمّلت فلو كففت عن لعن هذا الرجل . فقال : لا واللّه حتى يربو عليها الصغير ، و يهرم عليها الكبير ، ولا يذكر له ذاكر فضلاً ، وأمر المغيرة ـ وكان أمير الكوفة من قبل معاوية ـ حجر بن عدى أن يقوم في الناس . فيلعن عليّا ، فأبي ذلك . فتوعده فقال : أيّها الناس انّ أميركم أمرني أن ألعن عليّاً . فالعنوه .

فقال أهل الكوفة: لعنه الله ـ فأعاد الضمير إلى المغيرة بالقصد ـ.

وفي الطبري ـ في مقتل حجربن عدى في سنة (٥١) لمّا ولّى معاوية المغيرة الكوفة قال له: أردت إيصاءك بأشياء كثيرة وأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة لا تتحمّ عن شتم عليّ وذمّه، والترحّم على عثمان والعيب على أصحاب عليّ واقصاءهم، و اطراء شيعة عثمان وادنائهم. فقال المغيرة: قد حربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع، ولا رفع، ولا وضع فستبلو ـ إلى أن قال ـ وأقام على الكوفة سبع سنين واشهراً وهو من أحسن شيء سيرة غير أنّه لا يدع ذمّ عليّ عليه السلام والوقوع فيه والدعاء لعثمان والتزكية لأصحابه. فكان حجر إذا سمع ذلك قال: بل إيّاكم فذمّ الله ولعن ـ ثمّ يقوم و يقول ـ إنّ الله تعالى يقول «كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله» وأنا أشهد أنّ من تذمّون لأحقّ بالفضل ومن تزكّون أولى بالذم ـ إلى أن قال.

حتّى كان في آخر أمارته فقام وقال في عليّ وعثمان كما كان يقول: فقام حجر فنعر نعرة سمعها من كان خارجاً وقال: إنّك لا تدري بمن تولع من هرمك ـ إلى أن قال ـ.

فقالوا للمغيرة: على م تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة فإنّ ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط له. فقال لهم المغيرة: انّي قد قتلته إنّه سيأتي أمير بعدى فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة إنّه قد اقترب أجلي ولا اُحبّ أن أبتدء أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دماءهم. فيسعدوا بذلك وأشقى و يعزّ في الدنيا معاوية، و يذلّ يوم القيمة المغيرة ـ الخ ـ

وفي العقد سبّ معاوية علياً عليه السلام على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر. ففعلوا فكتبت اُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى معاوية إنّكم تسبّون

الله ورسوله على منابركم وذلك إنّكم تسبون عليّاً ومن أحبّه وأنا أشهد أن الله تعالى أحبّه ورسوله.

وتبع المروانيون غير عمر بن عبد العزيز منهم معاوية في الأمر بسبّه عليه السلام والبراءة منه لتشييد ملكهم.

قال (حد) رووا أنّ الوليد بن عبد الملك ذكر عليّا عليه السلام فقال: «لعنه الله - بالجمر - كان لصا ابن لصّ. فعجب الناس من لحنه في ما لا يلحن فيه أحد ومن نسبته عليّاً إلى اللصوصية.

قال: وذكر المبرد في الكامل أنّ خالد القسري لمّا كان أمير المدينة في خلافة هشام كان يقول على المنبر «اللهمّ العن عليّ بن أبي طالب بن عبد - المطلب بن هاشم صهر النبيّ على ابنته، وأبا الحسن والحسين» ثمّ يقبل على الناس فيقول: هل كنيت.

قال: وذكر الجاحظ أنّ هشاماً لمّا حجّ خطب بالموسم. فقام إليه انسان فقال: إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب. فقال: اكفف فما لهذا جئنا.

وفي المعجم في عنوان المدائني أمر المأمون أحمد بن يوسف بادخالي عليه. فلمّا دخلت ذكر عليّا عليه السلام فحدّثته فيه بأحاديث إلى أن ذكر لعن بني أُميّة له. فقلت: حدّثني أبو سلمة المثنى الأنصاري قال: قال لي رجل: كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحدا يسمّي عليّاً ولا حسناً ولا حسيناً، وإنّما أسمع معاوية، ويزيد: والوليد. فمررت برجل جالس على باب داره وقد عطشت فاستسقيته. فقال: ياحسن اسقه. فقلت له: اسميّت حسناً. فقال: أي والله إنّ لي أولاداً أسمائهم حسن وحسين، وجعفر. فإنّ أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله، ولا يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه وإنّما سمّيت أولادي، بأسماء أعداء الله. فإذا لعنت إنّما ألعن أعداء الله. فقلت له: ظننتك خير

أهل الشام وإذا جهنّم ليس فيها شر منك . فقال المأمون : لا جرم قد ابتعث الله عليهم من يلعن أحياءهم وأمواتهم ، ويلعن من في أصلاب الرجال وأرحام النساء منهم ـ يعني الشيعة ـ .

وفي نقض الاسكافي كان دعبل لبني أُميّة يقال له : خالد بن عبد الله لا يزال يشتم عليّا عليه السلام فلمّا كان يوم جمعة وهو يخطب الناس قال : والله إن كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليستعمله وأنّه ليعلم ما هو ، ولكنّه كان ختنه ، وقد نعس سعيد بن المسيب ففتح عينيه ثمّ قال : ويحكم ما قال هذا الخبيث رأيت القبر انصدع و النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كذبت ياعدوّ الله .

وفيه أقبل بالمدينة رجل على بعير فوقف فسبّ عليّا عليه السلام فحفّ به الناس ينظرون إليه فبينا هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فقال : اللّهمّ إن كان سبّك عبداً صالحاً فأر المسلمين خزيه . فما لبث أن نفر به بعيره فسقطت فاندقّت عنقه .

وفي الأغاني دخل فراس بن جعدة بن هبيرة على خالد القسري وبين يديه نبق . فقال له : سبّ ولك بكلّ نبقة دينار ، ورأي يوماً عكرمة مولى ابن عباس ، وعلى رأسه عمامة سوداء . فقال : بلغني أنّ هذا العبد يشبه عليّاً و أني لارجو ان يسود الله وجهه كما سوّد وجه ذاك ، وقال ابن شهاب : قال لي خالد القسري اكتب لي السيرة فقلت له : فإنّه يمرّ بي الشيء من سيرعلي فاذكره فقال : لا إلاّ أن تراه في قعر الجحيم قال : لعن الله خالداً ، ومن ولاّه ، و صلوات الله على أمير المؤمنين .

وفي (حد) روى الكلبي عن أبيه عن عبد الرحمن بن سائب قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هانى وهو رجل من بني أود شهد معه مشاهده : والله ما كافأتك بعد ثمّ أرسل إلى أسماء بن خارجة سيّد بني فزارة أن زوّج بنتك من عبد الله . فقال : لا والله . فدعا له بالسياط . فقال : نعم ثمّ بعث إلى سعيد

بن قيس الهمداني أن زوّج ابنتك من عبد الله ·فقال : لا والله ·فدعا بالسيف فزوّجه ·

فقال له الحجّاج : قد زوّجتك بنت سيد فزارة ، وبنت سيد همدان ، وما أود هناك ·فقال : إنّ لنا مناقب ليست لأحد من العرب قال : وما هي؟ قال : ماسب عبد الملك في ناد لناقط ، ومنا نسوة نذرن إن قتل الحسين أن ينحر كلّ واحدة عشرة قلائص وما منّا رجل عرض عليه شتم أبي تراب إلاّ فعل وزاد ابنيه حسناً وحسيناً وأمّهما فاطمة ·

وكان الحجاج يقول : لكلّ مرّة منقبة والله فقال : وما أحد من العرب له من الصباحة والملاحة مالنا ·فضحك الحجاج وقال : أما هذه فدعها وكان دميما مجدوراً في رأسه عجرمائل الشدق أحول ـ

«امّا» هكذا في المصرية ، والصواب (فأمّا) كما في (حد) و (ثم) و الخطية ·

«السب فسبّوني فإنّه لي زكاة ولكم نجاة» قال (حد) الزكوة النماء ، و الزيادة ، ومعنى كون السب زكوة له عليه السلام امّا ماورد في الخبر أنّ سبّ المؤمن زكوة له وزيادة في حسناته ، و امّا أنّ سبّهم لي لا ينقص قدري بل أزيد به شرفاً وعلوّ قدر وشياع ذكر ، وهكذا كان فإنّ الله تعالى جعل الأسباب الّتي حاولت أعدائه بها الغضّ منه عللاً لانتشار صيته في مشارق الأرض ومغاربها.

وفي الارشاد ومن آياته وبيناته الّتي انفرد بها ممّن عداه ظهور مناقبه في الخاصة والعامة ، وتسخير الجمهور لنقل فضائله ، وما خصّه الله به من كرائمه وتسليم العدوّ من ذلك بما فيه الحجة عليه هذا مع كثرة المنحرفين عنه و الأعداء له وتوفر أسباب دواعيهم إلى كتمان فضله ، وجحد حقّه وكون الدنيا في يد خصومه وانحرافها عن أوليائه ، وما اتّفق لأضداده من سلطان الدنيا و حمل الجمهور على اطفاء نوره ودحض أمره ·فخرق الله العادة بنشر فضائله ،

وظهور مناقبه، وبتسخير الكلّ للاعتراف بذلك، والاقرار بصحته، واندحاض ما احتال به أعدائه في كتمان مناقبه، وجحد حقوقه حتّى تمّت الحجّة، وظهر البرهان بحقّه.

ولمّا كانت العادة جارية بخلاف ما ذكرناه في من اتّفق له من أسباب خمول أمره ما اتّفق لأميرالمؤمنين عليه السلام فانخرقت العادة فيه دلّ ذلك على بينونته من الكافة بباهر الآية على ماوصفناه.

وقد شاع الخبر عن الشعبي أنّه كان يقول: لقد كنت أسمع خطباء بني أميّة يسبّون عليّاً عليه السلام على منابرهم وكأنّما يشال بضبعه إلى السماء، وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم على منابرهم، وكأنّما يكشفون عن جيفة.

وقال الوليد بن عبد الملك لبنيه يوماً: عليكم بالدين فانّي لم أر الدين بنى شيئاً فهدمته الدنيا، ورأيت الدنيا قد بنت بنياناً فهدمة الدين. مازلت أسمع أهلنا يسبّون عليّاً، ويدفنون فضائله، ويحملون الناس على شنآنه. فلا يزيده ذلك من القلوب إلاّ قرباً، ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق. فلا يزيدهم من القلوب إلاّ بعداً ـ إلى أن قال ـ.

وكانت الولاة الجورة تضرب بالسياط من ذكره بخير بل تضرب الرقاب على ذلك: وتعرض الناس على البرائة منه والعادة جارية في من اتّفق له ذلك إلاّ يذكر على وجه بخير فضلاً عن أن تذكر له فضائل، وإذا كان ظهور فضائله على ماقدّمنا ذكره من شياع ذلك في الخاصة والعامة، وتسخير العدوّ، والولى لنقله ثبت خرق العادة فيه، وبان وجه البرهان في معناه بالآية الباهرة.

ثمّ أمره عليه السلام أصحابه بسبّه عند أمر الجبابرة لهم بذلك لكونه زكاة له عليه السلام ونجاة لهم أمر اباحة لاستثنائه من الحظر لا أمر ايجاب، وكان يجوز لهم الاستسلام للهلكة وتركه بل هو أحسن وكونه أرفع درجة.

وروي الكشي عن الباقر عليه السلام أنّ الحجّاج قال ليحيى بن أمّ الطويل:

العن أباتراب ٠فأبي ٠فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله ٠

وروي ذيل الطبرى أنّ الحجّاج كتب إلى محمّد بن القاسم الثقفى أن ادع عطية فإن لعن عليّاً وإلاّ فاضربه ٠

وروي الطبرى في صيفى بن فسيل ـ من رؤوس أصحاب حجر بن عدى ـ أنّ زيادا قال له : ياعدوّ الله ماتقول في أبي تراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب ٠ قال : ماأعرفك به قال : ما أعرفه قال : أما تعرف علىّ بن أبي طالب ؟ قال : بلى قال : فذاك أبوتراب ٠قال : كلاّ ذاك أبوالحسن وأبوالحسين عليهما السلام ٠فقال له صاحب الشرطة : يقول لك الأمير : هوأبوتراب وتقول أنت لا ٠قال له : أتريد أن أكذب ان كذب الأمير ، وأشهد له على باطل قال زياد : عليّ بالعصا فأتى بها قال : ماقولك فيه ٠قال : أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين قال اضربوا عاتقه بالعصا حتّى يلصق بالأرض ٠فضرب حتّى لزم الأرض ٠ فقال : اقلعوا عنه أيه ماقولك في على قال : والله لوشرحتنى بالمواسى والمدى ما قلت إلاّ ماسمعت منّي قال : لتلعننّه أوّلاً ضربن عنقك قال : اذن تضربها والله قبل ذلك ـ الخ ـ ٠

ثمّ مع جوازه يجب عليه التورية إن امكنه ذلك روى الكشى أنّ معاوية قال لصعصعة بن صوحان : اصعد المنبر والعن عليّاً ٠فصعده وقال : أيّها الناس إنّ معاوية امرنى ان العن علىّ بن أبي طالب ٠فالعنوا من لعن علي بن أبي طالب فضجّوا بآمين ٠فلمّا خبّر معاوية قال : لا والله ماعنى غيرى اخرجوه لا يساكننى في بلد فاخرجوه ٠

وروي العقد عن الأعمش قال : رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى ضربه الحجّاج على باب المسجد ، وأوقفه ٠فجعلوا يقولون له : العن الكاذبين علىّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن الزبير ، والمختار بن أبي عبيد ٠فقال : لعن الله الكاذبين ـ ثمّ قال ـ علىّ بن أبي طالب ـ إلى أن قال ـ فعرفت حين

سكت ثمّ ابتدء فرفع أنّه ليس يريد هم.

هذا، وروي الكافي أنّ أبا الصباح الكناني قال للصادق عليه السلام: إنّ لنا جاراً يجلس الينا، فنذكر فضل عليّ عليه السلام فيقع فيه أفتأذن لي فيه. فقال عليه السلام: دعه فستكفى. فلمّا رجعت إلى الكوفة قيل لي بعد ثمانية عشر يوماً انّ الرجل أيقظ فإذن هو مثل الزق المنفوخ ميتاً فذهبوا يحملونه فإذا لحمة يسقط عن عظمه. فجمعوه في نطع فإذا تحته أسود.

«وأمّا البرائة فلا تتبرؤا منّي» قال (حد) لا فرق عند أصحابنا بين السبّ والتبرى في جواز فعلهما مع التقية، وتركهما اعزازاً للدين وانما استفحش عليه السلام البراءة لأنّ هذه اللفظة ما وردت في القرآن إلاّ عن المشركين مثل قوله تعالى «براءة من اللّه ورسوله إلى الّذين عاهدتم من المشركين» فصارت الكلمة بالعرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة، وأما الإمامية فتروى عنه عليه السلام أنّه قال: إذا عرضتم على البرائة منّا فمدّوا الأعناق، ويقولون: لا يجوز التبرى منه إن كان الحالف صادقاً وإنّ عليه الكفارة ويقولون: إنّ حكم البراءة من اللّه تعالى ومن الرسول صلى الله عليه وآله ومن أحد الأئمة عليهم السلام واحد، ويقولون: إنّ الاكراه على السب يبيح اظهاره، ولا يجوز الاستسلام للقتل معه، وأما الاكراه على البراءة فإنّه يجوز معه الاستسلام للقتل، ويجوز اظهار التبرى، والاولى الاستسلام.

قلت: كلامه كلّه خلط وخبط أما قوله صارت كلمة البراءة بالعرف الشرعي مطلقة على المشركين خاصة. فجزاف. فأىّ دلالة للآية على ما قال بعد التصريح فيها بأنّ اللّه ورسوله برئ من المشركين.

وأما قوله فتروى الإماميّة عنه عليه السلام «إذا عرضتم على البرائة منّا فمدوا الأعناق فبهتان فالأصل في الرواية العامة وتبعهم المصنّف وقبله شيخه المفيد غفلة فقال في ارشاده استفاض عنه عليه السلام قال: إنكم ستعرضون من بعدى على سبّي فسبّوني فإن عرض عليكم البراءة منّي فلا تبرؤا منّي فانّي ولدت على الاسلام

فمن عرض عليه البرائة منّى فليمد دعنقه . فمن تبرأ منّي فلا دين له ولا آخرة» و أما الإماميّة فرووا تكذيب ما نسبوا إليه من أنّه عليه السلام قال لا تتبرؤا منّى .

روي الكليني فى باب تقية كافيه ، والحميرى فى قرب اسناده عن مسعدة بن صدقه أنّه قيل لجعفر بن محمّد عليه السلام : إنّ الناس يروون أنّ عليّاً عليه السلام قال: على منبر الكوفة «أيّها الناس انكم ستدعون إلى سبّى فسبّونى ثمّ تدعون إلى البرائة منّى وإنّى لعلى دين محمّد فلا تتبرّؤا منّي» فقال : ما أكثر ما يكذب الناس على علىّ عليه السلام إنّما قال : إنّكم ستدعون إلى سبّى فسبّونى ثم تدعون إلى البرائة منّى وإنّى لعلى دين محمّد ولم يقل «ولا تبرّؤا منّي» فقال له السائل : أرأيت ، أن اختار القتل دون البراءة منه فقال : والله ما ذلك عليه ، وماله إلاّ ما مضى عليه عمّار حيث أكرهه أهله وقلبه مطمئن بالإيمان . فأنزل الله فيه «إلاّ من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان» فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله عندها : يا عمار ان عادوا فعد فقد انزل تعالى عذرك .

وروي إبراهيم الثقفى في غاراته ـ وقد نقله (حد) نفسه ـ عن يوسف بن كليب المسعودى ، عن يحيى بن سليمان العبدى ، عن أبي مريم الأنصارى عن محمّد بن علىّ الباقر عليه السلام قال : خطب علىّ عليه السلام على منبر الكوفة . فقال «سيعرض عليكم سبّى و ستذبحون عليه فإن عرض عليكم سبّى فسبّونى ، و إن امروكم أن تبرؤا منّى فإنّى على دين محمّد صلى الله عليه وآله» ولم يقل فلا تبرّؤا منّى .

وعن أحمد بن المفضل عن الحسين بن صالح عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال : قال علىّ عليه السلام : والله لتذبحنّ على سبّى ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ ثمّ قال «فإن أمروكم بسبّي فسبّوني ، وإن أمروكم أن تبرّؤا منّي فانّي على دين محمّد صلى الله عليه وآله» ولم ينههم عن اظهار البرائة فهذه ثلاثة أخبار : خبران عن الصادق عليه السلام وخبر عن الباقر عليه السلام إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم ينههم عن اظهار البراءة وإن نسبة النهى إليه عليه السلام من العامة .

وبالجملة المحقّق من الفرق بين السبّ والبرائة أنّه عليه السلام في السب قال «فسبّونى»، وأمّا فى البرائة فلم يقل «فتبرّؤا منّي» وإنّما اقتصر على قوله عليه السلام «فإنّى على دين محمّد صلى الله عليه وآله» فتوهّموا أنّه نهى فدفع عترته عليهم السلام التوهّم بأنّه اقتصر على ذاك ،وهو أعم من النهى وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله قال له (الإيمان خالط لحمك ،ودمك كما خالط لحمى ودمى) .

ووجه تفريقه عليه السلام أنّ من يأمرهم بالسبّ يأمرهم لهوى نفسه فلا يقبل جوابه ،وأمّا من يأمرهم بالتبرى .فإنّما يأمرهم بالتبرى منه عليه السلام أى من دينه. فعلّمهم عليه السلام كيف يجيبونهم بأنّ دين علىّ عليه السلام دين محمّد صلى الله عليه وآله وهم كانوا في الظاهر مقرّين به ولا يمكنهم انكاره .

روى الطبرى أنّ شرطة معاوية لمّا قتلوا حجراً مع خمسة من أصحابه لعدم قبولهم التبرى قال عبدالرحمن بن حسان العنزى ،وكريم بن عفيف الخثعمى :ابعثوا بنا إلى معاوية فنحن نقول في هذا الرجال مثل مقالته. فبعثوا بهما إليه فقال الخثعمى له :اللّه اللّه يامعاوية فإنّك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ثمّ مسئول عمّا أردت بقتلنا ، وفيم سفكت دماءنا .فقال له معاوية : ماتقول في عليّ قال : أقول فيه قولك أتبرء من دين علىّ الّذى كان يدين اللّه به .

وفي الإرشاد روى السير من طرق مختلفة أنّ الحجّاج قال لقنبر:ابرء من دين علىّ قال .فإذا برئت من دينه تدلّنى على دين أفضل من دينه قال :إنّى قاتلك .فقال له :إنّه عليه السلام أخبرنى أن منيتى تكون ذبحاً ظلماً بغير حقّ .فأمر به فذبح

وفى كامل المبرد ،ومن شعر علىّ عليه السلام الّذى لااختلاف فيه أنّه قاله و كان يردّده .

ياشاهد اللّه علىّ فاشهد أنّى على دين النبىّ أحمد

من شك في اللّه فانّى مهتدٍ.

وفي كتاب الحسين عليه السلام إلى معاويه ـ كما في الكشى وخلفاء القتيبى ـ أولست صاحب الحضرميّين الّذين كتب فيهم ابن سميّه أنّهم على دين علىّ فكتبت إليه أن أقتل كلّ من كان على دين علىّ. فقتلهم، ومثّل بهم، ودين علىّ واللّه الّذى كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الّذى جلست، ولولا ذلك لكان شرفك، وشرف ابيك الرحلتين.

وحجربن عدى مع أصحابه كانوا أربعة عشر تبرأ نصفهم - وهم كريم بن عفيف، وعبد اللّه بن حوية، وعاصم بن عوف، وورقاء بن سمى، والارقم بن عبد اللّه، وعتبة بن الأخنس، و سعد بن نمران ـ فنجوا، وأبى نصفهم فقتلوا، وهم حجر، وعبد الرحمن العنزى، وشريك بن شداد وصيفى بن فسيل وقبيصة بن ضبيعة، ومحرزبن شهاب، وكدام بن حيان.

وروى النسوى أنّ علياً عليه السلام قال: ياأهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود.

وفى المروج لمّا صار حجر وأصحابه إلى مرج عذراء ـ على اثنى عشر ميلاً من دمشق ـ تقدّم البريد بخبرهم إلى معاوية. فبعث برجل أعور. فلمّا أشرف عليهم قال رجل من أصحاب حجر: إن صدق الزجر. فإنّه يقتل منّا النصف، وينجوا الباقون فقيل له: وكيف ذلك قال: أما ترون الرجل المقبل مصابا باحدى عينيه. فلمّا وصل إليهم قال لحجر: إنّ الخليفة أمرني بقتلك يا رأس الضلال، ومعدن الكفر والطغيان، والمتولى لابي تراب إلاّ أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم، و تبرؤا منه. فقال حجر وجماعة من أصحابه: إنّ الصبر على حدّ السيف لايسر علينا ممّا تدعونا إليه، وأجاب نصفهم إلى البرائة منه عليه السلام. فلمّا قدّم حجر ليقتل قال: دعونى اصلّى ركعتين. فجعل يطول فى

صلوته ٠فقيل له :أجزعا من الموت ٠فقال :لا ولكنّى ماتطهرت للصلاة قط الا صلّيت وما صلّيت قطّ أخفّ من هذه ،وكيف لا أجزع،وأنّى لا أرى قبرا محفوراً و سيفاً مشهوراً ،وكفناً منشوراً ثمّ قدّم فنحر ،والحق به من وافقه منهم ٠

وفى الطبرى لمّا أرادوا قتل حجر قال لمن حضره ،من أهله : لا تطلقوا عنّى حديداً ،ولا تغسلوا عنّى دماً ٠فإنّى ألاقى معاوية غداً على الجادة فكان محمّد بن سيرين إذا سئل عن الشهيد هل يغسّل حدّثهم حديث حجر،وقال بلغنا أنّ معاوية لمّاحضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ، ويقول :يومى منك ياحجر طويل ٠

وفيه قال معاوية لعبد الرحمن العنزى :ماقولك فى علىّ قال : لا تسألنى خير لك قال :لا أدعك حتّى تخبرنى قال : اشهد أنّه كان من الذاكرين اللّه كثيرا ،ومن الآمرين بالحق ،والقائمين بالقسط ،والعافين عن الناس ٠ قال:فما قولك فى عثمان ؟ قال :هو أوّل من فتح باب الظلم ، وارتج أبواب الحق ٠ فبعث معاوية به إلى زياد ،وكتب إليه اقتله شرّ قتلة٠فبعث به زياد إلى قسّ الناطف فدفن به حيّاً ٠

وممّن عرض عليه البراءة فأبى وقتل رشيد الهجرى ،وميثم التمّار٠ روى الكشى عن قنواء بنت رشيد عن أبيها قال :قال لى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : كيف خبرك متى أرسل اليك دعىّ بنى أُميّة ٠ فقطع يديك ،ورجليك ، و لسانك قالت :فواللّه ماذهبت الأيّام حتّى ارسل إليه عبيد اللّه بن زياد الدعىّ فدعاه إلى البرائة منه عليه السلام فأبى أن يبرء ـ الخبر ـ ٠

وعن ميثم قال :قال أمير المؤمنين عليه السلام :كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعىّ بنى أُميّة ابن دعيّها عبيد اللّه بن زياد إلى البرائة منّى ٠فقال :أنا واللّه لا ابرء منك قال :اذن واللّه يقتلك ويصلبك قلت : أصبر فذاك فى اللّه قليل ـ الخبر ـ وكيف يصحّ ماقاله من أنّ الإماميّة تروى أنّه لا يجوز التبرى منه :وقد روى

الكليني في باب تقيته أنه قيل للباقر عليه السلام: رجلان من أهل الكوفة أُخذا فقيل لهما: ابرئا من علي. فبرء واحد منهما، وأبى الآخر. فخلّى سبيل الّذي برء، و قتل الآخر. فقال: أما الّذي برء ففقيه في دينه، وأما الّذي لم يبرء. فتعجّل إلى الجنّة.

وعن الصادق عليه السلام ما منع ميثم ـ رحمه الله ـ من التقية فوالله لقد علم أن هذه الآية نزلت في عمار وأصحابه «إلاّ من اكره و قلبه مطمئن بالإيمان» ـ ومرّ أنّ ميثماً دعى إلى البرائة.

هذا، وروى ذيل الطبري أنّ الحجاج قال للحسن البصري: ما تقول في أبي تراب؟ قال: وما عسى أن أقول إلاّ ما قال تعالى قال: وما قال. قال: قال «وما جعلنا القبلة الّتي كنت عليها إلاّ لنعلم من يتّبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه و إن كانت لكبيرة إلاّ على الّذين هدى الله»[1] وكان عليّ ممّن هدى الله فغضب ثمّ أكبّ ينكت الأرض وخرجت لم يعرض لي أحد فتواريت تسع سنين حتّى مات.

وأمّا قوله «ويقولون لا يجوز التبرى منه إن كان الحالف صادقاً و إنّ عليه الكفّارة» ـ الخ ـ فخلط منه فانّ كلامنا في الإكراه على التبرى منه عليه السلام و ما ذكره أمر آخر، وهو عدم جواز الحلف بالبرائة لمن كان صادقاً، وهو لا يناسب هنا بل كلامه عليه السلام في احلاف الظالم والمبطل بالبرائة من الله تعالى حتّى يعجل تعالى منه الإنتقام.

«فإنّي ولدت على الفطرة» قال (حد) ولد عليه السلام لثلاثين من عام الفيل والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعث لأربعين منه، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليلة ولادته عليه السلام «لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة».

ويمكن أن يكون مراده عليه السلام بالفطرة العصمة وأنّه عليه السلام منذ ولد لم يواقع

(١) البقرة: ١٤٣.

قيبحاً ،ولاكان كافرا طرفة عين ،ولا مخطئا ،ولا غالطاً فى شئ من الأشياء المغلقة ،وهذا تفسير الإماميّة قلت: ورواه العامة أيضاً .

ففى مسند أحمد بن حنبل عن سلمان قال :قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم :كنت أنا و علىّ نورا بين يدى الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر آلاف عام .فلمّا خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزئين :فجزء أنا وجزء علىّ .

ورواه ابن المغازلى ،وفى آخره بعد قوله(جزئين ـ فجعل جزء فى صلب عبد الله ،وجزء فى صلب أبي طالب فأخرجنى نبيّاً وعليّاً وصيّاً .

وعن ابن مسعود قال :قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم :أوحى الله إلى إبراهيم انّى جاعلك للناس إماماً ـ إلى أن قال ـ قال :قال «ومن ذرّيتى» ـ إلى أن قال ـ قال تعالى لا اعطيك لظالم من ذرّيتك عهدا .فقال ابراهيم عند ها «واجنبنى و بنىّ أن نعبد الأصنام» قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم :فانتهت الدعوة إلىّ و إلى علىّ لم يسجد أحدنا لصنم قط .فاتّخذنى نبيّاً وعليّاً وصيّاً .

«وسبقت إلى الإيمان» قال المأمون -كما فى العقد ـ لاسحق بن إبراهيم بن اسماعيل بن حماد بن زيد ـ فى ماحاجّه فى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ـ هل علمت أحداً سبق علياً عليه السلام إلى الإسلام؟ قال اسحق :إنّ علياً أسلم وهو حديث السنّ لا يجوز عليه الحكم ،وأبوبكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم .قال له المأمون :أخبرنى أيّهما أسلم قبل ثمّ اناظرك بعد فى الحداثة .قال اسحق : علىّ أسلم قبل أبى بكر على هذه الشريطة .قال له المأمون :أخبرنى عن اسلام علىّ عليه السلام حين أسلم لا يخلو من أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دعاه إلى الاسلام ، أو يكون إلهاماً من الله تعالى فأطرق .

فقال له المأمون :لا تقل الهاما فتقدّمه على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يعرف الإسلام حتّى أتاه جبرئيل عليه السلام عن الله تعالى قال اسحق : بل دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

قال المأمون : فهل يخلو النبىّ ﷺ حين دعاه من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه . فأطرق .

قال له المأمون : لا تنسب النبىّ ﷺ إلى التكلّف فإنّ الله تعالى يقول «وما أنا من المتكلّفين» قال اسحق : أجل بل دعاه بأمر الله تعالى .

قال له المأمون : هل من صفة الجبّار ـ جلّ ذكره ـ أن يكلّف رسله دعاء من لا يجوز عليه الحكم ، وفى قياس قولك «أسلم علىّ وهو صبى لا يجوز عليه حكم» قد كلّف النبىّ ﷺ من دعاء الصبيان مالا يطيقون فهل يدعوهم الساعة ، و يرتدّون بعد ساعة . فلا يجب عليهم فى ارتدادهم شىء ، ولا يجوز عليهم حكم النبىّ ﷺ أترى عندك جائزا أن تنسب هذا إلى النبىّ ﷺ .

قال اسحق : أعوذ بالله .

قال له المأمون : فأراك يا اسحق إنّما قصدت لفضيلة فضّل بها النبىّ ﷺ علياً عليه السلام على هذا الخلق ابانة بها منهم ليعرفوا فضله ، ولو كان الله أمرهم بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً ـ الخ ـ .

«والهجرة» قال (حد) يمكن أن يريد عليه السلام بسبقه فى هجرته غير هجرة المدينة فإنّ النبىّ ﷺ هاجر عن مكّة مراراً يطوف على أحياء العرب ، وينتقل من أرض قوم إلى غيرها ، وكان علىّ عليه السلام معه دون غيره ـ إلى أن قال ـ .

وأما هجرة النبىّ ﷺ إلى بنى عامر بن صعصعة و إخوانهم من قيس عيلان . فإنّه لم يكن معه إلاّ علىّ عليه السلام وحده ، وذلك عقيب وفاة أبى طالب أوحى تعالى إليه اخرج منها فقد مات ناصرك فخرج إلى بنى عامر ، ومعه علىّ عليه السلام وحده . فعرض نفسه عليهم ، وسألهم النصر ، وتلا عليهم القرآن فلم يجيبوه . فعاد إلى مكّة وكانت مدّة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيّام ، وهى أوّل هجرة هاجرها النبىّ ﷺ بنفسه .

١٦/ ٧٠/ ١ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَهُ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْبَصْرَةِ

(قَالُوا أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ. فَقَالَا لَهُ يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ

«قالوا: لمّا أخذ مروان بن الحكم» روى الروضة (٣٢٤) عن الصادق عليه السلام قال: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله من حجرته ومروان وأبوه يستمعان إلى حديثه. فقال له الوزغ ابن الوزغ. فمن يومئذٍ يرون أنّ الوزغ يسمع الحديث.

وعن الباقر عليه السلام لمّا ولد مروان عرضوا به للنبيّ صلى الله عليه وآله يدعوله فارسلوا به إلى عايشة. فلمّا قرّبته منه قال: اخرجوا عنّى الوزغ ابن الوزغ ـ قال زرارة: ولا أعلم إلاّ أنّه قال، ولعنه.

وفي حيوة الحيوان للدميرى روى الحاكم فى الفتن والملاحم من مستدركه عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلاّ أتى به النبيّ صلى الله عليه وآله فيدعوله فأدخل عليه مروان. فقال: هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون.

وعن محمّد بن زياد قال: لمّا بويع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنّة

أبى بكر و عمر . فقال عبد الرحمن بن أبى بكر : سنّة هرقل وقيصر . فقال له مروان : أنت الّذى انزل فيك «والّذى قال لوالديه أفّ لكما» فبلغ ذلك عايشة . فقالت : كذب واللّه ما هو به ولكنّ النبىّ صلى الله عليه وآله لعن أبا مروان ومروان فى صلبه .

وفى نقض عثمانية الإسكافى كان مروان مجاهراً بالالحاد ، هو وأبوه وهما الطريدان اللعينان كان أبوه عدوّ النبىّ صلى الله عليه وآله يحكيه فى مشيه ، ويغمز عليه عينه ، ويدلع لسانه ، ويتهكّم به ، ويتهانف عليه هذا وهو فى قبضته وتحت يده ، وهو يعلم أنّه قادر على قتله أىّ وقت شاء . فهل يكون هذه إلاّ من شانئ شديد البغضة حتّى افضى أمره إلى أن طرده النبىّ صلى الله عليه وآله وسيّره إلى الطائف و أمّا مروان ابنه فاخبث عقيدة وأعظم الحاداً وكفراً .

وفى الاستيعاب ـ فى هند بن أبى هالة ـ عن هند قال : مرّ النبى (ص) بأبى مروان فجعل يغمزه . فالتفت فقال «اللّهمّ اجعل به وزغاً» ـ والوزغ الارتعاش فرجف مكانه .

وروى المدائنى خبراً طويلاً فى محاجة ابن عباس فى مجلس معاوية مع مروان و غيره ـ إلى أن قال ـ فقال مروان : يا ابن عباس انّك لتصرف بنا بك و تورى نارك كأنّك ترجو الغلبة وتؤمّل العافية ، ولولا حلم معاوية عنكم لنا ولكم بأقصر أناملة فاوردكم منهلاً بعيداً صدره ، ولعمرى لئن سطا بكم ليأخذن بعض حقّه منكم ، ولئن عفا عن جرائركم . فقد يماً نسب إلى ذلك .

فقال له ابن عباس : و إنّك لتقول ذلك ياعدوّ اللّه ، وطريد رسوله والمباح دمه ، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه ، وركوب اثباجه أما واللّه لوطلب معاوية ثارهِ لأخذك به ، ولو نظر فى أمر عثمان لوجدك أوّله وآخره .

وفى الاحتجاج قال الحسن عليه السلام لمروان فى مجلس معاوية : وما زادك اللّه يامروان بما خوّفك إلاّ طغياناً كبيراً صدق اللّه وصدق رسوله يقول تعالى

«والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً»[1].

وفيه عن محمّد بن السائب قال مروان يوماً للحسين عليه السلام: لولا فخرتم بفاطمة بم كنتم تفتخرون علينا؟ فوثب الحسين عليه السلام ـ وكان شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتّى غشي عليه ثم تركه وأقبل على جماعة من قريش. فقال: انشدكم بالله ان صدّقتموني إن صدقت أتعلمون أنّ في الأرض حبيبين كانا أحبّ إلى النبي صلى الله عليه وآله منّي ومن أخي أو على ظهر الأرض ابن بنت نبيّ غيري وغير أخي. قالوا: لا.

قال: وإنّي لا أعلم أنّ في الأرض ملعوناً ابن ملعون غير هذا وأبيه طريد النبيّ صلى الله عليه وآله والله ما بين جابرس وجابلق ـ أحدهما بباب المشرق، والآخر بباب المغرب ـ رجلاً ممّن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله، ولأهل بيته منك ومن أبيك إذكان وعلامة قولي فيك إنك إذا غضبت سقط ردائك من منكبيك، قال فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب فانتفض وسقط ردائه عن عاتقه.

وفي تذكرة سبط ابن الجوزي ذكر هشام الكلبي عن محمد بن اسحق قال: بعث مروان ـ وكان والياً على المدينة ـ رسولاً إلى الحسن عليه السلام فقال له يقول لك مروان أبوك الّذي فرّق الجماعة، وقتل عثمان، وابادا العلماء والزهاد يعني الخوارج ـ وأنت تفخر بغيرك. فإذا قيل لك: من أبوك تقول: خالي الفرس فجاء الرسول إلى الحسن عليه السلام فقال له: أتيتك برسالة ممّن يخاف سطوته، ويحذر سيفه. فإن كرهت لم أبلغك، ووقيتك بنفسي.

فقال الحسن عليه السلام: لا بل تودّيها، ونستعين عليه بالله. فادّاها فقال له: تقول لمروان: إن كنت صادقاً فالله يجزيك بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله أشدّ نقمة. فخرج الرسول من عنده فلقيه الحسين عليه السلام فقال: من أين أقبلت. فقال: من عند أخيك الحسن عليه السلام. فقال: وما تصنع؟ قال: أتيت برسالة عند مروان فقال:

(١) الاسراء: ٦٠.

وما هي؟ فامتنع الرسول من أدائها . فقال: لتخبرني أو لا قتلنّك . فسمع الحسن عليه السلام فخرج ، وقال لأخيه: خلّ عن الرجل . فقال: لا والله حتى أسمعها فأعادها الرسول عليه . فقال له الحسين عليه السلام : قل له يقول لك الحسين بن علىّ وابن فاطمة «يا ابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذى المجاز ، وصاحبة الراية بسوق عكاظ ، و يا ابن طريد الرسول ولعينه اعرف من أنت ، ومن أبوك ، ومن أُمّك» .

فجاء الرسول إلى مروان فأعاد عليه ما قالا . فقال للرسول: ارجع إلى الحسن وقل له: أشهد ك أنك ابن الرسول ، وقل للحسين: أشهد أنّك ابن علىّ بن أبي طالب .

فقال الحسين عليه السلام للرسول: قل لمروان كلاهما لى رغمالك ـ قال الأصمعى أمّا قول الحسين عليه السلام «يا ابن الداعية إلى نفسها» فذكر ابن اسحق أن أُمّ مروان اسمها أُميّة وكانت من البغايا في الجاهلية ، وكانت لها راية مثل راية البيطار تعرف بها ، وكانت تسمّى أُمّ حنبل الزرقاء ، وكان مروان لا يعرف له أب و إنّما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص .

وأما قوله يا ابن طريد الرسول يشير إلى الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس أسلم يوم الفتح ، وسكن المدينة ، وكان ينقل أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكفار من الاعراب ، و غيرهم ، ويتجسّس عليه .

قال الشعبى : وما أسلم إلاّ لهذا ، ورآه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وهو يمشى ويتخلج فى مشيته يحاكى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم . فقال له : كذلك . فما زال يمشى كأنّه يقع على وجهه ونفاه إلى الطائف ، ولعنه . فلمّا توفّى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كلّم عثمان أبا بكر أن يردّه لأنه كان عمّه . فقال أبو بكر: هيهات شئ فعله النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم والله لا اخالفه أبداً . فلمّا ولّى عمر بعده كلّمه ، فقال: والله لا كان هذا أبداً . فلما ولّى عثمان بعده ردّه في اليوم الّذى تولّى فيه ، وقرّبه وأدناه ، ودفع له مالاً عظيماً ، ورفع منزلته . فقام المسلمون على عثمان ، وأنكروا عليه ، وهو أوّل ما أنكروا عليه . فامتنع جماعة من

من الصحابة من الصلاة خلف عثمان لذلك، ثمّ توفّي الحكم في خلافته. فصلّى عليه و مشى خلفه. فشقّ ذلك على المسلمين، وقالوا ماكفاك مافعلت حتّى تصلّى على منافق ملعون لعنه النبيّ صلى الله عليه وآله ونفاه فخلعوه وقتلوه.

وأعطى عثمان ابنه مروان خمس غنائم افريقيّة خمسمأة ألف دينار، ولما بلغ ذلك عايشة أرسلت إلى عثمان أمّاكفاك إنّك رددت المنافق حتّى تعطيه أموال المسلمين، وتصلّى عليه وتشيّعه، وبهذا السبب قالت اقتلوا نعثلاً ـ قتله الله ـ فقد كفر، وكان مروان يشتمّ عليّاً عليه السلام يوم الجمعة على المنبر، وكان الحسن عليه السلام يقعد في حجرة النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى يفرغ ثمّ يخرج فيصلّى خلفه.

وفي الصحاح (خيط باطل) هوالّذي يقال له لعاب الشمس، و مخاط الشيطان وكان مروان يلقب بذلك لأنّه كان طويلاً مضطرباً.

وفي المروج لمّاقتل عبد الملك عمرو بن سعيد الأشدق قالت اخته:

غدرتم بعمرو يابنى خيط باطل وكلّكم يبنى البيوت على غدر

وفى الطبرى ـ بعد ذكر أنّ الوليد رخّص للحسين عليه السلام فى الإنصراف لما دعاه لبيعة يزيد ـ قال مروان للوليد: احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أوتضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام فقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلنى أم هو؟ ـ إلى أن قال ـ.

فقال مروان للوليد: عصيتنى. فقال له الوليد: اخترت الّتى فيها هلاك دينى والله إنّى لأظنّ امرءً يحاسب بدم الحسين عليه السلام لخفيف الميزان عند الله يوم القيمة. فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فى ماصنعت ـ يقول له هذا وهو غير الحامد له على رأيه.

وفي الاغاني استأذن اسماعيل بن يسار النسائى على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً. فحجبه ساعة ثمّ أذن له. فدخل يبكى. فقال له الغمر: مالك تبكى؟ فقال: وكيف لاأبكى وأنا على مروانيتى ومروانية أبى أحجب عنك. فجعل

يعتذر إليه ، وهو يبكى . فما سكت حتّى وصله الغمر بجملة لها قدر . ثمّ خرج من عنده فلحقه رجل : فقال له : ويلك يا اسماعيل أىّ مروانية كانت لك أو لأبيك قال : بغضنا إيّاهم فامرأته طالق إن لم تكن أُمّه تلعن مروان والله كلّ يوم مكان التسبيح وإن لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له : قل : لا إله إلاّ الله . فقال : لعن الله مروان تقرباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد واقامة له مقامه .

وفيه زعم أهل اليمامة وعكل وغيرهم أنّ ثلاثه نفر : أبو حفصه جدّ مروان بن أبي حفصة الشاعر ، ورجل من تميم ، ورجل من سليم أتوا مروان فباعوا أنفسهم منه فى مجاعة نالتهم فاستعدى أهل بيوتاتهم عليهم فأقرّ السلمى أنّه من العرب وأنّه إنّما أتى مروان فباعه نفسه . فدسّ إليه مروان من قتله . فلمّا رأى ذلك الآخران ثبتا على أنّهما موليان لمروان .

«أسيراً يوم الجمل . فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلّماه فيه فخلّى سبيله» فى المروج دخل علىّ عليه السلام على عايشة بعد أن بعث ابن عباس اليها يأمرها بالخروج إلى المدينة ، ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وباقى أولاده ، وأولاد اخوته ، وفتيان أهله من بنى هاشم ، وغيرهم من شيعته فلمّا بصرت به النسوان صحن فى وجهه ، وقلن : يا قاتل الأحبة . فقال عليه السلام : لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من فى هذا البيت ـ وأشار إلى بيت من البيوت قد اختفى فيه مروان ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عامر ، وغيرهم ـ فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لمّا علموا من فى البيت مخافة أن يخرجوا فيغتالوهم ـ إلى أن قال ـ فسألته عايشة أن يؤمّن ابن اختها عبد الله بن الزبير فآمنه ، و تكلّم الحسن والحسين عليهما السلام فى مروان فآمنه .

ولكن روى الخرائج أنّ ابن عباس استشفع له ، فروى عن رجل من مراد قال كنت واقفاً على رأس أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال . فقال : إنّ لى حاجة . فقال عليه السلام : ما أعرفنى بالحاجة الّتى جئت فيها جئت تطلب

الأمان لابن الحكم قال: نعم اريد أن تؤمنه قال آمنته، ولكن لا تجئني بعد إلا رديفاً فإنه أذل له فجاء به ابن عباس رد فأخلفه كأنه قرد ـ الخبر ـ.

وكذا رواه جمل المفيد عن الواقدي فقال: قال: لما فرغ علي عليه السلام من أهل الجمل جاء فتيان من قريش يسألونه الأمان، وأن يقبل منهم البيعة. فاستشفعوا إليه بعبد الله بن العباس. فشفّعه، وأمرلهم في الدخول عليه. فلما مثلوا بين يديه قال لهم: ويلكم يا معشر قريش على م تقاتلونني على أن حكمت فيكم بغير عدل أو قسمت بينكم بغير سوية أو استأثرت عليكم أو لبعدي عن الرسول صلى الله عليه وآله أو لقلة بلاء منّي في الإسلام. فقالوا: نحن اخوة يوسف فاعف عنّا، واستغفر لنا. فنظر إلى أحدهم فقال: من أنت؟ قال: أنا مساحق بن مخرمة. معترف بالزلة. مقرّ بالخطيئة تائب من ذنبي. فقال عليه السلام: قد صفحت عنكم، وأيم الله إنّ فيكم من لا أبالي بايعني بكفّه أو باسته، ولئن بايعني لينكثن، وتقدم إليه مروان، وهو متّكئ على رجل فقال له: مابك هل بك جراحة. قال: نعم، وما أراني إلا لما بي. فتبسّم علي عليه السلام وقال: لا والله ما أنت لما بك، وستلفى هذه الأمّة منك ومن ولدك يوماً أحمر.

وظاهر خبر أبي مخنف عدم استشفاع أحد فيه، وفي جمع آخر معه.

ففي جمل المفيد أيضاً روى أبو مخنف عن العدوي عن أبي هاشم، عن البريد عن عبد الله بن المخارق، عن هاشم بن مساحق القرشي، عن أبيه قال: لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان. فقال بعضهم لبعض: والله لقد ظلمنا هذا الرجل، ونكثنا بيعته من غير حدث، والله لقد ظهر علينا. فما رأينا قط أكرم سيرة منه، ولا أحسن عفواً منه بعد الرسول تعالوا حتى ندخل عليه، ونعتذر إليه في ما صنعناه. فصرنا إلى بابه. فاستأذنّاه. فاذن لنا. فلما مثلنا بين يديه جعل متكلّمنا يتكلّم. فقال علي عليه السلام: انصتوا اكفكم إنّما أنا بشر مثلكم فان قلت حقاً فصدّقوني، وإن قلت باطلاً ردّوا علي انشدكم الله أتعلمون أنّ النبي صلى الله عليه وآله قبض وأنا اولى الناس به وبالناس من بعده. قالوا: اللّهم نعم،

قال : فعد لتم عنّى وبايعتم أبا بكر فامسكت ، ولم احبّ أن أشق عصى المسلمين ، وأفرّق بين جماعاتهم . ثمّ انّ أبا بكر جعلها لعمر من بعده . فكففت ولما هيّج الناس وقد علمت أنّى كنت أولى الناس بالله وبرسوله ، وبمقامه . فصبرت حتّى قتل وجعلنى سادس ستّة . فكففت ، ولم أحبّ أن أفرّق بين المسلمين . ثمّ بايعتم عثمان فطعنتم عليه ، وقتلتموه ، وأنا جالس فى بيتى وأتيتمونى وبايعتمونى كما بايعتم أبا بكر وعمر . فما بالكم وفيتم لهما ولم تفوالى ، وما الّذى منعكم من نكث بيعتهما ، ودعاكم الى نكث بيعتى . فقالوا له : كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح إذ قال : لا تثريب عليكم اليوم فقال عليه السلام : لا تثريب عليكم اليوم ، وإنّ فيكم رجلاً لو بايعنى بيده لنكث بأسته ـ يعنى مروان بن الحكم ـ .

هذا ، وكما اطلق عليه السلام مروان بعد أسره مع عداوته تلك أطلق الوليد بن عقبة مع كونه مثل مروان فى العداوة له

ففى كنايات الجرجانى أتى علىّ عليه السلام بالوليد بن عقبة أسيراً يوم الجمل ، فقال لمّا رآه :

هنيدة قد حللت بدار قوم ... هم الأعداء والاكباد سود

هم ان يظفروا بى يقتلونى ... وإن أظفر فليس لهم جلود

«فقالا له يبايعك يا أمير المومنين فقال عليه السلام : أولم يبايعنى بعد قتل عثمان» ومافى المصرية (قبل قتل عثمان) غلط واضح .

فى تاريخ اليعقوبى بايع الناس بعد عثمان علياً عليه السلام إلاّ ثلاثة من قريش : مروان ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ـ وكان لسان القوم ـ فقال الوليد له عليه السلام : يا هذا انّك وترتنا جميعاً أما أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر ، وأما سعيد . فقتلت أباه يوم بدر ، وأما مروان فشتمت أباه ، وعبت على عثمان حين ضمّه إليه ـ إلى أن قال ـ

فقال الوليد : تبايعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا ، وتعفى لنا عمّا فى أيدينا ، و

تقتل قتلة صاحبنا ، فغضب علىّ عليه السلام وقال : أما ما ذكرت من وترى إيّاكم . فالحق تركم ، وأما وضعى عنكم ما أصبتم فليس لى أن أضيع حق اللهوأما أعفانى عمّا فى أيديكم فما كان لله وللمسلمين . فالعدل يسعكم ، وأما قتلى قتلة عثمان . فلو لزمنى قتلهم اليوم لزمنى قتالهم غداً ، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله ، وسنّة نبيّه . فمن ضاق عليه الحقّ . فالباطل عليه أضيق ، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم . فقال مروان بل نبايعك ، ونقيم معك فترى ونرى .

«لا حاجة لى فى بيعته إنّها كفّ يهودية لو بايعنى بكفه» هكذا فى المصرية ، والصواب (بيده) كما فى (حد) و (ثم) والخطية .

«لغدر بسبته : أى باسته فى خبر الخرائج المتقدم فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفّه عن كفّ مروان وقال : لا حاجة لى فيها إنّها كفّ يهودية لو بايعنى بيده عشرين مرة لنكث بأسته ـ الخبر ـ .

وقد عرفت من خبر أبى مخنف «وأنّ فيكم رجلاً لو بايعنى بيده لنكث بأسته» ومن خبر الواقدى وأيم الله إنّ فيكم من لا أبالى بايعنى بكفه أو بأسته ، ولئن بايعنى لينكثن» قال (حد) كان الغادر من العرب إذا عزم على الغدر بعد عهده حبق استهزاء .

قال عليه السلام ذلك لأنّه يعرف ضميره ، وكيف كان يفى ببيعته ، وقد كان كتب إلى معاوية ، ويعلى بن منية قبل قتل عثمان «وإنى خائف إن قتل ـ يعنى عثمان ـ أن تكون ـ أى الخلافة ـ من بنى أميّة بمناط الثريا إن لم نصر كرصيف الأساس المحكم ، ولئن وهى عمود البيت لتتداعينّ جدرانه ، والّذى عيب عليه اطعامكما الشام واليمن ـ إلى أن قال ـ

وأما أنا فمساعف كلّ مستشير ، ومعين كلّ مستصرخ ، ومجيب كل داع أتوقع الفرصة . فاثب وثبة الفهد . أبصر غفلة مقتنصة .

وكتب إلى معاوية بعد قتل عثمان ـ مشيراً إليه عليه السلام وأصحابه ـ ولقد ،

طويت أديمهم على نغل يحلم منه الجلد كذبت نفس الظان بنا ترك المظلمة، و حبّ الهجوع الا تهويمة الراكب العجل ـ الى أن قال ـ وكتابى اليك وأنا كحربا السبسب فى الهجير ترقب عين الغزالة هذا ، وقال الشاعر :

«إنّ عبيداً هى صئبان السه»

والسه : أيضاً الاُست ، والصئبان : جمع الصؤابة بيضة القملة .

هذا ، وقال الأخطل ـ وكان شاعراً نصرانياً ، ومن المنقطعين إلى بنى اُميّة ـ فى بشر بن مروان .

فلا تجعلنى يابن مروان كامرئ غلت فى هوى آل الزبير مراجله

يبايع بالكف التى قد عرفتها وفى قلبه ناموسه وغوائله

«أما إنّ له إمرة» قال (حد) وروى هذا الخبر من طرق كثيرة ، ورويت فيه زياده هكذا «يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه ، و أنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه» . وقال الشاعر فى أمارة مروان ، وقد عرفت إنّه كان يلقب بخيط الباطل :

لحى الله قوما ملّكوا خيط باطل على الناس يعطى من يشاء ويمنع

وقد وقعت إمارته كما اخبر عليه السلام قال المسعودى : أراد مروان بعد موت يزيد أن يلحق بابن الزبير . فمنعه من ذلك عبيد الله بن زياد عند لحاقه بالشام و قال له : انك شيخ بنى عبد مناف ـ إلى أن قال ـ

قال عمرو بن سعيد الأشدق لمروان ادعوا الناس اليك ، وآخذ هالك على أن يكون لى من بعدك .

فقال مروان : بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية فرضى الأشدق بذلك ، و دعا الناس إلى بيعة مروان فاجابوا ، وكانت أيّامه تسعة أشهر وأياماً قلائل ـ و قيل ثمانية أشهر ـ واختلف فى سبب وفاته فمنهم من رأى أنّه مات مطعوناً ، و منهم من رآى أنّه مات حتف أنفه ، ومنهم من رآى أنّ فاختة بنت أبى هاشم بن عتبة ـ اُمّ خالد بن يزيد ـ هى الّتى قتلته وذلك أنّ مروان حين أخذ البيعة

لنفسه ولخالد بن يزيد بعده ، وعمرو بن سعيد بعده . ثم بداله فى ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده . ثم لابنه عبد العزيز ، ودخل عليه خالد بن يزيد . فكلّمه ، وأغلظ له . فغضب من ذلك ، وقال : أتكلمنى يا ابن الرطبة ـ وكان مروان قد تزوّج بأمّه فاختة ليذلّه بذلك ويضع منه ـ فدخل خالد على أمّه فقبّح لها تزوجها بمروان ، وشكا إليها ما نزل به منه . فقالت : لا يعيبك بعدها . فمنهم من رأى أنّها وضعت على نَفَسه وسادة ، وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات ، ومنهم من رأى أنها اعدّت له لبناً مسموماً . فلما دخل عليها ناولته إيّاه فشربته . فلما استقرّ فى جوفه وقع يجود بنفسه ، وامسك لسانه فحضره عبد الملك ، وغيره من ولده ، فجعل مروان يشير الى امّ خالد ـ يخبرهم أنّها قتلته ـ وأمّ خالد تقول : بأبى أنت حتى عند النزع لم تشتغل عنّى أنّه يوصيكم بى .

«كلعقة الكلب أنفه» فقد عرفت أنّ امرته كانت تسعة أشهر أو ثمانية .

هذا ، وفى البلادرى كان ابن همام حين حصر ابن مطيع فى القصر ـ أى فى الكوفة من قبل ابن الزبير لمّا ظهر المختار ـ فتدلى منه مع ناس ، وقال لما رأيت القصر اغلق بابه ، وتعلقت همدان بالأسباب ، ورأيت أفواه الأزقّة حولنا ملئت بكل هراوة ، ودّ باب ، ورأيت أصحاب الدقيق كأنّهم حول البيوت ثعالب الأسراب أيقنت إنّ أمارة ابن مطيع لم يبق منها فيش ايرذ باب .

وممّا قيل فى قصر المدّة قول ابن عباس فى مدّة أمارة عايشة فى الجمل .

ففى العقد قال ابن عباس لها ـ بعد هزيمتها ـ إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن نرجعى إلى بلدك الّذى خرجت منه . فقالت له أمير المؤمنين : إنّما كان عمر ـ بن الخطاب . فقال لها بل علىّ بن أبى طالب . فقالت : أبيت أبيت فقال لها : ما كان آباءك إلّا فواق ناقة بكيئة . ثمّ صرت ما تحلين ، ولا تمرّين ولا تأمرين ، ولا تنهين فبكت حتّى علا نشيجها .

«وهو أبو الاكبش الأربعة» فى أعلام الورى عن ابن مرهب ـ بعد ذكر ورود

مروان على معاوية ، وتركه حاجة له . فردّ ابنه عبد الملك إليه . فكلمه ثمّ خرج ـ قال معاوية لابن عباس ـ وكان عنده : انشدك الله يا ابن عباس أما تعلم أنّ النبيّ ﷺ ذكر هذا . فقال : أبو الجبابرة الأربعة .

وفى الدميرى قال مصعب الزبيرى : زعموا أنّ عبد الملك بن مروان رأى فى منامه أنّه بال فى المحراب أربع مرّات . فدسّ من سأل سعيد بن المسيب ـ وكان يعبّر الرؤيا ـ فقال : يملك من صلبه أربعة . فكان آخرهم هشاماً .

وقال (حد) فسّروا الأكبش الأربعة ببنى عبد الملك الوليد ، وسليمان ، و يزيد ، وهشام ، ولم يل الخلافة من بنى أُميّة ، ولا من غيرهم أربعة إخوة إلاّ هؤلاء ويجوز عندى أن يريد عليه السلام ولد مروان لصلبه عبد الملك ، وعبد العزيز ، و بشر ، و محمّد ، وكانوا كباشاً أبطالاً انجاداً ولّى عبد الملك الخلافة ، وولى بشر العراق ، وولى محمّد الجزيرة ، وولى عبد العزيز مصر ولكل منهم آثار مشهورة .

قلت : وكان لمروان ولد آخر أحمق معاوية بن مروان ، وهو الّذى قال للطحان أرأيت أن قام حمارك وحرّك رأسه ليصوت جلجله ماعلمك فقال : ومن له بمثل عقل الأمير ـ والا ظهر ماعليه الأكثر من كون المراد بنى عبد الملك الأربعة الّذين ولّوا الخلافة ، وكيف كان . فمروان كان أباعشرة ـ .

هذا ، وفى الجزرى ولى الخلافة فى الأخوين المسترشد ، والمقتفى ابنا المستظهر ، والهادى ، والرشيد ابنا المهدى ، والواثق والمتوكّل ابنا المعتصم ، و فى الإخوة الثلاثة ، الأمين ، والمأمون ، والمعتصم بنو هارون ، والمكتفى ، والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضى ، والمتقى ، والمطيع بنو المقتدر ، وأما أربعة إخوة فليس الاّ الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام بنو عبد الملك .

وكما أخبر عليه السلام بهؤلاء الأكبش الأربعة أخبر عليه السلام أنّ لكبش آخر ـ و هو ابن الزبير ـ يستحلّ حرمة الكعبة .

ففى الطبرى قال عبد الله بن سليم ، والمذرى بن المشمعل الأسديان :

سمعنا ابن الزبير يقول للحسين عليه السلام يوم الترويه بين الحجر والباب: إن شئت أن تقيم أقمت. فوليت هذا الأمر. فوازرناك، وساعدناك، ونصحنا لك، وبايعناك. فقال عليه السلام «إنّ أبى حدّثنى أنّ بها كبشا يستحلّ حرمتها فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش ـ ويأتى خبر النبىّ صلى الله عليه وآله فى ولد أبى العاص جدّ مروان كعثمان.

«وستلقى الأمّة منه ومن ولده يوماً أحمر» وفى خبر الخرائج المتقدم ـ بعد قوله عليه السلام فى مروان: لوبا يعنى بيده عشرين مرّة لنكث بأُسته. ثمّ قال عليه السلام: هيه يا ابن الحكم خفت على رأسك أن تقع فى هذه المعمعة كلاّ والله حتّى يخرج من صلبك فلان، وفلان يسومون هذه الأمّة خسفاً، ويسقونها كأساً مصبرة.

وقال (حد) «وفى الاستيعاب نظر علىّ عليه السلام يوماً إلى مروان. فقال له: ويل لك، وويل لأمّة محمّد منك، ومن بنيك، وأشاب ذراعاك» قلت: الّذى وجدت فى الاستيعاب «ويلك وويل أُمّة محمّد منك، ومن بنيك إذا ساءت درعك» والظاهر كون كلّ منهما تصحيفاً، وأنّ الأصل فى قول «وأشاب ذراعاك» وقول «إذا ساءت درعك» «إذا شاب صدغاك» كما مرّ فى خبر.

وفى الجزرى يقال لمروان ولولده: بنوالزرقاء ـ وزرقاء بنت موهب جدّة مروان لأبيه كانت من ذوات الرايات فى البغاء ـ قال ابن الأشعث ـ لمّا أجمع أهل العراق على خلع عبد الملك بدير الجماجم ـ إنّ بنى مروان يعيرون بالزرقاء والله مالهم نسباً أصح منه إلاّ أنّ بنى ابى العاص اعلاج من أهل صفورية.

قال (حد) وفى أغانى أبى الفرج قال مروان لمعاوية لمّا عزله عن الأمارة رويداً رويداً فقد بلغ بنوالحكم، وبنو بنيه نيفاً وعشرين، وإنّما هى أيّام قلائل حتّى يكملوا أربعين امرء، وأين تكون منهم حينئذٍ. ثمّ هم للجزاء بالحسنى و السوء بالمرصاد.

قال أبوالفرج: هذا رمز إلى قول النبىّ صلى الله عليه وآله «إذا بلغ بنو أبى العاص، أربعين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً» فكان بنوأبي العاص

يذكرون أنّهم سيلون أمر هذه الأمّة إذا بلغوا إلى هذه العدّة ـ فغضب معاوية وقال : يا ابن الوزغ لست هناك فقال له مروان : هو ما قلت لك ، وأنى الآن لا بعشرة وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وقد كاد ولد أبى أن يكمّلوا العدّة ـ يعنى أربعين ـ ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منّى . فانخزل معاوية . فقال الأحنف له ـ وكان عنده ما رأيت لك سقطة مثل هذا ما هذا الخضوع لمروان ، وأىّ شىء يكون منه ، ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ، وما الّذى تخشاه منهم . فقال : إنّ الحكم بن أبى العاص كان أحد من قدم مع أمّ حبيبة لمّا زفّت إلى النبىّ ﷺ ، وهو يولّى نقلها إليه . فجعل النبىّ ﷺ يحدّ النظر إليه قيل له : لقد أحددت النظر إلى الحكم فقال « ذاك رجل إذا بلغ بنو أبيه ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر من بعدى » فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية .

فقال له الأحنف : رويداً لا يسمع هذا منك احد . فإنّك تضع من قدرك و قدر ولدك بعدك ، وأن يقض الله أمراً يكن . فقال له معاوية : اكتمها علىّ . فقد لعمرك صدقت ونصحت .

قلت : وفى نسب قريش مصعب الزبيرى اشتكى عمرو بن عثمان . فكان العوّاد يدخلون عليه . فيخرجون ، ويتخلّف عنده مروان . فيطيل . فانكرت ذلك رملة بنت معاوية امرأة عمرو . فخرجت كوّة . فاستمعت على مروان . فإذا هو يقول : ما أخذ هؤلاء ـ يعنى حرب بن أميّة ـ الخلافة إلاّ باسم أبيك . فما يمنعك أن تنهض بحقك . فلنحن أكثر منهم رجالاً منّا فلان ، ومنهم فلان ـ وعدّد فضول رجال أبى العاص على رجال بنى حرب ـ فلمّا برئ عمرو تجهّز للحج ، وتجهّزت رملة فى جهازه . فلما خرج عمرو خرجت رملة إلى أبيها بالشام فأخبرته ، وقالت له : مازال يعدّ فضل رجال أبى العاص على بنى حرب حتّى عدّ بنىّ عثمان وخالد ابنى عمرو . فتمنيت أنّهما ما تا فكتب معاوية إلى مروان .

أواضع رجل فوق أخرى تعدّنا عديد الحصى ما ان تزال تكاثر

وأمّكم تزجى تؤاما لبعلها وأمّ أخيكم نزرة الولد عاقر

أشهد يا مروان إنّى سمعت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتّخذوا مال الله دولا، ودين الله دخلا، وعباد الله خولا، فكتب إليه مروان أما بعد يا معاوية فانى أبو عشرة، وأخو عشرة، وعم عشرة.

ثمّ الخبر عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ورد تارة فى الحكم أبي مروان كما عرفته من معاوية على رواية مصعب الزبيرى، وأخرى فى أبي العاص جدّه كما عرفته من خبر أبى الفرج الإصبهانى، والثانى يشمل عثمان أيضاً، وقد استند إليه أبوذر فى قباله، وقد شهد له أيضاً الدراية.

ولقد لقت الأمّة منه، ومن ولده يوماً أحمر كما قال عليه السلام فكان مروان وابنه عبد الملك سبباً لغلبة مسلم بن عقبة يوم الحرة على أهل المدينة، وفعله تلك الشنائع الّتى لم تكن بعد واقعة الطف أشنع منها. فكتب مسلم بن عقبة إلى يزيد يشكره ويشكر ابنه.

ولما حضر ابنه عبد الملك الوفاة قال لابنه الوليد: لا تعصر علىّ عينيك كالأمة الوكساء إذا أدليتنى في حفرتى اخرج إلى الناس، والبس لهم جلد النمر، واقعد على المنبر، وادع الناس إلى بيعتك. فمن مال بوجهه عنك فقل له بالسيف كذا. فلما توفّى دعا الوليد إلى البيعة. فلم يختلف عليه أحد، وكان أوّل ماظهر من أمره أن أمر بهدم كلّ دار من دار أبيه إلى قبره. فهدمت من ساعتها وسوّيت بالارض لئلّا يعرج بسرير عبد الملك يميناً وشمالاً ـ ذكر ذلك خلفاء ابن قتيبة ـ.

ولقى النبى عليه السلام من أبيه الحكم مالقى من محاكاته له فى مشيته وتجسّسه اخباره لأعدائه حتى ألجأه إلى نفيه إلى الطائف، ولقى الناس منه فكان يثبّطهم عن الإسلام.

ففى العقد قال مروان لحويطب بن عبد العزى ـ وكان كبيراً مسنّا ـ تأخّر

إسلامك أيّها الشيخ حتّى سبقك الأحداث.

فقال: اللّه المستعان واللّه لقد هممت بالإسلام غير مرّة كلّ ذلك يعوقنى عنه أبوك وينهانى، ويقول تضع من قدرك تترك دين آبائك لدين محدث، و تصير تابعاً.

ولقى الناس من ولد ابنه الأربعة ما لقوا لا سيّما الأوّل منهم الوليد كان جبّاراً عنيداً، والأخير هشام كان فظاً غليظاً شحيحاً.

قال المسعودى فى مروجه كان هشام بن عبد الملك أحول خشناً فظاً غليظاً يجمع الأموال، ويعمر الأرض، ويستجيد الخيل، وأقام الحلبة. فاجتمع له من خيله، وخيل غيره أربعة آلاف فرس، ولم يعرف ذلك فى جاهلية، ولا اسلام لأحد من الناس، وسلك الناس فى أيّامه مذهبه، ومنعوا ما فى أيديهم فقلّ الأفضال وانقطع الرفد، ولم يرزمان أصعب من زمانه، وعرض يوماً الجند بحمص. فمرّ به رجل من أهل حمص، وهو على فرس نفور. فقال له هشام: ما حملك على أن تربط فرساً نفوراً. فقال الرجل: لا والرحمن الرحيم ما هو بنفور، ولكنّه أبصر حولتك. فظنّ أنّه عين غزوان البيطار ـ كان غزوان نصرانياً ببلاد حمص كأنّه هشام فى حولته ـ فقال له هشام: تنحّ فعليك وعلى فرسك لعنة اللّه.

ولقد أخبر صلى الله عليه وآله به بالخصوص. ففى الإرشاد فى إخباره عليه السلام عنه «والّذى فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّ من ورائكم الأعور الأدبر جهنّم الدنيا لا تبقى ولا تذر» وكان كما قال عليه السلام حريصاً على جمع أموال الناس. فكان يأخذ ضياع الناس و عقارهم ونفائسهم، وقد عرفت كونه أعور أحول.

وأخبر عليه السلام بالوليد بن يزيد ابن ثالثهم. ففى الإرشاد بعد ما مرّ «والنماس الفراس» أمّا نماسيته فقالوا: إنّ ابن عايشة القرشى غنّاه:

إنّى رأيت صبيحة النحر حورا نفين عزيمة الصبر

مثل الكواكب فى مطالعها عند العشاء اطفن بالبدر

وخرجت أبغى الاجر محتسباً فرجعت موقوراً من الوزر

فقال له الوليد: أحسنت والله يا أمير المؤمنين أعد بحقّ عبد شمس. فأعاد فجعل يتخطى من أب إلى أب، ويأمره بالإعادة حتّى بلغ نفسه. فقال: اعد بحياتى. فأعاد. فقام الوليد إليه. فأكبّ عليه، ولم يبق عضواً من أعضائه إلا قبّله وأهوى إلى إيره. فجعل ابن عايشة يضمّ ذكره بين فخذيه. فقال له الوليد: والله لا زلت حتّى أُقبّله. فقبّل رأسه، وقال: واطرباه واطرباه ونزع ثيابه، فالقاها على ابن عايشة، وبقى مجرداً إلى أن أُتوه بثياب غيرها ودعاله بألف دينار، وحمله على بغلة، وقال: اركبها على بساطى، وانصرف فقد تركتنى على أحرّ من جمر الغضى.

وأما فرّاسيته ففى المروج كان الوليد مغرى بالخيل وحبّها، وجمعها، و إقامة الحلبة، وكان السندى فرسه جواد زمانه، وكان يسابق به فى أيّام هشام، وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد، وأجرى الخيل بالرصافة، و أقام الحلبة، وهى يومئذٍ ألف قارح، ووقف بها ينتظر الرائد، ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، وكان له فيها جواد يقال له: الوضاح، وخشى الوليد أن تسبق فرس سعيد، فركض فرسه حتّى ساوى الوضاح. فقذف بنفسه عليه، ودخل سابقاً فكان الوليد أوّل من فعل ذلك.

ولقد أخبر عليه السلام بعمر بن عبد العزيز منهم، وكونه من بين ولد مروان أخف وطأة فقال عليه السلام فى خطبته كما فى الإرشاد أيضاً «ثمّ ليتوارثنكم من بنى أُميّة عدّة ما الآخر بأرأف بكم من الأوّل ما خلا رجلاً واحداً».

هذا، وأخبر عليه السلام عمر بن سعد بقتله ابنه الحسين عليه السلام ففى الجزرى قال ابن سيرين قال علىّ عليه السلام لعمر بن سعد: «كيف أنت اذا قمت مقاما تخيّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار» ـ أشار عليه السلام إلى تخيير أبن زياد له بين ردّه كتاب عهده على الرى أوخروجه إلى قتال الحسين عليه السلام وقتله فاختار الثانى ـ و قال فى ذلك:

«اترك ملك الرى والرى رغبتى أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفى قتله النار التى ليس دونها حجاب و ملك الرى قرّة عينى

هذا، ونقل (حد) عند قوله عليه السلام «أما إنّه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم» عن الإسكافى أنّ رأس الحسين عليه السلام لمّا وصل إلى المدينة كان مروان أميرها، فحمل الرأس على يديه، وقال:

(ياحبّذا بردّك فى العيدين وحمرة تجرى على الخدين
كأنّما بتّ بمسجدين)

ثمّ رمى بالرأس نحو قبر النبىّ صلى الله عليه وآله، وقال: يا محمّد يوم بيوم بدر ـ ثمّ، قال (حد) مروان لم يكن يومئذٍ أمير المدينة بل عمرو بن سعيد، ولم يحمل إليه الرأس، وإنما كتب إليه ابن زياد يبشّره بقتل الحسين عليه السلام فقرأ كتابه على المنبر، وأنشد الرجز المذكور، وأومئ إلى القبر يوم بيوم بدر ذكر ذلك أبو عبيدة فى كتاب المثالب.

قلت: ردّ (حد) وهم فإنّ مراد الإسكافى لم يكن بعد القتل من الكوفة من ابن زياد بل بعد ذلك بارسال يزيد من الشام. ففى تذكرة سبط ابن الجوزى قال كاتب الواقدى: دفن رأس الحسين عليه السلام بالمدينة عند أمّه.

وذكر الشعبى أنّ مروان كان بالمدينة. فأخذ الرأس، وتركه بين يديه، و تناول ارنبة أنفه وقال «ياحبّذا ـ الرجز ـ والله لكانى أنظر إلى أيّام عثمان ـ الخ ـ وأخبار ابن زياد كتابة عمرو بن سعيد و إلى المدينة بقتل الحسين عليه السلام لم ينحصر نقله بأبى عبيدة بل ذكره الطبرى وغيره وتعبير (حد) بالتبشير غلط.

١٧/ فى ١/٩٧

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ لَا يَحْزِمَنَّكُمْ شِقَاقِى ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِى ، وَلَا تَتَرَامَوْا بِٱلْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّى . فَوَٱلَّذِى فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ

وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ. وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا. وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَ، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا. فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ. وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُضِلَّةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ. هٰذَا وَكَمْ يَخْرُقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ. وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ

«أيّها الناس لا يجرمنّكم»: أى لا يوقعكم فى الجرم.

«شقاقى»: أى خلافى وعداوتى، والأصل فى قوله عليه السلام «لا يجرمنّكم شقاقى» قول شعيب عليه السلام «ويا قوم لا يجرمنّكم شقاقى إن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح»[1] ـ الآية ـ.

«ولا يستهوينّكم عصيانى» فى الصحاح استهواه الشيطان: أى استهامه.

«ولا تتراموا بالابصار»: أى لا يرمى هذا بصره إلى ذاك، وذاك إلى هذا.

«عند ما تسمعونه منّى» بأن تقولوا هو كذب. روى المدائنى فى صفّينه أنّ علياً عليه السلام خطب بعد النهروان. فذكر طرفاً من الملاحم. فقال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: اشهد أنّه كاذب على الله و رسوله.

(١) هود: ٨٩.

فقال الكوفي: وما يدريك قال: فوالله ما نزل علي عليه السلام عن المنبر حتى فلج الرجل فحمل إلى منزله في شق محمل. فمات من ليلته.

«فوالذي فلق الحبة وبرء»: أي خلق.

«النسمة»: أي الإنسان.

«إن الذي أنبئكم به عن النبي الأمي، والنبي يقول عن الله تعالى فلا يمكن وقوع خلاف واقع منه.

«ما كذب المبلغ»: أي النبي صلى الله عليه وآله قال تعالى «يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك»[1].

«ولا جهل السامع»: أي هو عليه السلام.

روى الطبراني في معجمه عن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام لما نزلت «و تعيها أذن واعية» سألت الله تعالى أن يجعلها أذنك يا علي قال عليه السلام: فما نسيت شيئاً بعد.

«ولكني» هكذا في المصرية (طبع الاستقامة)، والصواب (لكأنني) كما في: (حد) و(ثم)، والخلية.

«أنظر إلى ضليل» مبالغة في الضال قال (حد) مراده عليه السلام بالضليل عبد الملك لأن الصفات، والأمارات التي ذكرها بعده فيه أتم منها في غيره لأنه قام بالشام حين دعا الى نفسه وهو معنى نعيقه، وهو زمان اشتداد شكيمة عبد الملك، و ثقل وطأته، وحينئذٍ صعب الأمر جداً، وتفاقمت الفتن مع الخوارج، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. فلما كمل أمر عبد الملك، وهو معنى (أينع زرعه) هلك و عقدت رايات الفتن المعضلة بعده كحروب أولاده مع بني المهلب، وكحروبهم مع زيد بن علي عليه السلام وكالفتن الكائنة بالكوفة أيام يوسف بن عمر، وخالد القسري، و عمر بن هبيرة، وغيرهم، وما جرى فيها من الظلم، والاستيصال الأموال، وذهاب

(١) المائدة: ٦٧

النفوس، وقيل: كنّى عليه السلام بالضلّيل عن معاوية، وما حدث فى أيّامه، وبعده من يزيد.

قلت: الأصحّ وإن كان ماقال من إرادة عبد الملك لانطباق الفقرات عليه إلاّ أنّه ليس المراد بقوله عليه السلام «أينع زرعه» انقضاء أمر عبد الملك، ولا المراد بقوله عليه السلام «عقدت رايات الفتن المعضلة» حروب أولاده مع من قال بل المراد بالأوّل انقضاء أمر بيته من زمن هشام ابنه الرابع إلى مروان بن محمّد ابن أخيه آخر الأمويّة والمراد بالثانى الرايات العباسية المقبلة من خراسان.

وفى كامل المبرد روى أنّ عبد الملك كان له صديق ـ وكان من أهل الكتاب يقال له: يوسف. فأسلم فقال له عبد الملك يوماً، وهو فى عنفوان نسكه وقد نهضت جيوش يزيد مع مسلم بن عقبة المرّى ـ من مرّة غطفان ـ يريد المدينة: ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسوله. فقال له يوسف: جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه. فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال: معاذ الله. فقال له يوسف: ماقلت شاكّا، ولا مرتاباً وإنّى لأجدك بجميع أوصافك قال له عبد الملك: ثمّ ماذا قال: ثمّ يتداولها رهطك. قال: إلى متى قال: إلى أن تخرج الرايات السود من خراسان.

وفيه أيضاً وتزعم الرواة أنّ رجلاً من أهل الكتاب ـ وكان موصوفاً بقرائة الكتب وفد على معاوية فقال له معاوية: أتجد نعتى قال: نعم. إلى أن قال: فقال الرجل لمعاوية: حتّى يفضى الأمر إلى رجل أعرف نعته ببيع الآخرة الدائمة بحظّ من الدنيا مخسوس. فيجتمع عليه، وهو من آلك وليس منك لا يزال لعدوّه قاهراً، وعلى من ناواه ظاهراً، ويكون له قرين لعين قال: أفتعرفه إن رأيته قال: لشدّ ما أعرفه فأراه معاوية من بالشام من بنى أُمّية فقال: ماأراه هيهنا. فوجّه به إلى المدينة مع ثقات من رسله فإذاً عبد الملك يسعى موتزراً فى يده طائر. فقال للرسل: ها هو ذا ـ الخبر ـ.

وهو أوّل من توعد أن يقال له: اتّق الله. حجّ فى سنة (٧٥) فدخل المدينة

فقال «و إنّى لا أداوى هذه الأمّة إلاّ بالسيف حتّى تستقيم لى قناتكم ، وأنّكم تأمروننا بتقوى اللّه ، وتنسون ذلك من أنفسكم ، واللّه لا يأمرنى بتقوى اللّه بعد مقامى هذا أحد إلاّ ضربت عنقه .

وقال الجاحظ كان عبد الملك أوّل خليفة منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدّم فيه ، وتوعّد عليه ، وقال : إنّ جامعة عمرو بن سعيد عندى ، و إنّى واللّه لا يقول أحدكم هكذا إلاّ قلت به هكذا . وخطب : فقال : ما أنا بالخليفة المستضعف يعنى عثمان ـ ولا أنا بالخليفة المداهن ـ يعنى معاوية ـ ولا بالخليفة المأفون ـ يعنى يزيد ـ .

وفى الكامل كان من أكثر الناس علماً ، وأبرعهم أدباً ، وأحسنهم فى شبيبتة ديانة . فقتل عمرو بن سعيد ، وتسمى بالخلافة ، فسلّم عليه بها أوّل تسليمة ، و المصحف فى حجره . فأطبقه ، وقال : هذا فراق بينى وبينك .

وروى أنساب البلاذرى عن ابن عباس لمّا بلغه قتل عبد الملك للاشدق . قال : أيّها الناس إنّ عبد الملك قتل ابن عمّه ، و ابن عمته بعد أن آمنه . فلا تأمنوه ، ولا تصدّقوه ، وقالوا كان ابن الحنفية قد شخص يريد عبد الملك . فلمّا بلغه قتله عمرا بعد الّذى أعطاه من الأمان استوحش فانصرف إلى الحجاز .

وكان بخيلاً . فكان يقال له : رشح الحجارة لذلك ، وكان أبخر . فكان يقال له : أبوذبّان لذلك قال تيجان التيمى من جيش ابن الأشعث : «خلعت أباذبّان كخلعى قميصى» .

«قد نعق» الأصل فى النعق صوت الراعى .

«بالشام» فى المروج كان عبد الملك سار من دمشق إلى زفر بن الحرث الكلابى بقرقيسا ، وخلّف عمرو بن سعيد . فبلغه أنّ عمرا دعا إلى بيعته بدمشق . فكرّ راجعاً إليها ، وقال له ارجع إلى بيعتك ، فإنّى سأجعل لك العهد فرضى ، ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه فى نحو خمسمأة يزولون حيث زال فقتله عبد ـ

الملك ،واختلفوا فى كيفية قتله ·فقيل: إنّ عبد الملك قال لحاجبه : ويحك أتستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب قال :نعم قال :فافعل وكان عمرو رجلا عظيم الكبير لا يلتفت وراءه إذا مشى إلى أحد ·فلمّا فتح الحاجب الباب دخل عمرو ·فأغلق الحاجب الباب دون أصحابه ،ومضى عمرو، ولا يلتفت ،وهو يظنّ أنّ أصحابه قد دخلوا معه ·فعاتبه عبد الملك طويلاً ،وقد كان وصّى صاحب حرسه ا بالزعيز عه ان يضرب عنقه ·فضربه فقتله ،وقال له عبد الملك :ارم برأسه إلى أصحابه ·فلمّا رأوا رأسه تفرّقوا ثمّ خرج عبد الملك ·فصعد المنبر ،وذكر عمراً ·فوقع فيه ،وذكر خلافه وشقاقه ·ونزل وهو يقول :

ادنيته منّى لتسكن نفره فأُصول صولة حازم متمكن
غضباً ومحماة لدينى أنّه ليس المسئ سبيله كالمحسن

وقيل :إنّ عمراً خرج من منزله يريد عبد الملك ·فعثر بالبساط ·فقالت له امرأته : أُنشدك اللّه الاّ تأتيه ·فقال لها : دعينى عنك لو كنت نائماً ما أيقظنى ـ الخ ـ·

وفى الطبرى دخل عمرو على عبد الملك ·فأمر بالأبواب فغلّقت ·فرحّب به و أجلسه معه على السرير ،وجعل يحدّثه طويلاً ثمّ قال: ياغلام خذ السيف منه فقال عمرو :إنا للّه ·فقال له عبد الملك :أوتطمع أن تجلس معى متقلّداً سيفك · فأخذ عنه ،ثمّ تحدّثا ما شاء اللّه ·ثمّ قال له عبد الملك :إنّك حيث خلعتنى آليت بيمين أن انا ملات عينى منك أن أجمعك فى جامعة ·فاخرج من تحت فراشه جامعة · ثم قام ياغلام قم :فاجمعه فيها ·فقام فجمعه فيها ·فقال عمرو :أذكرك اللّه أن تخرجنى فيها على رؤوس الناس فقال عبد الملك :أمكراً عند الموت ماكنّا لنخرجك فى جامعة على رؤوس الناس ·ثمّ اجتبذه اجتباذة أصاب فمه السرير ·فكسر ثنيته فقال عمرو :أغدراً يا ابن الزرقاء ـ إلى أن قال ـ·

وأذّن المؤذّن العصر ·فخرج عبد الملك ·فصلى بالناس ،وأمر أخاه عبد ـ

العزيز أن يقتله ، وصلّى صلوة خفيفة ، ورجع . فوجد عمراً حيّاً . فقال لعبد العزيز : ما منعك أن تقتله قال : ناشدنى الله والرحم فرققت له فقال له عبد الملك : اخزى الله أمّك البوّالة على عقبيها . فإنّك لم تشبه غيرها ، وقال ياغلام : ايتنى بحربة فأتاه بها . فهزّها ثمّ طعنه بها . فلم تجز . ثمّ ثنّى فلم تجز . فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مسّ الدرع . فضحك ، وقال : وداريع أيضاً إن كنت لمعدّا ياغلام ايتنى بالصمصامة فأتاه بسيفه . ثمّ أمر بعمرو . فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول :

يا عمرو أن لا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

وفى المروج كان عبد الملك سار في جيوش أهل الشام . فنزل بطنان ينتظر مايكون من ابن زياد ـ وكان ذهب إلى حرب إبراهيم بن الأشتر ـ فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه ، وهزيمة الجيش ، وأتاه فى تلك الليلة مقتل حبيش بن دلجة ـ وكان على جيش أرسله إلى المدينة لحرب ابن الزبير ثمّ جائه خبر دخول بابل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ، ومسير مصعب من المدينة إلى فلسطين ثمّ جائه مسير ملك الروم ـ لاوى بن فلقط ـ ونزوله المصيصة يريد الشام . ثمّ جائه خبر دمشق ، وأنّ عبيدها ، وأوباشها ، ودعّارها قد خرجوا على أهلها ، و نزلوا الجبل . ثمّ أتاه أنّ من فى السجن بدمشق فتحوا السجن ، وخرجوا منه مكابرة ، وأنّ خيل الأعراب أغارت على حمص وبعلبك ، وغير ذلك ممّا نمى إليه من المفظعات فى تلك الليلة . فلم ير عبد الملك فى ليلة قبلها أشدّ ضحكاً ، فترك اظهار الفشل ، وبعث بأموال وهدايا إلى ملك الروم ، فشغله وهادنه ، وسار إلى فلسطين وبها بابل بن قيس على جيش ابن الزبير . فالتقوا بأجنادين . فقتل بابل وعامة أصحابه وانهزم الباقون ، ونمى خبر جيشه إلى مصعب ، وهو فى الطريق . فولّى راجعاً ، و رجع عبد الملك إلى دمشق فنزلها .

«وفحص» الأصل فى الفحص بحث القطا فى الأرض بما يستقر فيه .

«برایاته فى ضواحى» جمع الضاحية : الناحية البارزة .

كوفان فى الكامل لمّا قتل عبد الملك عمرو بن سعيد وضع السيف. فقتل من خالفه. فصفاله الشام. فلمّا لم يبق له مخالف فيه أجمع المسير إلى مصعب بن الزبير بالعراق. فاستشار أصحابه. فأشار عمّه يحيى بن الحكم أن يقنع بالشام ـ الى أن قال:ـ

فلمّا عزم على المسير ودّع زوجته عاتكة بنت يزيد. فبكت وبكى جواريها لبكائها. فقال: قاتل الله كثير عزّه لكأنّه يشاهدنا حيث يقول:

إذا ما أراد الغزو لم يثن همّه حصان عليها عقد درّ يزينها

نهته فلمّا لم تر النهى عاقه بكت و بكى ممّا عناها قطينها

ولما بلغ مصعباً ـ وكان بالبصرة ـ مسير عبد الملك سار إلى الكوفة و معه الأحنف بن قيس. فتوفّى بها، وسار عبد الملك. فنزل بمسكن قريباً من عسكر مصعب وبين العسكرين ثلاثة فراسخ أو فرسخان، وكتب عبد الملك إلى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه، وبذل لجميعهم اصبهان طعمة، وقيل: انّ كلّ من كاتبه طلب إمرة اصبهان. فقال: أىّ شى اصبهان هذه حتّى كلّهم يطلبها ـ إلى أن قال ـ.

فلمّا رأى عبد الملك رأس مصعب سجد: فأمر بدفن مصعب، وابنه عيسى، وقال: كانت الحرمة بيننا قديمة، ولكن الملك عقيم، وكانا يتحدّثان إلى حبّى وهما بالمدينة. فقيل لها: قتل مصعب فقالت: تعس قاتله فقيل: قتله عبد الملك قالت: وا بابى القاتل والمقتول ثمّ دعا عبد الملك جند العراق الى بيعته. فبايعوه، وسار حتّى دخل الكوفة. فأقام بالنخيلة أربعين يوما وخطب الناس بالكوفة. فوعد المحسن وتوعّد المسئ ـ إلى أن قال:ـ

ثمّ ولّى قطن بن عبد الله الحارثى الكوفة ثمّ عزله فاستعمل أخاه بشرا ثمّ استعمل محمّد بن عمير على همدان، ويزيد بن رويم على الرى، ولم يف لأحد شرط له اصبهان، وصنع عمرو بن حريث له طعاماً كثيراً، وأمر به إلى الخورنق، وإذن

إذناً عاضاً . فدخل الناس واخذوا مجالسهم . فدخل عمرو بن حريث . فأجلسه معه على سريره . ثم جائت الموائد فأكلوا . فقال عبد الملك : ما ألذ عيشنا لو دام ملكنا كما قال الأوّل :

وكلّ جديد يا أُميم إلى بلى وكلّ امرئ يوماً يصير إلى كان

«فإذا فغرت فاغرته» : أى فتح فاه قال :

فغرت لدى النعمان لمّا لقيته كما فغرت للحيض شمطاء عارك

«واشتدّت شكيمته» : الحديدة المعترضة فى فم الفرس الّتى فيها الفاس .

«وثقلت فى الأرض وطأته» : وضع القدم ضغطة .

«عضّت الفتنة أبنائها بأنيابها» : جمع الناب الأسنان المحدّدة .

«وماجت الحرب بأمواجها وبدا من الأيام كلوحها» : تكشّر فى عبوس .

«ومن الليالى كدوحها» : أى خدوشها وقيل : الكدح أكثر من الخدش .

فى الاغانى لمّا قتل عبد الملك مصعباً خطب الناس بالنخيلة . فقال : أيّها الناس دعوا الأهواء المضلّة ، والآراء المتشتّة ، ولا تكلّفونا أعمال المهاجرين ، و أنتم لا تعلمون بها . فقد جاريتمونا إلى السيف . فرأيتم كيف صنع اللّه بكم ، ولا أعرفنّكم بعد الموعظة تزدادون جرئة . فانى لا أزداد بعدها إلّا عقوبة ، و ما مثلى ومثلكم إلّا كما قال أبو قيس بن الأسلت :

من يصل نارى بلا ذنب ولا ترة يصلى بنار كريم غير غدار

أنا النذير لكم منّى مجاهرة كيلا ألام على نهى و أعذار

فإن عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا ان سوف تلقون خزياً ظاهر العار

لتتركن أحاديثاً و ملعبة عند المقيم وعند المدلج السارى

وصاحب الوترليس الدهر مدركة عندى وأنّى لطلاب لأوتار

اقيم عوجته إن كان ذا عوج كما يقوّم قدح النبعة البارى

وفى الكامل لمّا قتل عبد الملك مصعباً ، و أتى الكوفة وجّه منها الحجاج ،

فى ألفين من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير ـ وكان الحجاج قال لعبد الملك : قد رأيت فى المنام أنّى أخذت ابن الزبير وسلخته . فولّنى قتاله ـ فسار فى جمادى الأُولى سنة (٧٢) ونزل الطائف ، وكان يبعث الخيل إلى عرفه ، و يبعث ابن الزبير . فينهزم خيل ابن الزبير ، ويعود خيل الحجاج بالظفر فكتب إلى عبد الملك يستأذنه فى دخول الحرم ، وحصر ابن الزبير ، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو الّذى كان بعثه إلى وادى القرى ليمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ، ويأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة ، وأخرج عامل ابن الزبير عنها ، وجعل عليها رجلاً من أهل الشام . فكان ذاك الرجل يخرج المخّ و هو على منبر النبىّ ﷺ ويأكله ، ويأكل عليه التمر ليغيظ أهل المدينة ، وقدم طارق بمكّة على الحجاج فى ذى الحجّة فى خمسة آلاف . فحصر الحجاج ابن الزبير ونصب المنجنيق على أبى قبيس ، ورمى به الكعبة ـ وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد ـ وقال ابن عمر للحجاج : امنع من الرمى حتّى يقضى الناس ما يجب عليهم بمكّة .

فلمّا فرغ الناس من طواف الزيارة نادى منادا الحجاج انصرفوا إلى بلادكم فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد ، وأوّل ما رمى بالمنجنيق إلى الكعبة أرعدت السماء وأبرقت ، وعلا صوت الرعد على الحجارة . فأعظم ذلك أهل الشام وامسكوا ، فأخذ الحجاج بيده حجارة المنجنيق . فوضعها فيه ، ورمى بها معهم . فلمّا أصبحوا جائت الصواعق . فقتلت من أصحابه اثنى عشر رجلاً .

فقال الحجاج : يا أهل الشام لا تنكروا هذا فانّى ابن تهامة ، وهذه صواعقها ، وهذا الفتح قد حضر . فلمّا كان الغد جائت الصاعقة . فأصابت من أصحاب ابن الزبير عدّة .

فقال الحجاج لأهل الشام : ألا ترون أنّهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلافها ، ولم يزل القتال بينهم فغلت الأسعار عند ابن الزبير ، وأصاب

الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسّم لحمها في أصحابه ، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم ، والمدّ من الذرة بعشرين درهما ، وأنّ بيوت ابن الزبير لمملوّة قمحاً وشعيراً وذرّة وتمراً ، ولا ينفق منه إلاّ ما يمسك الرمق ، ويقول : انفس أصحابي قويه ما لم تفن — إلى أن قال — .

فقتلوه في جمادى الثانية ، وحمل رأسه إلى الحجاج فسجد ، وكان قبل قتله يستعمل الصبر والمسك لئلا ينتن . فلمّا صلب ظهرت منه رائحة المسك فقيل إنّ الحجاج صلب معه كلباً ميتاً فغلب على ريح المسك ، وقيل بل صلب معه سنورا . فلمّا فرغ الحجاج من أمره دخل مكّة فبايعه أهلها لعبد الملك ، وأمر بكنس المسجد من الحجارة والدم وسار إلى المدينة ، وكان عبد الملك قد استعمله على مكة والمدينة . فلمّا قدم المدينة أقام بها شهرا أو شهرين . فأساء إلى أهلها : واستخفّ بهم وقال : أنتم قتلة عثمان ، وضمّ أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمّة منهم جابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، و سعد بن سعد ثمّ عاد إلى مكّة فقال حين خرج : الحمد لله الّذي أخرجني من أمّ نتن أخبث بلد ، واغشّه للخليفة ، والله لولا ما كانت تأتيني كتبه فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعواداً يعوذون بها ، ورمّة قد بليت يقولون منبر الرسول وقبر الرسول .

وفيه ولّى عبد الملك في سنة (٧٥) الحجاج على العراق . فسار في اثني عشر راكباً على النجائب من المدينة حتى دخل الكوفة فجأة . فبدأ بالمسجد . فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خزحمراء ، وكان محمّد بن عمير تناول حصاء ليحصبه بها . فلمّا تكلّم جعلت الحصباء تنتثر من يده ، وهو لا يعقل ثمّ كشف الحجاج عن وجهه ، وقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

وقال : وإنّي لأرى رؤوساً قد اينعت ، وقد حان قطافها أنّي لانظر إلى الدماء

بين العمائم واللحى إنّ الخليفة عبد الملك نثركنانته ·فعجم عيدانها·فوجد نى أمرّها عوداً ،وأصلبها مكسراً ·فوجّهنى إليكم :ورمى بى فى نحوركم فوالله لا ذيقنكم الهوان ،والله لتستقيمنّ أولأضربنّكم بالسيف ضرباً يدع النساء أيامى والولدان يتامى ،وقد بلغنى رفضكم المهلب ،وأنّى اقسم بالله لاأجد أحداً من عسكره بعد ثلاثة إلاّ ضربت عنقه ،ونهبت داره ·ثمّ أمر بكتاب عبد الملك فقرئ ·فلمّا قال القارئ «أما بعد سلام عليكم» قال :ياعبيد العصا يسلّم عليكم الخليفة·فلايردّ منكم رادّ،ثمّ قال : اقرئ فلمّا قرئ «سلام عليكم» قالوا بأجمعهم «سلام على الخليفة ورحمة الله وبركاته» ·

وفيه قال الشعبى: كان الرجل إذا أخلّ بوجهه الّذى يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعلىّ عليه السلام نزعت عمامته ،ويقام للناس ، ويشهر أمره ·فلمّا ولى مصعب قال :ماهذا بشئ ،وأضاف إليه حلق الرؤوس واللحى ·فلمّا ولى بشربن مروان صار يرفع الرجل عن الأرض و يسمر فى يده مسماران فى حائط ·فربما مات وربما خرق المسمار كفه ·فسلم ·فقال شاعر :

لولا مخافة بشر أو عقوبته و إن ينوّط فى كفى مسمار
إذن لعطّلت ثغرى ثم زرتكم انّ المحب لمن يهواه زوّار

فلمّا كان الحجاج قال : هذا العب اضرب عنق من تخلى مكانه من الثغر، وأتاه عمير بن ضابى ،فقال:أنا شيخ كبير عليل ،وهذا ابنى بدلى ·فقتله وأمر أن ينادى أنّ عميرا أتى بعد ثلاثة ·فأمرنا بقتله فازدحموا على الجسر للخروج إلى المهلب·فقال المهلب:قدم اليوم العراق ذكر وخرج فى تلك السنة من الكوفة إلى البصرة ·فخطبهم وتوعّد من رآه بعد ثلاثة ،ولم يلحق بالمهلب فأتاه شريك اليشكرى الأعور الّذى يضع على عينه كرسفه ·فقال :إنّ بى فتقاً ،وقد عذرنى بشر ،وهذا عطائى مردود ·فأمر به فضربت عنقه فلم يبق أحد الاّ لحق بالمهلب·

وفيه كتب الحجاج فى سنة (٨١) الى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث

يلحّ عليه بالتوغّل فى بلاد رتبيل ·فقام عبد الرحمن ،وقال :آتانى كتاب الحجاج يأمرنى بتعجيل الولوغ بكم فى أرض العدوّ ،وهى البلاد الّتى هلك فيها إخوانكم بالأمس ،وإنّما أنا رجل منكم أمضى إن مضيتم ،وآبى إن أبيتم ·فقالوا :بل نأبى على عدوّ اللّه ـ وكان أوّل من تكلّم أبو الطفيل ·فقال :إنّ الحجاج يرى بكم مارأى القائل الأوّل «احمل عبدك على الفرس فإن هلك فلك وإن نجا فلك ، إنّ الحجاج مايبالى أن يخاطربكم ·فيقحمكم بلاياكثيرة فإن ظفرتم أكل البلاد ، وحاز المال ،وكان ذلك زيادة فى سلطانه ،وإن ظفر عدوّكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الّذين لا يبالى عنتهم، ولا يبقى عليهم» ·فخلعوه وأقبل عبد الرحمن حتى دخل البصرة ·فبايعه جميع أهلها قرّاءها ،وكهولها ،وكان السبب فى سرعة اجابتهم أنّ عمّال الحجاج كتبوا إليه أنّ الخراج قد انكسر ،وأنّ أهل الذمة قد أسلموا ،ولحقوا بالأمصار ·فكتب إلى البصرة وغيرها «إنّ من كان له أصل من قرية فليخرج إليها» فأخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية ·فجعلوا يبكون ،وينادون «يا محمّداه يامحمّداه» ولا يدرون أين يذهبون ،وجعل قرّاء البصرة يبكون لما يرون إلى أن قال بعد ذكر هزيمتهم بدير الجماجم، وكانت مدّة حربهم مأة يوم وثلاثة أيّام ـ فإن قالوا :كفرنا بايعهم ،وإلاّ قتلهم ·فأتاه رجل من خثعم كان معتزلاً للناس جميعاً فسأله عن حاله ·فأخبره باعتزاله ،ولم يشهد بالكفر ·فقتله فلم يبق أحد من أهل العراق والشام إلاّ رحمة ·

وفيه ذكر عند عمر بن عبد العزيز ظلم الحجاج وغيره من الولاة أيام الوليد فقال عمر :الحجاج بالعراق ،والوليد بالشام ،وقرّة بمصر ،وعثمان بالمدينة ، و خالد بمكّة اللّهمّ قد امتلأت الدنيا ظلماً و جوراً ·

وفيه ولّى خالد القسرى مكّة سنة (٨٩) فخطب وقال :واللّه لم تعلموا فضل الخليفة ـ يعنى الوليد و كان حفر بئراً بثنيه طوى فكانت عذباً ـ إلاّ آنّا براهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً اجاجاً ـ يعنى زمزم ـ واستسقى الخليفة

فسقاه عذبا فراتاً ـ يعنى تلك البئر ـ وكان ينقل ماءها ويضعه فى حوض إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم . فغارت فلا يدرى أين هو اليوم .

«فإذا أينع»: أى نضج .

«زرعه ، وقام على ينعه ، وهدرت» من هدر البعير ردّد صوته فى حنجرته .

«شقاشقه» جمع الشقشقة شئ كالرئة يخرجه الفحل العربى عند الهياج ، وجعل (ثم) له بمعنى البرق وصفة السحاب وهم .

«وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضلة» : أى الشديدة .

«وأقبلن كالليل المظلم ، والبحر الملتطم» إشارة إلى أنّه لمّا قدّر من الله انقضاء أمرهم ، وصاروا كزرع آن حصاده عقدت رايات معضلة لهلاكهم من خراسان من دعاة العباسيّين .

وفى المروج قال ابن بنت ذى الكلاع ، وكان مؤانساً لسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وكان أمر المسودة بخراسان والمشرق قد بان ، ونطق العدوّ بما احب فى بنى أُميّة قال كنت مع سليمان ، وكان يشرب حذاء رصافة أبيه فى آخر أيّام يزيد الناقص ، وعنده حكم الوادى يغنيّه بشعر العرجى :

إنّ الحبيب تروّحت إجماله ... أصلاً فدمعك دائم أسباله

أفنى الحياة فقد بكيت بعولة ... لوكان ينفع باكياً أعوالـه

فشرب وشربنا حتّى توسّدنا أيدينا فلم انتبه إلاّ بتحريك سليمان إيّاى فقمت إليه مسرعاً . فقلت : ما شأن الأمير؟ فقال : على رسلك رأيت كأنّى فى مسجد دمشق ، وكأنّ رجلاً فى يده خنجر ، وعليه تاج أرى بصيص ما فيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الأبيات :

أبنى أُميّة قد دنا تشتيتكم ... وذهاب ملككم وأن لا يرجع

وينال صفوته عدوّ ظالـم ... للمحسنين إليه ثمة يفجـع

بعد الممات بكلّ ذكر صالـح ... ياويلة من قبح ماقد يصنع

فقلت: بل لا يكون ذلك فوجم ساعة ثم قال: بعيد ما يأتى به الزمان قريب فما اجتمعنا بعد ذلك على شراب.

وفيه — فى عنوان السبب فى العصبية بين النزارية واليمانية — قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب للكميت: إنى رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يحب. فقال الكميت قصيدته التى يذكر فيها مناقب مضر، وربيعة، وأياد، وأنمار. بنى نزار، وأنهم أفضل من قحطان ونمى قوله: وافتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار، وأدلى كل فريق بماله من المناقب، وتحزبت الناس، وثارت العصبية فى البدو والحضر. فنتج بذلك أمر مروان بن محمد، وتعصبه لقوله من نزار على اليمن، وانحراف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بنى أمية إلى بنى هاشم. ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن، وقتله أهلها تعصباً لقومه من ربيعة، وغيرها من نزار، وقطعة الحلف الذى كان بين اليمن وربيعة فى القدم، وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة — إلى أن قال —.

إن نصر بن سيار ضعف أمره بخراسان فخرج قمات بساوة كمداً، ولما كان بين الرى وخراسان كتب إلى مروان بن محمد:

أنا وما نكتم من أمرنا ... كالثور إذ قرب للناخع
أو كالتى يحسبها أهلها ... عذراء بكرا وهى فى التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت ... واتسع الخرق على الراقع
كالثوب إذا نهج فيه البلى ... أعيا على ذى الحيلة الصانع

وكان كتب أيضاً قبل ذلك إليه:

أرى بين الرماد و ميض جمر ... و يوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى ... وأن الحرب أولها كلام

أقول من التعجّب ليت شعرى أايقاظ أُميّة أم نيام

فأجابه «الشاهد يرى مالا يرى الغائب» فقال نصر لأصحابه : اعلموا صاحبكم ألا نصر عنده ـ إلى أن قال ـ .

وسار مروان حتّى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر ، وأتاه عبد الله بن علىّ فى عساكر أهل خراسان . فالتقيا فانهزم مروان وقتل وغرق من أصحابه خلق عظيم ، وغرق ثلاثمأة من بنى أُميّة ذاك اليوم غير باقى الناس ، و نزل عبد الله على باب حرّان . فهدم قصر مروان واحتوى على خزائن أمواله ، و نزل عبد الله على نهر أبى فطرس . فقتل من بنى أُميّة هناك بضعاً و ثمانين رجلاً ورحل صالح بن على فى طلب مروان فلحقه بمصر فقتله ، وذكر المدائنى أنّ مروان حين نزل على الزاب وجرّد من رجاله من اختاره من ساير جيشه من أهل الشام والجزيرة وغيرهم مأة ألف فارس . فلمّا أشرف عبد الله بن علىّ فى المسودة وفى أوائلهم البنود السود يحملها الرجال على الجمال البخت ، وقد جعلت أقتابها من خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه : أما ترون رماحهم كأنّها النخل غلظاً أما ترون إلى أعلامهم فوق هذه الإبل كأنّها قطع من الغمام سود . فبينا هو كذلك اذ طار من اترجة هنالك قطعة من الغرابيب سود . فاجتمعت على أوّل رايات عبد الله بن علىّ واتّصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ، ومروان ينظر . فتطيّر من ذلك .

فقال : أما ترون السواد قد اتّصل بالسواد وكان الغرابيب كالسحب سودا ثمّ نظر إلى أصحابه المحاربين وقد استشعروا الجزع والفشل . فقال : إنّها لعدّة وما تنفع العدّة إذا انقضت المدّة .

وفى العقد لما سمّ أبوهاشم بن محمّد بن الحنفية نزل بمحمّد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وقال : يا ابن عم إنّى ميّت وقد صرت إليك و أنت صاحب هذا الأمر وولدك القائم ثمّ أخوه بعده ، والله ليتمنّ الله هذا الأمر

حتّى تخرج الرايات السود من قعر خراسان ثمّ ليغلبن ما بين حضرموت ، و أقصى إفريقية ، وما بين غابة ، وأقصى فرغانه . فعليك بهؤلاء الشيعة — الخبر.

وعن بكير مولى مسلم قال : لم نزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان ، وزوال ملك بنى أميّة حتّى صار ذلك .

«هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف» يقال : ريح قاصف ورعد قاصف : أى شديد .

«و يمرّ عليها من عاصف» يقال : ريح عاصف : أى شديدة ، ومن ذلك ولاية زياد عليها الّذى قتل الشيعة — وكان يعرفهم — تحت كلّ حجر ومدر ، ويقطع أيديهم وأرجلهم ، ويسمل أعينهم ، ويصلبهم على جذوع النخل خمس سنين ، وولاية الحجاج عليها عشرين سنة وقد أكل خضرتهم ، وأذاب شحمتهم ومن ذلك حالهم فى أيّام خلافة المنصور فكان إذا اتّهم أحداً من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن المثنى أمر سلّما مولى قحطبة بطلبه . فكان يمهله حتّى إذا غسق الليل وهدأ الناس نصب سلّما على منزل الرجل فطرقه فى بيته حتّى يخرجه فيقتله ، ويأخذ خاتمه . فقيل لابنه : لو لم يورثك أبوك إلاّ خواتيم من قتل من أهل الكوفه كنت أيسر الأبناء وكان المنصور يشير إلى الكوفة و يقول : هذه المدرة السوء ما هى بحرب فاحاربها ولا هى بسلم فاسالمها .

ولمّا انهزم جند الخليفة من أبى طاهر القرمطى في سنة (٣١٢) دخل الكوفة وأقام ستة أيّام بظاهرها يدخل البلد نهاراً ، ويخرج يبيت فى عسكره ، وحمل منها ما قدر من الأموال والثياب ، وغير ذلك واستولى عليها أيضاً سنة (٣١٥) .

«وعن قليل يلتفّ القرون بالقرون» قال تعالى «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا»[1] .

(١) مريم : ٩٨ .

«ويحصد القائم ويحطم المحصود» قال تعالى «إنّما مثل الحيوة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح»[1].

هذا وقال (حد) «إنّ قوله عليه السلام «وعن قليل» ـ إلخ ـ كناية عن الدولة العباسية الّتى ظهرت على الدولة الاُموية» وهو كما ترى. فانّ الظاهر أنّ مراده عليه السلام جميع دول الدنيا الاُموية والعباسية ومن بعدهم الى القيامة.

١٨/ فى ١٣٤/ ١

(مِنْهَا) كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّءُوسِ. قَدْ قَفَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ. بَعِيدُ الْجَوْلَةِ، عَظِيمُ الصَّوْلَةِ. وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ، فَلَا تَزَالُونَ كَذٰلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا. فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ

أقول: قوله: «كأنّى به قد نعق بالشام، وفحص برايا ته فى ضواحى كوفان» كقوله عليه السلام فى سابقه «لكنّى أنظر إلى ضلّيل قد نعق بالشام، وفحص برايا ته فى ضواحى كوفان» فى إرادة عبد الملك به كما عرفت بل الأصل فيهما واحد.

«فعطف عليها عطف الضروس»: أى ناقة سيّئة الخلق تعضّ حالبها. قال الجوهرى: ومنه قولهم هى بجنّ ضراسها: أى بحدثان نتاجها، وإذا كان

(١) الكهف: ٤٥.

كذلك خامت عن ولدها . قال بشر :

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا بشهباء لا يمشى الضراء رقيبها

«وفرش الأرض بالرؤوس» فى حربه مع مصعب ، وفى حروب عامله الحجّاج مع ابن الأشعث وغيره ، وفى من قتله الحجاج صبراً . فقالوا : قتل فى مجلسه مأة ألف غير من قتله فى الحروب ، وفعله فعل عبد الملك ، ولمّا انهزم ابن الأشعث بمسكن جعل الحجّاج يقتل من وجد من جنده حتّى قتل أربعة آلاف فيقال إنّ فى من قتل عبد الله بن شداد ، وبسطام بن مصقلة ، وعمرو بن ضبيعة ، و بشر بن المنذر بن الجارود ، والحكم بن مخزمة ، وبكير بن ربيعة . فأتى الحجّاج ، برؤوسهم على ترس فأمر أن يوضع الترس بين يدى مسمع بن مالك . فبكى فقال : أحزنت عليهم؟ قال : بل جزعت عليهم من النار .

ولمّا كتب مالك بن أسماء بن خارجة ـ وكان الحجّاج حبسه وأمر بسقيه الماء المخلوط بالرماد والملح ـ إلى أبيه يستشفع فيه إلى الحجاج قال أبوه :

ابنى فزارة لا تعنّوا شيخكم مالى و لزيارة الحجّاج

شبّهته شبلا غداة لقيته يلقى الرؤوس شواخب الأوداج

تجرى الدماء على النطاع كأنّها راح شمول غير ذات مزاج

وقتل الحجّاج يوم الزاوية من أيامه مع ابن الأشعث أحد عشر ألفاً خدعهم بالأمان أمر منادياً . فنادى عند الهزيمة ألا لا أمان لفلان ولا فلان ـ فسمّى رجالاً من أولئك الأشراف ، ولم يقل الناس آمنون ـ فقالت العامة : قد آمن الناس كلّهم إلاّ هؤلاء النفر . فأقبلوا إلى حجرته . فلمّا اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ثمّ أمر بقتلهم وقالوا : بلغ ما قتل الحجاج صبراً مأة وعشرين ـ أو ثلاثين ـ ألفاً .

«قد فغرت فاغرته ، و ثقلت في الأرض وطأته بعيد الجولة عظيم الصولة» هو قوله عليه السلام فى سابقه «فإذا فغرت فاغرته ، واشتدت شكيمته ، و ثقلت فى

الأرض وطأته» بل الأصل فيهما واحد كما عرفت، وان لم ينبّه عليه الرضى ـ رضوان الله عليه ـ كما هو دأبه.

«والله ليشرّدنكم»: أى يفرّقونكم.

«فى أطراف الأرض حتّى لا يبقى منكم إلّا قليل كالكحل فى العين» فى الطبرى قدم عثمان بن حيان المرى فى سنة (٩٤) المدينة فأخذ رياح بن عبيد الله ومنقذ العراقى وفلاناً فبعث بهم فى جوامع إلى الحجاج، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً، ولا غير تاجر إلّا أمر بهم أن يخرجوا من كلّ بلد، وقال على المنبر: وجدناكم أهل غشّ وقد ضوى إليكم من يزيدكم خبالاً أهل العراق أهل الشقاق والنفاق، والله لا أوتى بأحد منكم آوى أحداً منهم أو إكرامه منزلاً إلّا هدمت منزله، وأنزلته بما هو أهله.

«حتّى تؤوب»: أى ترجع.

«الى العرب عوازب أحلامها» من اضافة الصفة: أى ماغاب من عقولها. فيتفكرون أنّ بنى امية الّذين اولوا الجور، والفجور لا يرضى بسلطنتهم ذو شعور فيجتهدون فى اضمحلالهم، وكان بدء ذلك فى سنة (١٠١) أوّل خلافة يزيد بن عبد الملك.

وفى أخبار الدينورى أوّل من قدم سنة (١٠١) على محمّد بن علىّ بن عبد الله بن العباس بالحميمة من أرض الشام ميسرة العبدى، وأبو عكرمة السراج، ومحمّد بن خنيس، وحيان العطار. فقالوا له: ابسط يدك نبايعك، على طلب هذا السلطان لعل الله أن يحيى بك العدل، ويميت بك الجور. فانّ هذا وقت ذلك، وأوانه الّذى وجدناه مأثوراً، فقال لهم محمّد: هذا أوّل ما نؤمّل ونرجو من ذلك لانقضاء مأة سنة من التاريخ. فانه لم تنقض مأة سنة على أمّة قط إلّا أظهر الله حقّ المحقين، وأبطل باطل المبطلين لقوله تعالى «أو كالذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنّى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مأة عام ثمّ بعثه»(١) فانطلقوا ودعوا الناس فى رفق وستر. ثمّ وجّه

(١) البقرة: ٢٥٩.

ميسرة وابن خنيس إلى العراق ، ووجّه أباعكرمة ، وحيّاناً إلى خراسان . فجعلا يسيران من كورة إلى أخرى يدعوان إلى بيعة محمّد بن عليّ ، ويزهّدان أنّهم في سلطان بنى أميّة بخبث سيرتهم ، وعظيم جورهم . ثم قدما عليه وأخبراه أنّهما غرسا بخراسان غرساً يرجوان أن يثمر في أوانه ـ إلى أن قال ـ

وفى خلافة هشام بعث محمّد بن على سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ، وخالد بن هيثم ، وطلحة بن زريق . فكانوا يأتون كورة بعد كورة فيدعون الناس إلى أهل بيت نبيّهم ، ويبغّضون إليهم بنى أميّة لما يظهر من جورهم واعتدائهم حتّى استحباب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان ـ الخ ـ

هذا وقال (حد) المراد بالعرب ههنا بنو العباس ، ومن اتّبعهم من العرب أيام ظهور الدولة كقحطبة الطائى ، وابنيه ، وبنى زريق وعداده هم فى خزاعة ، وغيرهم من العرب من شيعة بنى العباس ، وقيل : إنّ أبا مسلم أيضاً عربى .

قلت : بل المراد بالعرب فى كلامه عليه السلام عرب اليمن وربيعة فإنّهم كانوا على بنى أميّة ، وإنّما كانت مضر مع بنى أميّة .

وفى العقد قال أبوهاشم بن محمّد بن الحنفية لمحمّد بن على بن عبد ـ الله بن العباس لمّا حضره الموت : استبطن هذا الحى من ربيعة . فالحقهم بهم ـ يعنى اليمانية ـ فإنّهم معهم فى كلّ أمر ، وانظر هذا الحى من قيس ، وتميم ـ وهما من مضر ـ فاقصهم إلاّ من عصم الله منهم وذلك قليل ـ الخ

هذا وعكس نصر بن سيار لكونه من عمّال بنى أميّة كلامه عليه السلام فجعل قيام العرب على خلاف بنى أميّة ذهاب العقل . فقال مخاطباً لهم :

ابلغ ربيعة فى مرو واخوتهم فليغضبوا قبل الاّ ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب إنّ القوم قد نصبوا حرباً يحرّق فى حافاتها الحطب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم كأنّ أهل الحجا عن رأيكم غرب

هذا ،وفى الأغانى اعترض الرشيد قينة فغنّت فى قول الشاعر :

مانقموا من بنى أُميّة إلاّ أنّهم يحملون إن غضبوا
و إنّهم سادة الملوك فما تصلح إلاّ عليهم العرب

فلمّا ابتدئت به تغيّر وجه الرشيد ،وعلمت أنّها قدغلطت ، وأنّها إن مرّت فيه قتلت فغنّت .

مانقموامن بنى أُميّة إلاّ أنّهم يجهلون ان غضبوا
وأنّهم معدن النفاق فما تفسد إلاّ عليهم العرب

فقال الرشيد ليحيى بن خالد :أسمعت ؟ قال :تبتاع وتثنى لها الجايزة وتعجل لها الإذن ليسكن قلبها قال : ذلك جزاؤها .فقال لها : قومى فأنت منّى بحيث تحبّين فاغمى على الجارية) ـ هذا .وقال البحترى :

فهل لابنى عدى من رشيد يردّ شريد حلمهما الغريب

ومعنى اعترض الرشيد جارية ،فى الأوّل جعلها فى معرض الابتياع .

٩ افى ١٤٠/ امنها آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا ، وَتَرَكُوا صَافِيًا وَشَرِبُوا آجِنًا كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ ، وَبَسِيءَ بِهِ وَوَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِدًا كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ . أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ . أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى ، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى . أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ . وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ . دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا

وَوَلَّوْا. وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا

أقول: «آثروا عاجلاً، وأخّروا آجلاً» قال تعالى «كلاّ بل تحبّون العاجلة وتذرون الآخرة»[1]. ومراده عليه السلام بيان سبب اتباع الناس للمتقدمين عليه.

وفى الطبرى ـ فى عنوان بيعة عثمان ـ قال على عليه السلام: إنّ الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها. فتقول: إن ولى عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت فى غيرهم من قريش تداولتموها بينكم».

وقال عليه السلام لابن عوف لمّا بايع عثمان «حبوته حبو دهر ليس هذا أوّل، يوم تظاهرتم فيه علينا. فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون، والله ما ولّيت عثمان إلاّ ليردّ الأمر إليك والله كلّ يوم هو فى شأن».

«وتركوا صافياً، وشربوا آجناً»: أى غير الصافى، وفى الطبرى لمّا بايع ابن عوف عثمان قال له المقداد: ياعبد الرحمن أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ـ إلى أن قال ـ.

مارايت مثل ما أُوتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم إنّى لأعجب من قريش إنّهم تركوا رجلاً ما أقول إنّ أحدا أعلم، ولا أقضى منه بالعدل أما والله لو أجد عليه أعوانا لقاتلتهم ـ الخ ـ.

وفى مقاتل أبى الفرج إنّ معاوية أمر الحسن عليه السلام لمّا سلّم الأمر إليه أن يخطب، وظنّ أنه سيحصر. فقال الحسن عليه السلام فى خطبته «إنّما الخليفة من سار بكتاب الله تعالى وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وليس الخليفة من سار بالجور ذلك ملك ملّك ملكاً يتمتّع فيه قليلاً ثم تنقطع لذته، وتبقى تبعته، وإن أدرى لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين».

«كانّى أنظر إلى فاسقهم» لا يبعد أن يكون إشارة إلى عبد الملك كقوله

(١) القيامة: ٢٠.

فى سابقيه «لكنّى أنظر إلى ضلّيل قد نعق بالشام» و«كانّى به قد نعق بالشام» وتأخّره عن قريش كانوا بعد النبىّ صلى الله عليه وآله وعادوه عليه السلام لا ينافيه. فالكلّ واحد، وبواسطتهم وصل كباقى بنى أُميّة إلى ما وصل.

و قال النظام عند قول عبد الملك «ما أنا بالخليفة المستضعف يعنى عثمان ولا فلان ولا فلان» «لولا هم لما وصلت إلى ما وصلت».

«وقد صحب المنكر فألفه» فى تاريخ اليعقوبى منع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أنّ ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة فمنعهم عبد الملك من الخروج. فضجّ الناس، وقالوا: منعنا من حجّ بيت الله، وهو فرض من الله علينا. فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهرى يحدّثكم أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله قال: لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة الّتي يروى أنّ النبىّ وضع قدمه عليها لما أصعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة. فبنى على الصخرة قبة، وعلّق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كالكعبة.

«و بسوء به» فى الصحاح بئت به بالفتح والكسر إذا استأنست به.

«ووافقه حتّى شابت عليه مفارقه» فى الصحاح «المفرق: وسط الرأس كأنّهم جعلوا كلّ موضع منه مفرقاً، وهو الّذى يفرق فيه الشعر. فقالوا مفارق وشيب المفارق على المنكر كناية عن طول صحابته عليه كقولهم «من دبّ الى شبّ» «و صبغت به خلائقه». أى طبائعه وهو أيضاً كناية عن صيرورته كالطبيعة الثانية له كالثوب الّذى يصبغ. فيصير صبغه كلون طبيعى له، وفى نسب قريش مصعب الزبيرى غضب عبد الملك غضبة. فكتب إلى هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ـ عامله على المدينة ـ أن اقم آل علىّ يشتمون علياً. فقيل له: إنّه أمر غير ممكن.

«ثمّ اقبل مزبدا»: أى كبحر يقذف بالزبد .

«كالتيّار»: أى الموج .

«لا يبالى ماغرّق أو كوقع النار فى الهشيم»: أى النبات اليابس المتكسر ، و الشجرة اليابسة يأخذها الحاطب كيف يشاء .

«لا يحفل»: أى لا يبالى .

« ما حرّق» فى العقد أنّ عبد الملك لمّا قتل الأشدق غدراً به وأراد أن يخرج إلى الكوفة لقتال مصعب جعل يستفزّ أهل الشام . فيبطؤن عليه . فقال له الحجاج : سلّطنى عليهم . ففعل فكان لا يمرّ على بيت تخلّف إلاّ حرّقه . فلمّا رأى ذلك أهل الشام أسرعوا إليه فخرج إلى مصعب فقتله .

«أين العقول المستصبحة بمصابيح»: أى سُرُج .

«الهدى» حتّى تتبع أهل بيت نبيّه الّذين أذهب اللّه عنهم الرجس ، و طهّرهم تطهيراً ، وتمتنع من أُولئك الأجلاف الفجرة .

هذا وفى بيان الجاحظ قام أعرابى ليسأل فقال «أين الوجوه الصباح ، والألسن الفصاح ، والأنساب الصراح ، والمكارم الرباح ، والصدور الفساح يعيذنى من مقامى هذا» .

«والأبصار اللامحة الى منار التقوى» فى الصحاح لاريتك لمحاً باصراً : أى أمراً واضحاً .

«أين القلوب الّتى وهبت للّه ، وعوقدت على طاعته» وفى صفّين نصر أنّ عمّار بن ياسر نادى يوم صفّين «أين من يبغى رضوان ربّه ، ولا يؤب إلى مال وولد» فأتته عصابة : فقال لهم «اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الّذين يبغون دم عثمان ، ويزعمون انّه قتل مظلوماً واللّه ان كان إلاّ ظالماً لنفسه الحاكم بغير ما أنزل اللّه ، و قال : أللّهم إنّك تعلم إنّى لو أعلم أنّ رضاك أن أضع ظبة سيفى فى بطنى ثمّ انحنى عليها حتّى يخرج من ظهرى لفعلت اللّهم إنك تعلم أنّى لو أعلم أن رضاك

أن أقذف بنفسى فى هذا البحر لفعلت. اللّهم وإنّى أعلم فيما أعلمتنى انى لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء القوم الفاسقين.

«ازدحموا على الحطام» اليابس المتكسر.

«وتشاحّوا» الشح البخل مع حرص.

«على الحرام» فى صفين نصر قام عمّار بصفين. فقال: امضوا عباد اللّه إلى قوم يطلبون فى مايزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد اللّه بغير ما فى كتاب اللّه إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالاحسان. فقال: هؤلاء الّذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه. فقلنا لا حداثه. فقالوا: إنّه ما أحدث شيئاً، وذلك لأنّه مكنّهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها، ولا يبالون لو انهدت عليهم الجبال، واللّه ما أظنّهم يطلبون دمه إنّهم ليعلمون أنّه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرؤها وعلموا لو أنّ الحق لزمهم لحال بينهم وبين مايرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقة فى الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية. فخدعوا اتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون.

وقال لعمرو بن العاص «بعت دينك بمصر تبّاً لك وطالما بغيت الإسلام عوجاً».

وقال لعبيد اللّه بن عمر «صرعك اللّه بعت دينك بالدنيا من عدوّ اللّه و عدوّ الإسلام. قال: كلاّ ولكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم. قال: كلاّ أشهد على علمى فيك إنّك أصبحت لا تطلب بشئ من فعلك وجه اللّه، وأنك إن لم تقتل اليوم فستموت غدا. فانظر إذا أعطى اللّه على قدر نياتهم مانيتك.

«ورفع لهم علم الجنّة والنار فصرفوا عن الجنّة وجوههم، وأقبلوا إلى النار بأعمالهم» لكون النار محفوفة بالشهوات كالجنّة بالمكاره، وفى الجزرى قال ابن

سيرين : قال على عليه السلام لعمر بن سعد : كيف أنت اذا قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار؟ ـ فخيّره عبيد الله بين ردّه عهد الرى أو خروجه لقتال الحسين عليه السلام وقتله فاختار الثانى و قال :

أترك ملك الرى والرى رغبتى أم أرجع مذموماً بقتل حسين

وفى قتله النار التى ليس دونها حجاب وملك الرى قرّة عينى

«دعاهم ربّهم فنفروا وولّوا» «ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين»(١) «كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة»(٢).

«ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا» «وقال الشيطان لما قضى الأمر إنّ الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فاخلفتكم ، وماكان لى عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنّى كفرت بما أشركتمون من قبل»(٣).

٢٠/ فى ١١٢/ أَمَا وَاللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمِيَّالُ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ . (أَقُولُ : الْوَذَحَةُ الْخُنْفَسَاءُ. وَهٰذَا الْقَوْلُ يُومِئُ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَلَهُ مَعَ الْوَذَحَةِ حَدِيثٌ لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ)

أقول : روى المسعودى فى مروجه عن المنقرى عن عبد العزيز بن الخطّاب عن فضيل بن مرزوق قال : لمّا غلب بسر بن أرطاة على اليمن ، وكان من قتله لابنى عبيد الله بن العباس ولأهل مكّة والمدينة ماكان قام على عليه السلام خطيباً . فقال : إنّ بسراً قد غلب على اليمن ، والله ما أرى هؤلاء القوم إلاّ سيغلبون على ما فى أيديكم

(١) النحل : ٨٠ .
(٢) المدثر : ٥٠ .
(٣) ابراهيم : ٢٢ .

وماذلك لحق فى أيديهم ،ولكن بطاعتهم ،واستقامتهم ،ومعصيتكم لى، وتناصرهم وتخاذلكم ،واصلاح بلادهم وافساد بلادكم ـ إلى أن قال ـ .

اللّهمّ عجّل عليهم بالغلام الثقفى الذيّال الميّال يأكل خضريها، ويلبس فرويها ،ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ،ولا يتجاوز عن مسيئها ـ وماكان ولد الحجاج يومئذٍ ـ .

وروى ابوالفرج فى مقاتله ،عن اسماعيل بن موسى ابن بنت السدى ،عن علىّ بن مسهر ،عن الاحلج ،عن موسى بن أبى النعمان قال: جاء الأشعث إلى أميرالمؤمنين عليه السلام يستأذن عليه فردّه قنبر .فأدمى الأشعث أنف قنبر .فخرج ، علىّ عليه السلام وهو يقول :مالى ولك ياأشعث أماواللّه لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك .قيل ياأميرالمؤمنين ومن غلام ثقيف؟ قال:غلام يليهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلاّ أدخلهم ذلاّ .قيل: ياأميرالمؤمنين كم يلى ،وكم يمكث ؟ قال عشرين إن بلغها .

وروى عثمان بن سعيد ـ وقد نقله (حد) فى موضع آخر ـ عن يحيى التيمى عن الأعمش،عن اسماعيل بن رجا قال: قام أعشى بأهله ـ وهويومئذٍ غلام حدث ـ إلى علىّ عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم .فقال له :ماأشبه هذا الحديث بحديث خرافة .فقال عليه السلام :إن كنت ياغلام آثماً فى ماقلت فرماك اللّه بغلام ثقيف ـ ثمّ سكت ـ فقام رجال :وقالوا :ومن غلام ثقيف؟ قال :غلام يملك بلد تكم هذ ه لا يترك للّه حرمة إلاّ انتهكها يضرب عنق هذا الغلام بسيفه .فقالوا :كم يملك ياأمير المؤمنين؟ قال :عشرين إن بلغها .قالوا :فيقتل قتلاً أويموت موتاً ؟ قال عليه السلام : «بل يموت حتف أنفه بداء البطن يثقب سريرة لكثرة مايخرج من جوفه» .

قال اسماعيل بن رجاء :فواللّه لقد رأيت أعشى بأهله ،وقد أحضر فى جملة اسرى ابن الأشعث عند الحجاج فقرعه ووبّخه ،واستنشده شعره الّذى حرّض فيه ابن الأشعث ثمّ ضرب عنقه فى ذاك المجلس.

وروى الاحتجاج أنّ عباد بن قيس - من بكر بن وائل - قام إلى علي عليه السلام بعد فتح البصرة، وقال له: جئنا نطلب غنائمنا. فجئتنا بالترهات. فقال عليه السلام له إن كنت كاذباً فسلّط الله عليك غلام ثقيف قالوا: وما غلام ثقيف؟ قال: غلام لا يدع له حرمة إلاّ انتهكها. قالوا: فيموت أو يقتل؟ فقال عليه السلام: يقتله قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجرى من بطنه.

ونقل المختلف فى أحكام البغاة عن العمانى قال: انّ رجلاً من عبد القيس قام يوم الجمل. فقال له عليه السلام: ما عدلت حين تقسم بيننا أموالهم، ولا تقسم بيننا نسائهم، ولا أبنائهم. فقال له: إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتى تدرك غلام ثقيف، وذلك إنّ دار الهجرة حرّمت ما فيها، ودار الشرك أحلّت ما فيها. فأيكم يأخذ امّه من سهمه. فقام رجل. فقال: وما غلام ثقيف؟ قال: عبد لا يدع لله، حرمة إلاّ هتكها. قال: يقتل أو يموت؟ قال: بل يقصمه الله قاصم الجبارين.

وفى كامل الجزرى قال الحسن البصرى: سمعت عليا عليه السلام على المنبر يقول: اللّهمّ ائتمنتهم. فخانونى، ونصحتهم فغشّونى. اللّهمّ فسلّط عليهم غلام ثقيف يحكم فى دمائهم، وأموالهم بحكم الجاهلية - فوصفه وهو يقول: الذيّال مفجّر الأنهار. يأكل خضرتها، ويلبس فروتها - قال الحسن: هذه والله صفة الحجاج - قال حبيب بن أبى ثابت قال علىّ عليه السلام لرجل: لا تموت حتّى تدرك فتى ثقيف. قيل له: يا أمير المؤمنين ما فتى ثقيف؟ قال: ليقالنّ له يوم القيامة اكفنا زاوية من زوايا جهنّم رجل يملك عشرا أو بضعاً وعشرين سنة لا يدع لله معصية إلاّ ارتكبها حتّى لو لم تبق إلاّ معصية واحدة بينه و بينها باب مغلق لكسره حتّى يرتكبها.

«أما والله ليسلّطن عليكم غلام ثقيف» مراده عليه السلام بغلام ثقيف الحجاج، وأخبر عليه السلام فى موضع آخر بغلام ثقيف آخر ابن عم الحجاج باسمه ونسبه يوسف بن عمر.

ففى إرشاد المفيد قال عليه السلام أيّها الناس إنّى دعوتكم إلى الحقّ فتوليتم عنى ، وضربتكم بالدرّة فاعييتمونى أما أنّه سيليكم من بعدى ولاة لا يرضون منكم بهذا حتّى يعذّبوكم بالسياط والحديد إنّه من عذّب الناس فى الدنيا عذّبه الله فى الآخرة ، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتّى يحلّ بين أظهركم . فيأخذ العمال وعمّال العمال رجل يقال له : يوسف بن عمر . قلت : وصار الأمر كما ذكر عليه السلام فغضب هشام على خالد القسرى عامله على العراق . فكتب إلى يوسف باليمن بعهده على العراق فقدم وأخذ خالداً وعمّاله . فعذّبهم وصادرهم ومات خالد وعامله بلال بن أبى بردة فى عذابه .

ونقله (حد) فى موضع آخر بلفظ آخر أخبر عليه السلام بالحجاج ويوسف معاً بوصفهما فقال : قال عليه السلام «لقد دعوتكم إلى الحق فتولّيتم ، وضربتكم بالدرّة . فما استقمتم و ستليكم ولاة يعذّبونكم بالسياط والحديد ، وسيأتيكم غلام ثقيف أخفش وحصوب يقتلان ويظلمان ، وقليل ما يمكّنان» ـ و قال : الأخفش ضعيف البصر خلقة ، وكان الحجاج كذلك ، والحصوب القصير الدميم ، وكان يوسف كذلك .

ثمّ كما أنّه عليه السلام أخبر بتسلّط غلام ثقيف ـ وهو الحجّاج ـ فى مواضع كثيرة عموماً وخصوصاً خبراً ودعاء ، وبتسلّطه مع ابن عمّه كما عرفت فى موضع كذلك دعا الحسين عليه السلام على قتلته من اهل الكوفه بتسلط غلام ثقيف : أى المختار عليهم لينتقم منهم . فروى المناقب مسنداً عن عبد الله بن الحسن أنّه عليه السلام قال لهم فى جملة ما قال لهم : «الإثم لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتّى تدور بكم دور الرحى عهد عهده إلىّ أبى عن جدّى . فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدونى جميعاً ، ولا تنظرون إنّى توكّلت على الله ربى وربّكم ما من دابة إلّا وهو آخذ بناصيتها إنّ ربّى على صراط مستقيم . اللّهمّ احبس عنهم قطر السماء ، و ابعث عليهم سنين كسنى يوسف و سلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة ، ولا يدع منهم أحداً إلّا قتله بقتلة ، وضربه بضربة ينتقم لى ولا وليائى ، وأهل بيتى وأشياعى

منهم. فإنّهم غرّونا وكذبونا وخذلونا ـ إلخ ـ ورواه التحف والاحتجاج و اللهوف

هذا، وفى الأغانى قال عبد الملك لابن الزبير الشاعر الأسدى: انشدنى أبياتك فىّ وفى الحجاج وابن الزبير ـ بعد قتل الحجاج لابن الزبير و بعثه برأسه إليه فانشده

كأنّى بعبد الله يركب ردعه ... وفيه سنان زاعبىّ محرّب
وقد فرّعنه الملحدون وحلّقت ... به وبمن أساه عنقاء مغرب
تولّوا فخلّوه فشال بشلّوه ... طويل من الاجذاع عار مشذّب
بكفّى غلام من ثقيفٍ نمت به ... قريش ود والمجد التليد مُعتب

فقال له عبد الملك: لا تقل غلام، ولكن قل: همام.

وفى السير قدمت ليلى الأخيلية على الحجاج فأنشدته:

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضة ... تتبّع أقصى داءها فشفاها
شفاها من الداء العقام الّذى بها ... غلام إذا هزّ القناة ثناها

فقال لها: لا تقولى غلام، ولكن قولى همام.

وأما ثقيف فاختلف فيها هل هى من بقايا ثمود أو أياد أو هوازن، وفى كامل المبرد قال الحجاج على المنبر: تزعمون أنا من بقايا ثمود، والله تعالى يقول: «وثمودا فما ابقى»[1].

وقال الحجاج لأبى العسوس الطائى: أىّ أقدم نزول ثقيف الطائف أم طى، الجبلين. فقال له: إن كانت ثقيف من بكربن هوازن فنزول طى قبلها، وإن كانت من ثمود فهى أقدم. فقال له الحجاج: اتّقنى فإنّى سريع الخطفة وقال الشاعر:

فلولا بنومروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد أياد

(١) النجم: ٥١.

ثمّ تسلط الحجاج على أهل العراق كما أخبر عليه السلام كان فى سنة (٧٥) وسبب توليته أنّ المهلب بن أبى صفرة لمّا كان يقاتل الخوارج بالعراق، وكان الناس بطاءً عنه كتب إلى عبد الملك ـ كما فى المروج ـ إمّا بعثت إلىّ بالرجال وإمّا خلّيت بينهم وبين البصرة فخرج إلى أصحابه. فقال: ويلكم من للعراق فصمتوا وقام الحجاج فقال: أنا وقال الثانية والثالثة ويقول الحجاج: أنا. فقال له فى الثالثة: أنت زنبورها. فكتب له عهده فشخص. فلمّا بلغ القادسيّة أمر الجيش أن يقيلوا، ويروّحوا، ودعا بجمل عليه قتب. فجلس عليه بغير حشية ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده، ولبس ثياب السفر، وتعمم بعمامة حتّى دخل الكوفة وحده. فجعل ينادى: الصلوة جامعة، وما منهم رجل جلس فى مجلسه إلاّ ومعه العشرون والثلاثون وأكثر من أهله ومواليه. فصعد المنبر متلثماً متنكّباً قوسه. فجلس واضعاً إبهامه على فيه. فقال بعضهم لبعض: قوموا حتّى نحصبه. فقال بعض: حتّى نسمع ما يقول. فمن قائل يقول: حصر الرجل، ومن قائل يقول: أعرابى ما ابصر حجّته. فلمّا غصّ المجلس بأهله حسر اللثام عن وجهه ثمّ قام ونحّى العمامة عن رأسه. فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه، ولا صلّى على نبيّه، وكان أوّل ما بدئهم به أن قال:

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

ـ إلى أن قال ـ واعلموا أنّه ليس منّى الاكثار والاهذار، ولا منكم الفرار والنفار إنّما هو انتضاء السيف ثم لا أغمده فى شتاء ولا صيف حتّى يقيم الله للخليفة أودكم ـ إلى أن قال.

ياغلام اقرأ عليهم كتاب الخليفة. فقرأ القارى «أما بعد سلام عليكم فإنّى أحمد إليكم الله» فقال له: اقطع ياعبيد العصا يسلم عليكم الخليفة فلا يردّ ردّ منكم السلام هذا أدب ابن نهية ـ وهو صاحب شرطة كان بالعراق ـ أمّا والله لاؤدّبنكم غير هذا الأدب ياغلام ابدء بالكتاب. فلمّا بلغ إلى قوله (سلام

عليكم) لم يبق منهم أحد إلاّ قال : وعلى الخليفة السلام .

وفى الطبرى ولاّه عبد الملك على العراق بعد أخيه بشر . فدخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة . فصعد المنبر وقال : أما والله إنّى لأحمل الشرّ محمله وأحذوه بنعله ، واجزيه بمثله ، وإنّى لأرى رؤوساً قد أينعت ، وحان قطافها وإنّى لأرى الدماء بين العمائم واللحى قد شمّرت عن ساقها تشميراً .

هذا أوان الشدّ فاشتدّى زيم قد لفّها الليل بسوّاق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم ولا بجزّار على ظهر وضم
قد لفّها الليل بعصلبىّ اورع خراج من الدّوىّ
مهاجر ليس بأعرابى
ليس أوان يكره الخلاط جائت به والقلّص الأعلاط
تهوى هوى سابق الخطاط

وإنّى والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين ، ولا يقعقع لى بالشنان ، ولقد فررت عن ذكاء وجربت إلى الغاية القصوى إنّ الخليفة عبد الملك نثر كنانته ثمّ عجم عيدانها فوجدنى أمرّها عوداً ، وأصلبها مكسراً فوجّهنى إليكم أنّكم طالما أوضعتم فى الفتن ، وسننتم سنن البغى أما والله لأحوّنكم لحو العود ، ولأعصبنّكم عصب السلمة ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل إنّى والله لا أعد إلاّ وفيت ، ولا اخلق إلاّ فريت ، وإيّاى وهذه الجماعات وقيلاً وقالا ، والله لتستقيمنّ على سبل الحقّ أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلاً فى جسده ، ومن وجدته بعد ثالثة من بعث المهلّب سفكت دمه وانتهبت ماله إلى أن قال : أقسم بالله لتقلبنّ على الانصاف ولتدعنّ الأرجاف ، وكان وكّا وأخبرنى فلان عن فلان أولأهبرنكم بالسيف هبراً يدع النساء أيامى والولدان يتامى ، وحتّى تمشوا السمّهى ، وتقلعوا عن هاوها ، إيّاى ، وهذه الزرافات لا يركبنّ الرجل منكم إلاّ وحده إلاّ أنّه لوساغ لأهل المعصية معصيتهم ماجبى فيئ ، ولا قوتل عدوّ ، ولعطّلت الثغور ، ولولا أنّهم يغزّون كرهاً ماغزوا طوعاً

وقد بلغنى رفضكم المهلّب، وإنّى أُقسم باللّه لا اجد احداً بعد ثالثة إلّا ضربت عنقه إلى أن قال:

ولا تغلقنّ أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتّى تنقضى هذه المدّة إلى أن قال:

فلمّا كان اليوم الثالث سمع تكبيراً فى السوق. فخرج حتّى جلس على المنبر. فقال: يا أهل العراق، وأهل الشقاق والنفاق، ومساوى الأخلاق إنّى سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الّذى يراد اللّه به فى الترغيب، ولكنّه التكبير الّذى يراد به الترهيب، وقد عرفت أنّها عجاجة تحتها قصف يا بنى اللكيعة، و عبيد العصا، وأبناء الأيامى ألاّ يربع رجل منكم على ظلعه، ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه. فاقسم باللّه لا وشك أن أوقع بكم وقعةً تكون نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها ـ إلى أن قال ـ.

فازدحموا على الجسر حتّى سقط بعض الناس فى الفرات. فأتاه صاحب الجسر. فقال له: اعقد لهم جسرين و خرج الناس هرباً إلى السواد وأرسلوا إلى أهاليهم أن زوّدونا ونحن بمكاننا.

«الذيال» من «ذالت المرأة»: أى جرّت ذيلها على الأرض، وتبخترت، ومنه قول طرفة.

«فذالت كما ذالت وليدة مجلس ترى ربها أذيال سحل ممدد»

«الميّال» من «تميّلت المرأة فى مشيتها»: أى تدلّلت فى بيان الجاحظ قال الحجاج لعبد الملك يوماً: لوكان رجل من ذهب لكنته. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنّه لم تلدنى أمة بينى وبين آدم ماخلا هاجر. فقال له: لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب.

وفى كامل المبرد قال علىّ بن عبد اللّه بن عباس: سايرت يوماً عبد الملك فما جاوزنا إلاّ يسيراً حتّى لقيه الحجاج قادماً عليه. فلمّا رآه ترجّل ومشى بين يديه

فخبّ عبد الملك . فأسرع الحجاج فزاد عبد الملك . فهرول الحجاج . فقلت لعبد الملك : إنّك موجد على هذا . فقال : لا ولكنّه رفع من نفسه فأحببت أن أغضّ منه .

وفى عقد ابن عبد ربه قال عبد الملك للحجاج : ليس من أحد إلّا وهو يعرف عيب نفسه . فصف لى عيوبك قال : اعفنى . قال : لا بدّ أن تقول قال : أنا الجوج حسود حقود قال : ما فى ابليس شرّ من هذا .

وقال العتبى قال أبى : ما رأيت مثل الحجاج كان زيّه زى شاطر وكلامه كلام خارجى ، وصولته صولة جبار . فسألته عن زيّه فقال : كان يرجّل شعره ، و يخضب أطرافه .

وفى معارف ابن قتيبة أوّل ولاية وليها الحجاج تبالة : فلما رآها احتقرها وانصرف . فقيل فى المثل «أهون من تبالة على الحجاج» .

وفى بيان الجاحظ قال سليمان بن عبد الملك : كتب إلىّ الحجاج إن رأيت فىّ ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما ، وإلّا فأنا الحجاج وأنت نقطة من مداد . فإن شئت محوتك ، وإن شئت أثبتّك . فقام ابن أبى برد ة فقال كان عدوّ اللّه يتزيّن تزيّن الموسمة ، ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الأخيار . فإذا ، نزل عمل عمل الفراعنة وكان أكذب فى حديثه من الدجّال .

وفى ذيل الطبرى قال الحسن البصرى ـ وقد كان خرج من عند الحجّاج ـ : خرجت من عند احيول قصير يطبطب شعيرات له ، اخرج إلىّ بناناً له قصيرة قلّما عرفت فيها الاعنّة فى سبيل اللّه أما واللّه إنّهم وإن ركبوا البراذين ، و صعدوا المنابر إنّ ذلّ المعاصى لفى أعناقهم أبى اللّه إلّا أن يذل من عصاه مازال اللّه يريهم فى أنفسهم العبر ، ويرى المؤمنين فيهم المعتبر اللّهم امته كما أمات سنّتك .

وفى الطبرى خطب الحجاج . فقال : لا يصبحن من جند المهلّب بعد ثالثة أحد . فلمّا كان بعد ثالثة أتى رجل يستدمى . فقال : من فعل بك قال :

عميربن ضابى البرجمى أمرته بالخروج إلى معسكره فضربنى ـ وكذب عليه ـ. فأرسل الحجاج إلى عمير فأتى به شيخاكبيراً. فقال له: ماخلّفك عن معسكرك قال: أناشيخ كبير لاحراك بى. فأرسلت ابنى بديلاً فهوأجلد منّى. فقال عنبسة بن سعيد للحجاج: هذاالّذى أتى عثمان قتيلاً. فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه. فأمر به الحجاج فضربت عنقه.

قال عمروبن سعيد: فواللّه إنّى لأسيربين الكوفة والحيرة إذ سمعت رجزا مضرياً فعدلت إليهم فقلت: ماالخبر؟ قالوا: قدم علينا رجل من شرّ أحياء العرب من هذا الحى من ثمود أسقف الساقين ممسوح الجاعرتين أخفش العينين فقدم سيد الحى عميربن ضابى. فضرب عنقه. فقال فى ذلك ابن الزبير الأسدى:

تخيّر فإمّا أن تزورابن ضابئ عميراً وإمّا أن تزور المهلّبا

وخرج من الكوفة بعد قتل ابن ضابئ من فوره حتّى قدم البصرة، وتوعّدهم مثل أهل الكوفة فأتى برجل من بنى يشكر. فقيل: هذا عاص. فقال: إنّى بى فتقاً وقد رآه بشر. فعذرنى، وهذا عطائى مردود فى بيت المال. فلم يقبل منه وقتله ففزع لذلك أهل البصرة. فخرجوا حتّى تداكّوا على العارض بقنطرة رامهرمز فقال المهلّب: جاء الناس رجل ذكر.

قوله عليه السلام فى رواية المروج «ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها» فيه لمّا خرج ابن الأشعث على الحجاج، ودخل الكوفة كتب الحجاج إلى عبد الملك يذكرفيه جيوش ابن الأشعث، ويسأله الإمداد، و قال فى كتابه: واغوثاه يااللّه، واغوثاه يااللّه، واغوثاه يااللّه» فأمدّه بالجيوش، و كتب إليه «يالبيك يالبيك يالبيك» فالتقى الحجاج مع ابن الأشعث بدير الجماجم، وكانت بينهم نيّف و ثمانون وقعة تفانى فيها خلق، وكانت على ابن الأشعث فمضى حتّى انتهى إلى ملوك الهند، ولم يزل الحجاج يحتال فى قتله حتّى قتل، وأتى برأسه ـ قلت: أهل الجاهلية كانوا يجعلون مع اللّه إلهاً

آخر ، ولا يجعلون الله آخر كالحجاج - .

وقال الحجاج قال الله «فاتقوا الله ما استطعتم» فهذه لله وفيها مثنويه و قال الله «واسمعوا واطيعوا» وهذه لعبد الله وخليفته ، ونجيبه عبد الملك أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا فى هذا الشعب . فدخلوا فى غيره لكانت دمائهم لى حلالاً عذيرى من أهل هذه الحميراء يلقى أحدهم الحجر إلى الأرض و يقول : إلى أن يبلغها فرّج الله لاجعلنهم كالرمس الداثر ، والأمس الغابر عذيرى من عبد هذيل - يعنى ابن مسعود - يقرأ القرآن كأنّه رجز الأعراب أما والله لو أدركته لضربت عنقه ، عذيرى من سليمان بن داود يقول لربه «وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى» كان والله فى ماعلمته عبداً حسوداً بخيلاً .

وقال الربيع بن خالد : سمعت الحجاج يقول فى خطبته «أخليفة أحدكم فى أهله أكرم عليه أم رسوله فى حاجته» فقلت : لله على الا أُصلّى خلفك أبداً ، و لئن رأيت قوماً يجاهدنك لأُقاتلنّك معهم . فقاتله فى دير الجماجم حتّى قتل .

وقال أبو جعفر الإسكافى أخذ الحجاج الناس بقراءة عثمان ، وترك قراءة ابن مسعود ، وأُبىّ بن كعب ، فمامات حتّى اجتمع أهل العراق على قرائة عثمان ونشأ أبناءهم ، ولا يعرفون غيرها لامساك الآباء عنها ، وكفّ المعلم عن تعليمها حتّى لو قرئت عليهم قرائة عبد الله وأُبىّ ماعرفوها ولظنّوا بتأليفها الإستكراه و الاستهجان لالف العادة .

وقال الجزرى : قال الحجاج : لا أجد أحداً أخذ بقرائة ابن أُمّ عبد - يعنى ابن مسعود - إلاّ ضربت عنقه ، ولأُحكّنها من المصحف ، ولو بضلع خنزير وقد ذكر ذلك عند الأعمش فقال «وأنا سمعته يقول ، فقلت فى نفسى لاقرئنّها على رغم أنفك» .

وفى العقد قال العتبى : قال أبى أراد الحجاج الحج فخطب وقال «يا أهل العراق إنّى قد استعملت عليكم محمّداً ابنى ، وبه الرغبة عنكم أما إنّكم

لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية النبىّ بالأنصار ·فأوصى أن يقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، وقد أوصيته ألاّ يقبل من محسكم ولا يتجاوز عن مسيئكم أما أنّى إذا ولّيت عنكم علمت أنكم تقولون : لا أحسن اللّه له الصحابة ـ و وما منعكم من تعجيله إلاّ الفراق ـ وأنا أعجّل لكم الجواب لا أحسن اللّه عليكم الخلافة» ثمّ نزل فلمّا كان غداة الجمعة مات محمّد بن الحجاج ·فلما كان بالعشى أتاه بريد من اليمن بوفاة محمّد أخيه ففرح أهل العراق ، و قالوا : انقطع ظهر الحجاج و هيض جناحه ـ إلى أن قال ـ ·

فدخل الناس يعزّونه ، وفيهم الفرزدق ·فقال له : أما رثيت محمّداً ومحمّداً قال : نعم وأنشده خمسة أبيات ثمّ خرج وهو يقول : لوكلّفنى الحجاج بيتاً سادساً لضرب عنقى قبل أن آتيه به ـ وذلك أنّه دخل ولم يهيّئ شيئاً ·

وفى المروج لمّا هلك بشربن مروان ، وولّى الحجاج العراق بلغهم ذلك فقام الغضبان القبعثرى الشيبانى فى الجامع خطيباً ·فقال : يا أهل الكوفة إنّ عبد الملك قد ولّى عليكم من لا يقبل من محسنكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجاج ألا وإنّ لكم من عبد الملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب ، وقتله فاعترضوا هذا الخبيث فى الطريق ·فاقتلوه فإنّ ذلك لا يعدّ منكم خلعاً فإنّه متى يعلو على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثمّ قتلتموه عدّ خلعاً فأطيعونى وتغدّوا به قبل أن يتعشى بكم · فقالوا له : جبنت ياغضبان هل ننتظر الا سيرته فإن رأينا منكراً غيّرناه قال : ستعلمون ·

فلمّا قدم بلغه مقالته وأمر بحبسه ·فأقام فى حبسه ثلاث سنين فاحضر فقال له : أنت القائل لأهل الكوفة : يتغدون بى قبل أن أتعشّى بهم قال : ما نفعت من قيلت له ولا ضرّت من قيلت فيه ·

وفى العقد كتب عبد الملك إلى الحجاج فى اسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف ·فمن أقرّ منهم بالكفر بخروجه علينا فخلّ سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن

فاضرب عنقه ·فأتى الحجّاج برجل ·فقال :على دين من أنت؟ قال :على دين إبراهيم حنيفاً ،وماكان من المشركين ·فقال :اضربوا عنقه ثمّ قدّم آخر ·فقال له : على دين من أنت؟ قال :على دين أبيك الشيخ يوسف ·فقال :أما والله لقد كان صوّاما قوّاما خلّ عنه ياغلام ·فلمّا خلّى عنه انصرف إليه ·فقال له : سألت صاحبى على دين من أنت؟ فقال :على دين إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين فأمرت به فقتل ،وسألتنى على دين من أنت ·فقلت : على دين أبيك الشيخ يوسف فقلت: أما والله لقد كان صوّاماً قوّاماً ·فأمرت بتخلية سبيلى ،والله لولم يكن لابيك من السيئات إلاّ أنّه ولد مثلك لكفاه» فأمربه ·فقتل ·

وفى العقد عن عمر بن عبد العزيز لوجائت كلّ أُمّة بمنافقيها وجئنا بالحجّاج لفضّلناهم ،وحلف رجل بطلاق امرأته انّ الحجّاج فى النار ·فأتى امرأته فمنعته نفسها ·فسأل الرجل الحسن البصرى ·فقال :لاعليك فإن لم يكن للحجّاج فى النار ·فما يضرّك أن تكون مع امرأتك على زنا ·

ومماكفّرت به العلماء الحجّاج قوله ــ ورأى الناس يطوفون بقبر النبىّ ﷺ ومنبره ــ :إنّما يطوفون بأعواد ورمّة ·

وعن ابن عياش كنّا عند عبد الملك اذ أتاه كتاب الحجّاج ،ويعظّم فيه أمر الخلافة ،ويزعم أنّ ماقامت السموات والأرض إلاّ بها وأنّ الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقرّبين ،والانبياء والمرسلين ،وذلك أنّ الله خلق آدم بيده ، و أسجد له الملائكة وأسكنه جنّته ثمّ أهبط إلى الأرض وجعله خليفته ، و جعل الملائكة رسلاً إليه ،فأعجب عبد الملك بذلك وقال لودت أن عندى بعض الخوارج فأُخاصمه بهذا الكتاب ــ إلى أن قال ــ

فجاءه حوار بن زيد الضبى ·فقال له : اقرأ الكتاب ·فقرأه حتّى أتى على آخره ·فقال حوار : أراه قد جعلك فى موضع ملكاً ،وفى موضع نبيّاً ،وفى موضع خليفة ·فإن كنت ملكاً فمن أنزلك ،وإن كنت نبيّاً ·فمن أرسلك ،وإن كنت خليفة

فمن استخلفك أعن مشورة من المسلمين أم ابتززت الناس أمورهم بالسيف؟

فقال له عبد الملك: قد آمنّاك، ولا سبيل عليك لا تجاورنى فى بلد.

قلت: إنّ الحجّاج سمع ماكتب من قيام السموات والأرض بالخليفة و كونه أفضل من الملائكة والانبياء ممّا ورد فى الأئمة المعصومين ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ فأراد تطبيقه على عبد الملك.

ويقال لحوارفى ردّه على عبد الملك فى قوله «إن كنت خليفة فعن مشورة من المسلمين أم ابتززت أمور الناس بالسيف» بأن صدّيقك، وفاروقك أيضا ابتزّا أمور الناس باحراق اهلبيت النبى صلى الله عليه وآله وبالسيف والعصا.

«يأكل خضرتكم» وكلامه عليه السلام و إن كانت استعارة، وكناية عن كونه كسقر لا تبقى ولا تذر للناس شيئاً كما ستعرف من تشديده فى الخراج حتّى خرب أكثر القرى إلاّ أنّ الرجل أيضاً كان من الأكولين كمعاوية يأكل مايجد، ويطلب ما لا يجد.

قال سلم بن قتيبة: عددت للحجّاج أربعا وثمانين لقمة فى كلّ لقمة رغيف من خبز المافيه ملاكفه سمك طرى.

ويشهد لقوله عليه السلام من أكله خضرة أهل العراق قول الفرزدق لسليمان بعد الحجاج.

ماقلت إلاّ الحق تعرفه فى القول مرتجلاً و فى الشعر
ما أصبحت أرض العراق بها ورق لمختبط ولا قشر

«ويذيب شحمتكم» فى كامل المبرد يروى عن ابن هبيرة قال: أنا لنتغدّى مع الحجّاج يوماً إذ جاء رجل من سليم برجل يقوده. فقال: إنّ هذا عاص. فقال الرجل: انشدك اللّه فى دمى فواللّه ماقبضت ديواناً قط، ولا شهدت عسكراً وإنّى لحائك. فقال: اضربوا عنقه. فلمّا أحسّ بالسيف سجد فلحقه السيف و هو ساجد. فامسكنا عن الطعام فأقبل علينا الحجاج. فقال: مالى أراكم صفرت أيديكم

وأصفرت وجوهكم وحدّ نظركم من قتل رجل واحد .

وفيه أتى الحجّاج البصرة . فكان عليهم أشدّ الحاحاً ـ وقد كان أتاهم خبرٌ لما كان بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه . فأتاه رجل من بنى يشكر ـ وكان شيخاً كبيراً أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقّب ذا الكرسفة فقال: إنّ بى فتقاً ، وقد عذرنى بشر ، وقد رددت . فقال: إنّك عندى صادق ثمّ أمر به فضربت عنقه ففى ذلك يقول كعب الأشقرى والفرزدق :

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة تقرقر منها بطن كلّ عريف

وفى المروج حبس الحجّاج إبراهيم التيمى ومات فى الحبس، وإنّما كان الحجّاج طلب إبراهيم النخعى فنجا ووقع إبراهيم التيمى . فقال الأعمش لابراهيم النخعى : أين كنت حيث طلبك الحجّاج ؟ فقال : بحيث يقول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

و صوّت إنسان فكدت اطير

ومات الحجّاج بواسط سنة (٩٥) وهو ابن (٥٤) سنة وكان تأمّره على الناس عشرين سنة واحصى من قتله صبراً سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجد مأة و عشرين ألفاً ومات ، وفى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف إمرأة منهنّ ستّة عشر ألفاً مجردة ، وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد ، ولم يكن للمحبس ستر يستر الناس من الشمس فى صيف ، ومن المطر والبرد فى الشتاء ، وركب يوماً يريد الجمعة فسمع ضجّة . فقال : ما هذا ؟ فقيل له : المحبوسون يضجّون ويشكون ما هم فيه من البلاء فالتفت إلى ناحيتهم وقال : اخسئوا فيها ولا تكلمون ، ووجد بعده فى سجونه ثلاثة وثلاثون ألفاً لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ، وفيهم أعرابى اخذ ببول فى أصل مدينة واسط . فكان فى من اطلق فأنشأ يقول :

إذا ماخرجنا من مدينة واسط خرينا وبلنا لا نخاف عقاباً

وفى تنبيه الأشراف كان محبوسوه يسقون الماء مشوباً بالرماد ، و فيه مات

الحجّاج قبل الوليد بتسعة أشهر ـ وكانت ولايته على العراق عشرين سنة وترك فى بيت المال مأة ألف ألف دينار وبضعة عشر ألف ألف درهم ، وتولّى العراق وخراجها مأة ألف درهم فلم يزل بعنته وسوء سيرته حتّى صار خراجها خمسة وعشرين ألف ألف درهم .

وفى عيون القتيبى إنّ رجلاً كان يطلبه الحجّاج فمر بساباط فيه كلب بين حبّين يقطر عليه ماءهما . فقال : ياليتنى مثل هذا الكلب فما لبث ساعة إن مرّ بالكلب فى عنقه حبل فسأل عنه . فقالوا : جاء كتاب الحجّاج يأمر فيه بقتل الكلاب

وفى الاغانى منع الحجّاج من لحوم البقر خوفاً من قلّة العمارة فى السواد فقيل فيه :

شكونا إليه خراب السواد فحرّم فينا لحوم البقر
فكنّا كمن قال من قبلنا أريها السها وترينى القمر

وفيه ـ فى أخبار أعشى همدان ومدحه سليم بن صالح العنبرى وكان منزله بساباط المدائن بعد ذكر قصة عن هشام فى قرية سليم ـ وذكر غير هشام أنّ الحجّاج طالب سليماً العنبرى بمال فلم يخرج منه حتّى باع كلّ ما يملكه وخربت قريته ، وتفرّق أهلها ثمّ باعه الحجاج عبداً . فاشتراه بعض أشراف الكوفة أسماء بن خارجة أو بعض نظرائه فاعتقه .

وفى عيون القتيبى قال الحجّاج : سوطى سيفى نجاده فى عنقى ، وقائمه فى يدى وذبابه قلادة لمن اغترّ بى . فقال الحسن البصرى : ما أغرّه بالله .

قلت : وقالوا : سوط عمر كان أهيب من سيف الحجّاج .

وفى أنساب السمعانى مات إبراهيم بن يزيد التيمى ، وكان عابداً صابراً على الجوع ـ فى حبس الحجّاج أرسلت عليه الكلاب فى السجن تنهشه حتّى مات .

قلت : والظاهر أنّه الّذى مرّ أخذه بدلاً عن إبراهيم النخعى .

وفى العقد كان الحجّاج إذا صعد المنبر تلفع بمطرفه ثمّ تكلّم رويداً فلا يكاد يسمع حتّى يتزايد فى الكلام فيخرج يده من مطرفه ثمّ يزجر الزجرة فيفزع أقصى من فى المسجد .

وعن أبى وائل بعث الحجّاج إليه يستدعيه لعمله فاعتذر وقال فى ما قال «واُخرى أنّى ماعلمت الناس هابوا أميراً قط هيبتهم لك ، واللّه إنّى لاتعار من الليل فاذكرك ، فما يأتينى اليوم حتّى أصبح هذا ولست لك على عمل» فأعجبه ذلك وقال : هيه كيف قلت . فأعدت عليه الحديث . فقال « إنّى واللّه ماأعلم اليوم رجلاً على وجه الأرض هو أجرء على ربّه منّى» فقمت فعدلت عن الطريق كأنّى لا أبصر فقال : اهدوا الشيخ . أرشدوا الشيخ .

وقال المدائنى أخبرنى من دخل المسجد والحجّاج على المنبر ، وقد ملأ صوته المسجد بأبيات سويد بن أبى كاهل اليشكرى حيث يقول :

ربّ من انضجت غيظا صدره قد تمنّى لى موتاً لم يطع
ساء ما ظنوا وقد أبليتهم عند غايات المدى كيف أقع
كيف يرجون سقوطى بعد ما شمل الرأس مشيب و صلع

وفى كامل الجزرى قال الحجّاج : واللّه لوأمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلّت لى دماؤكم .

وفى المروج لمّا انهزم ابن الأشعث بدير الجماجم حلف الحجاج ألّا يؤتى بأسير إلّا ضرب عنقه . فأتى بأسرى كثيرة ، وكان أوّل من أتى به أعشى همدان ، وهو أوّل من خلع عبد الملك والحجّاج بين يدى ابن الأشعث بسجستان . فقال له الحجاج : إيه أنت القائل :

من مبلغ الحجاج انى قد جنيت عليه حربا

ـ إلى أن قال ـ قال له : أخبرنى عن قولك فى ابن الأشعث :

بين الأشج و بين قيس باذخ بخّ بخّ لوالده وللمولود

فأنشده فقال : والله لا تبخبخ لأحد بعدها وأمر به فضربت عنقه .

وفى الأخبار الطوال بعث الحجاج أيوب بن القرية إلى ابن الاشعث ـ إلى أن قال ـ

واُسر فى من اُسر فلمّا دخل عليه قال : بعثتك رسولاً فصرت وزيراً ومشيراً تصدر له الكتب ، وتسجّع له الكلام . فقال : كانّ شيطانا فى مسك انسان استمالنى بسحره ، وخلبنى بلفظه . فكان اللسان ينطق بغيرما فى القلب . فقال له الحجاج : كذبت يا ابن اللخناء بل كان قلبك منافقاً ، ولسانك مداهناً ، فكتمت أمراً أظهره الله ، وأطعت فاسقاً خذله الله ـ إلى أن قال ـ

فقال الحجّاج : ياغلام ناولنى الحربة . فتناولها وقد أمسك ابن القريّة أربعة رجال . فلا يستطيع تحريكاً وهزّ الحجاج الحربة ثلاثاً : فقال ابن القريّة : اسمع منّى ثلاث كلمات تكون بعدى مثلاً قال : هات قال : لكلّ جواد كبوة ولكلّ حليم هفوة ولكلّ شجاع نبوة » فوضع الحجّاج الحربة فى ثندوة ابن القريّة ودفعها حتّى خالطت جوفه ثمّ خضخضها وأخرجها فاتبعها دم اسود فقال الحجاج هكذا تشخب أوداج الإبل ، وفحص ابن القريّة برجليه وشخص بصره ، وجعل الحجّاج ينظر إليه حتّى قبض فحمل فى النطع . فقال الحجّاج : لله درّك يا ابن القريّة أىّ أدب فقدنا منك ، وأىّ كلام رصين سمعنا منك .

وفى كامل المبرد كان العديل بن فرخ العجلى هارباً من الحجّاج فجعل لا يحلّ ببلدة إلاّ ريع لاثر يراه من آثار الحجاج فيهرب حتّى أبعد فقال :

يخشّوننى الحجاج حتّى كأنّما ... يحرّك عظم فى الفواد مهيض

فلم ينشب إن أتى به فقال :

فلوكنت فى سلمى أجاوشعابها ... لكان لحجّاج علىّ دليل

فى الأغانى بعث الحجاج مولى له فى جيش إلى بنى العجل يطلب منهم العديل الشاعر ، فهرب فلم يقدر عليه فاستاق إبله ، وأحرق بيته ، وسلب امرأته

وبناته وأخذ حليّهن فهرب العديل إلى قيصر وقال :

ودون يد الحجاج من أن تنالنى بساط لأيدى الناجحات عريض
مهامة أشباه كأنّ سرابها ملاء بأيدى الراحضات رحيض

فبلغ شعره الحجاج فكتب إلى قيصر : لتبعثنّ به أولاغزينّك جيشاً يكون ، أوّله عندك وآخره عندى ، فبعث به قيصر إلى الحجاج . فلمّا ادخل عليه قال : أنت القائل « ودون يد الحجاج من أن تنالنى » فكيف فقال بل أنا القائل :

فلو كنت فى سلمى أجا و شعابها لكان لحجّاج علىّ سبيل

وقلت :

إذا ذكر الحجاج اضمرت خيفة لها بين أحناء الضلوع نفيض

وفى العيون قال الحسن البصرى : واعجباً من أخيفش أعيمش جائنا فقتلنا عن ديننا ، وصعد على منبرنا فيخطب والناس يلتفتون إلى الشمس فيقول : ما بالكم إنّا لا نصلّى للشمس بل لربّها أفلا يقولون له ياعدوّ الله إنّ لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وحقّاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وكيف تقولون ذلك وعلى رأس كلّ واحد منكم علج قائم بالسيف .

وفى العقد كان الوليد بن عبد الملك ـ وكان جباراً كأبيه ، وكان الحجاج واليا من قبلهما ـ يقول : كان أبى يقول الحجاج جلدة ما بين عينى وأنفى وأنا أقول : أنه جلدة وجهى كله .

وكان عمر بن عبد العزيز ـ ولم يكن جبّاراً ـ يدعو الله أن يكون موت الحجاج على فراشه ليكون أشدّ لعذابه فى الآخرة ، و سمع صياحه فى قبره فأخبر كاتبه فركب فى اهل الشام فسمع .

وقيل للحسن البصرى : ما تقول فى قتال الحجاج ؟ قال : إنّ الحجّاج عقوبة من الله تعالى فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف .

قلت : وصدق الحسن كان هو وامثاله عقوبة للناس لتركهم أهل بيت نبيّهم

رحمه الله وقد صرّح أمير المومنين عليه السلام بذلك فى خطبه مراراً ، وكان يذكر الحجاج لما آذوه كراراً كماعرفت .

وفى ديوان الفرزدق فى شكايته إلى سليمان مافعل بهم الحجاج من حبس الجيوش فى المغازى بغير عطاء ، وأخذه صدقات ابلهم على الحول الماضى مع موتها فى السنة بحيث تمنى الناس الموت :

و يجمّرون بغير أعطية فى البرّ من بعثوا وفى البحر
ويكلّفون أباعرا ذهبت جيفا بلين تقادم العصر
حتّى غبطنا كلّ محتمل يمشى بأعظمه الى القبر
و تمنت الأحياء انّهم تحت التراب وجئ بالحشر

«أيه» فى الصحاح «أيه اسم فعل أمر تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل (ايهِ) بكسر الهاء قال ابن السكّيت : فان وصلت نوّنت قلت (ايهٍ حدّثنا) وقال ابن السرى إذا قلت (ايهِ يارجل) فإنّما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما ، و إن قلت (ايه) بالتنوين قلت : ايتنا حديثاً ما لأنّ التنوين تنكير . قال : فإذا سكتّه وكففته قلت (أيهاعنّا) و إذا أردت التبعيد قلت (أيها عنا) بفتح الهمزة بمعنى هيهات .

وفى الأساس ، (ايه حديثا) استزاده وأيها لا تحدّث كفّ . قال ذو الرّمة :

وقفنا فقلنا ايه عن أم سالم وكيف بتكليم الديار البلاقع

وفى النهاية (فى الحديث أنه أنشد شعر أميّة بن أبى الصلت . فقال عند كلّ بيت (ايه) يراد بها الاستزاده ، و اذا قلت (ايهاً) بالنصب فإنّما تأمره بالسكوت ، ومنه حديث أصيل الخزاعى حين قدم عليه المدينة فقال له « كيف تركت مكّة » قال « تركتها وقد أحجف ثمامها وأغدق اذخرها وامشر سلمها » فقال « ايهاً ، اصيل دع القلوب تقرّ » وقد ترد المنصوبة بمعنى التصديق والرضا بالشئ ، و منه حديث ابن الزبير لمّا قيل له : « يا ابن ذات النطاقين) فقال (ايهاً) ـ الخ

قلت وقد تقدّم أنّ الحجاج قال لأعشى همدان لمّا أراد قتله : ايهأنت القائل (من مبلغ الحجاج إنّى قد جنيت عليه حرباً) .

«أباوذحة» فى اللسان قال ثعلب : الوذح مايتعلّق من القذر بالية الكبش قال جرير .

(والتغلبية فى أفواه عوراتها ، وذح كثير وفى اكتافها الوضر) .

وقال أبو عبيدة : ألوذح مايتعلّق بالأصواف من أبعار الغنم فيجفّ عليه . قال الاعشى :

(فترى الأعداء حولى شزرا خاضع الأعناق أمثال الوذح)

قول المصنّف : «قال الشريف : أقول : » هكذا فى المصرية وليس كلّه من النهج .

«الوذحة الخنفساء» قال (حد) ماقاله من أنّ الوذحة الخنفساء لم اسمعه من شيخ من أهل الأدب ، ولا وجدته فى كتاب لغة .

ثمّ قال : انّ المفسّرين بعد الرضى قالوا فى قصّة هذه الخنفساء وجوهاً :

منها أنّ الحجاج رأى خنفساء تدبّ الى مصلاّه . فطردها . فعادت ثمّ طردها فعادت ، فأخذها بيده . فقرصته قرصا ، وورمت يده منه ورماً كان فيه حتفه قالوا : وذلك أنّ الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته كما قتل نمرودا بالبقّة الّتى دخلت فى أنفه .

ومنها أنّ الحجّاج كان إذا رأى خنفساء تدبّ قريبة منه يأمر غلمانه ويقول : هذه وذحة من وذح الشيطان تشبيهاً له بالبعرة ـ وكان مغرى بهذا القول ـ والوذح : مايتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف .

ومنها أنّ الحجاج رأى خنفساوات مجتمعات . فقال : واعجباً لمن يقول إنّ الله خلق هذه . قيل : فمن خلقها ؟ قال : «الشيطان إنّ ربكم لأعظم شأناً أن يخلق هذه الوذح» فنقل قوله إلى الفقهاء . فاكفروه .

ومنها أنّ الحجاج كان مثفاراً ، وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفى بحركتها فى موضع حكاكه ، قالوا : ولا يكون صاحب هذا الداء إلاّ شانياً مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام قالوا : ولسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء ، وإنّما قلنا كلّ من فيه هذا الداء . فهو مبغض قالوا : وقد روى أبو عمرو الزاهد ـ ولم يكن من رجال الشيعة ـ فى أماليه فى أحاديثه عن السيارى عن أبى خزيمة الكاتب قال : ما فتشنا أحداً فيه هذا الداء إلاّ وجدناه ناصبياً .

وعن القطامى عن رجاله قالوا : سئل جعفر بن محمّد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس . فقال : رحم منكوسة يؤتى ولا يأتى ، وما كانت هذه الخصلة فى ولىّ لله قط ، ولا تكون أبداً ، وإنّما تكون فى الكفّار والفسّاق والناصب للطاهرين وكان أبوجهل عمرو بن هشام من القوم وكان أشدّ الناس عداوة للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر : يا مصفرّ أسته .

قال : فهذا مجموع ما ذكره المفسّرون ، وما سمعته من أفواه الناس فى هذا الموضع ، ويغلب على ظنّى أنّه أراد معنى آخر ، وذلك أنّ عادة العرب أن تكنّى الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم كقولهم ، أبوالهول ، وأبو المقدام ، وأبوالمغوار ، فإذا أرادت تحقيره والغضّ منه كنّته بما يستحقر ، ويستهان به كقولهم فى كنية يزيد : أبوزنّة ـ يعنون القرد ـ وفى سعيد بن حفص البخارى المحدّث : أبوالفار ، وفى الطفيلى : أبولقمة ، وفى عبد الملك أبوالذبان لبخره ، وكقول ابن بسام لبعض الرؤساء :

«فأنت لعمرى أبو جعفر ولكنّا يحذف الفاء منه»

وقال أيضاً :

لئيم درن الثوب نظيف القعب والقدر
أبو النتن أبوالدقر أبو البعر أبو الجعر

فلمّا كان عليه السلام يعلم من حال الحجّاج نجاسته بالمعاصى والذنوب

الّتى لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاة كنّاه أبا وذحة.

قال: ويمكن أيضاً أن يكنيّه بذلك لدمامته فى نفسه، وحقارة منظره، وتشويه خلقته. فإنّه كان قصيراً دميماً نحيفاً أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه. أصلع الرأس. فكنّاه بأحقر الأشياء وهو البعرة.

قال: وقد روى قوم هذه اللفظة بصيغة أُخرى فقالوا «إيه أبا ودجة» واحدة الأوداج كنّاه بذلك لأنه كان قتّالاً يقطع الأوداج بالسيف. ورواه قوم (أبا وحرة) وهى دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر شبّهه بها.

قلت: أما اعتراضه على المصنّف بأنّه لم يذكر أحد أنّ الوذحة الخنفساء فساقط فلم يقل الرضى: إنّ الخنفساء مفهوم الوذحة اللغوى بل أراد أنّها المراد، والتفسير بالمراد شايع. فالصحاح قال يقال للجلدة الّتى بين العين والأنف: سالم قال ابن عمر فى ابنه سالم:

يديرونني عن سالم وأريغه ... وجلدة بين العين والأنف سالم

وهذا المعنى أراد عبد الملك فى جوابه عن كتاب الحجاج أنت سالم». وقول القاموس: إنّه غلط غلط. فتوهّم أنّ الصحاح أراد المفهوم، ولم يتفطّن أنّ مراده المراد، والحجاج لم يفهم مراد عبد الملك حتّى فسّره بعض الأُدباء له وهذا كأن يقال: فلان كثير الرماد: أى جواد، مع أنه قال فى النهاية بعد نقل كلامه عليه السلام: الوذحة بالتحريك الخنفساء من الوذح، وهو ما يتعلّق بإلية الشاة من البعر فيجفّ، وبعضهم يقول: بالخاء وفى حديث الحجّاج أنّه رأى خنفساءً فقال: قاتل الله أقواماً يزعمون أنّ هذه من خلق الله. فقيل مم هى؟ قال: من وذح ابليس.

وحينئذٍ نقول: إن صحّ الأوّل والأخير من الوجوه الأربعة الّتى نقلها، فى قصته مع الخنفساء فلا يصحّ أن يخاطب عليه السلام الحجّاج بأبى وذحة إلّا بأن

نقول : إنّه؟ شبّه الخنفساء بالوذحة بكونه أمراً عرفياً . فلمّاكان الحجّاج مات من ورم يده بقرص خنفساء اوكا ن يمسك الخنفساء فى موضع حكاكه كان أباوذحة أى أبا خنفساء ، و إن صحّ الأوسطان منهافخاطبه بأبى وذحة لأنّه كان يسمى الخنفسا وذحة الشيطان . ثمّ كأنّ الأصل فيهما واحد بكون الثالث تفصيل الثانى ، وكيف كان فلاتنافى بين الوجوه بأن يصحّ الجميع إن ثبت النقل سوى الأخير منها. فإنّه بظاهره ينافى الاولى لاسيّما الوسطين أوالوسط .

وأمّاقوله : فيغلب على ظنّى أنّه أراد معنى آخر ـ إلخ ـ فبلا معنى فإنّ عبد الملك كان يقال له: أبوالذبّان لأنّ الذبّان كانت تجتنبه لبخره ، وأبو زنّة كنية القرد وكان ـ كمافى المروج ـ ليزيد قرد خبيث مكنّى بأبى قيس يحضره مجلس منادمته ، ويطرح له متّكأ وكان يحمله على أتان وحشيّة قد ريضت وذلّلت لذلك بسرج ولجام ، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء فى بعض الأيّام ـ وعليه قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشهر ، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان ـ سابقاً فتناول القصبة ، ودخل الحجرة قبل الخيل ، وحينئذٍ فلايصحّ أن يقال للحجاج : أباوذحة إلّا بواحدة من تلك الوجوه على ماعرفت حتّى تحصل مناسبة وحينئذٍ فليس هو معنى آخر .

كماأنّ قوله : و يمكن أيضاً أن يكنيه بذلك لدمامته ـ إلخ ـ أيضاً بلا معنى فإنّه لوكان عليه السلام خاطبه لدمامته وعيوب خلقته لقال له : ياوذحة لا (أبا وذحة) كماقال بعض الأعراب فى عدوّ له شديد السواد :

عاديتنا يا خنفساء أم الجعل عداوة الأوعال حيات الجبل

ولوكانت تكنيته بأبى وذحة لدمامته صحيحة لكانت للجاجته أنسب . فقد عرفت أنّ عبد الملك لماسأله عن عيوبه عدّ منها لجاجه ، ويشهد له سيره ، و منهاعدم اكتراثه بنصح المهلّب له حتّى انهزم يوم تستر ثمّ ندم ، والخنفساء يضرب بها فى اللجاجة ، و من كناها أمّ اللجاج كما قال الدميرى ، وقال الجاحظ

وفى لجاج الخنفساء يقول خلف الأحمر :

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير الخطا قليل الصواب

ألجّ لجاجاً من الخنفساء وأزهى إذا مامشى من غراب

هذا ،وفى تاريخ بغداد كان أبو علقمة الثقفى عند جعفر البرمكى فى بعض لياليه الّتى يسمر فيها ·فأقبلت خنفساء إلى أبى علقمة·فقال :أليس يقال :إنّ الخنفساء إذا أقبلت إلى رجل أصاب خيراً ·فقال :ياغلام اعطه ألف دينار· فاعطوه ونحوّها عنه ·فعادت إليه ·فقال :ياغلام اعطه ألفاً آخر فاعطوه·

وفى بلدان الحموى ـ فى عنوان دير الخنافس ـ هوفى غربى دجلة على قلّة جبل شامخ ،وهود يرصغيرلا يسكنه أكثرمن راهبين ،وهونزه لعلوّه على ضياع و إشرافه على أنهارنينوى ،والمرج وله عيد يقصده أهل الضياع فى كلّ عام مرّة ، وفيه طلسم ظريف ،وهو أنّ فى كلّ سنة ثلاثة أيام تسودّ حيطانه ،وسقوفه من الخنافس الصغار اللواتى كالنمل ·فإذا حلّت تلك الأيّام الثلاثة أخرجواجميع مالهم من فرش و طعام ،وأثاث و غيرذلك هرباً من الخنافس فإذا انقضت عادوا ·

وفى نجوم ابن طاووس قال أبوحيان التوحيدى فى بصائره :قال:أبومعشر فى كتاب أسراره ـ بعد ذكر منجم ادّعى النبوة فى زمان المأمون ـ وكان له خاتم من لبسه لا يتمالك من الضحك ،و قلم لا ينطلق اصبع غيره على الكتابة به ،و هو الّذى عمل طلاسم الخنافس فى ديور كثيرة ·

وفى معارف ابن قتيبة كانت أمّ أبان بن عثمان حمقاء تجعل الخنافس فى فمها وتقول «حاجيتك مافى فمى» ·

وفى حيوة الحيوان للدميرى رأى رجل خنفساء ·فقال :ماذا يريد الله من خلق هذه الحسن شكلها أولطيب ريحها ·فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء فترك العلاج حتّى سمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادى فى الدرب فقال: هاتوه حتّى ينظر فى أمرى ·فقالوا :وما تصنع بطرقى وقدعجز عنك حذاق الأطباء

فقال :لا بدّ لى منه فاحضروه فلمّا رأى القرحة استدعى بخنفساء . فضحك الحاضرون فقال الرجل :احضروا له ماطلب .فانّ الرجل على بصيرة من أمره فاحضروها له فاحرقها وذرّ رمادها على القرحة .فبرء .فقال :أراد اللّه أن يعرّفنى أنّ أخسّ المخلوقات أعزّ الأدوية .

وقال الدميرى :كنية الخنفساء أُم الفسو ،وأُم الأسود ،وأُم مخرج ،و أُمّ النتن ،وأُم اللجاج ،وبينها وبين العقرب صداقة ،وهى أنواع منها الجعل ، و حمار قبان ،وبنات وردان ،والحنظب ،و هو ذكر الخنافس.

وفى حيوان الجاحظ زعم الاعراب أنّ بين ذكورة الخنافس ، و ذكورة الجعلان تسافد ،وأنهما ينتجان خلقاً ينزع إليهما جميعاً .وقال لى الفضل العنبرى :يقولون (الضب أطول شئ ذماء) والخنافس أطول منه ذماء ،و ذلك إنّه يغرز فى ظهرها شوكة ثاقبة ،وفيها ذبالة تستوقد ،وتصبح لأهل الدار وهى تدبّ بها وتجول ،قال :وربما كانت الخنفساء فى تضاعيف حبل قت أوفى بعض الحشيش،والعشب ،والحلاء .فتصير فى فم الجمل .فيتبلعها من غير أن يضغم الخنفساء .فإذا وصلت إلى جوفه وهى حيّة حالت فيه فلا تموت حتّى تقتله . فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الإدارى والعلوفات خوفاً من الخنافس.

وفى فهرست ابن النديم خدم يوحنا بن ماسويه المأمون إلى المتوكّل ، و عبث به ابن حمدون النديم بحضرة المتوكّل . فقال له يوحنا :لو أنّ مكان ما فعلت من الجهل عقل ثمّ قسّم على مأة خنفساء لكانت كلّ واحدة منها أعقل من أرسطاطاليس.

قول المصنّف«وهذا القول يؤمئ به إلى الحجّاج» وكما أخبر عليه السلام أهل العراق بتسلّط الحجّاج عليهم لما رأى تخاذلهم له عموماً ،وتراذل بعضهم و سوء أدبه معه خصوصاً كما عرفت أخبر أهل الشام بغلبة أبى مسلم عليهم لما رأى جدّهم فى حربه .

ففى المناقب عن الاعمس عن رجل من همدان قال: كنا مع علي عليه السلام بصفين. فهزم أهل الشام ميمنة العراق. فهتف بهم الأشتر ليتراجعوا. فجعل عليه السلام يقول لأهل الشام ثلاث مرات «يا أبا مسلم خذ هم» فقال له الاشتر: أو ليس أبو مسلم معهم؟ قال: لست أريد الخولانى، وإنّما أريد رجلاً يخرج فى آخر الزمان من المشرق يهلك الله به أهل الشام، ويسلب عن بنى أميّة ملكهم.

هذا، وفى الخرائج روى أنّ حجاجاً كتب إلى عبد الملك إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علىّ بن الحسين. فكتب عبد الملك إلى الحجّاج أما بعد فجنّبنى دماء بنى هاشم فانّى رأيت آل أبى سفيان لما أولغوا فيها لم يلبثوا إن أزال الله الملك منهم ـ وبعث بالكتاب سرّا ـ فكتب علىّ بن الحسين عليه السلام سرّاً إلى عبد الملك فى الساعة التى أنفذ فيها الكتاب إلى الحجّاج «وقفت على ماكتبت فى دماء بنى هاشم، وقد شكر الله لك ذلك، وثبت ملكك، وزاد فى عمرك وبعث به مع غلام له فنظر عبد الملك فوجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه. ففرح بذلك ـ وفى كتابه عليه السلام إليه أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أتانى فى النوم. فعرّفنى ماكتبت به إليك.

هذا، وفى المروج ولد الحجّاج مشوّهاً لا دبر له. فثقب عن دبره وأبى أن يقبل ثدى أمّه وغيرها. فأعياهم أمره. فيقال: إنّ الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كلدة. فقال: ما خبركم قال: ولد ليوسف ابن من الفارعة وقد أبى أن يقبل ثدى أمّه فقال: اذبحوا جدياً أسود، وأولغوه دمه فإذا كان فى اليوم الثانى فافعلوا به كذلك. فإذا كان فى اليوم الثالث فاذبحوا له تيساً أسود، وأولغوه دمه. ثمّ اذبحوا له أسود سالخا ـ أى الأسود من الحيات ـ فأولغوه دمه، واطلوا به وجهه ـ فإنّه يقبل الثدى فى اليوم الرابع، ففعلوا به ذلك. فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أن أكثر لذّاته سفك الدماء وارتكاب امور لا يقدم عليها غيره.

وفى تفسير العياشى عن زرارة كان يوسف أبو الحجّاج صديقاً لعلىّ بن

الحسين عليه السلام، وأنه دخل على امرأته، وأراد أن يصيبها. فقالت له: إنما عهدت بذاك الساعة. فأتى علىّ بن الحسين عليه السلام فأخبره فأمره أن يمسك عنها فولدت بالحجّاج وهو ابن شيطان ذى الردهة.

وعنه عن الباقر عليه السلام كان الحجّاج ابن شيطان إنّ يوسف دخل على امرأته أمّ الحجّاج فأراد أن يصيبها. فقالت: أليس إنما عهدتك بذلك الساعة فامسك عنها فولدت الحجّاج.

وفى السير أن عروة بن الزبير كان يكنّى الحجّاج بابن المتمنية. لان أمّه الفريعة هى الّتى قالت:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ام هل سبيل إلى نصر بن حجاج

وفى العقد شتم الحجاج أنس بن مالك. فكتب إلى عبد الملك يشكوه فكتب عبد الملك إلى الحجّاج إنّك عبد طمّت بك الأمور. فطغيت وعلوت فيها حتّى، جزت قدرك، وعدوت طورك، وأيم اللّه يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لاغمزنّك كبعض غمزة الليوث للثعالب، ولاركضنك ركضة تدخل منها فى وجارك اذكر مكاسب آبائك إذ كانوا ينقلون الحجارة على اكتافهم، ويحفرون الآبار فى المناهل بأيديهم. فقد نسيت ماكنت عليه أنت وآبائك من الدنائة واللوم والضراعة فعليك لعنة اللّه من عبد أخفش العينين أصل الرجلين ممسوح الجاعرتين — الى أن قال —

فقال الحجاج لأنس: عجّلت باللائمة، وأغضبت علينا الخليفة ثمّ أخذ بيده فاجلسه معه على السرير فقال أنس: إنّك كنت تزعم أنّا الأشرار، واللّه سمّانا الأنصار وقلت: أنا من أبخل الناس واللّه يقول فينا «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»[1] وزعمت أنّا أهل نفاق واللّه تعالى يقول فينا «والّذين تبوؤا الدار و الايمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة ممّا

(١) الحشر:

أوتوا .[1]

قلت : ومعنى (اصل الرجلين) كون رجليه دقيقتين وأصل بالتحريك جمع أصلة حيّة خبيثة .

وفى الأغانى استعمل الحجّاج خالد بن عتاب الرياحى على الرى ـ وقد كان حلف ألاّ يسبّ أحد أمّه إلاّ أجابه كائناً من كان ـ فكتب إليه الحجّاج يا ابن اللخناء أنت الّذى هربت عن أبيك حتّى قتل فكتب خالد إلى الحجّاج «كتبت إلىّ تلخّننى وتزعم أنّى فررت عن أبى حتّى قتل ، ولعمرى لقد فررت عنه ، ولكن بعد أن قتل وحين لم أجد لى مقاتلاً ولكن أخبرنى عنك يا ابن اللخناء المستفرمة بعجم زبيب الطائف حين فررت أنت و أبوك يوم الحرّة على جمل ثفال» ثمّ هرب إلى الشام واستجار بزفر بن الحرث الكلابى .

وفى معارف ابن قتيبة كان اسمه كليب ، وكان معلم الصبيان بالطائف وفيه قال الشاعر :

أيُنسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة و اُخرى كالقمر الأزهر

قال ذلك لأنّ خبز المعلّمين من بيوت مختلفة ـ ونقل مثله العقد و زاد ثمّ لحق بروح بن زنباع وزير عبد الملك ، فكان فى عديد شرطته الى أن شكا عبد الملك ما رأى من انحلال العسكر ، وأنّ الناس لا يرحلون برحيله ، ولا ينزلون بنزوله فقال له روح : انّ فى شرطتى رجلاً لو قلّدته أمر عسكرك لارحلهم برحيله وانزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف قال : فانا قلّدناه ذلك . فكان لا يقدر أحد أن يتخلّف عن الرحيل والنزول الاّ أعوان روح . فوقف عليهم يوما ، وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون . فقال لهم : ما منعكم أن ترحلوا برحيل الخليفة . فقالوا له : انزل يا ابن اللخناء . فكل معنا فقال لهم : هيهات ذهب ما هنالك ثمّ أمر

(١) الحشر : ٩ .

بهم ٠فجلّدوا بالسياط ،وطوّفهم فى العسكر ،وأمر بفساطيط روح فاحرقت فدخل روح على عبد الملك باكياً ٠فقال له : مالك؟ فقال له الحجّاج :الّذى كان فى عديد شرطتى ضرب عبيدى ،وأحرق فساطيطى قال :علىّ به ٠فلمّا دخل عليه قال له : ماحملك على مافعلت قال : ماأنا فعلته قال :ومن فعله؟ قال :أنت واللّه فعلت إنّما يدى يدك وسوطى سوطك ،وماعلى الخليفة أن يخلف على روح لفسطاط فسطاطين ،ولغلام غلامين ،ولا يكسرنى فى ماقدّمنى له ،فاخلف لروح ماذهب منه ،وتقدّم الحجّاج فى منزلته ،وكان ذلك أوّل ماعرف من كفايته ٠

وفى المعارف هلك الحجاج بواسط فدفن بها ، وعفى قبره وأجرى ، عليه الماء ٠

«وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره» لا بدأنّ المصنّف أراد بحديثه أحد الوجوه المتقدّمة المنقولة فى كلام (حد) ٠

٢١/ ٩٤/ ١ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللّٰهِ لَا يَزَالُونَ حَتّٰى لَا يَدَعُوا لِلّٰهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ . وَحَتّٰى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ وَحَتّٰى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ . وَحَتّٰى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ . إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ . وَحَتّٰى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللّٰهِ ظَنّاً . فَإِنْ أَتَاكُمُ اللّٰهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا . وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا . فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

أقول : رواه إبراهيم الثقفى فى غاراته ، وقد وقع الأمر كما أخبر عليه السلام .

«والله لا يزالون حتّى لا يدعوا لله محرّماً إلاّ استحلّوه» فى الأغانى قتل خداش الكندى ـ وكان عاملاً لخالد القسرى ـ غلاماً فطولب خالد بالقود منه . فقال : لئن أقدت من عاملى لأقيدنّ من نفسى ، ولئن أقدت من نفسى ليقيدنّ الخليفة من نفسه ، ولئن أقاد الخليفة من نفسه ليقيدنّ النبىّ من نفسه ، ولئن قاد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه هاه هاه ـ يعرّض بالله تعالى ـ .

فيه ، وكان خالد القسرى يقول : لو أمرنى الخليفة لنقضت الكعبة حجراً حجراً ونقلتها إلى الشام ـ وكانت أمّه نصرانية ـ فبنى لها كنيسة فى ظهر قبلة الجامع بالكوفة فكان إذا أراد المؤذّن أن يؤذّن ضربت لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقرائتهم ، وكان يولّى النصارى ، و المجوس على المسلمين ، و يأمرهم بامتهانهم وضربهم ، وكان أهل الذمة يشترون الجوارى المسلمات ، ويطأ وهنّ فيطلق لهم ذلك ، ولا يغيّر عليهم وصعد المنبر فقال : إلى كم يغلب باطلنا حقكم أما آن لربّكم أن يغضب لكم ، وكان يسمّى زمزم أم الجعلان .

وفى كتاب عبّاسية الجاحظ «يفخر هاشم على امية بأنّهم لم يهدموا الكعبة ولم يحوّلوا القبلة ، ولم يجعلوا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم دون الخليفة ، ولم يختموا فى أعناق الصحابة ، ولم يغيّروا أوقات الصلوة ، ولم ينقشوا أكفّ المسلمين ، و لم يأكلوا ، ولم يشربوا على منبر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم ينهبوا الحرم ، ولم يوطؤا المسلمات فى دار الاسلام بالسباء» .

وفى كتاب افتراق هاشم ، وعبد شمس للجاحظ «قال ابن أبى رؤبة الدباس كان بنو اُميّة فى ملكهم يؤذّنون ، ويقيمون فى العيد ، ويخطبون قبل الصلوة ، وكانوا فى سايرصلوتهم لا يجهرون بالتكبير فى الركوع والسجود ، وكان لهشام خصىّ إذا سجد ، وهو يصلّى فى المقصورة قال : لا إله إلاّ الله ليسمع الناس

فيسجدون ، وكانوا يقعدون فى إحدى خطبتى العيد ، والجمعة ، ورأى كعب ، مروان يخطب وهو قاعد . فقال : انظروا إلى هذا والله يقول «وتركوك قائماً» وأوّل من قعد فى الخطب معاوية ، وأوّل من أذّن وأقام فى صلوة العيد بشر بن مروان ، وكان عمّال بنى أُميّة يأخذون الجزية ممّن أسلم من أهل الذمة ، ويقولون : هؤلاء فرّوا من الجزية ، ويأخذون الصدقة من الخيل ، وربما دخلوا دارا الرجل قد نفق فرسه أو باعه فإذا أبصروا الأُخبية قالوا : قد كان هنا فرس فهات صدقتها ، و كانوا يؤخّرون صلوة الجمعة تشاغلاً عنها بالخطبة ، ويطيلون فيها إلى أن يتجاوز وقت العصر ، وتكاد الشمس تصفرّ فعل ذلك الوليد بن عبد الملك ، ويزيد بن عبد الملك والحجّاج ، ووكّل بهم الحجّاج والسيوف على رؤوسهم فلا يستطيعون ، أن يصلّوا .

وفيه خطب الحجّاج فذكر الّذين يزورون قبر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : تبّاً لهم إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية هلا طافوا بقصر الخليفة عبد الملك ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله ، وكان الوليد بن يزيد يصلّى إذا صلّى أوقات إفاقته إلى غير القبلة فقيل له فقرء « فأينما تولوا فثمّ وجه الله » .

وفيه وكانت بنو أُميّة تتبّع الرجل فى الدّين يلزمه ، وترى أنّه بذلك يصير رقيقاً كان معن أبو عمير بن معن الكاتب حرّاً مولى لبنى العنبر . فبيع فى دين عليه فاشتراه أبو سعيد بن زياد بن عمرو العتكى . وباع الحجّاج علىّ بن بشير بن الماخور ـ لكونه قتل رسول المهلّب ـ على رجل من الأزد ، وكانوا يسبون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم . فلمّا قتل قريب وزحاف الخارجيان سبى زياد ذراريهما . فاعطى شقيق بن ثور السدوسى احدى بناتهما ، وأعطى عباد بن حصين الأُخرى ، وسبيت بنت لعبيدة بن هلال اليشكرى ، وبنت لقطرى بن الفجاة المازنى . فصارت إلى العباس بن الوليد . فوطأها بملك اليمين . فولدت له المؤمل ، ومحمداً و إبراهيم و أحمد و حصينا .

وأيضاً سبى واصل بن عمرو القنا واسترقّ وكذلك سبى سعيد الصغير الحرورى واسترق ، وكانت أُمّ يزيد بن عمر بن هبيرة من سبى عمّان الّذين سباهم مجاعة . وبايع مسلم بن عقبة أهل المدينة كافة ، وفيها بقايا الصحابة وصلحاء التابعين على أنّ كلاًّ منهم عبد قنّ ليزيد إلاّ علىّ بن الحسين عليه السلام فإنّه بايعه على أنّه أخوه و ابن عمّه .

وفى المروج كان ليزيد قرد يكنى بأبى قيس يحضره مجلس المنادمة ، ويطرح له متكأ وكان يحمله على أُتان وحشية قد ريضت ، وذلّلت لذلك بسرج ولجام ، و يسابق بها الخيل يوم الحلبة . فجاء فى بعض الأيام سابقاً فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل ، وعليه قباء من الحرير الأحمر ، وعلى رأسه قلنسوة من الحرّ ذات ألوان ، وعلى الأُتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمّع

وفيه قرأ الوليد بن يزيد ذات يوم « واستفتحوا وخاب كلّ جبار عنيد من ورائه جهنّم ويسقى بماء صديد[1] » فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب ، و أقبل يرميه وهو يقول :

أتوعد كلّ جبّار عنيـــــد * فها أنا ذاك جبّار عنيد
إذا ماجئت ربّك يوم حشر * فقل يا ربّ خرّقنى الوليد

فيه ذكر المبرد أنّ الوليد ألحد فى شعر له :

تلعّب بالخلافة هاشمى * بلا وحى أتاه ولا كتاب
فقل للّه يمنعنى طعامى * وقل للّه يمنعنى شرابى

فلم يمهل بعد قوله إلاّ أيّاماً حتّى قتل .

فيه وغنّاه ابن عايشة بقول الشاعر :

إنّى رأيت صبيحة النحـــر * حورا نفين عزيمة الصبر

وطلب منه اعادته بحقّ آبائه من عبد شمس إليه . فأعاد فى كلّ . فقام إليه و

(١) ابراهيم : ١٥ .

أكبّ عليه ، ولم يبق عضواً من أعضائه إلاّ قبّله و أهوى إلى إيره فجعل ابن عايشة يضمّ نفسه . فقال الوليد : لا زلت فقبّل رأسه ، وقال : واطرباه و نزع ثيابه . فالقاها على ابن عايشة ، وبقى مجرداً إلى أن أتوه بثياب ، و حمله على بغلة ، و قال : اركبها على بساطى . فقد تركتنى على أحرّ من جمر الغضى .

ـ قال : وقد كان ابن عايشة غنىّ بهذا الشعر أباه يزيد بن عبد الملك ، فأطربه وقيل : انه ألحد ، وكان فى ماقال لساقيه : اسقنا بالسماء الرابعة ـ .

وعن تاريخ الخميس ، وفى الاغانى وجد الوليد بن يزيد ابنته خالية فبرك عليها وأزال بكارتها . فقيل له : هذا دين المجوس . فأنشد :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

ونكح امّهات أولاد أبيه . وفى رسالة ابن القارح أنفذ الوليد الى مكّة بنّاء مجوسيّا ليبنى له على الكعبة مشربة . فمات قبل تمام ذلك فكان الحُجاج يقولون : لبّيك اللهمّ لبّيك ياقاتل الوليد بن يزيد لبّيك .

(أيضا) وكان يشرب على سطح و بين يديه باطية كبيرة بلور فيها أقداح ، فقال لندمائه : أين القمر الليلة . فقال بعضهم فى الباطية : فقال : أتيت على ما فى نفسى ، والله لأشربن الهفتجة ـ يعنى أشرب سبعة أسابيع متتابعة ـ . فقتل قال : و رأيت رأسه فى الباطية الّتى أراد أن يهفتج بها .

وفى حيوة الحيوان للدميرى أذّن للصبح ، وكان الوليد يشرب مع جارية له . فوطأها ثمّ ألبسها لباسه . فأخرجها سكرانة جنبة . فصلّت بالناس ـ ورواه الاغانى

وفى الطبرى أراد هشام قطع ندماء الوليد عنه فولاّه الحج سنة (١١٩) ، فحمل معه كلاباً فى صناديق فسقط منها صندوق عن البعير ، وفيه كلب فأجالوا على الكرىّ السياط . فأوجعوه ضرباً ، وحمل معه قبه عملها على قدر الكعبة ليصنعها على الكعبة ، وحمل معه خمراً ، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ، ويجلس فيها فخوّفه أصحابه ، وقالوا : لا نامن الناس عليك وعلينا ، وتمادى فى الشراب ، و طلب

اللذّات فأفرط . فقال له هشام : فواللّه ما أدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ما تدع شيئاً من المنكر إلاّ أتيته غير متحاش ولا مستتر به ـ وكان مسلمة بن هشام يكنّى أبا شاكر ، وكان يشرب ـ فكتب إليه الوليد :

يا أيّها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
نشربها صرفاً و ممزوجة بالسخن أحياناً و بالفاتر

وفى الأغانى فى خروج يزيد على الوليد و احاطة جنده بقصره قال لهم الوليد ، من وراء الباب : أما فيكم رجل شريف اكلّمه . فقال له يزيد بن عنبسة السكسكى : كلّمنى . فقال له الوليد : ما تنقمون منّى ألم أزد فى أعطياتكم و أعطية فقرائكم ، واخدمت زمناكم ، ودفعت عنكم المؤن . فقال : ما ننقم عليك فى أنفسنا شيئاً ، ولكن ننقم عليك انتهاك ما حرّم اللّه ، وشرب الخمور ، واستخفافك بأمر اللّه ـ إلى أن قال ـ قال عمر الوادى كنت اغنى الوليد :

(كذبتك نفسك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً)

فما أتممت الصوت حتّى رأيت رأسه فارق بدنه ، ويتشحط فى دمه .

وفى كشف المحدّث النورى (فى كتاب القاضى ابن أبى يعلى قال ابن حنظلة غسيل الملائكه : واللّه ما خرجنا على يزيد بن معاوية حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء أنّ رجلاً ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات ـ ثمّ ذكر قذفه الكعبة بالمجانيق فى محاصرة ابن الزبير ، و احراقه البيت و احراق قرنى الكبش الّذى فدى اللّه به اسماعيل وكانا فى السقف ـ .

وعن المدائنى فى كتاب الحَرّة عن أبى هريرة قال هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة بعد الحَرّة من غير زوج . قال : ورأيت فى تاريخ عبد الملك العصامى أنّ رجلاً من أهل الشام وقع على إمرأة فى مسجد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجد خرقة ينظف بها ، ووجد ورقة من القرآن فنظّف بها .

وفى معارف القتيبى لمّا قال المسور بن مخرمة : إنّ يزيد يشرب الخمر ، و

بلغه ذلك كتب إلى أمير المدينة أن يجلده الحدّ ٠فجلده ٠ فقال المسور :

أيشربها صرفاً بفك ختامها أبوخالد ويجلد الحدّ مسور

وقال ابن عراده فى يزيد وقت موته :

طرقت منيته و عند وساده كوب وزقّ راعف مرثوم

ومرنّة تبكى على نشوانه بالصنج تقعد تارة وتقوم

وفى الطبرى قال : من كان مع قحطبة ما رأيت عسكراً قط ما جمع اهل الشام باصبهان من الخيل والسلاح والرقيق كنّا افتتحنا مدينة وأصبنا معهم مالا يحصى من البرابط والطنابير والمزامير ، ولقلّ بيت أوخباء ندخل فيه إلاّ أصبنا فيه زكرة أوزقاً من الخمر ٠فقال بعضهم :

قرضبهم قحطبة القرضب يدعون مروان كدعوى الرب

وفيه جاء رجل الى سمرة ـ وكان على البصرة من قبل معاوية ـ فادّى زكوة ماله ثمّ دخل المسجد ٠فجعل يصلّى فجاء رجل فضرب عنقه فاذا رأسه فى المسجد وبدنه ناحية ٠فمرّ أبوبكرة ٠فقال : سبحان اللّه يقول تعالى «قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربّه فصلّى» فما مات سمرة حتّى أخذه زمهريرة فمات شرّ ميتة ٠ وأتى سمرة بناس كثير و أناس بين يديه ٠فيقول للرجل : ما دينك؟ فيقول «أشهد ألاّ إله إلاّ اللّه وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأبرأ من الحرورية» فيقدّم فيضرب عنقه حتّى مرّ بضعة وعشرون ٠

فيه استخلف زياد سمرة على البصرة ، و اتى الكوفة فجاء زياد وقد قتل ثمانية آلاف ٠ فقال له : هل تخاف أن تكون قتلت بريئاً قال : لوقتلت إليهم مثلهم ما خشيت ، وقال أبوسوار العدوى : قتل سمرة من قومى فى غداة سبعة و أربعين رجلاً قد جمع القرآن ٠

فى الاغانى لمّا ولى الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب ، وحمل المغنّين اليه وارسل الى اشعب فجاؤا به فالبسه سراويل من جلد قرد له ذنب فلما رآه الوليد

كشف عن إيره ، وكان كأنّه مزمار مدهون · فقال : أرأيت مثله قال : لا قال : فاسجد له · فسجد ثلاثاً · فقال : ما هذا ؟ فقال واحدة له وثنتين لخصيك ، فضحك وأمر له بجائزة ، ولمّا ولى بعث إلى جماعة من أهله · فقال : أتدرون لم دعوتكم قالوا لا قال :

أشهد اللّه والملائكة الأبرار والعابدين الصلاح
أنّنى اشتهى السماع وشرب الكأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفاره يسعى علىّ بالاقداح

قوموا إذا شئتم ـ وفيه لمّا أقبل الوليد على القصف والعسف مع المغنين مثل مالك ومعبد وابن عايشة كان نديمه القاسم بن البطويل العبادى ـ وكان أديباً شاعراً · فكان لا يصبر عنه ـ فغنّاه معبد ذات يوم شعر عدى فطرب ، وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر · فنام فى موضعه فانصرف ابن الطويل · فلمّا أفاق الوليد سأل عنه · فلمّا عرف انصرافه غضب و قال ـ وهو سكران ـ لغلام كان واقفاً على رأسه : ايتنى برأسه · فمضى ، وأتاه به فجعله فى طست بين يديه · فلمّا رآه ، أنكره ، وسأل عن الخبر · فعرّف فندم على ما فرط منه ، ولم يعش بعده إلاّ مديدة حتّى قتل ·

وفى الطبرى ـ فى خروج بهلول الملقب كثاره فى زمن هشام ـ خرج ، بهلول يريد الحج · فأمر غلامه أن يبتاع له خلاً بدرهم فجائه بخمر فأمر الغلام بردها ، وأخذ الدرهم فلم يجب ، فجاء إلى عامل القرية · فقال له العامل « الخمر خير منك ومن قومك » فعزم على الخروج · فلقى بمكّة من كان على مثل رايه فاجتمعوا فى قرية من الموصل ، وهم أربعون وامّروه فانتهوا إلى القرية الّتى ابتاع غلامه الخل فأعطوه الخمر · فقال : نبدء بهذا العامل الّذى قال ما قال · فقالوا : ننشدك اللّه أن لا تقتل هذا فيفلت منا خالد القسرى الذى يهدم المساجد ، ويبنى البيع و الكنائس ، و يولّى المجوس على المسلمين ، وينكح أهل الذمة المسلمات لعلنا

نقتله فيريح الله منه.

وفيه ذكر الوليد عند المنصور فقال له ،أبوبكر الهذلى عن ابن عم الفرزدق عنه قال :حضرت الوليد وعنده ندمائه ،وقد اصطبح فقال لابن عايشة : تغنّ بشعر ابن الزبعرى :

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
وقتلنا الضعف من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فقال له ابن عايشة :لا اغنّى هذا .فقال له : غنّه و إلاّ جدعت لهواتك. فغنّاه .فقال له :«أحسنت والله إنّى لعلى دين ابن الزبعرى يوم قال هذا الشعر» فلعنه المنصور وجلسائه.

وفى رسالة ابن القارح الوليد هو القائل :

إذا مت يا أمّ الحنيكل فانكحى ولا تأملى بعد الفراق تلاقيا
فانّ الّذى حدّثته من لفائنا أحاديث طسم تترك العقل واهيا

وفى الأغانى غنّى أبوكامل الوليد بن يزيد له.

آدر الكأس يميناً لاتدرها ليسار
فلقد أيقنت أنّى غير مبعوث لنار
سأروض الناس حتّى يركبوا ايرالحمار
و ذروا من يطلب الجنة يسعى لتبار

وفيه تكلّم بعض جلساء الوليد .والمغنيّة تغنّيه .فكره ذلك ،وأضجره فقال لبعض جلسائه :قم فنكه .فقام :فناكه والناس حضور وهو يضحك.

وفيه عن الوليد البندار قال :حججت مع الوليد بن يزيد .فلمّا أراد أن يخطب الناس قلت :إنّ اليوم يوم يشهده الناس من جميع الآفاق ،واريد أن تشرفنى بشئ قال :وما هو قلت :إذا علوت المنبر دعوت بى فيتحدث الناس بذلك وبأنّك أسررت إلىّ شيئاً .فقال :افعل .فلمّا جلس على المنبر قال :يا بندار .

فقمت إليه فأخذ باذنى ثمّ قال: البندار ولد زنا، والوليد ولد زنا، وكلّ من ترى حولنا ولد زنا) أفهمت انزل الآن.

«ولا عقداً الاّ حلّوه» فى خلفاء القتيبى (بعث عمرو بن سعيد جيشا من المدينة يقاتلون ابن الزبير بمكّة. فضرب على أهل الديوان البعث إلى مكّة، وهم كارهون للخروج. فقال لهم: أما أن تأتوا ببدل، وأما أن تخرجوا. فجائه رجل ببدل، وقال لبدله: هل لك أن أزيدك خمسمأة اخرى، وتنكح أُمّك فقال أما تستحيى. فقال له: انّما حرّمت عليك امك فى مكان واحد من القرآن، و حرّمت عليك الكعبة فى كذا وكذا مكان من القرآن، وقال لعمرو: قد جئتك برجل لوامرته، أن ينكح أُمّه لنكحها «وحتّى لا يبقى بيت مدر»: أى بلد.

«ولا وبر»: أى أهل الخيام.

«إلاّ دخله ظلمهم ونبأبه» فى الصحاح «نبأ بفلان منزله: إذا لم يوافقه».

«سوء رعيهم» فى أنساب البلادرى كان يقال: لا يادالطبق لاطباقهم بالشر والعرام على الناس ـ الخ ـ قال الفرزدق مخاطباً للوليد بن عبدالملك كما فى ديوانه:

فكيف بعامل يسعى علينا ... يكلفنا الدراهم فى البدور
وأنّى بالدراهم وهى منّا ... كرافع راحتيه إلى العبور
إذا سقنا الفرائض لم يردها ... وصدّ عن الشويهة والبعير

«وحتّى يقوم الباكيان يبكيان» هكذا فى المصرية، و(يبكيان) زائدة لعدم وجوده فى (حد) و(ثم) وللغويته.

«باك يبكى لدينه» فى الطبرى ذكر ضمرة بن ربيعة عن أبى شوذب أنّ عمّال الحجّاج كتبوا إليه أنّ الخراج قد انكسر، وأنّ أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالامصار. فكتب إلى البصرة، وغيرها أنّ من كان له أصل فى قرية فليخرج إليها فخرج الناس فعسكروا. فجعلوا يبكون وينادون: يا محمّداه يا محمّداه،

وجعلوا لا يدرون أين يذهبون . فجعل قرّاء البصرة يخرجون إليهم متقنعين فيبكون لما يسمعون منهم ويرون .

«وباك يبكى لدنياه» فى الطبرى ـ فى هزيمة ابن الأشعث بمسكن ـ و جعل الحجّاج يقتل من وجد منهم حتّى قتل أربعة آلاف فيقال : إنّ فى من قتل عبد اللّه بن شداد بن الهاد ، وبسطام بن مصقلة بن هبيرة ، وعمرو بن ضبيعة الرقاشى وبشر بن المنذر بن الجارود العبدى ، والحكم بن مخرمة العبدى وبكير ابن ربيعة الضبى . فأتى الحجّاج برؤوسهم على ترس ـ إلى أن قال ـ

قال الحجاج : ياغلام ضع هذا الترس بين يدى مسمع بن مالك . فوضع بين يديه . فبكى . فقال له الحجّاج : ما أبكاك أحزناً عليهم قال : بل جزعاً عليهم من النار .

وفى خلفاء القتيبى مكث النوّح سنة على أهل الحرّة لا يهدؤن و أمسكوا عن لبس المصوغ ، وفى ديوان الفرزدق مخاطباً للوليد :

فلو سمع الخليفة صوت داع ينادى اللّه هل لى من مجير
وأصوات النساء مقرنات و صبيان لهن على الحجور

«وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه ، و إذا غاب اغتابه» فى العقد أراد الحجّاج الحجّ . فقال : يا أهل العراق استعملت عليكم ابنى ، وقد أوصيته خلاف وصية النبىّ بالأنصار ألاّ يقبل من محسنكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم ، وقد علمت أنّى إذا وليت عنكم تقولون : لا أحسن اللّه له الصحابة ، وأنا أعجّل لكم الجواب لا أحسن اللّه عليكم الخلافة .

وفى الطبرى أتى مسلم بن عقبة بيزيد بن وهب بن زمعة . فقال : بايع قال : على سنّة عمر . قال : اقتلوه . قال : أنا أبايع قال : لا واللّه . فتكلّم مروان لصهركان بينهما . فأمر بمروان فوجئت عنقه ثمّ قال : بايعوا على أنّكم خول ليزيد ثم أمر به فقتل .

«وحتى يكون اعظمكم فيها عناء» أى تعبا .

«أحسنكم بالله ظنّا» الظاهر أنّ المراد بهم شيعته عليه السلام ، وروى المدائنى أنّ معاوية كتب نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة : أن برئت الذمة ، ممّن روى شيئاً من فضل أبى تراب وأهل بيته .

«فان أتاكم الله بعافية فاقبلوه» فى الطبرى أنّ أهل العراق لمّا بايعوا ابن الأشعث ، وخلعوا عبد الملك لاستعمال الحجّاج عليهم بعث إليهم عبد الملك أن ينزع عليهم الحجّاج ، وأن يجرى عليهم اعطياتهم كأهل الشام فاجتمع الرؤساء عند ابن الأشعث . فقال لهم : اعطيتم اليوم أمراً انتهازكم له فرصة ، ولا آمن أن يكون غداً عليكم حسرة ، وأنّكم اليوم على النصف . فإن كانوا اعتدّوا بيوم الزاوية . فأنتم تعتدّون عليهم بيوم تستر فاقبلوا ماعرضوا عليكم . و أنتم أعزّاء أقوياء ، والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون . فلا والله لا زلتم عليهم جرّاء ، ولا زلتم عند هم أعزاء ما بقيتم إن كنتم قبلتم ماعرضوا عليكم . فوثبوا من كلّ جانب ، وقالوا : لا والله لا نقبل وأعادوا خلعه ثانية .

«و إن ابتليتم فاصبروا . فإنّ العاقبة للمتقين» «قال موسى لقومه «استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين»[1] «و اصبر فإنّ العاقبة للمتقين»[2] «تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين»[3].

٢٢/فى ١١٩/١ (مِنْهُ) وَكَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ . لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْمًا . قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ . فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ

(١) الاعراف : ١٢٨ .
(٢) هود : ٤٩ .
(٣) القصص : ٨٣ .

أقول : رواه المفيد فى ارشاده وابن قتيبة فى خلفائه جزء خطبة طويلة ففى الأوّل ـ من كلامه عليه السلام فى استطبائهم ـ ما اظن هؤلاء القوم ـ يعنى أهل الشام ـ إلاّ ظاهرين عليكم» فقالوا له عليه السلام : بماذا ؟ فقال «أرى امورهم قد علت ، ونيرانكم قد خبت ، وأراهم جادّين ، وأراكم وانين ، وأراهم مجتمعين ، وأراكم متفرّقين ، وأراهم لصاحبهم مطيعين ، وأراكم عاصين .

أم والله لئن ظهروا عليكم لتجدنهم أرباب سوء من بعدى لكم . كأنّى أنظر إليهم ، وقد شاركوكم فى بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم فيئكم وكأنّى أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب ، لا تأخذون حقّاً ولا تمنعون لله حرمة وكأنّى أنظر اليهم يقتلون صالحيكم ، ويخيفون قرّاءكم ، ويحرمونكم ويحجبونكم ، ويدنون الناس دونكم فلو رأيتم الحرمان والأثرة ، ووقع السيوف ونزول الخوف لقد ندمتم ، وحسرتم على تفريطكم فى جهادكم ، وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض والعافية . حين لا ينفعكم التذكار» .

ومثله فى الثانى ـ وزاد ـ فقال : الناس قد علمنا أنّ قولك كلّه وجميع لفظك يكون حقّاً أترى معاوية يكون علينا أميراً ، فقال : لا تكرهوا إمرة معاوية فإنّ إمرته سلم وعافية . فلو مات رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنّها الحنظل ، وعداً كان مفعولا» .

قول المصنّف : «منها» هكذا فى المصرية بمعنى أنّه جزء عنوان قبله «ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه فى ساعة الحرب» وهو غلط فقد عرفت أنّ هذا جزء خطبة خطبهم عليه السلام فى تقريعهم من وهيهم فى اُمورهم مع أنّه لو كان أراد جعله جزء قبله لقال «منه» لأنه قال قبله (ومن كلام) لا (ومن خطبة) والصواب كونه عنواناً مستقلاً ، وأنّ الأصل «ومن كلام له عليه السلام» كما فى (حد) و (ثم) .

قوله عليه السلام : «وكأنّى أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب» فى النهاية كشيش الأفعى : صوت جلدها إذا تحرّكت ، وليس صوت فمها فإنّ ذلك فحيحها ، ومنه

حديث على ﷺ «كأنّى أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب».

وفى الجمهرة كشّ البكر يكش كشّا وكشيشاً وهو دون الهدر، والكشّ لاقبال الإبل. قال رؤبة «هدرت هدراً ليس بالكشيش»، وكشّت الأفعى كشّا وكشيشاً إذا حكّت بعض جلدها ببعض قال الراجز:

كأنّ بين خِلفها والخِلف كشّة أفعى فى يبيس قفّ

ومن زعم أنّ الكشيش صوتها من فيها. فهو خطأ: فإنّ ذلك الفحيح من كلّ حيّة، والكشيش للأفعى خاصة ـ إلخ ـ وقوله «والكشيش للأفعى خاصة» أى ليس لكلّ حيّة لا أنّه ليس لغير الأفعى كشيش مع أنّ الضباب شبيهة به.

والضباب جمع الضب، وهو معروف، وعن بعضهم الضب على حدّ فرخ التمساح الصغير، وذنبه كذنبه، وهو يتلوّن ألواناً بحرّ الشمس كالحرباء قيل لذكر الضب: ذكران، ولأُنثاه: فرجان، وأنه لا يخرج من جحره فى الشتاء قال أُميّة بن أبى الصلت «إذا ما الضب أجحره الشتاء» ويوصف بالعقوق قال الشاعر:

أكلت بنيك أكل الضب حتّى تركت بنيك ليس لهم عديد

وأنّه يرجع فى قيئه كالكلب، ويأكل رجيعه، وهو طويل الدم بعد الذبح ويقال: إنّه يمكث بعد الذبح ليلة، ويلقى فى النار، فيتحرك ويخرج من جحره كليل البصر. فيجلو بالتحدق للشمس، ويغتذى بالنسيم، وبرد الهواء عند الهرم ويؤوى العقرب فى جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده لاخذه قال:

وأخدع من ضبّ إذا جاء حارش أعدّ له عند الذبابة عقربا

وعن كتاب ليس لابن خالويه الضب لا يشرب الماء ويعيش سبعمأة سنة فصاعداً ويقال: إنّه يبول فى كلّ أربعين يوماً قطرة، ولا تسقط له سنّ، ويقال: إنّ أسنانه قطعة واحدة ولا يتخذ جحره إلاّ فى كدية حجر، ولذا تكون براثنه كليله من حفره فى الصلبه. وفى الحديث أنّ النبى ﷺ قال لأُمّته: والّذى نفسى بيده لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتّى لو ـ

دخلوا جحر ضب لدخلتموه .

والمراد من قوله عليه السلام «تكشّون كشيش الضباب» أنّكم لا تقدرون على التكلّم بما يفهم فى قبال بنى أُميّة بل يكون تكلّمكم فى شفاهكم بما لا يفهم ككشيش الضبّ ولمّا خطب زياد بالبصرة خطبته البتراء ، وقال فيها «و إنّى أُقسم بالله لآخذنّ الولى بالولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكم بالسقيم حتّى يلقى الرجل منكم الرجل فيقول : أنج سعد . فقد هلك سعيد» قام أبو بلال يهمس وهو يقول : أنبأ الله بغير ما قلت قال تعالى «و إبراهيم الّذى وفى ألا تزر وازرة ، وزر أُخرى وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى»[1] فأوعدنا الله يا زياد خيراً ممّا أوعدت

«لا تأخذون حقّا ، ولا تمنعون ضيماً» : أى ذلّة ، ولقد خرج وامع ابن الاشعث على الحجّاج لأخذ حقّهم والمنع عن ظلمه . فعجزوا ، ولمّا ادخل الشعبى عليه ـ وكان فى من خرج وأسر ـ قال للحجّاج : إنّ الناس قد أمرونى أن اعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنّه الحقّ ، وأيم الله لا أقول فى هذا المقام إلاّ حقّا قد والله جهدنا عليك كلّ الجهد . فما ألونا فما كنّا بالأقوياء الفجرة ، ولا الأتقياء البررة

«قد خلّيتم والطريق» الأصل فيه قوله تعالى «إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً»[2] .

«فالنجاة للمقتحم» يقال «اُقحم أهل البادية» إذا أجدبوا . فدخلوا بلاد الريف .

«والهلكة للمتلوّم» قال الجوهرى «التلوم الانتظار والتمكّث» قال تعالى «و إنّ هذا صراطى مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله»[3] . قوله عليه السلام فى رواية الارشاد ، والخلفاء كأنّى أنظر اليهم وقد شاركوكم فى بلادكم

(١) النجم : ٢٧ ،
(٢) الانسان : ٣ .
(٣) الانعام : ١٥٣ .

وحملوا الى بلادهم فيئكم».

فى الطبرى لمّا همّ أهل العراق بالغدر بمصعب قال لهم قيس بن الهيثم: ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم فواللّه لئن تطعّموا بعيشكم ليضيقنّ عليكم منازلكم، واللّه لقد رأيت سيّد أهل الشام على باب أميرهم يفرح أن أرسله فى حاجة، ولقد رأيتنا فى الصوائف واحدنا على ألف بعير، وأنّ الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه.

وفى الكامل أنزل الحجّاج بعد هزيمة أهل العراق بدير الجماجم أهل الشام بيوت أهل الكوفة مع أهلها، وهو أوّل من أنزل الجند فى بيوت غيرهم.

قوله عليه السلام أيضاً «وكأنى أنظر إليهم يقتلون صالحيكم» فقتل معاوية من صالحيهم حجر بن عدى، وقتل الحجاج منهم سعيد بن جبير.

ففى الطبرى قالت عايشة لمعاوية: أما خشيت اللّه فى قتل حجر وأصحابه قال: لست أنا قتلتهم إنّما قتلهم من شهد عليهم. قالت عايشة: أما واللّه إن كان ما علمت مسلماً حجاجاً معتمراً.

وفيه لمّا كتب زياد شهادة شريح بن هانى باباحة دم حجر كتب شريح إلى معاوية أنّ زياداً كتب إليك بشهادتى على حجر بن عدى، وأنّ شهادتى على حجر أنه ممّن يقيم الصلوة، ويؤتى الزكوة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وهو حرام الدم والمال. فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه.

وفيه قال الحسن البصرى: أربع كنّ فى معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة له ـ وعدّ منها قتله حجراً ـ وقال: ويلاً له من حجر وأصحاب حجر ـ مرّتين ـ

وفيه قال حجر لمن حضره من أهله لمّا قتله معاوية بمرج عذراء: لا تطلقوا عنّى حديداً ولا تغسلوا عنّى دماً فإنّى ألاقى معاوية غداً على الجادة، وكان ابن

سيرين إذا سئل عن الشهيد هل يغسّل حدّثهم حديث حجر ، ويقول بلغنا أنّ معاوية لمّا حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول : يومى منك ياحجر طويل .

وفيه لمّا أُتى الحجّاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب ، وقد وضع احدى رجليه فى الغرز أو الركاب . فقال : واللّه لا أركب حتّى تبوّء مقعدك من النار اضربوا عنقه . فالتبس الحجّاج عقله مكانه فجعل يقول « قيودنا قيودنا » فظنوا أنّه قال القيود الّتى على سعيد بن جبير . فقطعوا رجليه من انصاف ساقيه ، و أخذوا القيود ، وقالوا لم يلبث الحجاج بعد سعيد إلاّ نحواً من أربعين . فكان اذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه . فيقول ياعدوّ اللّه فيم قتلتنى فيقول الحجاج « مالى ولسعيد » وقالوا : لمّا قتل سعيدا فندر رأسه هلّل ثلاثاً .

قوله عليه السلام أيضاً « ويخيفون قراءكم » لمّا قتل جبلة بن زجر من رؤساء القراء فى جيش ابن الأشعث نادى أهل الشام ياأعداء اللّه قد هلكتم وقتل طاغوتكم ولمّا جيئ برأسه إلى الحجّاج حمله على رمحين ، وقال : ياأهل الشام ابشروا فهذا أوّل الفتح .

وفيه عن كثير بن عبد اللّه الشعبى قال : لمّا زحفنا قبل الحسين عليه السلام خرج الينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك فى السلاح . فقال : ياأهل الكوفة نذار لكم من عذاب اللّه نذار حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتّى الآن أخوه وعلى دين واحد ، وملّة واحدة مالم يقع بيننا وبينكم السيف ، و أنتم للنصيحة منّا أهل . فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنّا أُمّة وأنتم أُمّة إنّ اللّه قد ابتلانا و إيّاكم بذرّية نبيّه صلى الله عليه وآله لينظر مانحن ، وأنتم عاملون ، أنا ندعوكم إلى نصرهم ، وخذلان الطاغية عبيد اللّه بن زياد . فانكم لا تدركون منهما عمر سلطانهما إلاّ سوء ليسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلان أماثلكم ، وقراءكم أمثال حجر بن عدى وأصحابه ، و هانى بن عروة وأشباهه ، فسبّوا زهيراً وأثنوا على عبيد اللّه ، وقالوا : لا نبرح حتّى نقتل

صاحبك، ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إليه سلماً ـ الخ ـ ٢٣ في ١٥٣/ ١

(مِنْهَا) فَعِنْدَ ذٰلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظُّلَمَةُ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً. فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ. أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ. وَسَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ. وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ وَدِثَارِ السَّيْفِ. وَإِنَّمَاهُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الْآثَامِ (٥) فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ

«فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلاّ وأدخله الظلمة ترحة»: أي حزنا.

«وأولجوا»: أي ادخلوا

«فيه نقمة»: أي مكروهاً، والكلام نظير ما مر في (٢١) «وحتّى لا يبقى مدر، ولا وبر إلاّ دخله ظلمهم ونبأ به سوء رعيهم» وبيت مدر ووبر كناية عن الجميع لأنّ الناس رجلان ذو بيت مدر، وذو بيت وبر بل لم يبق بيتاً شريفاً، ولا مكاناً منيفاً إلاّ وادخلوا بسببه على الناس ترحة ونقمة. فهدموا الكعبة مرّتين واستخفّوا بمسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعلوه مربط خيولهم.

«فيومئذٍ لا يبقى لكم» هكذا في المصرية، والصواب «لهم» كما في (حد) و (ثم) ولأنّ الخطاب للناس لا لبني أُميّة.

«في السماء عاذر» لتجاوزهم في العتو والطغيان.

«ولا فى الارض ناصر» لوصول أذاهم الى البرّ والفاجر

وورد مثله فى معاوية خاصة كما ورد فى بنى أُميّة عامة. ففى مقاتل أبى الفرج بأسانيد عن سفيان بن الليل قلت للحسن عليه السلام: أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الاكباد ومعك مأة ألف كلّهم يموت دونك وقد جمع الله لك أمر الناس؟ فقال: يا سفيان إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به، وإنّى سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت النبىّ يقول: لا تذهب الليالى والأيّام حتّى يجتمع أمر هذه الأُمّة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم. يأكل ولا يشبع، ولا ينظر الله إليه، ولا يموت حتّى لا يكون له فى السماء عاذر، ولا فى الأرض ناصر، وأنّه لمعاوية ـ إلى أن قال ـ.

قال عليه السلام: ابشر يا سفيان إنّى سمعت علياً عليه السلام يقول: يرد علىّ الحوض أهل بيتى، ومن أحبّهم من أُمّتى كهاتين ـ يعنى السبابتين ـ أو كهاتين ـ يعنى السبابة والوسطى ـ احداهما تفضل على الأُخرى ابشر يا سفيان. فإنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد.

«اصفيتم بالامر غير أهله، وأوردتموه غير مورده» هكذا فى المصرية والصواب (غير وردة) كما فى (حد) و(ثم) والخطية، واصفاءهم بالأمر غير أهله لأنّ أهل الأمر إنّما كانوا أهل بيت النبىّ صلى الله عليه وآله الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وايرادهم الأمر غير وردة لكونه عليه السلام مع المعصومين من عترته أهل الذكر الّذين قال تعالى «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»[1] وأُولى الأمر الّذين قال تعالى «ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولى الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم» والمراد إنّ الله تعالى سلّط عليهم بنى أُميّة بفعلهم يوم السقيفة حيث تركوه عليه السلام واعترف بذلك ابن عمر لمّا رأى مروان على منبر النبىّ صلى الله عليه وآله مع انكاره على سلمان يوم السقيفة إنكاره عليهم.

(١) الانبياء: ٧.

وروى محمّد بن يعقوب فى روضته أنّ أميرالمومنين عليه السلام خطب بالمدينة فقال: أيّتها الأُمّة الّتى خدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها. فاصرّت على ماعرفت، واتّبعت أهواءها، وضربت فى عشواء غوايتها، وقد استبان لها الحق فصدّت عنه، والطريق الواضح. فتنكّبته.

أما والّذى فلق الحبة، وبرء النسمة لواقتبستم العلم من معدنه، و شربتم الماء بعذوبته، وادّخرتم الخيرمن موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتم من الحقّ نهجه. لتنهّجت لكم السبل، وبدت لكم الاعلام، وأضاء لكم الإسلام فأكلتم رغداً، وماعال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكن سلكتم سبيل الظلام. فأظلمت عليكم دنياكم برحبها، وسدّت عليكم أبواب العلم. فقلتم بأهوائكم واختلفتم فى دينكم. فأفتيتم فى دين اللّه بغير علم، واتبعتم الغواة فاغوتكم، و تركتم الأئمة فتركوكم ـ إلى أن قال ـ

رويداً عما قليل تحصدون جميع ما زرعتم، وتجدون وخيم ما اجترمتم و ما اجتلبتم، والّذى فلق الحبة، وبرء النسمة لقدعلمتم أنّى صاحبكم والّذى به أمرتم. و إنّى عالمكم والّذى بعلمه نجاتكم، ووصى نبيّكم، وخيرة ربكم، ولسان نوركم، و العالم بما يصلحكم. فعن قليل رويداً ينزل بكم ماوعدتم وما نزل بالأُمم من قبلكم ـ إلخ ـ.

«وسينتقم اللّه ممّن ظلم مأكلاً بمأكلٍ، ومشرباً بمشربٍ من مطاعم» متعلق بقوله «مأكلا».

«العلقم» يقال للحنظل، وكلّ شئ مرّ علقم.

«ومشارب» متعلق بقوله «ومشرباً».

«الصبر» بالفتح فالكسر دواء مرّ، ولا يسكن إلاّ فى ضرورة الشعر قال الراجز: أمرّ من صبر ومقر وحضظ.

«والمقر» هو أيضا بالفتح فالكسر وبمعناه، وقال المنصور لأبى مسلم لمّا قتله

اشرب بكأس كنت تسقى بها أمرّ من الحلق من العلقم

«ولباس» عطف على (مأكلا) «شعار الخوف» والشعار ما ولى الجسد من اللباس.

«ودثار السيف» والدثار كلّ ما كان من الثياب فوق الشعار.

وفى المروج لمّا أتى السفاح برأس مروان بن محمّد ـ آخر الأُموية قال: الحمد للّه الّذى لم يبق ثارى قبلك وقبل رهطك. ثمّ قال: ما أُبالى متى طرقنى الموت قد قتلت بالحسين عليه السلام وبنى أبيه مأتين من بنى أُميّة، وأحرقت شلوهشام بابن عمى زيد بن على، وقتلت مروان بأخى ثم تمثل:

لو يشربون دمى لم يروا شاربهم ولا دماؤهم للغيظ ترويني

«وإنّما هم مطايا» جمع المطية، وفى الصحاح قال الأصمعى: المطية الّتى تمطّ فى سيرها مأخوذ من المطو: أى المدّ ـ إلخ ـ قلت: الصواب إنّ المطية مأخوذ من المطا بمعنى الظهر: أى ماله يركب أو يحمل عليه. قال ابن دريد: «المطا الظهر وأصله الواو يثنى مطوين، ومنه اشتقاق المطية» والمد معنى المطط لا المطا.

قال ابن دريد «مطّ الشئ»: إذا مدّه، ومنه قولهم «مط الرجل حاجبيه، وخده: إذا تكبر، وكذلك مطّ أصابعه: إذا مدّها، وخاطب بها وأحسب أنّ التمطى من هذا، وكأنّ أصله التمطط. فقالوا: التمطى كما قالوا تقضى البازى وما أشبهه ـ إلخ ـ وبالجملة التمطى بمعنى المدّ كما فى قوله تعالى «ثمّ ذهب إلى أهله يتمطى»[1] وكما فى قول الشاعر فى وصف ليل استطاله:

كلّما قلت قد تقضّى تمطّى حالك اللون دامسا يحموما

لا المطية والتمطى قد عرفت كون الأصل فيه التمطط ظاهراً.

«الخطيئات» هكذا فى النسخ، ولعل الأصل فيه «الخطايا» فإنه الأنسب

(١) القيامة: ٣٣.

بالعطايا .

«وزوامل» جمع الزاملة بعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه ، وطعامه عليه تقول ركب الراحلة وحمل على الزاملة .

«الآثام» بالمد جمع الإثم : أى الذنب ، وأمّا الاثام بدون المدّ فجزاء الاثم وكون بنى أُميّة مطايا الخطايا ، وزوامل الآثام أمر معلوم .

وفى المروج بعث المنصور إلى عبد الله بن مروان بن محمّد ـ وكان فى من هرب إلى أرض النوبة فأخذ وحبس ـ فأحضر من الحبس ، وقال له : قصّ علىّ قصّتك و قصّة ملك النوبة . قال : قدمت إلى النوبة فأقمت بها ثلاثاً . فأتانى ملكها . فقعد على الارض ـ وقد أعددت له فراشاً ـ فقلت له : ما منعك من القعود على فراشنا ؟ فقال : لأنّى ملك وحقّ لكلّ ملك أن يتواضع لعظمة الله ـ عزّ وجلّ ـ اذ رفعه الله ثمّ قال : لم تشربون الخمر ، وهى محرّمة عليكم فى كتابكم ؟ فقلت : اجترئ على ذلك عبيدنا ، وأتباعنا . قال : فلم تطؤن الزرع بدوابكم والفساد محرّم عليكم فى كتابكم ؟ فقلت : فعل ذلك عبيدنا ، وأتباعنا لجهلهم . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو محرّم عليكم فى كتابكم ، ودينكم ؟ فقلت : ذهب منّا الملك فانتصر بقوم من العجم دخلوا فى ديننا . فلبسوا ذلك على الكره منّا . فأطرق إلى الأرض يقلب يده مرّة وينكت فى الارض اخرى ويقول : عبيدنا واتباعنا واعاجم دخلوا علينا فى دينا ثم رفع راسه . فقال : ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرّم الله ، وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فى ما ملكتم . فسلبكم الله العزّ وألبسكم الذلّ بذنوبكم ، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم ، وأنا خائف أن يحلّ بكم العذاب ، وأنتم ببلدى فينالنى معكم فتزوّد ما احتجت إليه ، وأرحل عن أرضى ـ إلخ ـ .

وفى عيون القتيبى قال زيد بن أسلم رأيت طارقاً وهو وال لبعض خلفاء بنى أُميّة على المدينة يدعو بالغداء . فيتغدى على منبر النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ويكون فيه العظم الممخّ فينكته على رمانة المنبر فيأكله .

«فأقسم ثمّ أقسم لتنخمنّها أميّة من بعدى كما تلفظ النخامة» فى الجمهرة «النخاعة، والنخامة واحد وهو مايطرح الانسان من فيه» ولفظه: أى رماه من فيه.

فى عيون ابن قتيبة قال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومى: كنت مع مروان بن محمّد بالزاب. فقال: من هذا الّذى يقاتلنى؟ قلت: عبد اللّه بن علىّ بن عبد اللّه بن العباس ـ إلى أن قال ـ

فقال: ياليت علىّ بن أبى طالب فى الخيل تقاتلنى أنّ علياً وأولاده لاحظّ لهم فى هذا الامر، وهذا رجل من بنى العباس ومعه ريح خراسان ونصر الشام

«ثمّ لا تذوقها، ولا تطعم» هكذا فى المصرية، والصواب (ولا تتطعّم) كما فى (حد) و(ثم)

«بطعمها أبداً ماكرّ الجديدان»: أى ما اختلف الليل والنهار يقال: لا أفعله ما اختلف الجديدان، وما اختلف الاجدّان.

وفى السير بعث صالح بن على العباسى عامر بن إسماعيل لطلب مروان بن محمّد إلى بوصير مصر. فهرب بين يديه فى نفر يسير. فانتهوا فى غبش الصبح إلى قنطرة هناك على نهر عميق ليس للخيل عبور الاّ على القنطرة، وعامر من وراءهم. فصادف مروان على القنطرة بغالا عليها زقاق عسل فحبسته عن العبور حتّى أدركه عامر فقتله. فقال صالح بن علىّ «انّ للّه جنوداً من عسل» وقالوا أيضا: وقف مروان يوم الزاب وأمر بالاموال فاخرجت، وقال للناس: اصبروا و قاتلوا، وهذه الأموال لكم فجعل ناس يصيبون من ذاك المال، ويشتغلون به عن الحرب. فقال مروان لابنه سر فى أصحابك، وامنع من يتعرّض لأخذ هذا المال. فتنادى الناس: الهزيمة الهزيمة. فانهزموا، وركب أصحاب عبد اللّه بن علىّ أكتافهم.

٢٤/فى ١٦١/١

(مِنْهَا) اُفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ . عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ . ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَشَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ . يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ . وَايْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ

أقول : رواه روضة الكلينى ، وإرشاد المفيد جزء خطبة «إنّ اللّه تعالى لم يقصم جبارى دهر» وفى الأوّل «ووا أسفا من فعلات شيعتى من بعد قرب موتها اليوم كيف يستذلّ بعدى بعضها بعضاً ، وكيف يقتل بعضها بعضاً ، المتشتتة غداً عن الأصل ، النازلة بالفرع ، المؤملة الفتح من غير جهته ، كلّ حزب منهم آخذ بغصن أينما مال الغصن مال معه مع أنّ اللّه ـ وله الحمد ـ سيجمع هؤلاء لشرّ يوم لبنى أُميّة كما يجمع قزع الخريف يؤلف بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب . ثمّ يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستشارهم بسيل الجنتين سيل العرم حيث بعث عليه فارة . فلم يثبت عليه أكمة ، ولم يردّ سننه رصّ طود يذعذعهم اللّه فى بطون أودية . ثمّ يسلكهم ينابيع فى الأرض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم ، ويمكّن لقوم فى ديار قوم تشريداً لبنى أُميّة ، ولكيلا يغتصبوا ماغصبوا . يضعضع اللّه بهم ركناً ، وينقض بهم طىّ الجنادل من إرم ، ويملأ منهم بطنان الزيتون . فو الّذى

فلق الحبة وبرء النسمة ليكونن ذلك ، وكأنى أسمع صهيل خيلهم وطمطمة رجالهم وأيم الله ليذوبن ما فى أيديهم بعد العلو ، والتمكين فى البلاد كما يذوب الالية على النار · من مات منهم مات ضالاً ، وإلى الله ـ عزّ وجلّ ـ يقضى منهم من درج ، ويتوب الله ـ عزّ وجلّ ـ على من تاب ، ولعلّ الله يجمع شيعتى بعد التشتت لشرّ يوم لهؤلاء ، وليس لأحد على الله ـ عزّ وجلّ ـ الخيرة بل لله الخيرة والأمر جميعاً ·

وفى الثانى ويا أسفا أسفاً يكلم القلب ، ويد من الكرب من فعلات شيعتنا بعد مهلكى على قرب مودّتها كيف يقتل بعضها بعضاً ، وتحور ألفتها بغضاً ، فلله الأسرة المتزحزحة غداً عن الأصل المخيّمة بالفرع · المؤملة الفتح من غير جهته ، المتوكفة الروح من غير مطلعه كلّ حزب منهم معتصم بغصن آخذ به أينما مال الغصن مال معه مع أنّ الله ـ وله الحمد ـ سيجمعهم كقزع الخريف ، ويؤلّف بينهم ، و يجعلهم ركاماً كركام السحاب · يفتح الله لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم إليها كسيل العرم حيث لم تسلم عليه قارة ، ولم تمنع منه أكمة ، ولم يردّ ركن طود سننه يغرسهم الله فى بطون أودية ، ويسلكهم ينابيع فى الأرض ينفى بهم عن حرمات قوم ، ويمكّن لهم فى ديار قوم لكى يغتصبوا ما غصبوا يضعضع الله بهم ركناً ، وينقض بهم طى الجندل من إرم ، ويملأ منهم بطنان الزيتون ، والّذى فلق الحبة ، و برء النسمة ليذوبن ما فى أيديهم بعد التمكن فى البلاد ، والعلو على العباد كما يذوب القار والآنك فى النار ، ولعلّ الله يجمع شيعتى بعد التشتيت لشرّ يوم لهؤلاء ، وليس لأحد على الله الخيرة بل لله الخيرة والأمر جميعا ·

«افترقوا بعد ألفتهم ، و تشتّتوا عن أصلهم» قد ظهر ممّا نقلنا من الإرشاد والروضة أنّ مراده عليه السلام افتراق شيعته بعده ، وأنّ الثابتين منهم على الحق من التمسك بعترته المعصومين الّذين هم بمنزلته فى الاتّصال بالمبدء ، وكونه حبل الله بينه وبين الخلق قليلون · فمنهم فرقة صارت غلاة ، وفرقة صارت كيسانية ، و

فرقة صارت زيدية ،وفرقة ناوسية ،وفرقة فطحية ،وفرقة واقفية ،ومن الكيسانية العباسية الراوندية .

ففى المروج «الّذى ذهب اليه من تأخّر من الراوندية عن جملة الكيسانية القائلة بإمامة محمّد بن الحنفية ـ وهم الحريانية أصحاب أبى مسلم صاحب الدولة العباسية ،وكان يلقّب بحريان ـ إنّ ابن الحنفية هو الإمام بعد علىّ عليه السلام وأنّ ابن الحنفية أوصى إلى ابنه أبى هاشم ،وأبو هاشم أوصى إلى علىّ بن عبد اللّه بن العباس .فأوصى على بن عبد اللّه إلى ابنه محمّد بن على ، و أوصى ابنه محمّد إلى ابنه إبراهيم المقتول بحرّان ،وأوصى إبراهيم إلى أخيه السفاح .

وقالت الراوندية :انّ النبىّ صلى الله عليه وآله قبض وأحق الناس بالإمامة بعده العباس لأنّه عمّه ،وأنّ الناس اغتصبوه إلى أنّ ردّه اللّه إليهم وتبرؤا من أبى بكر وعمر وأجازوا بيعة على عليه السلام بإجازة العباس لها لقوله له« هلم يا ابن أخى إلى أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان» .

«فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه» قال «حد» أى يكون منهم من يتمسّك بمن أخلفه بعدى من ذرّيّة الرسول صلى الله عليه وآله أينما سلكوا سلكوا معهم» .

قلت :قد عرفت من رواية الروضة والإرشاد أنّ المراد به فرق الشيعة غير المحقة من الكيسانية والزيدية ،وغيرهما لقوله عليه السلام قبل الكلام «المتشتة غداً عن الأصل النازلة بالفرع المؤملة الفتح من غير جهته» ثمّ قال «كلّ حزب منهم آخذ بغصن أينما مال الغصن مال معه» .

«على أنّ اللّه تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبنى اُميّة» :أى أنّ شيعتى، وأن يصيروا فرقاً متشتة ،ويحصل بينهم البغضاء ،والعداوة بحيث يقتل بعضها بعضاً إلاّ أنّ اللّه تعالى يجعلهم اُمّة واحدة فيجمعهم على إزالة الملك عن بنى اُميّة ،وإن كانوا أخطأوا فى عدم التمسك بإمام الحق .

وفى المروج لمّا قتل إبراهيم الإمام خاف أبوسلمة الوزير انتقاض الأمر، و فساده عليه ـ أى فى الدعوة العباسية ـ فبعث بمحمّد بن عبد الرحمن بن أسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد عليه السلام وإلى عبد اللّه بن الحسن المثنى يدعو كل واحد منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه، ويجتهد فى بيعة أهل خراسان له وقال للرسول: العجل العجل فلا تكونن كوافد عاد. فقدم المدينة على أبى عبد اللّه عليه السلام فلقيه ليلاً، وأعلمه أنّه رسول أبى سلمة ودفع إليه كتابه. فقال له أبو عبد اللّه عليه السلام: وما أنا وأبو سلمة، وأبو سلمة شيعة لغيرى قال له: إنّى رسول تقرئ كتابه، وتجيبه بما رأيت. فدعا أبو عبد اللّه عليه السلام بسراج ثمّ أخذ كتاب أبى سلمة: فوضعه على السراج حتّى احترق، وقال للرسول: عرّف صاحبك بما رأيت ثمّ أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميت:

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوئها ويا حاطباً فى غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده، وأتى عبد اللّه بن الحسن. فدفع إليه الكتاب فقبله، وقرأه وابتهج. فلمّا كان غد ذلك اليوم الّذى وصل إليه الكتاب ركب حماراً حتّى أتى منزل أبى عبد اللّه عليه السلام فقال عليه السلام: أمرٌ ما أتى بك؟ قال: نعم هو أجل من أن يوصف هذا كتاب أبى سلمة يدعونى، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان. فقال عليه السلام له: ومتى كان أهل خراسان شيعة لك أنت بعثت أبا مسلم إلى أهل خراسان وأنت أمرته بلبس السواد، وهؤلاء الّذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أووجّهت فيهم، وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبد اللّه بن الحسن الكلام، وقال: إنّما يريد القوم ابنى محمّداً لأنه مهدىّ هذه الأمّة. فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: واللّه ما هذا إلاّ نصح منّى لك، ولقد كتب إلىّ أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك. فلم يجد رسوله عندى ما وجد عندك، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه. فانصرف عبد اللّه من عنده عليه السلام مغضباً، ولم ينصرف رسول أبى سلمة إليه إلى أن بويع السفاح ـ إلخ ـ

وكان محمّد بن على بن عبد الله بن العباس عيّن من شيعتهم إثنى عشر نقيباً للدعوة إليهم .

هذا ، وفى العقد كان أبومسلم يقول لقواده إذا أخرجهم : «لا تكلّموا الناس إلاّ رمزاً ، ولا تلحظوهم إلاّ شزراً لتمتلى صدورهم من هيبتكم .

«كما يجتمع قزع الخريف» : أى كما تجتمع قطع السحاب المتفرّق فى الخريف ولمّا كان الخريف أوّل الشتاء يكون السحاب فيه متفرّقاً غير متراكم ، ولا مطبق ثمّ يجتمع بعد بعضه إلى بعض .

«يؤلّف الله بينهم ثمّ يجعلهم ركاماً كركام السحاب» السحاب المتراكم سحاب بعضه فوق بعض .

«ثمّ يفتح الله لهم أبواباً» إلى نيل مقصدهم .

«يسيلون» استعارة من سيل الماء .

«من مستثارهم» : أى موضع ثورانهم وهو خراسان فإنّ مبدء دعوة دعاة العباسية كان بها .

«كسيل الجنّتين» إشارة إلى قوله تعالى «لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنّتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربّكم واشكروا له بلدة طيّبة وربّ غفور فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتى أكل خمط وأثل و شىء من سدر قليل»[1] .

«حيث لم تسلم عليه» : أى على ذاك السيل

«قارة» بالتخفيف الأكمة الصلبة ذات حجارة كما فى الجمهرة ، و جمعها قارات والقور . قال :

هل تعرف بأعلى ذى القور قد درست غير رماد مكفور

«ولم تثبت عليه أكمة» : أى تلّ وقالوا «لا تبل على أكمة ، ولا تفش سرّك إلى أمة .

(١) سبأ : ١٥ - ١٦ .

«ولم يردّ سننه» بالفتح :أى وجهه ،وطريقته .

«رصّ» :أى تلاصق .

«طود» :أى جبل عظيم .

«ولا حداب أرض» :أى مرتفعاتها .قال تعالى «وهم من كلّ حدب ينسلون»[1]

«يذعذعهم اللّه»:أى يفرّقهم اللّه .

«فى بطون أوديته» جمع الوادى .

«ثمّ يسلكهم ينابيع فى الأرض»الأصل فيه قوله تعالى «ألم تر أنّ اللّه ، أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض»[2]إلاّ أنّ ينابيع فى كلامه عليه السلام استعارة .

ثمّ كلامه عليه السلام من قوله «على أنّ اللّه تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبنى أُميّة» إلى قوله هنا «ثمّ يسلكهم ينابيع فى الأرض» من غريب التعبير عن بدء دعوة العباسية بعد سنة المأة إلى تشكيل سلطنتهم فى سنة (١٣٢) ولا يكاد تعجبى ينقضى منه من حسن تعبيره ،وكمال انطباق اخباره عليه السلام على ما وقع .

ففى كامل الجزرى وجّه محمّد بن على بن عبد اللّه بن العباس فى سنة المأة الدعاة فى الآفاق ،وسببه أنّه كان ينزل الحميمة ـ أرض الشراه ـ من أعمال بلقاء الشام .فسار أبوهاشم بن محمّد بن الحنفية إلى سليمان بن عبد ـ الملك . فرأى من علمه وفصاحته ماحسده ،وخافه .فوضع عليه فى طريقه من سمّه ، فى لبن .فلمّا أحسّ بالشرّ قصد الحميمة ،ونزل على محمّد وأعلمه أنّ الأمر صائر إلى ولده ،وعرّفه مايعمل به ،وكان أمر شيعته بقصده بعده .فلمّا مات قصدوه و بايعوه ،ودعوا الناس اليه فوجّه ميسرة الى العراق ،ومحمّد بن خنيس ، وأبا عكرمة السراج ـ وهو أبو محمّد الصادق ـ وحيان العطار ـ خال ابراهيم بن سلمة ـ إلى خراسان فانصرفوا بكتب من استجاب لهم ،واختار أبو محمّد الصادق

(١) الانبياء : ٩٦ .

(٢) الزمر : ٣١ .

لمحمّد بن على اثنى عشرنقيبا : سليمان بن كثيرالخزاعى ، ولاهزبن قريظ التميمى وقحطبة بن شبيب الطائى ، وموسى بن كعب التميمى ، وخالد بن إبراهيم أبوداود من شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميمى ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم مولى آل أبى معيط ، ومالك بن الهيثم الخزاعى ، وطلحة بن زريق الخزاعى وعمرو بن أعين أبوحمزة مولى خزاعة ، وشبل بن طهمان أبو على الهروى مولى بنى حنيفة وعيسى بن أعين مولى خزاعة واختار سبعين رجلاً وكتب لهم محمّد بن على كتاباً يكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون بها .

وفيه: وفى سنة (١٠٢) وجّه ميسرة رسله من العراق إلى خراسان . فظهر أمر الدعاة بها . فقيل لسعيد خديّه : انّ ههنا قوماً ظهر منهم كلام قبيح فبعث فأتى بهم . فقالوا : نحن تجار قال : فما هذا الّذى يحكى عنكم قالوا : لا ندرى أنّ لنا فى تجارتنا شغلاً عن هذا . فقال : من يعرف هؤلاء فجاء ناس أكثرهم من ربيعة واليمن . فقالوا : نحن نعرفهم . فخلّى سبيلهم .

وفيه: وفى سنة (١٠٥) قيل : قدم بكير بن ماهان الكوفة من السند ، ومعه أربع لبنات من فضة ، ولبنة من ذهب . فلقى أباعكرمة ، وجمعاً آخر من الدعاة . فذكروا له أمر الدعوة . فقبلها وأنفق مامعه عليهم ، ومات ميسرة . فأقامه محمّد بن على مقامه .

وفيه: وفى سنة (١٠٧) قيل : وجّه بكير بن ماهان أباعكرمة ، وعدّة من شيعتهم دعاة إلى خراسان . فوشى بهم إلى أسد بن عبد اللّه . فأتى بأبى عكرمة ومحمّد بن خنيس ، وعامة أصحابه . فقطع أيدى من ظفر به منهم وصلبهم ، ونجا عمار العبادى . فأقبل الى بكير . فأخبره فكتب بكير الى محمّد بن على ، فأجابه «الحمد للّه الّذى صدّق دعوتكم ، وبقيت منكم قتلى ستقتل» .

وفيه: وفى سنة (١١٨) وجّه بكير بن ماهان عمّار بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بنى العباس . فنزل مرو ، وغيّر اسمه ، تسمّى بخداش .

وفيه ،وفى سنة(١٢٦) وجّه إبراهيم بن محمّد الإمام أباهاشم بكير بن ماهان إلى خراسان ،وبعث معه بالسيرة ،والوصية ·فقدم مرو ،وجمع النقباء و الدعاة ·فنعى إليهم محمّد بن على ،ودعاهم إلى ابنه إبراهيم ،ودفع إليه كتابه فقبلوه ،ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة ،فقدم بها بكير على إبراهيم الإمام ·

وفيه ،وفى سنة (١٢٧) توجّه سليمان بن كثير ،ولاهزبن قرمط ،وقحطبة إلى مكّة ،فلقوا إبراهيم الإمام ،وأوصلوا الى مولى لهعشرين الف دينار ،ومائتى ألف درهم ،ومسكاً ،ومتاعاً كثيراً ،وكان معهم أبومسلم ،وقال له هذا مولاك ·

وفيه أيضاً كتب بكيربن ماهان إلى إبراهيم الإمام أنّه فى ألموت ،و أنّه استخلف أبا سلمة حفص بن سليمان ·فكتب إبراهيم إلى أبى سلمة يأمره بالقيام وكتب إلى أهل خراسان أنّه قد أسند أمرهم إليه ،ومضى أبوسلمة إلى خراسان · فدفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة ،وخمس أموالهم ·

وفيه:وفى سنة (١٢٨) وجّه إبراهيم الإمام أبامسلم ـ وعمره تسع عشرة سنة ـ إلى خراسان وكتب إليهم«إنّى قد أمّرته على خراسان وماغلب عليه بعد ذلك»وقال لأبى مسلم :إنّك رجل منّا أهل البيت احفظ وصيتى انظر هذا الحىّ من يمن ·فالزمهم ،واسكن بين أظهرهم ·فانّ اللّه لا يتمّ هذا الأمر إلاّ بهم واتّهم ربيعة فى أمرهم ،وأما مضر ·فإنّهم العدو القريب الدار ،واقتل من شككت فيه ،و ان استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية ·فافعل ،و أيّما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه ·فاقتله ،ولا تخالف هذا الشيخ ـ يعنى سليمان بن كثير ـ و إذا أشكل عليك أمر فاكتف به منّى ·

وفيه كان أبومسلم يختلف إلى إبراهيم الإمام ،وكتب فى سنة(١٢٩) إلى أبى مسلم يستدعيه ليسأله عن أخبار الناس ·فسار مع سبعين من النقباء ·فلمّا صاروا بالدانقان من خراسان عرض له كامل ·فسأله عن مقصده ·فقال :الحجّ

ثمّ خلا به أبومسلم ·فدعاه فأجابه ثمّ سار إلى (نسا) فدخل قرية منها فقيل له إنّه سعى هنا إلى العامل برجلين ·قيل :إنّهما داعيان ،فأخذا وأخذ الأححم وغيلان ،وغالب ،ومهاجر ·فتنكّب الطريق ،وأتاه أسيد الخزاعى ·فسأله عن الاخبار ·فقال :قدم الأزهر ،وعبد الملك بن سعد بكتب الإمام إليك فخلّفنا الكتب عندى ،وأخذا ·فأتاه بالكتب ثمّ سار حتّى أتى قومس، وعليها بيهس العجلى فقال لهم :أين تريدون ·قالوا :الحج وأتاه ثمة كتاب إبراهيم إليه ،وإلى سليمان بن كثير ·يقول لأبى مسلم فيه :إنّى قد بعثت إليك براية النصر ·فارجع من حيث لقيك كتابى ،ووجّه إلى قحطبة بما معك يوافينى به فى الموسم ·فانصرف أبومسلم إلى خراسان ،ووجّه قحطبة بما معه من الأموال والعروض ·فلمّا كانوا بنيسابور عرض لهم صاحب المسلحة ·فسألهم عن حالهم ·فقالوا :أردنا الحج ·فبلغنا عن الطريق شئ خفناه فأمر المفضل السلمى بازعاجهم ·فخلا به أبومسلم ،وعرض عليه أمرهم فأجابه ،وأقام عندهم حتّى ارتحلوا على مهل ·فقدم أبومسلم مرو· فدفع كتاب إبراهيم إلى سليمان بن كثير يأمره فيه باظهار الدعوة ·فنصبوا أبا مسلم ،وقالوا رجل من أهل البيت ،ودعوا إلى طاعة بنى العباس ،وأرسلوا إلى من قرب منهم ومن بعد ·ممّن أجابهم ·فأمروه باظهار أمرهم ·فنزل أبومسلم قرية من قرى مرو ،يقال لها «فنين» على أبى الحكم النقيب ،ووجّه منها أبا داود النقيب وعمرو بن أعين إلى طخارستان ·فمادون بلخ ·فأمرهما باظهار الدعوة فى شهر رمضان ووجّه نصر بن صبيح التميمى ،وشريك بن غضبى التميمى إلى مرو رود باظهار الدعوة فى شهر رمضان ،ووجّه أبا عاصم بن سليم إلى الطالقان ، ووجّه الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدعوة فى رمضان الخمس بقين منه فان أعجلهم عدوهم دون الوقت بالأذى ·فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم ،ومن شغله منهم عدوّهم ·فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت ثمّ تحوّل أبومسلم من عند أبى الحكم ·فنزل قرية سفيدنج ·فنزل على سليمان بن

كثير الخزاعى لليلتين خلتا من رمضان ، والكرمانى ، وشيبان يقاتلان نصر بن سيار فبثّ أبومسلم دعاته فى الناس وأظهر أمره . فأتاه فى ليلة واحدة أهل ستّين قرية فلمّا كان خمس بقين من رمضان عقد اللواء الّذى بعث به إبراهيم الإمام الّذى يدعى الظل على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وعقد الراية الّتى بعث بها إليه الّتى تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً وهو يتلو «أذن للّذين يقاتلون بأنّهم ظلموا وأنّ اللّه على نصرهم لقدير»[1] . ولبس السواد هو ، وسليمان بن كثير ، وإخوة سليمان ، ومواليه ، ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيد نج ، و أوقدوا النيران لليلتهم لشيعتهم من سكان ربع خرقان ، وكانت علامتهم فتجمعوا إليه حين أصبحوا معدّين ، وتأوّل (السحاب) أنّ السحاب يطبق الأرض ، و (الظل) أنّ الأرض كما لا تخلو من ظل كذلك من خليفة عباسى إلى آخر الدهر وقدم على أبى مسلم الدعاة بمن أجاب الدعوة فكان أوّل من قدم عليه أهل التقادم مع أبى الوضاح فى تسعمأة راجل وأربعة فرسان ، ومن أهل هرمزفرة جماعة ، و قدم أهل التقادم مع محرز الجوبانى فى ألف وثلاثمأة راجل ، وستّة عشر فارساً فيهم من الدعاة أبوالعباس المروزى . فجعل أهل التقادم يكبّرون من ناحيتهم ويجيبهم أهل التقادم بالتكبير . فدخلوا عسكر أبى مسلم بسفيد نج بعد يومين وحصّن أبومسلم حصن سفيد نج ، ورمّه ، وسدّ دروبها .

فلمّا حضر عيد الفطر أمر أبومسلم سليمان بن كثير أن يصلّى به و بالشيعة ، ونصب له منبراً بالعسكر ، وأمره أن يبدء بالصلوة ، ويصلّون بالأذان والإقامة ـ وأمر أيضاً أبومسلم سليمان بن كثير بستّ تكبيرات تباعاً ثمّ يقرء ، ويركع بالسابعة ، ويكبّر فى الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً . ثمّ يقرء ويركع بالسادسة ، و يفتح الخطبة بالتكبير ، ويختمها بالقرآن ـ وكان بنو اُميّة يكبّرون فى الأولى أربع تكبيرات ، وفى الثانية ثلاث تكبيرات .

(١) الحج : ٣٩ .

فلمّا قضى سليمان الصلوة انصرف أبومسلم، والشيعة إلى طعام قد أعدّه لهم. فأكلوا مستبشرين، وكان أبومسلم، وهوفى الخندق إذا كتب إلى نصر بن سيّار يكتب «للأميرنصر».

فلمّاقوى بدء بنفسه، وكتب «أمّابعد فإنّ اللّه تعالى عيّر أقواماً فى القرآن فقال «وأقسموا باللّه جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلمّا جائهم نذير مازادهم إلاّ نفوراً استكباراً فى الأرض، ومكر السئ ولا يحيق المكرالسئ إلاّ بأهله. فهل ينظرون إلاّ سنّة الأوّلين فلن تجد لسنّةاللّه تبديلاً ولن تجد لسنّة اللّه تحويلا»(١) فتعاظم نصرالكتاب وكسر له إحدى عينيه، و قال: هذا كتاب ماله جواب.

وفيه وجّه نصر بعد ثمانية عشر شهراً من ظهورأبى مسلم ــ وهوبسفيد نج ــ مولى له يقال له: يزيد لمحاربته. فوجّه أبومسلم إليه مالك بن الهيثم الخراعى. فالتقوا بقرية الين. فدعاهم مالك إلى الرضا من آل الرسول. فاستكبرواعن ذلك فقاتلهم مالك، وهو فى نحومأتين من أوّل النهار إلى العصر، وقدم على أبى مسلم صالح الضبى، وإبراهيم بن زيد، وزياد بن عيسى. فسيّرهم إلى مالك. فقوى بهم، وكان قدومهم مع العصر، فقال مولى نصر: إن تركنا هؤلاء الليلة اتتهم إمدادهم. فاحملوا على القوم. فحملوا. فحمل عبداللّه الطائى على مولى نصر. فأسره، وأنهزم أصحابه. فأرسل به إلى أبى مسلم، ومعه رؤوس القتلى فنصب الرؤوس، وأحسن إلى مولى نصر، وعالجه حتّى اندمل جراحه، وقال له: إن شئت أن تقيم معنا. فقد أرشدك اللّه، وإن كرهت. فارجع إلى مولاك سالماً، و أعطنا عهد اللّه إنّك لا تحاربنا، وأن لا تكذب علينا، وأن تقول فينا مارأيت فرجع إلى مولاه، فقال أبومسلم لأصحابه: إنّ هذا سيردّ عنكم أهل الورع والصلاح. فمانحن عند هم على الإسلام ــ وكذلك كان عند هم يرجفون عليهم بعبادة الأوثان

(١) فاطر: ٤٣.

واستحلال الأموال والدماء والفروج .

فلمّا قدم مولى نصر على نصر قال له نصر : لا مرحبا بك فوالله ما استبقاك القوم إلاّ ليتخذوك حجّة علينا . فقال له مولاه : هو والله ما ظننت ، وقد استحلفونى أن لا اكذب عليهم ، وأنا أقول : أنّهم يصلّون الصلوات لمواقيتها بأذان وإقامة ، ويتلون القرآن ، ويذكرون الله كثيراً ، ويدعون إلى ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما أحسب أمرهم إلاّ سيعلو ، ولولا أنك مولاى لارجعت إليك ، ولأقمت معهم ، فهذه أوّل قتال كان بينهم .

وفيه ـ بعد ذكر قتال نصر بن سيار عامل مروان على خراسان والكرمانى ـ ولمّا استيقن أبومسلم أنّ كلا الفريقين قد أثخن صاحبه ، وأنه لا مدد لهم . جعل يكتب إلى شيبان ـ ويقول للرسول : اجعل طريقك على مضر . فإنّهم سيأخذون كتبك . فكانوا يأخذونها فيقرأون ما فيها ـ « إنّى رأيت اليمن لا وفاء لهم ، ولا خير فيهم فلا تثقن بهم ولا تظهر إليهم . فإنّى أرجو أن يريك الله فى اليمانية ما تحبّ ولئن بقيت لادعنّ لها شعراً ولا ظفراً » ويرسل رسولاً آخر بكتاب آخر فيه ذكر مضر بمثل ذلك ، ويأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليمانية حتّى صار هوى الفريقين معه .

ثمّ جعل يكتب إلى نصر ، وإلى الكرمانى « إنّ الإمام أوصانى بكم ، ولست اعدو رأيه فيكم » وكتب إلى الكور باظهار الأمر . فكان أوّل من سوّد أسد الخزاعى ، (بنسا) ومقاتل وابن غزوان ، وسوّد أهل أبيورد ، وأهل مرو الروذ ، وقرى مرو ، و أقبل أبومسلم حتّى نزل بين خندق الكرمانى ، وخندق نصر ، وهابه الفريقان وبعث إلى الكرمانى إنّى معك . فقبل فانضمّ إليه . فاشتدّ ذلك على نصر فأرسل إلى الكرمانى ويحك لا تغترّ فوالله إنّى لخائف منه عليك ، وعلى أصحابك . فأدخل مرو . نكتب بيننا كتاباً بالصلح ـ وهو يريد أن يفرّق بينه وبين أبى مسلم ـ فدخل الكرمانى منزله ، وأقام أبومسلم فى العسكر ، وخرج الكرمانى حتّى وقف

فى الرحبة فى مأة فارس، وأرسل إلى نصر اخرج لنكتب الصلح ، فرأى نصر من الكرمانى غرّة . فوجّه إليه ابن الحرث فى نحو من ثلاثمأة فطعن الكرمانى فى حاصرته فخرّ عن دابته فقتله نصر وصلبه ، وصلب معه سمكه . وأقبل ابنه على ، وقد جمع جمعاً كثيراً فصار إلى أبى مسلم فقاتلوا نصراً حتّى أخرجوه من دار الأمارة . فمال إلى بعض دور مرو .

وأقبل أبومسلم حتّى دخل مرو ، وسلّم عليه ابن الكرمانى بالآمرة وقال : مرنى بأمرك . فقال : أقم حتّى آمرك ، ولمّا كان أبومسلم نزل بين الخندقين كتب نصر إلى مروان يعلمه حال أبى مسلم وكتب :

أرى بين الرماد وميض نار ... وأخشى أن يكون له ضرام
فانّ النار بالعودين تذكى ... وأنّ الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجب ليت شعرى ... أيقاظ أمية أم نيام

فكتب إليه مروان «إنّ الشاهد يرى مالا يرى الغائب . فاحسم الثلول ـ قبلك» فقال نصر : أمّا صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده .

وفيه فى سنة (١٣٠) انتقض صلح عرب خراسان على حرب أبى مسلم بمكائد أبى مسلم . فبعث نصر إليه يلتمس منه أن يدخل مع مضر ، وبعث أصحاب ابن الكرمانى ـ وهم ربيعة واليمن ـ إلى أبى مسلم بمثل ذلك فراسلوه بذلك أيّاماً فامرهم أبومسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتّى يختار أحدهما ففعلوا ، وأمر أبومسلم الشيعة أن تختار ربيعة واليمن . فإنّ الشيطان فى مضر وهم أصحاب مروان ، وعمّاله وقتلة يحيى . فقدم الوفدان فجلس أبومسلم وأجلسهم وجمع عنده من الشيعة سبعين رجلاً . فقال لهم : لتختاروا أحد الفريقين . فقام سليمان بن كثير فتكلم ـ وكان خطيباً مفوّهاً ـ فاختار ابن الكرمانى وأصحابه ثمّ قام أبومنصور النقيب . فأختارهم ثمّ قام مرثد السلمى . فقال : «انّ مضر قتلة آل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وأعوان بنى أميّة وشيعة مروان الجعدى ودمائنا فى أعناقهم

وأموالنا فى أيديهم ، ونصر عامل مروان يدعوله على منبره ، ويسمّيه أمير المؤمنين ، ونحن نبرء إلى الله من أن يكون نصر على هدى ، وقد اخترنا ابن الكرمانى» فقال: السبعون القول ماقال مرثد فنهض، وفد نصر عليهم الكابة ، ورجع وفد ابن الكرمانى منصورين ، ورجع أبومسلم من الين إلى الماخوان ، وأمر الشيعة أن يبنوا المساكن .

ثمّ أرسل ابن الكرمانى إليه ليدخل مدينة مرو من ناحيته ، وليدخل هو وعشيرته من الناحية الأخرى . فبعث إليه أبومسلم أنّى لست آمن أن تجتمع يدك ويد نصر على محاربتى ، ولكن ادخل أنت فانشب الحرب مع أصحاب نصر ففعل وبعث أبومسلم شبل النقيب فى خيل . فدخلوها ونزلوا بقصر (بخارا خداه) وبعث إلى أبى مسلم ليدخل إليهم . فسار من الماخوان ، وعلى مقدّمته أسيد الخزاعى ، وعلى ميمنته مالك الخزاعى ، وعلى ميسرته القاسم التميمى فدخل والفريقان يقتتلان . فأمرهما بالكف وهو يتلو «ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها . فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه[1]» ومضى ، إلى قصر الأمارة ، وأرسل إلى الفريقين أن كفّوا . ففعلوا ، وصفت له مرو . فأمر بأخذ البيعة من الجند ـ وكانت البيعة أبايعكم على كتاب الله وسنّة نبيّه والطاعة لرضا من أهل بيته ، وعليكم بذلك عهد الله ، وميثاقه والطلاق والعتاق والمشى إلى بيت الله ، وعلى ألا تسالوا رزقاً ولا طعماً حتّى يبتدئكم به ولاتكم» .

ثمّ أرسل أبومسلم الى نصر لاهزاً فى جماعة يدعوه إلى البيعة . فقرء لاهز «انّ الملأ يأتمرون بك[2]» ـ الآية ـ فخرج نصر من خلف حجرته مع ابنه تميم ، و امرأته هراباً . فسار أبو مسلم إلى معسكره وأخذ ثقات أصحابه ، وصنا ديدهم فكتفهم ، وكان فيهم سالم بن أحور صاحب شرطته ، والبخترى كاتبه ، وابنان له ،

(١) القصص : ١٥ .
(٢) القصص : ٢٠ :

ويونس بن عبد ويه ، ومحمّد بن قطن ، ومجاهد ين يحيى . فاستوثق منهم بالحديد وسار أبومسلم ، وابن الكرمانى فى طلب نصر ليلتهما . فادركا امرأته قد خلّفها و سار . فرجع أبومسلم ، وسأل ما الّذى ارتاب به نصر حتّى هرب قالوا : لا ندرى . قال : فهل تكلم أحد . قالوا : تلالا هز «انّ الملأ» فقال له أبومسلم : تدغل فى الدين فقتله واستشار أباطلحة فى أصحاب نصر . فقال : اجعل سوطك السيف ، وسجنك القبر فقتلهم ـ وكانوا أربعة وعشرين ـ .

وفيه ـ بعد ذكر فتح أبى مسلم لأبيورد ، و بلخ ، وقتله شيبان الخارجى مع عدّة من بكربن وائل الّذين كانوا يقاتلونه ، وعلى الكرمانى الّذى كان أيضاً يقاتله ـ وقد كان أمره أن يسمّى خواصّه ليولّيهم . فسمّاهم فقتلهم جميعاً ، وبعد ذلك بعث العمال على البلاد . فاستعمل سباع الأزدى على سمرقند ، وأباداود على طخارستان ، ومحمّد بن الأشعث على الطبسين ، وجعل مالك بن الهيثم على شرطته ، ووجّه قحطبة مع عدّة من القواد إلى طوس . فهزمهم ، و كان من مات فى الزحام أكثر ممّن قتل . فبلغ عدّة القتلى بضعة عشر ألفاً ، ووجّه على بن معقل فى عشرة آلاف مع قحطبة ليسير إلى تميم بن نصر . فسار قحطبة إلى السودقان ، و هو معسكر تميم . فقتل تميم ، واستبيح عسكره ، و كان عدّة من معه ثلاثين ألفاً .

وفيه بعث ابن هبيرة عامل مروان على العراق نباتة بن حنظلة إلى نصر لنصره فسار نصر ـ وكان هرب إلى قومس ـ معه إلى جرجان ، وخندقوا عليهم . فأقبل قحطبة إليهم ، وقال لجنده أهل خراسان : أتدرون إلى من تسيرون ، ومن تقاتلون إنّما تقاتلون بقية قوم أحرقوا بيت اللّه فنزل قحطبة بازاء نباتة فى أهل الشام فى عدّة لم ير الناس مثلها . فلمّا رأوهم أهل خراسان هابوهم حتّى تكلّموا بذلك . فقام فيهم قحطبة ، وقال : هذه البلاد كانت لآبائكم ، وكانوا ينصرون على عدوّهم لعدلهم حتّى بدّلوا . فسلّط اللّه عليهم أذل أُمّة كانت فى الأرض عندهم . فغلبوهم على بلادهم ، وكانوا بذلك يحكمون بالعدل . ثمّ

بدّلوا وأخافوا عتره النبىّ ﷺ: فسلّطكم عليهم وقدعهد إلىّ الإمام انكم تلقونهم فى مثل هذه العدّة فينصركم الله عليهم ،وأخبرنا انكم تنصرون هذا اليوم من هذا الشهر ·فاقتتلوا فقتل نباتة ،وقتل من أهل الشام عشرة آلاف ،وبعث برأس، ، نباتة الى أبى مسلم ،وبلغ قحطبة بعد قتل نباتة أنّ أهل جرجان يريدون الخروج عليه ،فقتل منهم مايزيدعلى ثلاثين ألفاً ·

ولمّا بلغ حبيب النهشلى ،ومن معه بالرى من أهل الشام توجّه قحطبة إليه هربوا ·فدخلها ،وكتب إلى أبى مسلم بذلك ·فأمره بأخذ أملاكهم ·

وفيه كتب أبومسلم إلى اصبهبد طبرستان يدعوه إلى الطاعة وأداء الخراج فأجابه ،وكتب إلى المصمغان صاحب دنباوند كذلك ·فأجابه إنّما أنت خارجى أمرك سينقضى ،ثمّ بعث قحطبة بعد تمكنه ابنه الحسن من الرى إلى همدان فهرب منها مالك بن أدهم ،ومن بها من أهل الشام ،وخراسان إلى نهاوند ، ولمّا بلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بجرجان بعث ابنه داود ،وعامر بن ضبارة ـ وكان يقال لعسكره عسكر العساكر ـ فالتقواهم وقحطبة بنواحى اصبهان ـ و كان عسكر قحطبة عشرين ألفا، وعسكرابن ضبارة مأة ألف ،وقيل: خمسين ،ومأة ألف ·فقتل داود ،وانهزم ابن ضبارة ،وأصابوا عسكره ،وأخذوا منه مالا يعلم قدره من السلاح والمتاع والرقيق والخيل ،وما رؤى عسكر قط كان فيه من أصناف الأشياء مافى هذا العسكر كأنّه مدينة ـ وكان فيه من البرابط ،والطنابير ، و المزامير ،والخمر مالا يحصى ـ ثمّ توجّه قحطبة إلى نهاوند ـ وقد كان قد بعث ، ابنه قبل إليها فحاصرها ،ودعا من بنهاوند من أهل خراسان إلى الأمان فأبوا وأهل الشام فأجابوا ·ففتحوا الباب ·فسألوهم أهل خراسان ·فقالوا :أخذنا الأمان لنا ،ولكم فخرج رؤساء أهل خراسان فأمر قحطبة بضرب أعناقهم، وخلّى سبيل أهل الشام ،وبعث قحطبة إلى حلوان ·فهرب عامله ،ووجّه أربعة آلاف مع قائدين إلى شهرزور و بهاعثمان بن سفيان ·فقتل أوهرب وغنم عسكره ·

وفيه ولمّا سمع ابن هبيرة بهزيمة ابنه فى حلوان من قحطبة خرج من الكوفة فى عدد لا يحصى يريده . فأقبل قحطبة نحو الكوفة ليأخذها . فرجع ابن هبيرة لئلاّ يسبقه قحطبة إلى الكوفة ، والفريقان يسيران على جانبى الفرات ، و نزل قحطبة الجبارية ، وقاتل عسكر ابن هبيرة . فانهزموا ، وفقد قحطبة وبحثوا عنه . فقيل : إنه لمّا كان عبر الفرات ضربه معن بن زائدة على حبل عاتقه . فسقط فى الماء فأخرجوه . فقال : إذا أنامتّ فشدّوا أيدى ، والقونى فى الماء لئلاّ يعلم الناس بقتلى ، وقال : إذا قدمتم الكوفة فوزير آل محمّد أبو سلمة . فسلّموا إليه الأمر . فلحق ابن هبيرة بواسط ، وترك عسكره ، ومافيه من الأموال والسلاح ، وقام مقام قحطبة ابنه الحسن ، وخرج إلى الكوفة ، وقد كان محمّد بن خالد القسرى خرج قبل على عامل ابن هبيرة مسوّداً . فدخلها الحسن بن قحطبة . فاستخرجوا أبا سلمة الوزير . فبعث أبو سلمة الحسن إلى واسط لقتال ابن هبيرة ، واستعمل القسرى على الكوفة ، ووجّه حميد بن قحطبة إلى المدائن ، وبعث المسيّب بن زهير ، وخالد بن برمك إلى ديرقنى ، وبعث المهلّبى ، وشراحيل إلى عين التمر ، وبساما إلى الأهواز ـ وعليها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة ـ فقاتله وهزمه بسام فخرج عبد الواحد ، وبعث إلى البصرة سفيان المهلّبى ـ وكان عليها سلم بن قتيبة ـ ولحق به عبد الواحد . فانهزم سفيان ، ولم يزل سلم بالبصرة حتّى قتل ابن هبيرة .

وفيه لمّا أخذ رسول مروان إبراهيم الإمام من الحميمة نعى نفسه إلى أهل بيته ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبى العباس عبد اللّه بن محمّد السفاح وبالطاعة له ، وأوصى إليه ، و جعله الخليفة بعده . فسار السفاح وأهل بيته منهم المنصور ، وابنا إبراهيم أخيه عبد الوهاب و محمّد وأعمامه داود ، وعيسى ، وصالح ، و إسماعيل ، وعبد اللّه ، وعبد الصمد بنو على بن عبد اللّه بن العباس وابن عمّه داود ، وابن أخيه عيسى بن موسى ، ويحيى بن جعفر بن تمام بن عبا

حتّى قدموا الكوفة ،وشيعتهم من أهل خراسان بظاهر الكوفة بحمام أعين فانزلهم أبوسلمة دار الوليد بن سعد ،وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القواد والشيعة وأراد أن يحوّل الأمر إلى آل أبى طالب لمّا بلغه موت إبراهيم ـ وكان إذا سئل عن الإمام يقول :لا تعجلوا حتّى دخل أبوحميد الحميرى من حمام أعين يريد الكناسة ،فلقى خادماً لإبراهيم ،فقال له :مافعل إبراهيم؟ قال :قتله مروان و أوصى إلى أخيه أبى العباس،وقدم الكوفة مع عامة أهل بيته .فانطلق به إليهم فقال :من الخليفة؟ فقال :داود بن على هذا ـ وأشار إلى أبى العباس ـ فسلّم عليه بالخلافة ثمّ رجع فاتفق رأى جماعة من القوّاد على أن يلقوه . فمضى موسى بن كعب وأبوالجهم ،وعبد الحميد بن ربعى ،وسلمة بن محمّد ،و إبراهيم بن سلمة ،وعبد اللّه الطائى ،وإسحق بن إبراهيم ،وشراحيل ،وعبد اللّه بن بسام ،وأبوحميد ،وسليمان بن الأسود ،ومحمّد بن الحصين إليه ،وسلّموا عليه بالخلافة .فركب أبوسلمة إليه .فسلّم بالخلافة .فقال له أبوحميد :على رغم أنفك ياماص بظرامه .فقال له السفاح :مه ،وأمر أبا سلمة بالعود إلى معسكره ،وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل من سنة (١٣٢) فلبسوا السلاح ،واصطفّوا لخروج سفّاح فركب مع أهل بيته إلى دار الإمارة ثمّ خرج إلى المسجد .فخطب و صلّى الجمعة ثمّ صعد المنبر حين بويع له بالخلافة .فقام فى أعلاه ،وصعد عمّه داود .فقام دونه .فخطبهم السفاح ـ إلى أن قال :ـ

وخصّنا برحم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقرابته ـ إلى أن قال ـ

وقال تعالى «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا»(١) وقال تعالى «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة فى القربى»(٢) وقال «و أنذر عشيرتك الأقربين»(٣) وقال «وما أفاء اللّه على رسوله من أهل القرى فللّه و

(١) الاحزاب : ٣٣ .
(٢) الشورى : ٢٣ .
(٣) الشعراء : ٢١٤ .

للرسول ولذى القربى»[1] وقال «واعلموا أنّ ماغنمتم من شئ فأنّ لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى»[2] فأعلمهم الله تعالى فضلنا وأوجب عليهم حقّنا ومودّتنا ، وأجزل من الفئ والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا ـ إلى أن قال ـ

ثمّ وثب بنو حرب وبنومروان فانبذوها ، وتداولوها . فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها بما أملى الله لهم حينا . فلمّا آسفوه انتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقّنا وتدارك بنا أمّتنا ـ إلى أن قال ـ .

وختم بناكما افتتح بنا ـ إلى أن قال ـ

فاستعدوا فانا السفّاح المبيح والثائر المنيح ـ وكان موعوكاً ـ فجلس على المنبر ، وقام عمّه داود على مراقى المنبر . فقال : الحمد لله شكراً الّذى أهلك عدوّنا ، وأصار إلينا ميراثنا من نبيّنا الآن اقشعت حنادس الدنيا ، وانكشف غطاؤنا ، وأشرقت أرضها ، وسمائها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وبزغ القمر من مبزغه ، و أخذ القوس باريها ، وعاد السهم الى منزعه ، ورجع الحق فى نصابه فى أهل بيت نبيّكم أنا والله ماخرجنا فى طلب هذا الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً ، ولا نحفر نهراً ، ولا نبنى قصراً ، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقّنا ، والغضب لبنى عمّنا ، وما كرهنا من أموركم ترمضنا ، ونحن على فرشنا ، ويشتدّ علينا سوء سيرة بنى أميّة فيكم واستنزالهم لكم ، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ، ومغانمكم عليكم لكم ذمة الله ، و ذمة نبيّه ، وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، و نسير فى العامة والخاصة بسيرة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم تبّاً تبّاً لبنى حرب وبنى مروان آثروا فى مدّتهم العاجلة على الآجلة ، والدار الفانية على الدار الباقية . فركبوا الآثام وظلموا الأنام ، وانتهكوا المحارم ، وغشّوا بالجرائم وجاروا فى سيرتهم فى العباد وسنّتهم فى البلاد ، وخرجوا فى أعنّة المعاصى ، وركضوا فى ميدان الغى جهلاً

(١) الحشر : ٧ .
(٢) الانفال : ٤١ .

لاستدراج الله ،وامناً لمكره فأتاهم باس الله بياتاً ،وهم نائمون ،فاصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق ·فبعداً للقوم الظالمين ،وأزالنا الله من مروان ،وقدغرّه بالله العرور أرسل لعدوّ الله فى عنانه حتى عثر ·أظن عدوّ الله أن لن نقدر عليه فنادى حزبه ،وجمع مكائده ورمى بكتائبه فوجد اماموورائه ،وعن يمينه وعن شماله من مكر الله وبأسه ونقمته ماأمات باطله ،ومحاضلاله ـ الى أن قال ـ·

إنّ الخليفة إنّما عاد إلى المنبر بعد الصلوة لأنّه كاره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ،وإنّما قطعه عن استتمام الكلام شدّة الوعك ـ إلى أن قال ـ

ألا وإنّه ماصعد منبركم هذا خليفة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ،وعبد الله بن محمّد ـ وأشار بيده إلى السفاح ـ·

«يأخذ بهم من قوم حقوق قوم» فى المروج قال ابن دأب : دعانى الهادى العباسى فى وقت من اللّيل لم تجر العادة أنه يدعونى فى مثله ·فدخلت إليه فإذاً هو جالس فى بيت صغير شتوى ،وقدّامه جزء صغير ينظر فيه ·فقال: يا عيسى إنّى ارقت فى هذه اللّيلة ،وتداعت إلىّ الخواطر ،واشتملت علىّ الهموم ،وهاج لى ماجرت إليه بنواُميّة من بنى حرب ،وبنى مروان فى سفك دمائنا ·فقلت: هذا عبد الله بن علىّ قد قتل منهم على نهر أبى فطرس فلاناً و فلاناً ،حتّى أتيت على تسمية من قتل منهم ،وهذا عبد الصمد بن علىّ قد قتل منهم بالحجاز فى وقت واحد نحو ماقتل عبد الله بن علىّ ،و هوالقائل لسفك دمائهم :

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها أخذى بثارى من بنى مروان
ومن آل حرب ليت شيخى شاهد سفكى دماء بنى ابى سفيان

فسرّ والله الهادى وظهرت منه اريحيّة ·

وفى عيون القتيبى لمّا افتتح عبد الله بن على الشام ،وقتل مروان بن محمّد قال لأبى عون ،ومن معه من أهل خراسان :إنّ لى فى بقية آل مروان

تدبيراً ·فتأهبّوا يوم كذا كذا فى أكمل عدّه ·ثمّ بعث إلى آل مروان فى ذلك اليوم فجمعوا ،وأعلمهم أنه يفرض لهم فى العطاء ·فحضر منهم ثمانون رجلاً ·فصاروا إلى بابه ،ومعهم رجل من كلب قد ولدهم ·ثمّ أذن لهم فدخلوا ·فقال الأذن للكلبى: ممّن أنت ·قال : من كلب ،وقد ولدتهم قال له : انصرف ودع القوم ·فأبى أن يفعل، وقال : إنّى خالهم ومنهم ·فلمّا استقربهم المجلس خرج رسول ،وقال بأعلى صوته أين حمزة بن عبد المطلب ليدخل؟ فأيقن القوم بالهلكة ·ثم خرج الثانية ·فقال: أين الحسين بن على ليدخل؟ ثمّ خرج الثالثة ·فقال ·أين زيد بن على؟ ثمّ خرج الرابعة ·فقال : أين يحيى بن زيد ؟ ثمّ قال : ايذنوا لهم ·فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد ـ وكان له صديقاً ـ فاومئ إليه أن ارتفع فأجلسه معه على طنفسته وقال للباقين : اجلسوا ،وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد ـ إلى أن قال ـ ·

ثمّ قال لأهل خراسان : «دهيد» فشدخوهم بالعمد حتّى سألت أدمغتهم وقام الكلبى ·فقال : أيّها الناس أنا رجل من كلب لست منهم ·فقال :

ويدخل رأسه لم يدنه أحد بين القرينين حتّى لزّه القرن

ثمّ قال «دميد» فشدخ الكلبى معهم ·ثمّ التفت الى الغمر ·فقال له لا خير لك فى الحيوة بعدهم ·قال : أجل ·فقتل ثمّ دعا ببراذع فالقاها عليهم وبسط عليها الانطاع ،ودعا بغدائه ·فأكل فوقهم وأن أنين بعضهم لم يهدء حتّى فرغ ثمّ قال : ماتهنات بطعام منذ عقلت مقتل الحسين عليه السلام إلاّ يومى هذا ،وقام فأمر بهم فجرّوا بأرجلهم ،وأغنم أهل خراسان أموالهم ·ثمّ صلبوا فى بستانه ،و كان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرواق إلى البستان ·فإذا رائحة الجيف تملأ الأنوف فقيل له : لو أمرت بردّ هذا الباب ·فقال : والله لرائحتها أحبّ إلىّ ،و أطيب من رائحة المسك ·ثمّ قال :

حسبت أُميّة أن سترضى هاشم عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلاّ ورب محمّد وإلهه حتّى تباح سهولها وحزونها

وتذلّ ذلّ حليلة لحليلها بالمشرفى وتسترد ديونهـا

وفى الطبرى جلس المنصور للمدنيين ببغداد مجلساً عاماً ـ وكان وفد إليه منهم جماعة ـ فقال : لينتسب كلّ من دخل . فدخل عليه شاب من ولد عمرو بن حزم . فانتسب ثمّ قال : قال الأحوص فينا شعراً امنعنا أموالنا من أجله منذ ستّين سنة . قال له المنصور : انشدنيه فأنشده :

لا تأوين لحزمى رأيت بـه فقرا وإنّ القى الحزمى فى النار
الناخسين بمروان بذى خشب والداخلين على عثمان فى الـدار

وقال له : مدح بقصيدته الّتى فيها الشعر الوليد بن عبد الملك . فلمّا أنشده وبلغ البيت قال له الوليد : أذكرتنى ذنب آل حزم . فأمر باستصفاء أموالهم ، فقال له المنصور : لاجرم تحتظى بهذا الشعر كما حرمت به . ثمّ قال لأبى أيوب : هات عشرة آلاف درهم فادفعها إليه لعنائه إلينا . ثمّ أمر أن يكتب إلى عمّاله أن يردّ ضياع آل حزم عليهم ، ويعطو غلاتها فى كلّ سنة من ضياع بنى أميّة ، وتقسم أموالهم بينهم على كتاب اللّه على التناسخ ، ومن مات منهم ، وفرّ على ورثته ، فانصرف بما لم ينصرف به أحد .

«ويمكّن لقوم فى ديارقوم» فى الكامل قال ابن عياش للسفاح : الحمد للّه الّذى أبدلنا بحمار الجزيرة ، وابن أمة النخع ابن عم النبىّ ﷺ ، وابن عبد ـ المطلب ـ قال ذلك لأنّ أمّ مروان بن محمّد كانت أمة كردية لإبراهيم بن الأشتر أخذها محمّد بن مروان يوم قتل ابراهيم بن الأشتر . فولدت مروان ـ وكان مروان أيضاً يلقّب بالجعدى لأنّه تعلم مذهبه فى القول بخلق القرآن والقدر من الجعد بن درهم ، وقيل : إنّ الجعد كان زنديقاً قال لميمون بن مهران لشاة قباد أحبّ إلىّ ممّا تدين به ـ فكانوا يذمّون مروان بنسبته إليه .

وفى الطبرى دخل المهدى مسجد النبىّ ﷺ فرفع رأسه . فنظر فى الكتاب الذى فى المسجد بالفسافس . فاذا فيه «ممّا أمر به الوليد بن عبد الملك» فقال : وانّى

لأرى اسم الوليد فى مسجد النبىّ ﷺ إلى اليوم ·فدعا بكرسى فألقى لعفى صحن المسجد ،وقال : ماأنا ببارح حتّى يمحى إسم الوليد ويكتب اسمى مكانه ،وأمر أن يحضر العمّال والسلاليم ،ومايحتاج إليه ·فلم يبرح حتّى غيّر وكتب اسمه ·

«وأيم اللّه ليذوبنّ مافى أيديهم بعد العلوّ ،والتمكين كماتذوب الألية» بفتح الهمزة والياء ،والمراد ألية الشاة ·

«على النار» فى المروج اجتمع عند المنصور عيسى بن على ،وعيسى بن موسى ومحمّد بن علىّ ، وصالح بن على ،وقثم بن العباس ، ومحمّد بن جعفر ،ومحمّد بن إبراهيم · فذكروا خلفاء بنى أُميّة والسبب الّذى به سلبوا عزهم ·فقال له صالح بن على: إنّ عبد اللّه بن مروان لمّا دخل أرض النوبة هارباً فى من اتبعه سأله ملك النوبة عن السبب الّذى به زالت نعمتهم — وكان فى حبس المنصور· فان رأيت أن تدعو به من الحبس وتسأله ·فاحضره ·فقال له : قصّ علىّ قصّتك مع ملك النوبة — إلى أن قال — ·

فقال لى ملك النوبة لم تشربون الخمر وهى محرّمة عليكم فى كتابكم ·فقلت : اجترئ على ذلك عبيدنا واتباعنا ·قال : فلم تطوّن الزرع بدوابكم ،والفساد محرّم عليكم فى كتابكم؟ فقلت : فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا ·قال : فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب ،وهو محرّم عليكم فى دينكم ·فقلت : ذهب منّا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا ·فلبسوا ذلك على الكره منّا ،فأطرق إلى الأرض يقلّب يده مرّة ،وينكث فى الارض أُخرى ،ويقول «عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا فى ديننا» ثمّ رفع رأسه وقال : ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ماحرّم اللّه ،وركبتم ماعنه نهيتم ،وظلمتم فى ماملكتم ·فسلبكم اللّه العزّ ،وألبسكم الذلّ بذنوبكم ، و للّه فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم ،وأنا خائف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدى فينالنى معكم ·فتزودوا رحل عن أرضى ،ففعلت فتعجب المنصور ،ورقّ له وهمّ باطلاقه ·فأعلمه عيسى بن على أنّ فى عنقه بيعة له فأعاده إلى الحبس·

٢٥/ ٨٣/ ١ (مِنْهَا) حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا. وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا. وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا. وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مُحَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً

أقول: قال (حد) وهذه الخطبة طويلة قد حذف الرضى ـ رضى الله عنه ـ منها كثيراً، ومن جملتها «أما والّذى فلق الحبة، وبرء النسمة لا يرون الّذين ينتظرون حتّى يهلك المتمنون، و يضمحل المحلون، و يثبت المؤمنون، و قليل مايكون، والله لا ترون الّذى ينتظرون حتّى لا تدعون الإشارة بأيديكم، وإيماضاً بحواجبكم، وحتّى لا تملكون من الأرض إلاّ مواضع أقدامكم، وحتّى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم. فيومئذٍ ينصرنى الله بملائكته، ومن كتب على قلبه الإيمان، والّذى نفس علىّ بيده لا تقوم عصابة تطلب لى أولغيرى حقّاً أوتدفع عنّا ضيماً إلّا صرعتهم البلية حتّى تقوم عصابة شهدت مع محمّد بدراً لا يؤدى قتيلهم، ولا يداوى جريحهم ولا ينعش صريعهم ـ قيل أى الملئكة.

«حتّى يظن الظانّ أنّ الدنيا معقولة»: أى مشدودة.

«على بنى أُميّة» قال ابن همام السلولى فى معاوية بن يزيد.

تلقفها يزيد عن أبيه فخذها يامعاوى عن يزيدا
فان دنياكم بكم أطمأنّت فأولوا أهلها خلقاً شديداً

«تمنحهم»: أى تعطيهم الدنيا، وفى الصحاح المنيحة: منحة اللبن كالناقة أوالشاة تعطيها غيرك يحتلبها. ثمّ يردّها عليك.

«درّها»: أى لبنها

«وتوردهم» من ايراد الماء، وفى الصحاح الورد خلاف الصدر، والورّاد

وهم الّذين يردون الماء .

«صفوها» من (صفا الماء) .

«ولا يرفع عن هذه الأمّة سوطها ولا سيفها» . الكلام إلى هنا جزء ظنّ ـ الظانّ .

«وكذب الظانّ لذلك» فإنّ اللّه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء .

وفى الكشى وغيره كان سالم بن أبى حفصة مختفياً بالكوفة من بنى أُميّة . فلمّا بويع السفاح خرج من الكوفة محرماً . فلم يزل يلبى قائلاً «لبيك قاصم بنى أُميّة لبيك» حتّى أناخ بالبيت ، وقال الكميت .

رمى المقدار نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فردّ شعورهن السود بيضا وردّ خدودهنّ البيض سودا)

«بل هى مجّة» فى الصحاح مجاجة الشئ غضارته ، والمجاج والمجاجة الريق الّذى تمجّه من فيك .

«من لذيذ العيش» فى خلفاء ابن قتيبة عمل عبد الملك بن مروان ثوباً لابنته فاطمة إمرأة عمر بن عبد العزيز منسوجاً بالذهب منظوماً بالدر والياقوت أنفق عليه مأة ألف دينار .

«يتطعّمونها» : أى يذوقونها يقال «تطعّم تطعّم» أى ذق حتّى تشتهى وتأكل .

«برهةً» بالضم والفتح : أى مدّة .

ثمّ يلفظونها» من قولهم لفظ الشئ من فمه : أى رماه .

«جملة» : أى كلاّ فى الطبرى كان سليمان بن هشام بن عبد الملك يشرب خذاء رصافة أبيه فى آخر أيام الناقص ، ويغنّيه حكم الوادى بشعر العرجى ، فتوسّد يده فانبته فزعاً ونبّه نديمه ، وقال له : رأيت كأنّى فى مسجد دمشق ، وكان رجلاً

فى يده خنجر ،وعليه تاج أرى بصيص مافيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الأبيات :

أبنى أُميّة قد دنا تشتيتكم وذهاب ملككم وأن لا يرجع

وفى المروج كان جميع ملك بنى اميه الف شهر كاملة إلا يزيد ولا ينقص ملك معاوية عشرين سنه ،ويزيد ثلاث سنين وثمانية أشهر ويومين ،ومعاوية بن يزيد شهراً واحد وعشريوماً ،وعمر سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ،ويزيد أربع سنين وثلاثة يوماً ،وهشام تسع عشرة سنة ،وتسعة أشهر ،وتسعة أيّام ،والوليد ابن يزيد سنة وثلاثة أشهر ،ويزيد بن الوليد شهرين وعشرة أيّام ،ومروان بن محمّد خمس سنين وشهرين ،وعشرة أيّام إلى البيعة مع السفاح ،والجملة تسعون سنة وأحد عشر شهراً وثلثة عشر يوماً يوضع من ذلك أيّام الحسن عليه السلام خمسة أشهر وعشرة أيّام وتوضع أيّام ابن الزبير إلى قتله سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام ،وأسقطنا أيّام إبراهيم بن الوليد فيهم كاسقاط إبراهيم بن المهدى فى العباسية فيصير الباقى بعد ذلك ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء ، وقد ذكر قوم أنّ تأويل قوله ـ عزّ وجلّ ـ «ليلة القدر خير من ألف شهر» ما ذكرنا من أيّامهم .

هذا ،وفى عيون القتيبى أخذ عبد اللّه بن على أسيراً من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه .فلمّا رفع الصوت ليضربه به ضرط الشامى .فضحك عبد اللّه ، و قال له :اذهب فأنت عتيق استك فالتفت اليه وقال له :اصلح اللّه الأمير أرأيت ضرطة قط أنجت من الموت غير هذه ؟ قال :لا ،قال :هذا واللّه الأدبار ،قال :وكيف قال :لأنا كنّا ندفع الموت بأسنّتنا .فصرنا ندفعه اليوم بأستنا هنا .

٢٦/فى ٨٩/١ أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِى عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِى أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِىَ عَنْهَا . وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِى أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِى كَالنَّابِ الضَّرُوسِ تَعْذِمُ بِفِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ . وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ . تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وَقِطَعًا جَاهِلِيَّةً . لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى ، وَلَا عَلَمٌ يُرَى نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ (٤) وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ . ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا ، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفًا ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ . وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِى مَقَامًا وَاحِدًا وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِى

أقول: قال (حد) ذكر هذه الخطبة جماعة من أهل السيرة ، وهى متداولة مستفيضة خطب عليه السلام بها بعد انقضاء امر النهروان ، وفيها ألفاظ لم يورد ها المصنّف ، ومنها فى ذكر بنى أُميّة «يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتّى يملأوا الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً إلى أن يضع الله ـ عزّ وجلّ ـ جبروتها ويكسر عمدها وينزع أوتادها ألا وإنّكم مدركوها . فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر و حنين

توحروا ، ولا تمالوا عليهم عدوّهم فيصير عليهم البلية ويحل بكم النقمة .

«ألا إنّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى أُميّة» ففتنوا الناس حتّى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام الّذى ولايته جزء الدين كولاية اللّه تعالى وولاية رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى «إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة وهم راكعون[1]» وتكون التصلية عليه عليه السلام فى الصلوة شرط قبولها تقول أهل حران ـ كما فى المروج ـ لا صلوة إلاّ بلعن أبى تراب ، وأقاموا بعد إزالة سبّه عن المنابر يوم الجمعة على سبّه حتّى ظهر أمر بنى العباس . و يقول حدّ الأصمعى للحجّاج : إنّ أبى عقنى . فسمّانى عليّاً . وقال هشام الكلبى : قال أبى : أدركت بنى أود وهم يعلّمون أبناءهم وحرمهم سبّ على عليه السلام .

وعن الكلبى دخل رجل من بنى أود على الحجاج . فأغلظ له . فقال له : لا تقل هكذا فلا لقريش ، ولا لثقيف منقبة يعتدّون بها إلاّ ونحن نعتدّ بمثلها . قال : وما مناقبكم ؟ قال : ما شهد منّا مع أبى تراب مشاهده إلاّ رجل واحد فاسقطه ذلك عندنا ، وأخمله فماله عندنا قدر ، وما أراد منّا رجل قطّ أن يتزوّج إمرأة إلاّ سأل عنها هل تحبّ أبا تراب أو تذكره . بخير ؟ فان قيل : إنّها تفعل ذلك لم يتزوّجها ، وما ولد فينا ذكر . فسمّى عليّاً ولا حسناً ولا حسيناً ، ولا ولدت فينا جارية فسمّيت فاطمة ، ونذرت منّا إمرأة حين أقبل الحسين إلى العراق ان قتل أن تنحر عشر جزر . فلمّا قتل وفت بنذرها ، ودعى رجل منّا إلى البرائة من علىّ و لعنه . فقال : نعم وأزيدكم حسناً وحسيناً .

«عمّت خِطّتها» البر والفاجر ، وفى الصحاح الخطّة بالكسر : الأرض يختطّها الرجل لنفسه وهو أن يعلّم عليها علامة بالخط ليعلم أنّه قد اختارها لنفسه ليبينها ، ومنه خِطط الكوفة والبصرة ، والخُطة بالضم : الأمر والقصّة . قال تأبط شرّاً :

---

(١) المائدة ٥٥ .

هما خطّتا إمّا اسارومنة وإمّا دم والقتل بالحر أجدر

وفى حديث قيله «أن يفصل الخطّة ، وينتصر من وراء الحجرة» و قولهم «قبّح الله معزى خيرها خُطّة» قال الأصمعى : خطّة اسم عنز وكانت عنز سوء ، و الخُطّه أيضاً من الخط كالنقطة من النقط .

«وخصّت بليّتها» روى المدائنى فى كتاب إحداثه أنّ معاوية كتب نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبى تراب وأهل بيته ، وانظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه ، وأهل ولايته ، و الّذين يروون فضائله فادنوا مجالسهم .

«وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ البلاء من عمى عنها» هكذا فى النسخ ، والصواب «أصاب البلاء» ـ إلخ ـ لأنّ الكلام كالبيان لقوله ﷺ «و خصّت بليّتها» فلا وجه للعطف .

«وأيم اللّه» بفتح الهمزة وكسرها ، والأصل ايمن اللّه من اليمين بمعنى القسم .

«لتجدنّ بنى أميّة لكم أرباب سوء بعدى» فكانوا يأخذون الجزية ممّن أسلم من أهل الذمة ويقولون : فرّوا من الجزية ، ويأخذون الصدقة من الخيل ، وكانوا إذا أبصروا آخيّة فى دار يطالبون صاحبها بصدقة حيوانه ، ولو كان بيع أوهلك وكانوا يختمون فى أعناق المسلمين كما توسم الخيل ، وينقشون أكفّهم علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة .

وفى الجزرى كان أهل إفريقية أطوع أهل البلدان إلى زمن هشام ، و كانوا يقولون : لا تخالف الأئمة بما تجنى العمال . فقال لهم أهل العراق الّذين دبّوا فيهم : إنّما يعمل هؤلاء بأمر أولئك . فقالوا : نختبرهم . فخرج منهم ميسرة فى بضعة وعشرين رجلاً . فقدموا على هشام . فلم يؤذن لهم . فدخلوا على الأبرش فقالوا له «ابلغ الخليفة أنّ أميرنا يغزوبنا وبجنده . فإذا غنمنا نفلهم و

حرمنا ،ويقول : هذا أخلص لجهادكم ،وإذا حاصرنا مدينة قدّمنا ،وأخّرهم و يقول: هذا ازدياد فى الأجر .ثمّ إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء الأبيض للخليفة .فيقتلون ألف شاة فى جلد فاحتملنا ذلك .ثمّ إنّهم ساموناآن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا .فقلنا :لم نجد هذا فى كتاب ولا سنّة ونحن مسلمون .فأجبنا أن نعلم أعن رأى الخليفة هذا» فطال عليهم المقام ،ونفدت نفقاتهم فرجعوا ـ إلخ ـ

«كالناب» فى الصحاح الناب المسنة من النوق يقال :سمّيت لطول نابها ، والجمع النيب ،وفى المثل «لا أفعل ذلك ماحنّت النيب» .

«الضروس» فى الصحاح الضرس العضّ الشديد بالأضراس والأسنان كلّها أناث إلاّ الأضراس والأنياب ،وناقة ضروس تعضّ حالبها ،ومنه قولهم «هى بجنّ ضراسها :أى بحدثان نتاجها ،وإذا كان كذلك حامت عن ولدها .قال بشر:

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا بشهباء لا يمشى الضراء رقيبها

«تعذم» :أى تعضّ.

«بفيها» :أى فمها .

«وتخبط بيدها» يقال : خبط البعير الأرض بيدها :أى ضربها .

«وتزبن برجلها» فى الصحاح زبنت النافة :إذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب ،وناقة زبون تضرب حالبها وتدفعه .

«وتمنع درّها» :أى جريان لبنها ،وكذلك كانوا بنى أُميّة ،وفى كامل المبرّد قالوا :ضحّى بنو أُميّة بالدين يوم كربلا ،وضحّوا بالمروّة يوم العقر ـ يعنى يوم قتل بنى المهلب ـ .

«لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم الاّ نافعاً لهم أو غير ضائرٍ بهم» فى الطبرى كان خالد القسرى لمّا كان والياً على مكّة من قبل الوليد بن عبد الملك يقول ـ وكان الحجاج كتب إلى الوليد أن من قبلى من مرّاق أهل العراق ،

لجأوا إلى المدينة ومكّة ، وذلك وهن . فكتب الوليد إليه أشر علىّ برجلين لهما . فكتب يشير إليه بعثمان بن حيان للمدينة ، وخالد القسرى لمكّة . فعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة واستعمل عثمان عليها ، واستعمل خالداً على مكّة ـ أيّها الناس إنّكم بأعظم بلاد الله حرمة . ثمّ كتب على عباده حجّة ، فعليكم بالطاعة و لزوم الجماعة ، وإيّاكم والشبهات . فإنّى والله ما أُوتى بأحد يطعن على امامه إلّا صلبته فى الحرم إنّ الله جعل الخلافة منه بالموضع الّذى جعلها فسلّموا ، و أطيعوا ، ولا تقولوا : كيت وكيت إنّه لا أرى فى ماكتب به الخليفة أو رآه إلّا إمضائه واعلموا أنّه بلغنى أنّ قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم ، ويقيمون فى بلادكم ، فإيّاكم أن تنزلوا أحداً ممّن تعلمون أنّه زائغ عن الجماعة . فإنّى لا أجد أحداً منهم فى منزل أحد منكم إلّا هدمت منزله ، والله لو أعلم أنّ هذه الوحش الّتى تأمن فى الحرم ، لو نطقت لم تقرّ بالطاعة لاخرجتها من الحرم . فلا يسكن الحرم مخالف للجماعة .

«ولا يزال بلاؤهم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا كانتصار» هكذا فى المصرية ، والصواب (إلّا مثل انتصار) كما فى (حد) و (ثم) و (خو) والخطية .

«العبد من ربه» ومرّ فى (٢١) عنه عليه السلام «وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه ، وإذا غاب اغتابه» أخذ مسلم بن عقبة بعد غلبته على المدينة ونهبها ، وقتله من قتل ممّن حاربه من البقية البيعة على أنّهم عبد قنّ ليزيد .

«والصاحب من مستصحبه» لا بد له أن يطيعه لأنه تابع له ، وهو رئيس عليه .

فلمّا أمر معاوية خطبائه أن يخطبوا لاستخلاف يزيد قام رجل من الأزد ، و قال «أنت أمير المؤمنين ـ وأشار إلى معاوية ـ فإذ أمتّ فهذا» ـ وأشار إلى يزيد ـ فمن أبى فهذا» ـ وأشار إلى سيفه ـ فقال له معاويه : اقعد فأنت من أخطب الناس . فقال ابن هشام السلولى :

فان تأتوا برملة أو بهند نبايعها أميرة مؤمنينا
فيا لهفاً لو أنّ لنا الوفاً ولكن لا نعود كما عنينا
إذن لضربتم حتّى تعودوا بمكّة تلعقون بها السخينا

«تردعليكم فتنتهم شوهاء» :أى قبيحة .

«مخشيّة» :أى مخوفة .

«وقطعاً جاهليّة ليس فيها منار هدى» سمّى ملك من ملوك اليمن ذا المنار لأنه ضرب المنار على طريقه ليهتدى بها إذا رجع .

«ولا علم يرى» فى الصحاح العلَم العلامة ،والجبل قال جمرير «إذا قطعن علماً بدا علم»

فى البيان قام الوليد بن عتبة بعد معاوية يدعو الناس إلى بيعة يزيد : فرأى روح بن زنباع أبطائهم .فقال :أيّها الناس إنّا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب ،ولكن إلى قريش،ونحن أبناء الطعن والطاعون ،وفضلات الموت .

وفى الطبرى خطب الوليد بن عبد الملك لمّا ولّى ـ وكان جبّاراً عنيداً فقال: من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الّذى فيه عيناه ،ومن سكت مات بدائه ـ إلخ ـ

«نحن أهل البيت منها بمنجاةٍ» المنجاة كالنجوة المكان المرتفع الّذى تظن أنّه نجاؤك لا يعلوه السيل ،وجمعها المناجى .قال أبو بثينة الباهلى :

فهل تأوى الى المنجاة أنّى أخاف عليك معتلج السيول

وقال الراعى :

باسحم من نوء الذراعين أنافت مسايله حتّى بلغن المناجيا

وقال آخر :

ألم تر يا النعمان كان بنجوة من الشرّ لو أنّ امرءً كان ناجيا

«ولسنا فيها بدعاة» روى الخرائج عن الباقر عليه السلام أنّ عبد الملك كان يطوف بالبيت ،وعلىّ بن الحسين عليه السلام يطوف بين يديه ،ولا يلتفت إليه ، ولم

يكن عبد الملك يعرفه بوجهه ·فقال : من هذا الّذى يطوف بين أيدينا ، ولا يلتفت إلينا ؟ فقيل : هذا على بن الحسين عليه السلام ·فجلس مكانه ،وقال : ردّوه إلىّ فردّوه ·فقال له : إنّى لست قاتل أبيك ·فما يمنعك من المصير إلىّ ·فقال عليه السلام له إنّ قاتل أبى أفسد بما فعل على أبى دنيا موأفسد أبى عليه بذلك آخرته ،فإن أحببت أن تكون مثله فكن ·فقال : كلاّ ،ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا ·فجلس عليه السلام و بسط ردائه وقال « اللّهم اره حرمة أولياءك عندك » فإذا ردائه ملأ دُرَرًا يكاد شعاعها يخطف الأبصار ،ثمّ قال له « من كان هذا حرمته عند ربه لا يحتاج إلى دنياك ،ثمّ قال : اللّهم خذها فلا حاجة لى فيها ·

وفى حلية أبى نعيم قال الزهرى : شهدت علىّ بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك الى الشام ·فأثقله حديداً ·فما لبثنا الاّ أربع ليال حتّى قدم الموكّلون به يطلبونه بالمدينة ·فما وجدوه ·فقالوا : انّا نراه متبوعاً — إلى أن قال — فقال لعبد الملك : قد جاءنى علىّ بن الحسين يوم فقده الأعوان ·فقال : ما أنا وأنت ؟ فقلت له : قم عندى ·فقال : لا احب ثم خرج فواللّه لقد امتلأ ثوبى منه خيفة ·قال الزهرى : فقلت له : ليس علىّ بن الحسين حيث تظنّ أنه مشغول بنفسه ·فقال : حبذا شغل شغله ،فنعم ما شغله ·

« ثمّ يفرّجها » : أى فتنة بنى اُميّة ·

« اللّه عنكم كتفريج الأديم » : أى ككشف الجلد يعنى عن اللحم حتّى ينتفع به ·

« بمن يسومهم خسفاً » : أى يعطيهم ذلاًّ وهواناً ·قال الشاعر :

اذا سمته وصل القرابة سامنى قطيعتها تلك السفاهة والظلم

وقال آخر :

وطعنهم الأعداء شزراً وإنّما يسام ويقنى الخسف من لم يطاعن

« ويسوقهم عنفاً » : أى سوقاً شديداً ·

«ويسقيهم بكأس مصبّرة»: أى فيها الصَبِر، وهو دواء مرّ، وفى الصحاح أدهقت الكأس إلى أصبارها وأصمارها: أى الى رأسها. قال الأصمعى: إذا لقى الرجل الشدّة بكمالها قيل (لقيها بأصبارها).

«لا يعطيهم إلاّ السيف، ولا يحلسهم»: أى لا يلبسهم من (أحلست البعير) أى ألبسته الحِلس وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة.

«إلاّ الخوف فعند ذلك»: أى فى ذاك الزمان.

«تودّ قريش» بنو أُميّة وغيرهم.

«بالدنيا ومافيها»: أى باعطاء الدنيا ومافيها.

«لويروننى» وفى (ثم) (لورأونى) مقاماً واحداً: أى مرّة واحدة.

«ولو قدر جزر»: أى نحر.

«جزور»: أى إبل.

«لأقبل منهم ماأطلب اليوم بعضه فلا يعطوننى» هكذا فى المصرية والصوّاب (فلا يعطوننيه كما فى (حد) و(ثم).

وعن المازنى لم يصح عندنا أنّ علياً عليه السلام تكلّم بشئ من الشعر غير هذين البيتين.

تلكم قريش تمنّانى لتقتلنى ولا وجدّك مابرّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمّتى لهم بذات روقين لا يعفو لها أثر

قال (حد) قوله عليه السلام «ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفاً» ـ إلخ ـ إخبار عن ظهور المسوّدّة وانقراض ملك بنى أُميّة، ووقع الأمر بموجب إخباره عليه السلام حتّى لقد صدق قوله عليه السلام «فعند ذلك تود قريش لويروننى» ـ إلخ ـ فإنّ أرباب السيرة كلّهم نقلوا أنّ مروان بن محمّد قال يوم الزاب لمّا شاهد (عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس) بإزائه فى صف خراسان: لودّت أنّ علىّ بن أبى طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى.

قلت بل قوله عليه السلام ثمّ يفرّجها الله _إلخ _إخبار بالقائم عليه السلام من _ عترته عليه السلام: فبظهوره يفرّج الله عن الناس، وأما بظهور المسودة فأىّ فرج كان للناس، ولم تكن شدّة ملك بنى العباس أقل من شدّة ملك بنى أُميّة.

كما أنّ ماذكره فى تفسير قوله عليه السلام «فعند ذلك تودّ قريش من» كلام مروان بن محمّد خبط أيضاً لأنّ مروان تمنى أن يكون فى قباله أميرالمؤمنين عليه السلام لأنّه أخبر فى الملاحم أنّه عليه السلام كولده لم يكن لمحظ فى ملك مستقر. فلا يسلبه ملكه بخلاف بنى العباس. فأخبر فيها أنّهم يأخذون الملك منهم، و يملكون أكثر منهم.

وممّا يوضح أنّ المراد بمن يفرّج الله به القائم، و أنّ قريشاً يتمنون أمير- المؤمنين عليه السلام لويرونه حتّى يملّكوه الأمر لا كيوم السقيفة ويوم الشورى _ وقد كانوا أجمعوا فيهما على الحيلولة بينه عليه السلام وبين الأمر _ ويكفّ القائم عليه السلام عن قتلهم ماروا ه النعمانى فى غيبته مسنداً عن الحارث الأعور قال: قال أميرالمؤمنين (ع) بأبى ابن خيرة الإماء _ يعنى القائم من ولده عليه السلام _ يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأس مصبّرة، ولا يعطيهم إلاّ السيف هرجاً هرجاً. فعند ذلك تتمنّى فجرة قريش لو أنّ لها مقاماً منى بالدنيا، ومافيها لاغفرلها، ولاكفّ عنهم.

وماروا ه (حد) نفسه _ فقال ذكرالخطبة أصحاب السير، وفيها ألفاظ لم يورد ها الرضى، ومنها _ «فأنظروا أهل بيت نبيّكم فإنّ لبدوا فالبدوا، و إن استنصروكم فانصروهم، فليفرجنّ الله الفتنة برجل منّا أهل البيت بأبى ابن خيرة الإماء لا يعطيهم إلاّ السيف هرجاً هرجاً موضوعاً على عاتقه ثمانية حتّى تقول قريش لوكان هذا من ولد فاطمة لرحمنا يغريه الله ببنى أُميّة حتّى يجعلهم حطاماً، ورفاتاً ملعونين أين ماثقفوا أخذوا، وقتلوا تقتيلاً سنّة الله فى الّذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً».

وأما قول (حد) بعد هذه الزيادة «والمراد بابن خيرة الإماء المهدى من

ولده عليه السلام وببنى أُميّة الّذين يقتلهم السفيانى من ولد أبى سفيان الموعود به فى الخبر ، وليس ماقلت هنا مخالفاً لماقلت قبل من أنّ الوعد إنّما هو بالسفاح ، و عمّه عبد اللّه بن على ، والمسودة . فإنّ مامرّ قبل تفسير مانقله الرضى من كلامه عليه السلام وما قلته هنا تفسير الزيادة من كلامه عليه السلام ، فخطأ . فإنّ الأصل فى ما نقله الرضى ، ومانقله هو ، وسمّاه زيادة ، واحد وإنّما اختلفت ألفاظ الرواية باختلاف الرواة ، وبالجملة . لم يكن ببنى العباس فرج للناس بل حرج ، وإن كانوا انتقموا من بنى أُميّة .

ولو كان (حد) قال فى مانقله من الزيادة أيضاً من قوله عليه السلام فى ذكر بنى أُميّة « يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتّى يملأوا الأرض عدواناً و ظلماً ، و بدعاً إلى أن يضع اللّه ـ عزّ وجلّ ـ جبروتها ، ويكسر عمدها ، وينزع أوتادها » إنّ اللّه تعالى وضع جبروتها ، وكسر عمدها ، ونزع أوتادها ببنى العباس لكان أصاب .

وفى كامل المبرد دخل شبل مولى بنى هاشم على عبد اللّه بن على ، وقد أجلس ثمانين رجلاً من بنى أُميّة على سمط الطعام فمثل بين يديه وقال :

أصبح الملك ثابت الأساس ... بالبها ليل من بنى العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان و ياس

لا تقيلنّ عبد شمس عثارا ... واقطعن كلّ رفلة و أواسى

ذلها اظهر التودد منها ... و بها منكم كحزّ المواسى

فأمر بهم عبد اللّه . فشدخوا بالعمد ، وبسطت عليهم البسط ، وجلس عليها ودعا بالطعام ، وأنّه ليسمع أنينهم حتّى ماتوا جميعاً .

وفى المروج حكى الهيثم بن عدى عن عمرو بن هانى قال : خرجت مع عبد اللّه بن على لنبش قبور بنى أُميّة فى أيّام السفاح . فانتهينا إلى قبر هشام فاستخرجناه صحيحاً مافقدنا منه إلاّ خثمة أنفه . فضربه عبد اللّه بن على ثمانين

سوطاً · ثمّ أحرقه ، واستخرجنا سليمان من أرض دابق · فلم نجد منه شيئاً إلاّ صلبه و أضلاعه ورأسه · فأحرقناه ، وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أُميّة — وكانت قبورهم بقنّسرين ثمّ انتهينا إلى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك · فما وجدنا فى قبره قليلاً ولا كثيراً ، واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا إلاّ شؤن رأسه · ثمّ احتفرنا عن يزيد بن معاوية · فما وجدنا فيه إلاّ عظماً واحداً ووجدنا مع لحده خطاً اسود كأنما خط بالرماد فى طول لحده · ثمّ اتبعنا قبورهم فى جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا منهم ·

وفى الكامل ونبش قبر معاوية فلم يجدوا فيه إلاّ خيطاً مثل الهباء — قيل ضرب عبد اللّه بن على جسد هشام ثمانين سوطاً لقذفه زيد بن على — ·

وفى كامل الجزرى أيضاً قتل سليمان بن على أيضاً بالبصرة جماعة من بنى أُميّة عليهم الثياب الموشية المرتفعة ، وأمر بهم فجرّوا بأرجلهم · فالقوا على الطريق فأكلهم الكلاب · فلمّا رأى ذلك بنو أُميّة اشتدّ خوفهم ، وتشتت شملهم ، واختفى من قدر على الإختفاء ·

وفى بلاغات البغدادى قال أبو الخطاب الأزدى : لمّا قتل مروان بن محمّد هجم عامر بن إسماعيل على الكنيسة الّتى فيها بنات مروان ونسائه ، وقد أغلقن الأبواب دونهنّ فصحن وولولن · فأخذ الخصى الموكّل بهنّ فسئل عن امره فقال : أمرنى مروان أن أضرب رقاب بناته وجواريه إذا قتل · فجيئ بابنتى مروان إلى عامر · فأمر بوضع رأس مروان فى حجر ابنته الكبرى ، وقال لها عامر : معذرة إنّما فعلت هذا بك بما فعلتم برأس يحيى بن زيد إذ وضع فى حجر أُمّه ، والبادى أظلم · ثمّ وجّه عامر بهما ، وبجوارى مروان إلى صالح بن على · فقالت له الكبرى : نحن بنات أخيك فليسعنا عدلك قال : إذن لا نستبقى منكم أحداً رجلاً ولا إمرأة ألم يقتل أبوك بالأمس ابن أخى إبراهيم فى محبس حرّان ألم يقتل هشام زيداً وصلبه ، وأمر بقتل إمرأته · فقتلها يوسف بن عمر صبراً · ألم يقتل الوليد بن يزيد

يحيى بخراسان ،وأحرق جثته وخشبته .

وفى المعجم قال ابن فروج المكّى :

أمست نساء بنى أُميّة أيّما وبناتهم بمضيعة أيتام

هذا ،وأمّا قوله عليه السلام فى الزيادة الّتى نقلها (حد) «ألا و إنّكم مدركوها ، فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر وحنين توجروا ،ولا تمالئوا عليهم عدوّهم فيصير عليهم البلية ،وينزل بكم النقمة».

فالظاهر أنّ المراد انصروا أهل بيتى الّذين هم أصحاب رايات بدر و حنين لأنّهم منّى ،و أناكنت صاحب رايات بدروحنين ،و إن مالا تم عليهم عدوّهم يبتلون هم بالقتل ويحل بكم نقمة اللّه لعملكم .

وأشار عليه السلام فى ذلك إلى عملهم مع ابنه الحسين عليه السلام ـ يوضح ذلك ما رواه نصربن مزاحم فى صفينه عن سعيد بن وهب قال :بعثنى مخنف بن سليم إلى علىّ عليه السلام فأتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده ويقول «ههنا ههنا» فقال له رجل وماذلك؟ قال عليه السلام «ثقل لآل محمّد عليهم السلام ينزل ههنا فويل لهم منكم ،وويل لكم منهم»،فقال له الرجل :مامعنى هذا الكلام؟ فقال عليه السلام «ويل لهم منكم تقتلونهم وويل لكم منهم يدخلكم اللّه بقتلهم إلى النار».

٢٧/ ٤٦٤/ ٣

وَقَالَ ع : إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مُرْوَدًا يَجْرُونَ فِيهِ ، وَلَوْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ

(وَالْمُرْوَدُ هُنَا مُفْعَلٌ مِنَ الْإِرْوَادِ وَهُوَ الْإِمْهَالُ وَالْإِنْظَارُ . وَهٰذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ وَأَغْرَبِهِ ، فَكَأَنَّهُ ع شَبَّهَ الْمُهْلَةَ الَّتِي هُمْ فِيهَا بِالْمِضْمَارِ الَّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ فَإِذَا بَلَغُوا مُنْقَطَعَهَا انْتَقَضَ نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا)

أقول : وفى غريب حديثه عليه السلام كما رواه ابن قتيبة ـ وقد نقله (حد) فى فصل غريب الكتاب ـ «إنّ بنى أُميّة لا يزالون يطعنون فى مسجل ضلاله ، ولهم فى الأرض أجل حتّى يهريقوا الدم الحرام فى أشهر الحرام ، والله لكأنّى الى غرنوق من قريش يتشحط فى دمه . فإذا فعلوا ذلك لم يبق لهم فى الأرض عاذر ولم يبق لهم ملك على وجه الأرض» .

قال ابن قتيبة : قوله عليه السلام «فى مسجل ضلاله» من قولك «ركب فلان مسجله» إذا جدّ فى أمره ، والغرنوق القرشى الّذى قتلوه فانقضى أمرهم ـ والغرنوق الشاب ـ هو إبراهيم الإمام قيل : قتل بالسيف ، وقيل : خنق فى جراب فيه نوره . وقوله عليه السلام «يتشحط فى دمه» يشيّد الأوّل .

«إنّ لبنى أُميّة مروداً يجرون فيه» فى الطبرى لمّا دخل عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث كرمان بعد انهزامه فى وقعة الزاوية بالبصرة تلقاه عمرو بن لقيط العبدى ـ وكان عامله عليها ـ فهيّأ له نزلاً . فنزل . فقال له شيخ من عبد القيس : والله لقد بلغنا عنك يا ابن الأشعث إن قد كنت جباناً . فقال : و الله ما جبنت ، والله لقد دلفت الرجال بالرجال ، ولففت الخيل بالخيل ، ولقد قاتلت فارساً . وقاتلت راجلاً ، وما انهزمت ، ولا تركت العرصة للقوم حتّى لا أجد مقاتلاً ، ولا أرى معى مقاتلاً ، ولكنّى زاولت ملكاً مؤجّلاً .

وروى فى أوّل الصحيفة مسنداً عن متوكّل بن هرون الثقفى البلخى قال لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان . فقلت له : إنّى رأيت الناس إلى ابن عمّك جعفر بن محمّد عليه السلام أميل منهم إليك ، و إلى أبيك . فقال : إنّ عمّى محمّد بن على ، وابنه جعفراً دعوا الناس إلى الحيوة ، ونحن دعوناهم إلى الموت . قال : فلمّا قتل يحيى صرت الى المدينة . فلقيت أبا عبد الله عليه السلام . فقال لى : كيف قال لك يحيى ؟ إنّ أبى حدّثنى عن أبيه ، عن جدّه عن علىّ عليه السلام أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أخذته نعسة ، وهو على منبره . فرأى فى منامه رجالاً

ينزون على منبره نزو القردة ، ويردّون الناس على أعقابهم القهقرى . فاستوى جالساً والحزن يعرف فى وجهه . فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية «وما جعلنا الرؤيا الّتى أريناك إلاّ فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً»[1] ـ يعنى بنى أُميّة ـ فقال النبىّ صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل ، أعلى عهدى يكونون؟ قال : لا ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك . فتلبث بذلك عشراً ثمّ تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً ثمّ لا بد من رحى ضلالة هى قائمة على قطبها ، ثمّ ملك الفراعنة ، و أنزل تعالى فى ذلك «إنّا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر» يملكها بنو أُميّة ليس فيها ليلة القدر . فاطّلع الله نبيّه صلى الله عليه وآله أنّ بنى أُميّة تملك سلطان هذه الأُمّة ، وملكها طول هذه المدّة . فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم ، وهم فى ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا ، وأخبر الله نبيّه صلى الله عليه وآله بما يلقى ، أهل بيته ، وأهل مودّتهم وشيعتهم فى أيامهم وملكهم ، وأنزل تعالى فيهم «ألم تر إلى الّذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار جهنّم يصلونها و بئس القرار»[2] نعمة الله محمّد وأهل بيته حبّهم إيمان يدخل الجنّة وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار . فأسرّ النبىّ صلى الله عليه وآله ذلك إلى علىّ عليه السلام وأهل بيته ثمّ قال الصادق عليه السلام ماخرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقّاً إلاّ اصطلمته البلية ، وكان قيامه زيادة فى مكروهنا وشعثنا .

«ولو قد اختلفوا فى ما بينهم» واختلافهم الشديد كان زمن خلافة الوليد بن يزيد .

وفى الطبرى ضرب ابن عمّه سليمان بن هشام مأة سوط وحلق رأسه و

(١) الاسراء : ٦٠ .

(٢) ابراهيم : ٢٨ .

لحيته وغرّبه إلى عمان . فحبسه بها، وحبس يزيد بن هشام لما أراد البيعة لابنيه وأخذ جارية لآل الوليد عمه . فكلّمه عمر بن الوليد فيها . فقال : لا أردّها . فقال: إذن تكثر الصواهل حول عسكرك . فرماه بنو الوليد وبنو هشام عميه بالكفر، وغشيان أمهات أولاد أبيه، وقالوا : اتّخذ مأة جامعة، وكتب على كلّ جامعة اسم رجل من بنى أميّة ليقتله بها ورموه بالزندقة، وكان أشدهم فيه قولاً يزيد بن الوليد — وكان يظهر النسك — فحمل الناس على الفتك به . فقتل فى سنة (١٢٦) ثمّ بويع يزيد واضطرب حبل بنى مروان . فوثب أهل حمص على العباس بن الوليد فهدموا داره وانتهبوها وسلبوا حرمه، وحبسوا بنيه .

ووقع الاختلاف فى خراسان بين اليمانية والنزارية، وأظهر الكرمانى فيها الخلاف لنصر بن سيار . واجتمع مع كلّ واحد منهما جماعة، وأظهر مروان بن محمّد الخلاف على يزيد طالباً بدم الوليد . فمات يزيد فى آخر يوم من السنة ثمّ قام مقامه أخوه إبراهيم بن الوليد لكنّه لم يتمّ أمره، وكان يسلّم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمرة، وجمعة لا بالخلافة ولا بالإمرة حتّى قدم مروان بن محمّد . فخلعه، وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك . فبايع الناس مروان بن محمّد . ثمّ خالف سليمان بن هشام مروان ونصب الحرب فحاربه مروان وهزمه، وقتل ابنه إبراهيم بن سليمان وهرب سليمان إلى الضحاك الخارجى .

وأمّا أصل اختلافهم . فمن زمان عمر بن عبد العزيز . فلما قيل لسليمان أجعله ولى عهدك . فإنّه رجل صالح قال : إنّ ولّيته ولم أول أحداً سواه لتكوننّ فتنة ولا يتركه بنو عبد الملك يلى عليهم إلاّ أن يجعل أحدهم بعده . فجعل يزيد، بعده، ومع ذلك لم يجترئ أن يسمّيه . فأخذ بيعتهم على طاعته من ولاّه فى كتاب عهده، ولمّا سمع هشام بعد سليمان بكونه عمر نادى لا نبايعه أبداً . فحمله الموكّل بأخذ البيعة على البيعة كرهاً ولى عمر سنة (٩٩) وقام الدعاة سنة (مأة) فبعث محمّد بن على العباسى رجلاً إلى العراق وثلاثة رجال إلى خراسان

للدعوة تلك السنة .

«ثمّ كادتهم» من الكيد : أى مكرتهم .

«الضباع» جمع الضبع ، وخصّها عليه السلام بالذكر لأنّها ممّا يضرب المثل بحمقها فقالوا «أحمق من الضبع» وقالوا «ما يخفى هذا على الضبع» والمراد دعاة بنى العباس ، و فى رأسهم أبومسلم .

وفى الطبرى إنّ المنصور لمّا عاتب أبامسلم لمّا أراد قتله ، وقال له : فعلت وفعلت . قال أبومسلم : ليس يقال هذا لى بعد بلائى . قال له المنصور : لو كانت أمة مكانك لأجزئت ناحيتها إنّما عملت ماعملت فى دولتنا .

وفيه أيضاً قال المنصور للسفاح : أطعنى واقتل أبامسلم . فواللّه إنّ فى رأسه لغدرة . فقال : قد عرفت بلائه ، وماكان منه . فقال المنصور إنّما كان بدولتنا واللّه لو بعثت سنوراً لقام مقامه ، و بلغ ما بلغ فى هذه الدولة .

«لغلبتهم» وقال العباس بن الوليد لمّا وقع الاختلاف بينهم ، وخرج يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد «إنّى لأظنّ أنّ اللّه قد أذن فى هلاككم يا بنى مروان» ثمّ تمثّل :

إنّى أعيذكم باللّه من فتن ... مثل الجبال تسامى ثمّ تندفع
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم ... إنّ الذئاب إذا ما الحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم ... فثمّ لا حسرة تغنى ولا جزع

وفى العقد لمّا نزل الموت بأبى هاشم بن محمّد بن الحنفية لمّا سمّه سليمان قال لمحمّد بن على بن عبداللّه بن العباس : إنّى ميّت ، وأنت صاحب هذا الأمر ، وولدك القائم به ثمّ أخوه من بعده ، واللّه ليتمنّ اللّه هذا الأمر حتّى تخرج الرايات السود من خراسان ثمّ ليغلبنّ ما بين حضرموت ، وأقصى إفريقيّة ، وما بين عانة ، وأقصى فرغانة . فعليك بهؤلاء الشيعة ، واستوص بهم الخير . فهم دعاتك ، وأنصارك ، ولتكن دعوتك خراسان لا تعدّوها لا سيما مرو ، واستبطن هذا

الحى من اليمن ٠فإنّ كلّ ملك لا يقوم به ٠فمصيره إلى انتقاض، وانظر هذا الحى من ربيعة ٠فإنّهم معهم فى كلّ أمر ٠وانظر هذا الحى من قيس وتميم فاقصهم الأمن عصم اللّه منهم ،وذلك قليل ثم مرهم أن يرجعوا ٠فليجعلوا اثنى عشر نقيباً و بعدهم سبعين نقيباً ٠فإنّ اللّه لم يصلح أمر بنى إسرائيل إلاّ بهم ،وقد فعل ذلك النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ٠فاذا مضت سنة الحمار ٠فوجّه رسلك فى خراسان منهم من يقتل ،ومنهم من ينجو حتّى يظهر اللّه دعوتكم ٠فقال محمّد لأبى هاشم : وما سنة الحمار؟ قال : إنّ اللّه لم يمض مأة سنة من نبوّة قط إلاّ انتقض أمرها لقوله ـ عز وجلّ ـ «أو كالّذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنّى يحيى هذه اللّه بعد موتها فأماته اللّه مأة عام ـ إلى قوله ـ وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس»[1].

ثم قدم الشيعة على محمّد بن على فاخبروه أنّهم حبسوا بخراسان فى السجن ،وكان يخدمهم فيه غلام من السرّاجين ما رأوا قط مثل عقله و ظرفه ،و محبّته فى أهل بيت النبىّ يقال له : أبو مسلم ٠فقال : أحرّ أم عبد ٠قالوا : أمّا عيسى فيزعم أنّه عبد ،وأمّا هو فيزعم أنّه حرّ ٠قال : فاشتروه واعتقوه ،واجعلوه بينكم إذ- رضيتموه ٠فلمّا انقضت المأة سنة بعث محمّد رسله إلى خراسان ٠فغرسوا بها غرساً ،وأبو مسلم المقدّم عليهم ،وثارت الفتنة فى خراسان بين المضرية واليمنية فتمكن أبو مسلم ،وفرّق رسله فى كور خراسان يدعوا الناس إلى آل الرسول فأجابوه.

قول المصنّف «والمرود هنا مفعل من الإرواد» بمعنى أنّه اسم مكان ٠فإنّ غير الثلاثى المجرد اسم مكانه بلفظ اسم مفعوله ٠فيكون بضم الميم ،وأما المرود بكسرها فهى حديدة مشدودة بالرسن إذا دار المهر دار معه يقال «دار المهر فى المرود» قال عباس بن مرداس.

على شخص الابصار تسمع بينها إذا هى جالت فى مراودها عزفا

(١) البقرة : ٢٥٩ .

ـ أى صهيلا ـ .

٢٨ فى ١٠٢ / ١

(مِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ)

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ. وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ. وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ. فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ. يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ. وَايْمُ اللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ

وفى ١٠١ / ١ : فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَابَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ.

قول المصنّف «ومنها فى خطاب أصحابه» هكذا فى المصرية ، وفى (حد) و الخطية «منها فى خطاب أصحابه» ومن الغريب أنّ فى نسختى ، من (ثم) بدله «ومن خطبة له عليه السلام» .

قوله عليه السلام «وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلةً» ـ إلى قوله ـ وقد ترون

عهود اللّه منقوضة فلا تغضبون ، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون» : أي تستنكفون .
قال (حد) الكلام خطاب لأصحابه الّذين أسلموا نواحيهم إلى جيوش معاوية يقول عليه السلام لهم : إنّ اللّه أكرمكم بالإسلام ، وبلغتم بذلك منزلة أكرم بها إمائكم ، ومن كان مظنّة المهانة ، ووصل بها جيرانكم : أي من التجأ إليكم من معاهد وذمّي حتّى عصم دمائهم وأموالهم ، ويعظّمكم من لا فضل لكم عليه كالروم . والحبشة ، و يهابكم من لا يخاف لكم سطوة كالملوك الّذين في أقاصي البلاد كالهند والصين بأنّكم تقهرون الأمم بالنصر السماوي .

قيل : إنّ العرب لمّا عبرت دجلة إلى القصر الأبيض بالمدائن عبرتها في أيام مدّها ـ وهي كالبحر الزاخر ـ على خيولها ، وبأيديها رماحها . فهربت الفرس بعد رمي شديد منهم للعرب ، والعرب يقدمون . فقال فلّاح نبطي بيده مسحاته يفتح الماء إلى زرعه : لا سوار معروف بالباس ، امثلكم في سلاحكم يهرب ، من هؤلاء الخاسرين . فقال له : اقم مسحاتك فأقامها فرماها فخرق الحديد ثمّ قال : انظر الآن ثمّ رمى بعض العرب المارّين عليه عشرين سهماً لم يصبه بسهم . فقال له : أعلمت إنّ القوم مصنوع لهم ـ ثمّ قال عليه السلام : مالكم لا تغضبون وأنتم ترون عهود اللّه منقوضة ـ إلخ ـ .

قلت : على ما ذكره يكون الكلام منقطعاً غير مجتمع ، والصواب أن يقال : إنّه عليه السلام قال لهم : إذ بلغتم من كرامة اللّه تعالى لكم بدين الإسلام تلك المنزلة الّتي وصفها عليه السلام بتلك الأوصاف الأربعة . فلم ترون عهود اللّه منقوضة ولا تغضبون مع أنّكم عن نقض ذمم آبائكم تأنفون هل يكون اللّه تعالى عندكم أقلّ من آبائكم ، وهل آباؤكم في أنفسكم أجلّ من اللّه ـ عزّ وجلّ ـ وهو الّذي منّ عليكم بما منّ اللّه .

وصدق ـ صلوات اللّه عليه ـ يقتل الحسين ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله ومن أنزل تعالى فيه «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»

وأنزل فيه «وأبناءنا وأبناءكم»[٢] ويقول النبى صلى الله عليه وآله فيه «إنه سيّد شباب أهل الجنّة وريحانتى من الدنيا» وتسبى أخواته وبناته بمرأى منهم ومسمع. فيصمتون كأن لم يقع شئ، ويستجير عبيد الله ذاك الرجس النجس الخبيث المخبث بعد قتل يزيد بهم فيمنعون منه لئلاّ تخفر ذمّتهم.

هذا، وممّن أنف من نقض عهد أبيه ـ وإن كان ذا حمية فى الدين أيضاً فى حيوته عليه السلام وبعده كأبيه ـ قيس بن سعد بن عبادة. فكان أبوه قسّم أمواله بين ولده قبل خروجه إلى الشام. ثمّ ولد بعده له ولد. فأراد أبوبكر وعمر أن ينقضا ما فعله سعد لأنّه لم يبايعهما، وإلاّ فلم يكن للولد سهم بعد التقسيم. فخلى قيس نصيبه لذاك الولد لئلاّ ينقض عمل أبيه.

وفى كامل المبرد، وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه ـ وكان أبوه جواداً شريفاً ـ فاستجارت إمرأة من بنى جعفر بن كلاب بقبره لئلاّ يسمّيها الفرزدق ويسبّها لما هجا بنى جعفر بن كلاب فلم يذكر لها إسماً ولا نسباً، وقال:

عجوز تصلّى الخمس عاذت بغالب
فلا والّذى عاذت به لا أضيرها

ولمّا ولّى الحجّاج تميم بن زيد القينى السند دخل البصرة. فجعل يخرج من أهلها من شاء فجائت عجوز الى الفرزدق فقالت: إنّى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات. فقال لها: وما شأنك؟ فقالت: إنّ تميم بن زيد خرج بابن لى معه ولا قرّة لعينى، ولا كاسب لى غيره. فقال لها: وما اسم ابنك. فقالت: خنيس. فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض من شخص:

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى بظهر فلا يخفى علىّ جوابها
وهب لى خنيساً واحتسب فيه منّة لعبرة أمّ ما يسوغ شرابها
اتتنى فعاذت يا تميم بغالب وبالحفرة السافى عليها ترابها

(١) الاحزاب: ٣٣. (٢) آل عمران ٦١.

وقد علم الأقوام انك ماجد وليث إذا ما الحرب شبّ شبابها

فلمّا ورد الكتاب على تميم تشكك فى الإسم ، فقال : أحبيش أم خنيس ؟ ثمّ قال : انظروا من له مثل هذا الإسم فى عسكرنا ، فاصيب ستّة ما بين حبيش و خنيس فوجّه بهم إليه .

وظلع مكاتب لبنى منقر بمكاتبته ، فأتى قبر غالب أيضاً فاستجار به وأخذ منه حصيات ، فشدّهن فى عمامته ، ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال : إنّى قد قلت شعراً ، فقال : هاته ، فقال :

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعد ما خشيت الردى أو أن أردّ على قسر

بقبر امرئ تقرى المئين عظامه ولم يك إلاّ غالباً ميّت يقرى

فقال لى استقدم إمامك إنّما فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق : ما اسمك قال : لهذم ، فقال : يا لهذم حكمك مسمّطاً . قال : ناقة كوماء سوداء الحدقة ، قال : يا جارية اطرحى إلينا حبلاً ، ثمّ قال : يا لهذم اخرج بنا إلى المربد ، فالقه فى عنق ما شئت ، فتخير العبد على عينه ، ثمّ رمى بالحبل فى عنق ناقة ، وجاء صاحبها ، فقال له الفرزدق : اغدعلىّ فى ثمنها ، فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتّى إذا نفذ بها من البيوت الى الصحراء صاح به الفرزدق : يا لهذم قبّح اللّه أخسر ناصفقة .

وروى أنّ رجلاً من السواقط ـ من بنى أبى بكر بن كلاب قدم اليمامة ، و معه أخ له ، فكتب له عمير بن سلمى أنه له جار ـ وكان أخو هذا الكلابى جميلاً ـ فقال له قرين أخو عمير : لا تردّنّ أبياتنا بأخيك هذا ، فرآه بعد بين أبياتهم فقتله ـ وكان عمير غائباً ـ فأتى الكلابى قبر سلمى أبى عمير ، وقرين فاستجار به ، وقال : أبياتاً ، فلجأ قرين إلى قتادة بن مسلم ـ من بنى حنيفة ـ فحمل قتادة إلى الكلابى ديات متضاعفة ، وفعلت وجوه بنى حنيفة مثل ذلك ، فأبى الكلابى أن يقبل ، فلجأ قرين إلى خاله السمين بن عبد اللّه ، فلم يمنع منه عميراً ، فأخذه عمير

فمضى به حتّى قطع الوادى . فربطه إلى نخلة ، وقال للكلابى : أما اذ أبيت إلاّ قتله ، فأمهل حتّى اقطع الوادى ، وارتحل عن جوارى . فلا خير لك فيه فقتله الكلابى . ففى ذلك يقول عمير :

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا وكان أبونا قد تجيز مقابره

«وكانت اُمور اللّه عليكم ترد ، وعنكم تصدر ، وإليكم ترجع . فمكّنتم الظلمة من منزلتكم ، وألقيتم إليهم أزمّتكم ، وأسلمتم اُمور اللّه فى أيديهم يعملون فى الشبهات» هكذا فى المصرية ، والصواب (بالشبهات) كما فى (حد) و (ثم) والخطية .

«ويسيرون فى الشهوات» قال (حد) معنى كلامه عليه السلام إنّ الأحكام الشرعية كانت إليكم ترد منّى ، ومن تعليمى إيّاكم ، ومن تثقيفى لكم . ثمّ يصدر عنكم إلى من تعلّمونه إيّاها من اتباعكم ثمّ ترجع إليكم بأن يتعلّمها بنوكم واخوتكم من هؤلاء الاتباع ـ الخ ـ

قلت : هو أيضا بلا ربط ، وإنّما المراد إنّكم كنتم موارد اُمور اللّه ، ومصادرها ، ومراجعها حيث إنّكم أنتم المعتقدون بالإسلام . فمكّنتم الظلمة ـ أعداء الإسلام ومن دخل فى الإسلام كرهاً ـ فصاروا بدلكم مراجع ومصادر . والعجب من الناس رأوا أيّام عثمان بنى اُميّة يصلّون بالناس سكارى ويتّخذون عباد اللّه خولاً ، ودين اللّه دغلاً ودخلاً لم يساعدوا أمير المؤمنين عليه السلام فى أيّامه مع كونه عليه السلام يحملهم على المحجّة البيضاء ، والصراط المستقيم ، والدين القويم ـ وكان فاروقهم بذلك عارفاً ومعترفاً ـ بل خذلوه عليه السلام وعملوا أعمالاً صار سبباً لتقوية معاوية عدوّ الدين ولعين النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وأغرب أنّهم رأوا معاوية ويزيد ، وما عليه بنو اُميّة من الكفر والعتو ، ومع ذلك ألقوا اُمورهم إلى عبد الملك .

وأعجب من ذلك أنّهم غدروا مع مصعب فى حيوته ـ وإن لم يكن هو خيراً من عبد الملك حتّى أنّه قتل آلافاً من الناس صبراً لم يكن جرمهم إلاّ أنّهم انتصروا

لا بن بنت نبيّهم ﷺ وقتلوا قاتليه حتّى قال له ابن عمر: لوكانوا من أغنام أبيك ماحلّ لك قتلهم ـ وعيّنوا بعده يوماً لاقامة مراسم العزاء له، وسنّوا زيارة قبره. فعلوا ذلك لما أمر معزّ الدولة الديلمى فى بغداد باقامة مراسم العزاء للحسين عليه السلام فى يوم قتله عاشوراء أداء لبعض حقّه حيث أنّه أحيى الإسلام بجهاده، و إنّما اختاروه عناداً مع النبىّ ﷺ حيث إنّه هوالّذى قتل أنصار أهل بيته أفّ لهم. فكلّهم قتلة آل الرسول ﷺ لكن لاغرو فلازم صحّة خلافة صدّيقهم ذلك.

«وأيم اللّه لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب» فى كامل المبرد نظر الحجّاج. فإذا جلّ من خرج عليه مع ابن الأشعث من الفقهاء وغيرهم، من الموالى. فأحبّ أن يزيلهم عن موضع الفصاحة، والآداب، ويخلّطهم بأهل القرى و الأنباط. فقال: إنّما الموالى علوج، و إنّما أتى بهم من القرى. فقراهم أولى بهم. فأمر بتسييرهم من الامصار، و اقرار العرب بها، وأمر بأن ينقش على يد كلّ إنسان منهم اسم قرية، وطالت ولايته. فتوالد القوم هناك فخبثت لغات أولادهم، و فسدت طبائعهم ـ إلى أن قال ـ.

وردّ سليمان بن عبد الملك بعد الحجاج المنقوشين. فرجعوا فى صورة الانباط. ففى ذلك يقول الراجز:

جارية لم تدر ما سوق الابل أخرجها من كنّ و ظل
لوكان بدر حاضراً وابن حمل مانقشت كفاك فى جلد جلل

«لجمعكم اللّه لشرّ يوم لهم» بقيام دعاة بنى العباس من سنة المأة عليهم ولمّا قاتل عبد اللّه بن على، مروان بن محمّد بالزاب نادى عبد اللّه: يا أهل خراسان يا لثارات إبراهيم، وأمر الناس بالنزول. فنزلوا، وأشرعوا الرماح. فجعل أهل الشام يتأخّرون كأنّهم يدفعون، وقال مروان لقضاعه: انزلوا. فقالوا: قل لبنى سليم. فلينزلوا. فأرسل إلى السكاسك أن أحملوا. فقالوا: قل لبنى عامر فيحملوا. فأرسل إلى السكون أن احملوا. فقالوا: قل لغطفان. فيحملوا. فقال

لصاحب شرطته: انزل قال: لا والله ماكنت لأجعل نفسى غرضاً. قال: أما والله لأسوءنك. قال: ودت والله أنك قدرت على ذلك، ثم انهزم أهل الشام وانهزم مروان، وقطع الجسر. فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل. فكان فى من غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وأمر عبد الله بن على، فعقد الجسر على الزاب واستخرجوا الغرقى. فكان فى من أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك. فقال عبد الله بن على «وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون» وحوى عبد الله عسكر مروان بما فيه فوجد فيه سلاحاً كثيراً، وأموالاً، ولما بلغ السفاح أمر عبد الله و مروان قال: «فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر» ـ الآية ـ.

وفى الطبرى كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبر شيئاً إلا كان فيه الخلل، والفساد. فأمر بأموال. فاخرجت. فقال للناس: اصبروا، وقاتلوا. فهذه الأموال لكم. فجعل ناس منهم يصيبون من ذلك المال. فأرسلوا إليه ان الناس قد مالوا على هذا المال، ولا نامنهم أن يذهبوا به. فأرسل إلى ابنه عبد الله سر فى أصحابك إلى موخر عسكرك. فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم. فمال عبد الله برايته وأصحابه. فقال الناس الهزيمة. فانهزموا، ومضى مروان منهزماً من بلد إلى بلد حتى انتهى إلى بوصير فبيته عامر بن إسماعيل و شعبة، ومعهما خيل الموصل. فقتلوه بها، وهرب ابناه عبد الله ليلة بيت إلى أرض الحبشة فلقوا من الحبشة بلاء قاتلتهم الحبشة فقتلوا عبد الله، وأفلت عبيد الله فى عدة وقتل عبد الله بن على بنهر أبى فطرس اثنين وسبعين رجلاً من بنى أمية فى سنة (١٣٢) وقتل داود بن على من كان أخذ من بنى أمية بمكة والمدينة فى سنة (١٣٣).

هذا، وأغرب (ثم) فى شرح قوله ﷺ «وأيم الله لوفر قوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم» فقال: الكلام تحذير لهم، وإنذار بما سيكون من بنى

أميّة من جمع الناس فى بلاءهم وشرورهم وعموم فتنتهم ، وكنّى باليوم عن مدّة خلافتهم الّتى كانت شرّ الأوقات على الإسلام وأهله ، وإنّما نسب التفريق إليهم والجمع إلى اللّه تقريراً لما سينزل به قدره من ابتلائه الخلق بهم فانّهم لو فرّقوهم فى أطراف البلاد لم يغنهم ذلك التفرّق عن لحوق قدر اللّه لهم ، ولم يمنعهم من نزوله بجمعهم بما يراد لهم من الإبتلاء بدولة بنى أميّة ، وشرورها ـ إلخ ـ وهو كما ترى خبط عجيب .

قوله عليه السلام فى الثانى «فاقسم باللّه يابنى أميّة عمّا قليل» بانقضاء ثمانين سنة مدّة ملكهم .

«لتعرفنّها» أى الخلافة والسلطنة الّتى تقتلون الناس عليها .

«فى أيدى غيركم ، وفى دار عدوّكم» بنى العباس .

٢٩ فى ١٤٧ ٪ ١

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ . فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعَشْوَةِ وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا ، وَظُهُورِ كَمِينِهَا ، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا . تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ . شَبَابُهَا كَشَبَابِ الْغُلَامِ وَآثَارُهَا كَآثَارِ السَّلَامِ . تَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ . أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ . يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ . وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ عَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ . وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ . فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ . ثُمَّ يَأْتِي

بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ ٱلْفِتْنَةِ ٱلرَّجُوفِ ، وَٱلْقَاصِمَةِ ٱلزَّحُوفِ . فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ ٱسْتِقَامَةٍ ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ . وَتَخْتَلِفُ ٱلْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ ٱلْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا . مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ . يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ ٱلْحُمُرِ فِي ٱلْعَانَةِ . قَدِ ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ ٱلْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ ٱلْأَمْرِ . تَغِيضُ فِيهَا ٱلْحِكْمَةُ ، وَتَنْطِقُ فِيهَا ٱلظَّلَمَةُ . وَتَدُقُّ أَهْلَ ٱلْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا ، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا . يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا ٱلْوُحْدَانُ ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا ٱلرُّكْبَانُ . تَرِدُ بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ . وَتَحْلُبُ عَبِيطَ ٱلدِّمَاءِ . وَتَشْلِمُ مَنَارَ ٱلدِّينِ ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ ٱلْيَقِينِ . تَهْرُبُ مِنْهَا ٱلْأَكْيَاسُ ، وَتُدَبِّرُهَا ٱلْأَرْجَاسُ . مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ . تُقَطِّعُ فِيهَا ٱلْأَرْحَامُ ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلْإِسْلَامُ . بَرِيُّهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ

(مِنْهَا) بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ . يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ ٱلْأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ ٱلْإِيمَانِ . فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ ٱلْفِتَنِ وَأَعْلَامَ ٱلْبِدَعِ . وَٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ ٱلطَّاعَةِ . وَٱقْدَمُوا عَلَى ٱللهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ . وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ ٱلشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ . وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ٱلْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلطَّاعَةِ

أقول: أشار عليه السلام إلى فتن بعده عليه السلام متّصلة من بنى أميّة السفيانية، و المروانية، ومن بنى العباس، ومن بعدهم.

«ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض»: أى أهداف.

«بلايا قد اقتربت» هو شاهد ما قلنا، ويبطل قول (حد) إنّ الكلام إشارة إلى ملحمة فى آخر الزمان.

«فاتقوا سكرات النعمة» «إنّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى»[1] «ولو بسط اللّه الرزق لعباده لبغوا فى الأرض»[2]. وبنو إسرائيل سكروا بالنعمة بعد نجاتهم من فرعون. فكانوا يقتلون أنبياء اللّه، وعبدوا العجل كما قال لهم موسى ـ لما قالوا له «أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا». «عسى ربكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون»[3] وكذلك هذه الأمّة سلكوا مسلكهم حذو النعل بالنعل بعد بسط النعمة عليهم. فكانوا يقتلون أهل بيت نبيّهم، ويتّخذون العجل إماماً دون حجّة اللّه.

«واحذروا بوائق» جمع البائقة الداهية.

«النقمة»: أى نقمة اللّه «فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين»[4] «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون أو نرينّك الّذى وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون فاستمسك بالّذى أوحى إليك إنّك على صراط مستقيم»[5].

«وتثبّتوا»: أى تأنّوا.

«فى قتام»: أى غبار.

«العشوة»: أى الالتباس والحيرة، وفى الصحاح أوطأته عشوة وعُشوة و

(١) العلق: ٦.
(٢) الشورى: ٢٧.
(٣) الاعراف ١٢٩.
(٤) الزخرف: ٥٥
(٥) الزخرف: ٤١-٤٣.

عِشوة : أى أمراً ملتبساً ، وذلك إذا أخبرته بما أوقعته به فى حيرة أو بلية ، ومضى من الليل عَشوة بالفتح ، وهو ما بين أوّله إلى ربعه يقال : أخذت عليهم بالعَشوة أى بالسواد من الليل ، و اعوجاج .

«الفتنة» : أى اعوجاج فى الأمور يحصل من الفتنة . فيجب التثبت حتّى ترجع إلى الإستقامة .

«عند طلوع جنينها» : أى مستورها .

«وظهور كمينها» : أى خفيها .

«وانتصاب قطبها» فى الصحاح يجوز فى قطب الرحى الفتح والضم و الكسر .

«ومدار» : أى دوران .

«رحاها تبدو» : أى تشهر تلك الفتنة .

«فى مدارج خفيّة» جمع المدرجة : أى المذهب والمسلك . قال الشاعر فى سيف :

ترى أثره فى صفحتيه كأنّه مدارج شبثان لهنّ هميم

«وتؤول» : أى ترجع .

«الى فظاعة» : أى شناعة .

«جليّة» : أى واضحة يمكن أن يكون إشارة إلى جعلهم سبّه عليه السلام سنّة ، و سبّه عليه السلام كسبّ الله تعالى .

«شبابها» من شبّ الفرس يشُبّ ويشِبّ شِباباً وشبيباً : إذا قمص ولعب ، و أما الشَباب بالفتح . فجمع شاب والحداثة أيضا .

«كشباب الغلام» تقول «المرء فى شَبابه كالمهر فى شِبابه» .

«وآثارها كآثار السلام» جمع السَلِمة : أى الحجارة ، وفى المثل «أكتم للسرّ من السلام» .

«تتوارثها الظلمة بالعهود» بعهد الأوّل إلى الآخر أو بالمعاهدة بينهم بتفويضها إلى صاحبه فى حيوته حتّى يردّها إليه بعد وفاته.

ويمكن أن يكون الكلام إشارة إلى استخلاف معاوية ليزيد، وهو أوّل من عهد إلى إبنه من المتقدّمين عليه، وأخذ عهود الناس بذلك، وكان فظاعته جليّة لكون ابنه سكّيراً خميراً حتّى أنكر ذلك عليه بنو أميّة أنفسهم.

ففى خلفاء ابن قتيبة إنّ معاوية لمّا كتب إلى مروان - وكان عامله على المدينة - أن يبايع ليزيد. فأجابه مروان أنّ قريشاً قومك يأبون ذلك. فعزله جاء اليه فى أخواله من بنى كنانة، وقال له: يا ابن أبى سفيان أهدأ من تأمير الصبيان.

وفيه - بعد ذكر قدوم معاوية المدينة بنفسه لأخذ البيعة لابنه، ودخوله على عايشة - فقال لها: إنّ أمر يزيد قضاء من اللّه، وليس للعباد الخيرة من أمرهم، وقد أكّد الناس بيعته فى أعناقهم، واعطوا عهودهم ومواثيقهم. فعلمت عايشة أنّه سيمضى على أمره - إلى أن قال:

بعد ذكر حضور الحسين عليه السلام مع ابن عباس مجلسه، ووصف معاوية له عليه السلام يزيد - فقال عليه السلام لمعاوية (وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله و سياسته لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم تريد أن توهم الناس فيه كأنّك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عمّا كنت احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه من استقراءه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق للتراهن، و القينات ذوات المعازف، وضروب الملاهى.

وفيه أقبل عثمان بن محمد الثقفى من قبل يزيد واليا على المدينة، و مكّة، والموسم. فلمّا استوى على المنبر بمكّة رعف. فقال رجل مستقبلة جئت واللّه بالدم فتلقاه رجل آخر بعمامته. فقال: مه واللّه عمّ الناس. ثمّ قام يخطب. فتناول عصى لها شعبتان. فقال: مه شعب واللّه أمر الناس.

وفيه ـ بعد ذكر غلبة مسلم بن عقبة من قبل يزيد على المدينة ـ دعا بنى أسد ـ وكان عليهم حنقاً ·فقال :أتبايعون على أن أموالكم ودمائكم وأنفسكم خول ليزيد يقضى فيها ماشاء؟ ·

وفيه دخل شامى فى الحرّة على إمرأة ،ومعها صبى لها ·فقال لها :هل من مال؟ قال :لا والله ماتركوا لىّ شيئاً ·فقال لها :لتخرجن إلىّ شيئاً أولأقتلنّك وصبيك ·فقالت له :ويحك إنّما ابن أبى كبشة الأنصارى صاحب الرسول صلى الله عليه وآله و لقد بايعت أنا الرسول صلى الله عليه وآله يوم بيعة الشجرة قال :فأخذ برجل الصبى والثدى فى فمه فجذ به من حجرها ·فضرب به الحائط فانتثر دماغه فى الأرض·

«أوّلهم قائد لآخرهم ،وآخرهم مقتدٍ بأوّلهم» ولمّا كتب محمّد بن أبى بكر إلى معاوية قد رأيتك تسامى علياً عليه السلام ،وهو هو المبرز السابق فى كلّ خير ،وأنت أنت اللعين ابن اللعين كتب إليه كنّا وأبوك معنا فى حيوة نبيّنا نرى حقّ ابن أبى طالب لازماً لنا ،وفضله مبرّزاً علينا ،وكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتز علياً بعد النبىّ ،وخالفه ،وعلى ذلك اتّفقا واتّسقا ·ثمّ دعواه إلى أنفسهم ·فأبطأ عنهما ، وتلكّأ عليهما ·فهمّا به الهموم ،وأرادا به العظيم ·فبايع لهما وسلّم ،لا يشركانه فى أمرهما ،ولا يطّلعانه على سرّهما حتّى قبضا ·فخذ حذرك يا ابن أبى بكر تقصر من أن تساوى من أبوك مهّد مهاده ،وبنى ملكه وشاده ·فان يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله ،وإن يكن جوراً ·فأبوك أسّسه ،ونحن شركائه ،وبهديه أخذنا ، و بفعله اقتدينا ،ولولا ماسبقنا إليه أبوك ماخالفنا ابن أبى طالب ،وأسلمناله ،ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك ·فاحتذينا بمثاله ،واقتدينا بفعاله ·فعب أباك ما بدا لك أودع·

«يتنافسون» :أى يرغبون ·

«فى دنيا دنيّة ،ويتكالبون» :أى يتنازعون كالكلاب·

«على جيفة مريحة» من (أراح الشئ) :أى وجد ريحه ،وفى الخبر الدنيا

جيفة ،وطالبها كالكلاب.

«عن قليل يتبرّء التابع من المتبوع،والقائد من المقود .فيتزايلون» : أى يتباينون.

«بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء» إشارة إلى قوله تعالى «ولويرى الّذين ظلموا اذ يرون العذاب أنّ القوّة للّه جميعاوأنّ اللّه شديد العذاب اذ تبرّء الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب و قال الّذين اتّبعوا لوأنّ لناكرّه فنتبرّء منهم كماتبرّؤا منّا كذلك يريهم اللّه أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار»[1] و إلى قوله تعالى «كلما دخلت أمّة لعنت اختهاحتّى إذاأدّاركوا فيهاجميعاً قالت أُخراهم لاولاهم ربّنا هؤلاء ، أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاًمن النار قال لكلّ ضعف ولكن لاتعلمون وقالت أولاهم لاخراهم فماكان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بماكنتم تكسبون[2].

ذكر عليه السلام قوله«عن قليل يتبرّء التابع»ـ إلخ ـ استطراداً لئلاّ يبجحوا بأعمالهم ،ولا يحسبواكون ذلك كمالاً لهم لاأنّه عليه السلام انتقل من ذكر الملاحم.

«ثمّ يأتى بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف».أى الجائية بالاضطراب ، و التزلزل ،ومن أسماء البحر الرجّاف لاضطراب أمواجه ،والمراد بالفتنةالرجوف فتنة بنى العباس ورايا تهم السود الطالعة من خراسان.

«القاصمة»:أى الكاسرة.

«الزحوف» والزحوف تعبير عجيب عن رفع أمر بنى العباس قليلاً قليلاً حتى وصل إلى نيلهم الخلافة فيقال (زحف الدباء) إذامضى قدما ،والزحف سهم يقع دون الغرض ثمّ يصل إليه ،وزحف الصبى إذامشى على الأرض على يديه و رجليه ،والزحوف من النوق الّتى تجرّ رجليها إذا مشت.

(١) البقرة : ١٦٧ .

(٢) الاعراف : ٣٨ .

«فتزيغ قلوب» عن عترته المعصومين عليهم السلام .

«بعد استقامة ، وتضلّ رجال» من شيعته .

«بعد سلامة» : أى بعد سلامتها قبل تلك الفتنة من الضلال .

«وتختلف الأهواء عند هجومها» زيدية وعباسية ، وفى المروج والزيدية فى عصرهم كانوا ثمانى فرق : أوّلها المعروفة بالجارودية أصحاب أبى الجارود زياد بن المنذر العبدى قالوا : الإمامة مقصورة فى ولد الحسن والحسين والثانية معروفة بالمرثية ، والثالثة بالابرقية ، والرابعة باليعقوبية - أصحاب يعقوب بن علىّ الكوفى - والخامسة بالعقبية ، والسادسة بالابترية - أصحاب كثير الأبتر ، و منة الحسن بن صالح - والسابعة بالجريرية - أصحاب سليمان بن جرير - والثا بالميمانية - أصحاب محمّد بن اليمان الكوفى - وكان فرق أهل الإمامة على ذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاث وثلاثين فرقة ، وقد ذكرنا تنازع القطيعية بعد مضى الحسن العسكرى عليه السلام ، وما قالت الكيسانية ، وما تباينت فيه ، وغيرها من سائر طوائف الشيعة ، وهم ثلاث وسبعون فرقة ، والغلاة أيضاً ثمان فرق : المحمدية أربع ، والعلوية أربع .

وفيه الراوندية شيعة العباسيّين القائلة بأنّ أحق الناس بالإمامة بعد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عمه العباس ، وأجازوا بيعة على عليه السلام باجازة العباس لها ، وصنّفوا فى ذلك كتباً ، ومنها كتاب إمامة ولد العباس الّذى صنّفه الجاحظ ، لهم يذكر فيه فعل أبى بكر فى فدك ، والّذى ذهب إليه من تأخّر منهم ، وهم أصحاب أبى مسلم إنّ الإمام بعد على عليه السلام وهو محمّد بن الحنفية ، وبعده ابنه أبو هاشم ، و بعده على بن عبد الله بن العباس لكونه وصيه ، وبعده ابنه إبراهيم ، و بعده أخوه السفاح ، وهكذا .

«وتلتبس» : أى تشتبه وتختلط .

«الآراء عند نجومها» : أى ظهورها وطلوعها يقال : نجم السنّ . نجم

القرن : نجم النبت .

«من أشرف لها» : أى نصب لها .

«قصمته» : أى كسرته الظاهر إشارة إلى من بيّض، وخرج على العباسيّين المسودة .

«ومن سعى فيها» كأبى سلمة ، وأبى مسلم .

«حطمته» : أى دقّته . والحطمة اسم من أسماء جهنّم لأنّها تحطم ما تلقى ، ويقال : رجل حُطَم و حُطَمة إذا كان قليل الرحمة للماشية ، وفى المثل « شرّ الرعاء الحطمة » وقال الراجز « قد لفّها الليل بسوّاق حطم » والحطام ما تكسر من اليبيس

«يتكادمون» : أى يتعاضّون . فالكدم العضّ بأدنى الفم كما يكدم الحمار .

«تكادم الحمر» جمع الحمار .

«فى العانة» فى الجمهرة العانة : القطعة من حمير الوحش خاصة ، و سمّيت عانة الإنسان تشبيهاً بذلك ـ إلخ ـ ولعلّه اشارة بقتل أبى مسلم لأبى سلمة .

«قد اضطرب معقود الحبل» : أى حبل الإمامة بكونهم اثنى عشر عيّنهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

«وعمى وجه الأمر» بأنّ الإمام من كان معصوماً كالنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لكونه خليفة

«تغيض» من (غاض الماء) قلّ ونضب يقال : غاض الكرام ، وفاض اللئام .

«فيها الحكمة» الظاهر كونه بالتحريك كونه جمع الحاكم بقرينة بعده (الظلمة) .

«وتنطق فيها الظلمة» فسكت أبو عبد الله الصادق أحد الحكمة من العترة الطاهرة ، وزعيم الإمامة ذاك اليوم ، ونطق الظلمة ولد محمّد بن على بن عبد الله بن عباس، فقال السفاح فى خطبته المابويع «وضعنا الله من الإسلام ، و أهله بالموضع الرفيع . فقال تعالى فى ما انزل من محكم القرآن «إنّما يريد الله ليذهب

غنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[1] وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم

وقال داود بن على فى خطبة ذاك اليوم: الآن طلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس بأريها، وعاد السهم إلى منزعه، ورجع الحقّ فى نصابه فى أهل بيت نبيّكم.

«وتدقّ أهل البدو»: أى البادية.

«بمسحلها»: أى مبردها يقال (سحلت الشئ: أى سحقته، وسحلت الرياح الأرض: كشطت ادمتها.

«وترضّهم»: أى تدقّهم.

«بكلكلها» فى الصحاح الكلكل والكلكال: اسم الصدر.

«يضيع فى غبارها الوحدان» جمع الواحد.

«ويهلك فى طريقها الركبان» فى الصحاح الركب أصحاب الإبل فى السفر دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها، والجمع اركب «والركبة بالتحريك أقل من الركب» والأُركوب بالضم أكثر من الركب والركبان الجماعة منهم.

فى الطبرى فى سنة (٢٢٠) خرج المعتصم إلى القاطول، وكان سبب خروجه أن غلمانه الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلاً فى أرباضها، وذلك أنّهم كانوا عجماً جفاة يركبون الدواب. فيتراكضون فى طرق بغداد وشوارعها. فيصدمون الرجل والمرأة، ويطؤن الصبى. فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم. فربما هلك من الجراح بعضهم. فشكت الأتراك ذلك الى المعتصم، وتأذّت بهم العامة. فذكر أنّه رئى المعتصم راكباً منصرفاً من المصلّى فى يوم عيد أضحى أو فطر فلمّا صار فى مربعة الحرشى نظر إلى شيخ قد قام إليه. فقال له: يا أبا اسحق فابتدره الجند ليضربوه. فأشار إليهم المعتصم. فكفّهم عنه. فقال للشيخ: مالك؟ قال: لا جزاك الله عن الجوار خيراً

(١) الاحزاب: ٣٣.

جاورتنا ،وجئت بهؤلاء العلوج ·فأسكنتهم بين أظهرنا ·فأيتمت بهم صبياننا و أرملت بهم نسواننا ،وقتلت بهم رجالنا ـ والمعتصم يسمع ذلك كلّه ـ ثمّ دخل داره ·فلم يرراكباً إلى السنة القابلة فى مثل ذلك اليوم خرج فصلّى بالناس العيد ثمّ لم يرجع إلى منزله ببغداد ،وصرف وجه دابّته إلى ناحية القاطول ـ إلخ·

«ترد بمرّ القضاء»: أى الحكم·

فى الطبرى أخذ المنصور فى سنة (١٥٣) الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول ،وكانوا فى ما ذكر يحتالون لها بالقصب من داخل ·فقال أبو دلامة:

وكنّا نرجّى من إمام زيادة فزاد الإمام المصطفى فى القلانس

تراها على هام الرجال كأنّها دنان يهود جللت بالبرانس

وفيه لمّا أراد المنصور الأمر ببناء سور الكوفة ،وبحفر خندق لها أمر بقسمة (خمسة دراهم خمسة دراهم) على أهل الكوفة ـ وأراد بذلك علم عددهم · فلمّا عرف عددهم أمر بجبايتهم من كلّ انسان (أربعين درهماً أربعين درهماً) فجبوا ·فأمر بانفاق ما جبى على السور ،وحفر الخندق ·فقال شاعرهم:

يا لقومى مالقينا من أمير المؤمنينا

قسم الخمسة فينا وجبانا الأربعينا

وفى المقاتل عن على بن الجعد قال: رأيت أهل الكوفة أيّام أخذوا بلبس السواد حتّى أنّ البقالين إن كان أحدهم ليصبغ الثوب بالأنقاس ـ أى المداد الّذى يكتب به ـ ثمّ يلبسه·

«وتحلب عبيط الدماء»: أى خالصها ،وطريّها ·فقتل أبو مسلم فى سبيل الدولة العباسية ستّمأة ألف صبراً غير من قتله فى حروبه·

وقتل عبد اللّه بن على لمّا خرج على المنصور نحواً من سبعة عشر ألفاً من أصحابه من أهل خراسان خشى ألاّ يناصحوه أمر صاحب شرطه ·فقتلهم وقتل فى حروب المنصور ما لا يحصى·

وفى المقاتل كان المنصور إذا اتّهم أحداً من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أرسل لمأبطلبه . فكان يمهل حتّى إذا غسق الليل ، و هدء الناس نصب سلّماً على منزل الرجل فطرقه فى بيته فيقتله ، ويأخذ خاتمه. فقيل لابنه العباس بن سالم : لولم يرثك أبوك إلاّ خواتيم من قتل من أهل الكوفة لكنت أيسر الأبناء .

«وتثلم» : أى توجد تلك الفتنة الخلل .

«منار الدين» وفى الصحاح المنار : علم الطريق .

«وتنقض عقد اليقين تهرب منها الأكياس» وفى الكشى عن صفوان الجمال قال لى الكاظم عليه السلام : كلّ شىء منك حسن جميل ماخلا شيئاً واحدا إكراؤك جمالك من هذا الرجل ـ يعنى هرون ـ قلت : والله ماأكريته أشراً ولا بطراً ، ولا لصيد ، ولا للهو ، ولكن أكريته لهذا الطريق ـ يعنى طريق مكّة ـ ولا أتولاّه بنفسى ، ولكن ابعث معه غلمانى . فقال : أيقع كراؤك عليهم؟ قلت : نعم قال : اتحب بقائهم حتّى يخرج كراك؟ قلت : نعم . قال : فمن أحبّ بقائهم فهو منهم ، ومن كان منهم كان وقود النار ، قال : فذهبت وبعت جمالى عن آخرها .

«وتدبّرها الارجاس» فى المروج قال المنصور يوماً بعد قتل محمّد و إبراهيم لجلسائه : تالله مارأيت رجلاً أنصح من الحجّاج لبنى مروان . فقام المسيب بن زهرة الضبى . فقال : ماسبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه ، والله ماخلق الله على جديد الأرض خلقاً أعزّ علينا من نبيّنا ، وقد أمرتنا بقتل أولاده . فاطعناك وفعلنا ذلك . فهل نصحناك أم لا؟ قال : له اجلس لا جلست .

«مرعاد مبراق» كناية عن التهديد والوعيد .

«كاشفة عن ساق» كناية عن الشدّة . قال الشاعر «فى سنة قد كشفت عن ساقها» وقال تعالى فى وصف يوم القيامة «يوم يكشف عن ساق» (١) تقطّع فيها

(١) القلم : ٤٢ .

الأرحام ، ويفارق عليها الإسلام» كان المنصور مرعاداً مبراقاً · فتهدّد أهل الكوفة لكونهم شيعة باخراب ديارهم ومحو آثارهم ، وتقطّع فيه الأرحام · فكان أوّل من ناصب من العباسيّة للطالبيّة ، وكانوا قبل تابعين لهم يجمع بينهما الهاشميّة ، و فارق الإسلام حيث إنّه سبّ الأئمّة عليهم السلام وقتل من أولادهم مالا يحصى ··

ففى المروج لمّا أخذ المنصور عبد الله بن الحسن ، وأهل بيته صعد المنبر بالهاشميّة ، وقال : يا أهل خراسان أنتم شيعتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيراً منّا إنّ ولد أبى طالب تركناهم والخلافة · فلم نعرض لهم بقليل وكثير · فقام فيها على · ثمّ أفلح وحكم الحكمين · فاختلفت عليه الأمّة ، وافترقت الكلمة ثمّ وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته · فقتلوه · ثمّ قام بعده الحسن فما كان برجل عرضت عليه الأموال · فقبلها ، ودسّ إليه معاوية أنّى أجعلك ولى عهدى · فخلعه و انسلخ له ممّا كان فيه ، وسلّمه إليه ، وأقبل على النساء يتزوّج اليوم واحدة ، و يطلّق غدا أخرى ، فلم يزل كذلك حتّى مات على فراشه · ثمّ قام من بعده الحسين فخدعه أهل العراق ـ إلخ ـ ويقال له فى الحسن عليه السلام : من كان له أمير جند مثل عمك عبيد الله بن العباس لا بد أن يترك الأمر ·

وفى الطبرى أن المنصور لمّا عزم على الحج دعا ريطة بنت السفاح إمرأة ابنه المهدى ـ وكان المهدى بالرى ـ فأوصاها بما أراد ، وعهد إليها ، ودفع إليها مفاتيح الخزائن ، ووكّد الإيمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن ، ولا تطلع عليها أحدا إلاّ المهدى إذا صح عندها موته · فإذا صحّ اجتمعت هى والمهدى ـ وليس معهما ثالث ـ حتّى يفتحا الخزانة · فلمّا قدم المهدى من الرى دفعت إليه المفاتيح ، وأخبرته أنّ أباه تقدّم إليها ألاّ يفتحه حتّى يصحّ عنده موته

فلمّا انتهى إلى المهدى موته ، وولّى الخلافة فتح الباب ، ومعه ريطة · فإذا أزج ـ أى سرداب ـ كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبيين ، وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم ، وإذا فيهم أطفال و رجال شباب ، و مشايخ عدّة كثيرة

فارتاع المهدى وأمرفحفرت لهم حفيرة ،فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان .

«بريّها» هكذا فى المصرية ،والصواب (بريئها) كمافى (حد) و(ثم) .

«سقيم وظاعنها» :أى مرتحلها .

«مقيم» و إنّما حكم عليه السلام بكون بريئها سقيماً ،وظاعنها مقيماً بمعنى عموم الفتنة ،وعدم نجاة أحد منها أولأنّ الظلمة كزياد ،والحجّاج ،وغيرهما كانوا يأخذون البرئ من الجناية بالسقيم بها والمقيم بالمرتحل .

«منها» «بين قتيل مطلول» :أى مهدور دمه .قال الشاعر :

دماءهم ليس لها طالب مطلولة مثل دم العذرة

أيضاً :

تلكم هريرة ما تجف دموعها أهرير ليس أبوك بالمطلول

«وخائف مستجير» وكأنّ الفصل إشارة إلى حرب الأمين والمأمون وما نزل ببغداد .

ففى المروج لمّا نزل طاهربن الحسين بباب الأنبار ،وحاصربغداد ، و غادى القتال وراوحه حتّى خربت الديار ،وعفت الآثار ،وغلت الأسعار ،وقاتل الأخ أخاه ،و الابن أباه هؤلاء أمينيّة ،وهؤلاء مأمونيّة ،وهدمت المنازل،وأحرقت الديار ،وانتهبت الأموال ،وذلك فى سنة (١٩٦) فقيل فى ذلك :

تقطّعت الأرحام بين العشائر وأسلمهم أهل التقى و البصائر
فذاك انتقام اللّه من خلقه بهم لما ارتكبوه من ركوب الكبائر
فلانحن أظهرنا من الذنب توبة ولا نحن أصلحنا فساد السرائر
ولا نستمع من واعظ و مذكر فينجع فينا وعظ ناهٍ و آمر
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة ولا يستطيع البرّ دفعا لفاجر
تراهم كأمثال الذئاب رأت دما فامّتّه لا تلوى على زجر زاجر
وأصبح فسّاق القبائل بينهم تشدّ على أقرانها بالخناجر

فابك لقتلى من صديق ومن أخ كريم ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكى بحزن على ابنها فيبكى لها من رحمةٍ كلّ طائر
وذات حليل أصبحت وهى أيم وتبكى عليه بالدموع البوادر
وابراز ربّات الخدور حواسرا خرجنّ بلا خمر ولا بمآزر
تراها حيارى ليس تعرف مذهبا نوافر أمثال الظباء النوافر
وابك لاحراق وهدم منازل وقتل وانهاب اللهى والذخائر
كأن لم تكن بغداد أحسن منظراً وملهى راته عين لاهٍ وناظر
بلى هكذا كانت فأذهب حسنها وبدّد منها الشمل حكم المقادر
وحلّ بهم ماحلّ بالناس قبلهم فأضحوا أحاديثا لبادٍ وحاضر

ـ إلى أن قال ـ ولم تزل الحرب بين الفريقين أربعة عشر شهراً، وضاقت بغداد بأهلها، وتعطّلت المساجد، وتركت الصلوة، ونزل بها مالم ينزل بها قط مذ بناها المنصور ـ إلى أن قال ـ .

ولمّا ضاق بالأمين الأمر أمر قائداً من قواده يقال له (ذريح) ـ وقرن معه آخر يعرف بالهرش ـ أن يتبع أصحاب الأموال والذخائر من أهل الملّة وغيرهم فكانا يهجمان على الناس، ويأخذان بالظنة . فهرب الناس بعلّة الحج . فقال على الأعمى .

أظهروا الحج وما يبغونه بل من (الهرش) يريدون الهرب
كم أناس أصبحوا فى غبطة ركض اللّيل عليهم بالعطب

ـ إلى أن قال ـ وثارت العراة ذات يوم فى نحو مأة ألف بالرماح والقصب والطرادات القراطيس على رؤوسها، ونفخوا فى القصب وقرون البقر، وزحفوا من مواضع كثيرة . فبعث إليهم طاهر بعدّة قوّاد، وامراء من وجوه كثيرة، واشتد الجلاد، وكثر القتل، وكانت للعراة على المأمونية إلى الظهر ـ وكان يوم الاثنين ـ ثمّ ثارت المأمونية على العراة من أصحاب الأمين . ففرّق منهم و

قتل وأحرق نحو عشرة آلاف . ففى ذلك يقول الأعمى :

بالأمير طاهر بن الحسين صبّحونا صبيحة الاثنين
جمعوا جمعهم فثار إليهم كلّ صلب القناة والساعدين
ياقتيل العراة ملقى على الشط تطاه الخيول فى الجانبين
ماالّذى كان فى يدك إذا ما أصبح الناس آية الخلّتين
أوزيراً أم قائداً بل بعيد أنت من ذين موضع الفرقدين
كم بصير غدا بعينين كى ينظر ما حالهم فراح بعين

واشتدّ الأمر بالأمين فباع مافى خزائنه سرّاً ، وفرّق ذلك أرزاقاً فى من معه ولم يبق عنده مايعطيهم . فقال : ودّدت أنّ اللّه قتل الفريقين : أما هؤلاء فيريدون مالى ، وأما أولئك فيريدون نفسى ـ إلخ ـ

«يختلون» : أى يخدعون .

«بعقد» بالضم جمع عقدة .

«الأيمان» بالفتح جمع اليمين : أى القسم .

«وبغرور الايمان» بالكسر مصدر آمن .

«فلاتكونوا أنصاب» جمع النصب بفتحتين ، والنصب بضمتين : أى مانصب فعبد من دون اللّه .

وفى الأساس الأنصاب : حجارة تنصب و تصبّ عليها دماء الذبائح ، وتعبد .

«الفتن» جمع الفتنة .

وأعلام جمع العلم بالتحريك ، وفى الصحاح العلم : العلامة ، والجبل والراية .

«البدع» جمع البدعة : أى ادخال ماليس من الدين فى الدين .

«والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة» قال تعالى واعتصموا بحبل اللّه

جميعاً ولا تفرّقوا»[١].

«وبنيت» عطف على (عقد).

«عليه أركان الطاعة» يا أيّها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأُولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً[٢].

«وأقدموا عليه مظلومين، ولا تقدموا عليه ظالمين» فالمظلوم لا لوم عليه، والظالم لا نجاة له «الّذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم أُولئك لهم الأمن وهم مهتدون»[٣] «ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الّذين استكبروا للّذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الّذين استضعفوا للّذين استكبروا بل مكر الليل والنهار»[٤] «ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون»[٥] «ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون إنّما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء»[٦] «انّ ربّك لبالمرصاد»[٧].

ونظير كلامه عليه السلام هذا كلامه الآخر ـ كما روى ـ اختر أن تكون مغلوباً وأنت منصف، ولا تختر أن تكون غالباً وأنت ظالم.

«واتّقوا مدارج»: أى مسالك. قال الشاعر فى وصف سيف:

---

(١) آل عمران: ١٠٣.
(٢) النساء: ٥٩.
(٣) الانعام: ٨٢.
(٤) سبأ: ٣٣.
(٥) الانعام: ٩٣.
(٦) ابراهيم: ٤٢.
(٧) الفجر: ١٤.

ترى أثره فى صفحتيه كأنّه مدارج شبثان لهن هميم

أى مسالك أحناش ذوات أرجل كثيرة لهنّ دبيب.

«الشيطان ومهابط العدوان» قال تعالى «يا أيّها الّذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافّة ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين»(١) «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّبعوا خطوات الشيطان ومن يتّبع خطوات الشيطان فإنّه يأمر بالفحشاء والمنكر»(٢).

«ولا تدخلوا بطونكم لعق» فى الصحاح اللعقة: اسم ما تأخذه الملعقة واللعق اللحس باللسان.

«الحرام» قال النبىّ صلى الله عليه وآله: إنّ أكثر ما تلج به أُمّتى النار الأجوفان: البطن والفرج، وقال رجل للباقر عليه السلام: إنى ضعيف العمل. قليل الصوم، ولكنى أرجو ألاّ آكل إلاّ حلالاً. فقال عليه السلام: أى الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج.

«فإنّكم بعين من حرّم عليكم المعصية» «يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور»(٣).

وفى الكافى عن الصادق عليه السلام من همّ بسيّئة فلا يعملها فإنّه ربما عمل العبد السيّئة. فيراه الرب فيقول: وعزّتى لا أغفر لك بعد ذلك أبداً، وعن الكاظم عليه السلام إنّ لله تعالى فى كلّ يوم وليلة منادياً ينادى: مهلاً مهلاً عن معاصى الله. فلولا بهائم رتّع، وصبية رضّع، وشيوخ ركّع لصبّ عليكم العذاب ترضّون به رضّا.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام لا تبدين عن واضحة، وقد عملت الأعمال الفاضحة ولا تأمنن البيات، وقد عملت السيّئات.

---

(١) البقرة: ٢٠٨.
(٢) النور: ٢١.
(٣) غافر: ١٩.

وعن الرضا عليه السلام أوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الورى.

وعن الكاظم كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون.

وعن الصادق عليه السلام يقول تعالى إذا عصاني من عرفني سلّطت عليه من لا يعرفني.

وعنه عليه السلام تعوّذوا بالله من سطواته بالليل والنهار قيل له: وما سطواته؟ قال: الأخذ على المعاصي.

وعن الباقر عليه السلام اتّقوا المحقرات من الذنوب. فانّ لها طالبا، يقول أحدكم أذنب واستغفر إنّ الله تعالى يقول «سنكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين[1]» وقال تعالى «وإن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير»[2].

٣٠ في ١٠٤ / ١ (مِنْهَا)

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ. يَضَعُ ذٰلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ. مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ. لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ

(١) يس: ١٢.

(٢) لقمان: ١٦.

الْحِكْمَةِ ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ. فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ. قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ . وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا ، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا. مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ، وَنُسَّاكًا بِلَا صَلَاحٍ ، وَتُجَّارًا بِلَا أَرْبَاحٍ . وَأَيْقَاظًا نُوَّمًا ، وَشُهُودًا غُيَّبًا ، وَنَاظِرَةً عُمْيًا، وَسَامِعَةً صُمًّا، وَنَاطِقَةً بُكْمًا. رَأَيْتُ ضَلَالَةً قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا ، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا ، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا ، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا . قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ . فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ . تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ. أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ. وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ. فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ ، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ . وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ. فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ . فَعِنْدَ

ذٰلِكَ أَخَذَ ٱلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ ٱلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ ٱلطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ ٱلدَّاعِيَةُ. وَصَالَ ٱلدَّهْرُ صِيَالَ ٱلسَّبُعِ ٱلْعَقُورِ. وَهَدَرَ فَنِيقُ ٱلْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ. وَتَوَاخَى ٱلنَّاسُ عَلَى ٱلْفُجُورِ. وَتَهَاجَرُوا عَلَى ٱلدِّينِ. وَتَحَابُّوا عَلَى ٱلْكَذِبِ. وَتَبَاغَضُوا عَلَى ٱلصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ ٱلْوَلَدُ غَيْظاً. وَٱلْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ ٱللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ ٱلْكِرَامُ غَيْضاً. وَكَانَ أَهْلُ ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً. وَغَارَ ٱلصِّدْقُ، وَفَاضَ ٱلْكَذِبُ: وَٱسْتُعْمِلَتِ ٱلْمَوَدَّةُ بِٱللِّسَانِ وَتَشَاجَرَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقُلُوبِ. وَصَارَ ٱلْفُسُوقُ نَسَباً، وَٱلْعَفَافُ عَجَباً. وَلُبِسَ ٱلْإِسْلَامُ لُبْسَ ٱلْفَرْوِ مَقْلُوباً

قول المصنّف «ومنها» هكذا فى المصرية ،والصواب (منها) وإن كانت قبلها أخرى كما فى (حد) و(ثم) والخطية.

«طبيب دوّار بطبّه» فى الجمهرة رجل طبّ بالشئ :حاذق به ،ومنه اشتقاق الطبيب ،ومن أمثالهم «من حبّ طبّ» أى تأتّى لأموره ،وتلطّف لها.

وكان عليه السلام كطبيب دوّار لعلاج أمراض الأرواح .فكان يعظ من شهده شفاهاً ،ومن غاب عنه كتاباً ،وكان عليه السلام يعظ الناس عموماً وخصوصاً ليلاً ونهاراً.

ومن مواعظه العامة نهاراً أنه عليه السلام كان كلّ بكرة يطوف فى أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ،ومعه الدرّة على عاتقه ـ وكان لها طرفان ،وكان تسمى السبيبة ـ فيقف على سوق .فينادى :يامعشر التجار قدّموا الإستخارة ،وتبركوا بالسهولة واقتربوا من المبتاعين ،وتزيّنوا بالحلم ،وتناهوا عن اليمين ،وجانبوا الكذب ، و تجافوا عن الظلم ،وانصفوا المظلومين ،ولا تقربوا الربوا ،وأوفوا الكيل والميزان

ولا تبخسوا الناس أشيائهم ، ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ـ ثمّ يقول ـ :

تغنى اللذاذه ممّن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء فى مغبّتها ... لاخير فى لذّة بعدها النار

ومن مواعظه الليلية عموماً أنه عليه السلام كان بعد العشاء لمّا كان بالكوفة يقبل بوجهه على الناس فى المسجد ، ويذكّرهم بهذه الكلمات ـ ثلاث مرّات ـ تجهّزوا ـ رحمكم الله ـ فقد نودى فيكم بالرحيل . فما التعرج على الدنيا بعد نداء فيها بالرحيل . تجهّزوا رحمكم الله ، وانتقلوا بأفضل مابحضرتكم من الزاد ـ وهو التقوى ـ واعلموا أنّ طريقكم إلى المعاد ، وممرّكم على الصراط ، والهول الأعظم أمامكم فى طريقكم عقبة كؤدة ، ومنازل مخوفة مهولة لا بدّ لكم من الممرّ عليها والوقوف بها . فإمّا برحمة من الله ونجاة من هولها ، وعظم خطرها ، وفظاعة منظرها ، وشدّة مختبرها ، وإمّا بهلكة ليس بعدها انجبار .

وفى الخبر كان عليه السلام يمشى فى الأسواق وحدة يرشد الضال ، ويعين الضعيف والحمّال ، ويمسك الشسوع بيده . فيناول الرجل الشسع ، ويمرّ بالبياع والبقال . فيفتح عليه القرآن ، ويقرء «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»[1] .

«قد أحكم» والأصل فيه حكمة اللجام الّتى تحيط بالحنك تقول منه «حكمت الدابة وأحكمتها» .

«مراهمه» جمع المرهم : مايوضع على الجراحة قال فى الصحاح : المرهم معرّب ، ولكن فى الجمهرة الرهيمة ـ وجمعها رهام ـ الدفعة اللينة من المطر ومنه اشتقاق المرهم للينه .

«وأحمى» من قولهم أحميت الحديد فى النار .

«مواسمه» جمع الميسم مايحمى به ، وفى الصحاح أصل الياء واو . فإن شئت

(١) القصص : ٨٣ .

قلت فى جمعه : مياسم على اللفظ ، و إن شئت على الأصل مواسم .

روى عن جابة الوالبية قالت : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام فى شرطة الخميس ومعه درّة لها سبابتان يضرب بها بيّاع الجرى والمارماهى ، والزّمار ، ويقول لهم : يا بياع مسوخ بنى اسرائيل ، وجند بنى مروان ، فقام إليه فرات بن أحنف . فقال : من هم؟ قال: أقوام حلقوا اللحى ، وفتلوا الشوارب .

«يضع ذلك حيث الحاجة إليه» قال (حد) يقال : رؤى المسيح خارجاً من بيت مومسه . فقيل له : أمثلك يكون هيهنا؟ فقال : انما يأتى الطبيب المرضى .

هذا ، وفى شعراء القتيبى رأى دريد بن الصماء الخنساء تهنأ الابل . فقال فيها : أبياتاً منها :

ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم هانى أنيق إجرب
متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

«من قلوب عمى ، وآذان صمّ ، وألسنة بكم» حيث إنّه عليه السلام الهادى ، و فى تفسير الثعلبى لمّا نزل «إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد» وضع النبىّ صلى الله عليه وآله يده على صدره ، وقال : أنا المنذر — وأومئ بيده إلى علىّ عليه السلام — وقال : وأنت الهادى يهتدى بك ياعلى المهتدون بعدى» وفى مناقب السروى صنّف ابن عقدة كتاباً فى نزول الآية فيه عليه السلام .

«متّبع» كذا فى المصرية ، والصواب «متتبع» كما فى (حد) و (ثم) ، و الخطية .

«بدوائه مواضع الغفلة ، و مواطن الحيرة» قال (خو) روى بعض القدماء فى أصل له عن عمار قال : بينا أنا أمشى بأرض الكوفة اذ رأيت أمير المومنين عليه السلام جالساً ، وعنده جماعة من الناس ، وهو يصف لكلّ إنسان مايصلح له . فقلت : يا أمير المؤمنين أيوجد عندك دواء الذنوب . فقال : نعم اجلس فجثوت على ركبتى حتّى تفرّق عنه الناس . ثمّ أقبل علىّ و قال : خذ دواء أقول لك . قلت : قل

قال :عليك بورق الفقر ،وعروق الصبر ،وهليلج الكتمان ،و بليلج الرضا وغاريقون الفكر ،وسقمونيا الأحزان ،وأشربه بماء الأجفان ،وأغلقه فى طبخير القلق ،ودعه تحت ميزاب الفرق ،وصفّه بمنخل الأرق ،واشربه على الحرق ·فذاك دواك ، و شفاؤك ياعليل ·

«لم يستضيئوا بأضواء الحكمة» كأنّ فى هذا الكلام إلى قوله «والصخور القاسية» سقطاً حيث إنّ سياقه مخالف لسابقه ·

«ولم يقدحوا» من (قدحت النار) ·

«بزناد» بالكسر جمع الزند العود الّذى تقدح به النار ·

«العلوم الثاقبة» :أى المضيئة ·

«فهم فى ذلك كالأنعام السائمة» :أى المرسلة ،والراعية ·

«والصخور» :أى الحجارة العظام ·

«القاسية» :أى الصلبة ·

«قد انجابت» :أى انكشفت ·

«السرائر لأهل البصائر» الظاهر أنّ المراد بقوله عليه السلام قد انجابت السرائر لأهل البصائر انكشاف سرائر المتقدّمين عليه لأهل المعرفة ، ومن كان ذا بصيرة ·

روى الثقفى عن المسعودى ،عن محمّد بن كثير ،عن يحيى بن حماد القطان عن أبى محمّد الحضرمى ، عن أبى على الهمدانى أنّ عبد الرحمن بن أبى ليلى قام إلى علىّ عليه السلام فقال :إنّى أسألك لآخذ عنك ،وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً ·فلم تقله ،ألا تحدّثنا عن أمرك هذا أكان بعهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله أو شئ رأيته ·فانّا قد أكثرنا فيك الأقاويل ،وأوثقه عندنا ماقلت ،وسمعناه من فيك ، إنّا كنّا نقول :لورجعت إليكم بعد النبىّ صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد ،واللّه ماأدرى إذا سئلت ماأقول أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك ·

فإن قلت ذلك فعلى م نصبك النبىّ ﷺ بعد حجّة الوداع فقال «أيّها الناس من كنت مولاه فعلىّ مولاه» وإن تك أولى منهم بما كانوا فيه. فعلى م نتولاّهم؟

فقال عليه السلام: ياعبد الرحمن إنّ اللّه تعالى قبض نبيّه وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّى بقميصى هذا، وقد كان من نبىّ اللّه الىّ عهد لو خزمونى بأنفى لا قررت - إلى أن قال -

فقال عبد الرحمن فأنت ياأمير المؤمنين لعمرك كما قال الأول:

لعمرى لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له اذنان

«ووضحت محجّة الحق» فى الصحاح المحجّة جادّة الطريق.

«لخابطها»: أى خابط المحجّة من قولهم (خبط عشواء) أى ناقة فى بصرها ضعف تضرب بيدها الأرض لا تتوفى شيئاً. ومن قولهم «ما أدرى أىّ خابط ليل هو» يعنى أىّ الناس هو.

«وأسفرت»: أى كشفت.

«الساعة»: أى القيامة.

«عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسّمها»: أى متفرّسها يقال: توسمت فيه الخير: أى تفرّسته.

«مالى أراكم أشباحاً» أى أجساداً.

بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح»: أى أشخاص وأجسام.

«و نسّاكاً»: أى عبّاداً.

«بلا صلاح وتجّاراً بلا أرباح» حيث يحبطون عباداتهم.

ففى ثواب الأعمال عن حذيفة لا يزال (لا إله إلاّ اللّه) تردّ غضب الرب تعالى عن العباد ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم إذا سلم دينهم فإذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم إذا سلمت دنياهم ثمّ قالوها ردّت عليهم،

وقيل : كذبتم ولستم بها صادقين .

وعن زيد بن أرقم قال النبىّ صلى الله عليه وآله من قال (لا إله إلاّ اللّه) مخلصاً دخل الجنّة

وإخلاصه بها أن يحجزه (لا إله الاّ اللّه) عمّا حرّم اللّه .

وعن اسحق بن راهويه قال : لمّا وافى أبوالحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث . فقالوا له : يا ابن رسول اللّه ترحل عنا ، ولا تحدّثنا بحديث نستفيده منك ـ وقد كان قعد فى العمارية ـ فاطلع رأسه ، وقال : سمعت أبى عن آبائه عليهم السلام ـ واحداً بعد واحد ـ عن النبىّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن اللّه تعالى «لا إله إلاّ اللّه حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى» ـ فلمّا مرّت الراحلة نادى بشروطها ، وأنا من شروطها .

وعن أبى الجارود عن الباقر عليه السلام قال : قال النبىّ صلى الله عليه وآله : من قال (سبحان اللّه) غرس اللّه له بها شجرة فى الجنّة ، ومن قال (الحمد للّه) غرس اللّه له بها شجرة فى الجنّة ، ومن قال «لا إله إلاّ اللّه» غرس اللّه له بها شجرة فى الجنّة ومن قال «اللّه أكبر» غرس اللّه له بها شجرة فى الجنّة ، فقال رجل من قريش : إنّ شجرنا فى الجنّة لكثيرة . قال : نعم ، ولكن إيّاكم أن ترسلوا عليها ، نيراناً فتحرقوها ، وذلك أنّ اللّه ـ عزّ وجلّ ـ يقول «يا أيّها الّذين آمنوا اطيعوا اللّه واطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم»[1] .

«وأيقاظاً نوّماً» قال الفرزدق :

يستيقظون الى نهاق حميرهم وتنام أعينهم عن الأوتار

«وشهوداً غيّباً» يقال لصلوة المغرب : صلوة الشاهد لأنّها يصليها الغائب كما يصليها الشاهد .

(١) محمد : ٣٣ .

«وناظرة عمياً» غيّر عليه السلام خطابه من الجمع فى قوله (أشباحاً) إلى قوله (وشهوداً) إلى صيغة المفرد المؤنث بإرادة الطائفة تفنّنا ·

«وسامعة صمّاً» فمن سمع، ولم يجب يكن كالأصم ·

«وناطقة بكماء» أى خرساء، والأصل فى قوله عليه السلام «وناظرة عمياء وسامعة صماء وناطقة بكماء» قوله تعالى «صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون»[1] «صم بكم عمى فهم لا يعقلون»[2] ·

«رأيت ضلالة» هكذا فى المصرية بلفظ الفعل والفاعل والمفعول، والصواب «راية ضلالة» بلفظ مضاف، ومضاف إليه كما فى (حد) و(ثم) والخطية ·

قال (حد) قوله عليه السلام «راية ضلالة» ـ الخ ـ كلام منقطع عمّا قبله، لأنّ الرضى ـ رضى اللّه عنه ـ يلتقط الفصول الّتى فى الطبقة العلياء من كلامه عليه السلام فيذكرها، ويتخطى ماقبلها، ومابعدها، وهو عليه السلام ذكر ههنا مايحدث فى آخر الزمان من الفتن كظهور السفيانى وغيره

قلت: الرضى ـ رضى اللّه عنه ـ وإن كان ينتخب من كلامه عليه السلام الاّ أنّ الانتخاب بدون التنبيه · خارج عن القاعدة، وكيف وقد نبّه فى هذه الخطبة مرّتين على الالتقاط · فقال: أوّلاً بعد ذكر كلامه عليه السلام فى التوحيد «منها فى ذكر النبىّ صلى اللّه عليه وآله وسلم» ـ إلخ ـ وثانياً «منها طبيب دوّار بطبه» ـ الخ ـ والصواب أن يقال: إنّ الخطبة لمّا كانت فى الملاحم كما صرّح به فى أوّل كلامه، و كتب الملاحم لا تخلو من التصحيف غالباً نقل ماوجد فيها، وإلاّ فالقطع ليس مختصاً به ظاهراً · فقد عرفت استظهار قطع قوله «لم يستضيئوا» إلى قوله «القاسية» و كذلك قوله «قد انجابت» إلى قوله «لمتوسمها» وكذلك قوله «مالى» إلى قوله «بكماء» ·

(١) البقرة: ١٨ ·

(٢) البقرة: ١٨٢ ·

وكيف كان فما ذكره من كون كلامه عليه السلام إشارة إلى فتن آخر الزمان من السفيانى وغيره غير بعيد. فروى النعمانى عن أبى حمزة الثمالى قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: خروج السفيانى من المحتوم؟ قال: نعم، والنداء من المحتوم وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم.

وعن الصادق عليه السلام قال: خروج السفيانى، والخراسانى، واليمانى فى سنة واحدة فى شهر واحد فى يوم واحد، وليس فيها راية أهدى من راية اليمانى لأنّه يدعو إلى الحقّ.

وعنه عليه السلام للقائم عليه السلام خمس علامات: السفيانى، واليمانى، والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء.

«قد قامت على قطبها» روى النعمانى فى علامات ظهور القائم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لابدّ من رحى تطحن. فإذا قامت على قطبها، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبداً عسفاً خاملاً أصله يكون النصر معه، أصحابه الطويلة شعورهم أصحاب السبال سود ثيابهم أصحاب رايات سود، ويل لمن ناواهم يقتلونهم هرجا، والله لكأنّى أنظر إليهم، وإلى أفعالهم، وما يلقى الفجّار منهم، والأعراب الجفاة يسلّطهم الله عليهم بلا رحمة. فيقتلونهم هرجا على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا، وما ربّك بظلام للعبيد.

«وتفرّقت بشعبها» فى الصحاح الشعب: ما تشعب من قبائل العرب، والعجم.

«تكيلكم بصاعها»: أى تعمل معكم كيف شائت، وأما قولهم «كايلناهم صاعاً بصاع» فمعناه كافأناهم.

«وتخبطكم» فى الصحاح خبط البعير الأرض بيده ضربها، وخبطت الشجرة إذا ضربتها بالعصا ليسقط ورقها.

«بباعها» فى الصحاح الباع قدر مدّ اليدين ـ إلخ ـ ويقال «ما بيعت

هذه الثياب حتّى بيعت»الأوّل من البيع،والثانى من البوع أصل الباع ،: أى حتّى قدّرت بالباع.

«قائدها خارج من الملّة قائم على الضلّة» زوى النعمانى عن الباقر عليه السلام قال : إنّ السفيانى لم يعبد اللّه قط ،ولم يرمكة ولا المدينة قط يقول : يارب ثارى والنار.

وروى ابن بابويه عن الصادق عليه السلام قال : لورأيت السفيانى لرأيت أخبث الناس ــ إلى أن قال ــ.

وقد بلغ من خبثه أنّه يدفن اُمّ ولده وهى حيّة مخافة أن تدلّ عليه.

«فلايبقى يومئذٍ منكم إلاّ ثفالة كثفالة القدر» وهى ما استقر تحته يقال فى الماء والدواء والمرق «علا صفوه ورسب ثفله».

«أو نفاضة كنفاضة العكم» فى الصحاح العكم بالكسر :العدل ،وهما عكمان ونمط أيضاً تجعل فيه المرأة ذخيرتها والنفاضة ما سقط عن النفض يقال: نفضت الثوب والشجر :إذا حرّكته لينتفض،ونفض عنه الغبار والتراب.

روى النعمانى مسنداً عن الأصبغ عنه عليه السلام قال : والّذى نفسى بيده ما ترون ما تحبّون حتّى يتفل بعضكم فى وجوه بعض ،وحتّى يسمّى بعضكم بعضاً كذابين ،وحتّى لا يبقى منكم على هذا الأمر الاّ كالكحل فى العين ،والملح فى الطعام ،وهو أقلّ الزاد ،وسأضرب لكم مثلاً فى ذلك هو مثل رجل كان له طعام فنقّاه وطيّبه ثمّ أعاده إلى البيت.فتركه ماشاء اللّه .ثمّ عاد إليه فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس .فأخرجه ،ونقّاه ،وطيّبه ،وأعاده ،ولم يزل كذلك حتّى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضره السوس شيئاً ،وكذلك أنتم تميّزون حتّى لا يبقى منكم إلاّ عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً

وعن الحارث الأعور عنه عليه السلام يملك السفيانى قدر حمل إمرأة تسعة أشهر يخرج بالشام ،وينقاد له أهلها إلاّ طوائف من المقيمين على الحق يعصمهم اللّه

من الخروج معه ، ويأتى المدينة بجيش جرار حتّى إذا انتهى إلى بيداء المدينة خسف اللّه به ، وذلك قوله ـ عزّ وجلّ ـ فى كتابه « ولوترى إذ فزعوا فلا فوت و أخذوا من مكان قريب »[1].

« تعرككم » : أى تدلكم .

« عرك الأديم » : أى الجلد . قال زهير « فتعرككم عرك الرحى بثفالها » .

« وتدوسكم » : أى تضغطكم بأقدامها .

« دوس الحصيد » يقال : حصدت الزرع فهو محصود وحصيد .

« وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الحبّة البطينة من بين هزيل الحبّ » هكذا فى المصرية ، وفيها سقط والأصل « استخلاص الطير الحبة » ـ إلخ ـ كما فى (حد) و (ثم) والخطية ، ولأنّ الحبّة لا تستخلص بنفسها .

روى الاكمال عن محمّد بن مسلم ، وأبى بصير قالا : سمعنا أباعبد اللّه عليه السلام يقول : لا يكون هذا الأمر حتّى يذهب ثلثا الناس . فقلنا : إذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى . فقال عليه السلام : أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقى .

« أين تذهب بكم المذاهب » جمع المذهب : أى السيور المموّهة بالذهب .

« وتتيه بكم » : أى توقعكم فى التيه والحيرة .

« الغياهب » جمع الغيهب : أى الظلمة .

« وتخدعكم الكواذب » جمع الكاذبة ، وفى الأمثال « كذب العير وإن كان برح » « كذبتك الظهائر » .

« ومن أين تؤتون وأنّى » : أى كيف .

« تؤفكون » فى الصحاح قال أبوزيد : المافوك المافون ، وهو الضعيف العقل والرأى وقوله تعالى « يؤفك عنه من أفك »[2] قال مجاهد : يؤفن عنه من

(١) سبأ : ٥٢ .
(٢) الذاريات : ٩ .

افن - الخ -.

والمراد من قوله عليه السلام «أين تذهب بكم المذاهب» - إلخ - انّ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله والمعصومين من العترة معلومون. فكيف يوقعكم بنو العباس في الالتباس أو أنّ مهدي أهل البيت أمره أبين من الشمس ينادي باسمه من السماء فكيف تنخدعون برجال يدّعون مقامه أو أنّ ظهور المهدي حتم فكيف تيأسون منه ويمكن إرادة الجميع.

«فلكلّ أجل كتاب» قال (حد) أظنّه منقطعاً عمّا قبله مثل قوله «راية ضلالة» قلت: بل اتّصاله معلوم. فإنّه عليه السلام لمّا قال قبل: أين تذهب بكم المذاهب في اليأس من أهل البيت عليهم السلام وقيام قائمهم عليه السلام أردفه بهذا الكلام بأنّ لكلّ أجل كتاب لا بد من الانتهاء إليه.

«ولكلّ غيبة إياب» قال (حد) استثنى عبيد بن الأبرص من العموم الموت فقال:

وكلّ ذي غيبة يؤب وغائب الموت لا يؤب

وهو رأي زنادقة العرب. فأمّا أمير المؤمنين عليه السلام - وهو ثاني صاحب الشريعة الّتي جائت بعود الموتى - فإنّه لا يستثني، ويحمّق عبيداً في استثنائه.

قلت: كلام (حد) كلام مختل منحلّ فإنّ عبيداً وإن كان جاهلياً ليس في مقام انكار البعث بل مراده أنّ الغائبين بالسفر يرجعون في الدنيا إلى أوطانهم وأهاليهم، وأما الغائب بالموت فلا يرجع إلى أهله أبداً وهو كلام يقوله الملحد والموحّد، وكيف وبيته من قصيدة من أحد المعلّقات السبع، وكلّها حِكم فقبله:

وكلّ ذي نعمة مخلوسها وكلّ ذي أمل مكذوب

وكلّ ذي ابل موروثها وكلّ ذي سلب مسلوب - وبعده

أفلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الأريب

بل الظاهر من ابياته أنّه وإن كان جاهلياً إلاّ أنّه كان موحداً. ففي

القصيدة كما فى شعراء ابن قتيبة:

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

والله ليس له شريك علاّم ما أخفت القلوب

وعود الموتى فى القيامة لم يقل به الإسلام فقط بل جميع الشرائع من آدم إلى الخاتم.

كما أنّ مراده عليه السلام من قوله «ولكلّ غيبة إياب» ليس البعث بل ظهور المهدى عليه السلام بعد غيبته. ففسر قوله تعالى «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر إنّ الأرض يرثها عبادى الصالحون»[1] بظهوره عليه السلام بعد غيبته، وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لولم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدى يواطى اسمه اسمى يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ونقل النعمانى عن ابن عقدة روايته مسنداً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال يوماً لحذيفة، والّذى نفس علىّ بيده لا يزال هذه الأُمّة بعد قتل الحسين ابنى فى ضلال وظلمة، وعسفة، وجور، واختلاف فى الدين، وتبديل لما أنزل تعالى فى كتابه، واظهار البدع، وابطال السنن، واختلال وقياس مشتبهات، وترك محكمات حتّى تنسلخ من الإسلام، وتدخل فى العمى والتلدد والتكسع، مالك يابنى أُميّة. لا هديت يابنى أُميّة، ومالك يابنى فلان لك الاتعاس. فما فى بنى فلان إلاّ ظالم معتد متمرّد على الله بالمعاصى قتال لولدى. هتاك لستر حرمتى.

فلا تزال هذه الأُمّة جبارين. يتكالبون على حرام الدنيا، منغمس فى بحار الهلكات، وفى أودية الدماء حتّى إذا غاب المتغيب من ولدى عن عيون الناس وباح الناس بفقده أو بقتله أو بموته، اطلعت الفتنة، ونزلت البلية، والتحمت العصبية، وغلا الناس فى دينهم، وأجمعوا على أنّ الحجّة ذاهبة، والإمامة باطلة، وتحجّ حجيج الناس فى تلك السنة من شيعة على، وتواصيهم التمكن

(١) الانبياء: ١٠٥.

والتجسس عن خلق الخلف. فلا يرى له أثر، ولا يعرف له خلف. فعند ذلك سبّت شيعة على. سبّتها أعداؤها، وغلبت عليها الأشرار والفسّاق باحتجاجها حتّى إذا بقيت الأُمّة، وتدلّهت، وأكثرت فى قولها أنّ الحجة هالكة، و الامامة باطلة. فورب على أنّ حجّتها عليها قائمة، ماشية فى طرقاتها. داخلة فى دورها وقصورها جوّالة فى شرق هذه الأرض، وغربها تسمع الكلام، وتسلّم على الجماعة ترى، ولا تُرى إلى وقت الوعد، ونادى المنادى من السماء ذلك يوم سرور ولد على وشيعة على.

«فاستمعوه من ربانيّكم» قال (حد) «فى وصف الحسن البصرى لاميرالمؤمنين عليه السلام «كان والله ربّانى هذه الأمّة وذا فضلها، وذاقرا بتها، وذا سابقتها».

قلت: وفى وصفه له عليه السلام أيضاً «كان والله سهماصائبا من مرامى الله على عدوّه كانت له السابقة، والفضل والعلم والحكمة، والفقه و الرأى و الصحبة، و النجدة، والبلاء، والزهد، والقضاء، والقرابة، إنّ علياً عليه السلام كان فى أمره علياً.

«وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف»: أى صاح.

«بكم» روى مناقب الكنجى الشافعى، عن عمران بن حصين قال: بعث النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً، واستعمل عليهم علياً عليه السلام. فمضى فى السرية. فأصاب جارية فانكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على أن يخبروا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا قدموا قام أحد الأربعة، وقال: ألم تر على صنع كذا وكذا. فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قام الثانى فقال: فاعرض عنه. ثمّ الثالث فاعرض عنه. ثمّ قام الرابع فأقبل عليهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم - والغضب يعرف فى وجهه - ثمّ قال: ما تريدون من علىّ ما تريدون من على إنّ علياً منّى، وأنا من على، وهو ولى كلّ مؤمن بعدى فلا تخالفوه فى حكمه - ورواه أحمد بن حنبل فى فضائله -.

«وليصدق رائد أهله» هو كالمثل. ففى الصحاح الرائد الّذى يرسل فى طلب الكلاء يقال «لا يكذب الرائد أهله».

«وليجمع شمله» الشمل يجيئ لاجتماع الأمر وتفرقه. يقال (فرّق الله شمله) و (جمع الله شمله) والمراد هنا الثانى.

«وليحضر ذهنه» لأهمّية الأمر فمع الغفلة تحصل الهلكة.

«فلقد فلق»: أى شقّ.

«لكم الأمر فلق الخرزة» بالراء ثمّ الزاى الدرّة، وفى الصحاح خرزات الملك جواهر تاجه، ويقال: كان الملك إذا ملك عاماً زيدت فى تاجه خرزة ليعلم عدد سنى ملكه قال لبيد: يذكر الحارث بن أبى شمر الغسّانى:

رعى خرزات الملك عشرين حجة وعشرين حتّى فاد والشيب شامل

ـ ونقله الأساس «ستين حجّة» ـ.

«وقرفه»: أى قشره.

«قرف الصمغة» قال الجوهرى فى المثل «تركته على مثل مقرف الصمغة» و ذلك إذا لم تترك له شيئاً لأنّها تقتلع من شجرتها حتّى لا يبقى عليها علقة.

والفاعل فى قوله عليه السلام «فلق» و«وقرفه» ضمير ربّانيكم، والمراد نفسه عليه السلام، روى الكنجى الشافعى فى مناقبه عن حذيفة قال: قالوا للنبىّ صلى الله عليه وآله ألا تستخلف علياً؟ قال: إن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم.

«فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه» جمع المأخذ: أى جميع مايلزمه، ويمكنه أخذه. ثمّ الظاهر أنه وقع قبله سقط كما عرفته فى قوله «راية ضلالة» كما لا يخفى.

«وركب الجهل مراكبه» كناية عن جمع أسباب الجهل.

«وعظمت الطاغية»: أى طغيان الباغين، وفى الأساس «هو طاغية: أى جبار عنيد».

«وقلّت الداعية»: أى من يدعو إلى الحقّ، وفى الأساس «دع داعى اللبن» أى مايترك فى الضرع ليدعو ما بعده، والداعية تدعو المادة».

«وصال»: أى حمل فى الحرب.

«صيال السبع العقور» من عقره :أى جرحه •قيل ،يقال للخمر :العقار با لضم لأنّها تعقرالعقل :أى تجرحه •

«و هدر» من(هدرالبعير) أى ردّدصوته فى حنجرته •

«فنيق الباطل»: أىفحله• قال ابن دريد«الفنيق الفحل من الإبل» قال الأعشى «بزيافة كالفنيق القطم» ـ إلخ ـ وقول الجوهرى :الفنيق الفحل المكرم بلا وجه •

«بعد كظوم» من كظم البعير كظو ماً إذا أمسكه عن الجرّه •

«وتواخى الناس» :أى صاروا إخواناً •

«على الفجور» والفسوق •

«وتهاجروا على الدين» :أى تقاطعوا عليه ،وقدأمروا فيهما بالعكس•

«وتحابّوا» :أى أحبّ كلّ واحد منهم صاحبه •

«على الكذب ،وتباغضوا» :أى أبغض كلّ منهم صاحبه •

«على الصدق» وقدأمروا بالضدّ فيهما •

«فإذا كان ذلك كان الولدغيظاً»لأبويه ،وكان الحق أن يكون قرّة عين لهما •

«والمطر قيظاً» :أى فى عين الصيف ،وشدّة حرارته •فلا يكون مثمراً بل مضراً •

«وتفيض اللئام فيضاً» :أى كثروا بلا حصر من (فاض الماء فيضاً) أى كثر حتّى سال على ضفّة الوادى •

«و تغيض الكرام غيضاً»أى قلّوا حتّى لا يوجدوا من(غاض الماء غيضاً) قلّو نضب •

وفى كامل المبرد قال محمّد بن منتشر الهمدانى ،دفع إلىّ الحجّاج رجلاً ذمياً وأمرنى بالتشديدعليه ،والإستخراج منه •فلمّا انطلقت به قال: إنّ لك

لشرفا ودينا ، وإنّى لا أعطى على القسر شيئاً . فارفق بى . ففعلت فأدّى إلىّ فى اسبوع خمسمأة ألف . فبلغ ذلك الحجّاج . فأغضبه فانتزعه من يدى ، ودفعه إلى الّذى كان يتولّى لهم العذاب . فدقّ يديه ورجليه ، ولم يعطه شيئاً ، و إنّى لسائر يوماً فى السوق إذا صاح بى يا محمّد . فالتفتّ فإذا أنا به معترضاً على حمار مدقوق اليدين ، والرجلين . فخفت الحجّاج أن آتيه فملت إليه . فقال : إنّك ولّيت منّى ما ولّى هؤلاء . فرفقت بى ، وأحسنت إلىّ ، وأنّهم صنعوا بى ما ترى ، ولى خمسمأة ألف عند فلان فخذها مكافاة لما أحسنت إلىّ فقلت : ما كنت لآخذ على معروف أجراً ، ولا لا رزئك على هذه الحالة شيئاً ، قال : فأمّا إذ أبيت فاسمع منّى حديثاً حدّثنى به بعض أهل دينك عن نبيّكم أنّه قال « إذا رضى اللّه عن قوم أنزل عليهم المطر فى وقته ، وجعل المال فى سمحاءهم ، واستعمل عليهم خيارهم و إذا أسخط على قوم أنزل عليهم المطر فى غير وقته ، و جعل المال فى بخلاءهم واستعمل عليهم أشرارهم . فصرت إلى الحجّاج فالقيته جالساً على فراشه ، و السيف مصلت بيده . فقال : ادن فدنوت شيئاً . ثمّ قال : ادن فدنوت شيئاً ، ثمّ قال فى الثالثة : ادن لا أباً لك . فقلت : مالى إلى الدنو من حاجة ، و فى يدى الأمير ما أرى ، فضحك و أغمد سيفه ، و قال : اجلس ما كان من حديث الخبيث . فقلت : واللّه ما غششتك مذ استنصحتنى ، ولا كذبتك مذ استخبرتنى ، ولا خنتك مذ ائتمتنى ، ثمّ حدّثته . فلمّا صرت إلى ذكر الرجل الّذى كان المال عنده أعرض عنّى بوجهه ، وأومى إلىّ بيده بأن لا تسمّه ، ثمّ قال : إنّ للخبيث نفساً ، وقد سمع الأحاديث .

هذا ، وفى تاريخ بغداد استقبل أبو هفّان المهزمى الشاعر ـ وكان على حمار مكار ـ ابن ثوابه . فقال له ابن ثوابه : تركب حمير الكراء . فأجابه من ساعته :

ركبت حمير الكراء لقلة من يُعتَرى
لأنّ ذوى المكرمات قد غيّبوا فى الثرى

فقال له ابن ثوابه : قلت هذا البيت فى وقتك هذا . قال : لا قلته غداً .

«وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً» فى الدميرى قال شاعر :

ليت شعرى كيف الخلاص من الناس وقد أصبحوا ذئاب اعتداء

قلت : لمّا بلاهم صدق خبرى رضى الله عن أبى الدرداء

أشار إلى قول أبى الدرداء : إيّاكم ومعاشرة الناس، فانّهم ماركبوا قلب امرئ إلّا غيّروه ، ولا جواداً إلّا عقروه ، ولا بعيراً إلّا أدبروه ، والذئب إذا كدّه الجوع عوى . فيجتمع له الذئاب ، ويقف بعضها إلى بعض . فمن ولّى منها وثب إليه الباقون ، وأكلوه ، وإذا عرض للإنسان ، وخاف العجز عنه عوى عواء استغاثة . فتسمعه الذئاب . فتقبل على الإنسان اقبالاً واحداً ، وهم سواء فى الحرص على أكله . فان أدمى الإنسان واحداً منها وثب الباقون على المدمى . فمزّقوه ، وتركوا الإنسان ـ وعاتب بعضهم صديقه ـ وكان أعان عليه ـ فقال :

وكنت كذئب السوء لمّا رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقال عبيد بن الأبرص للمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة لما أراد قتله :

وقالوا هى الخمر تكنّى الطلا كما الذئب يكنّى أبا جعدة

أى تظهر لى الإكرام ، وأنت تريد قتلى كما أنّ الخمرة ، وإن سمّيت طلاء ففعلها قبيح ، وإنّ الذئب وإن كنّى أبا جعدة ـ أى أبا الشاة ـ ففعله قبيح .

«وسلاطينه سباعاً وأوساطه أكّالاً ، وفقرائه أمواتاً» روى الروضة أنّ حمران بن أعين قال للباقر عليه السلام : لوحدّثتنا متى يكون هذا الأمر فسررنا به . فقال عليه السلام إنّ رجلاً كان فى مامضى من العلماء ، وكان له ابن لم يكن يرغب فى علم أبيه ، ولا يسأله عن شئ ، وكان له جار يأتيه ، ويسأله ، ويأخذ عنه . فحضر الرجل الموت فدعا ابنه . فقال : يابنىّ إنّك كنت تزهد فى ماعندى ، وتقل رغبتك فيه ، ولم تكن تسألنى عن شئ ولى جار قد كان يأتينى ويسألنى ، ويأخذ منّى ، ويحفظ عنّى ، فان احتجت إلى شئ فأته ـ وعرّفه جاره ـ فهلك الرجل ، وبقى ابنه . فرأى

ملك ذلك الزمان رؤيا ·فسأل عن الرجل ·فقيل له :قد هلك ·فقال الملك : هل ترك ولداً ؟ فقيل له : نعم ترك إبناً ·فقال :ايتونى به ·فبعث إليه ·فقال الغلام : والله ما أدرى لما يدعونى الملك ،وماعندى علم ،ولئن سألنى عن شئ لا فتضحن· فذكر ماكان أوصاه أبوه ·فأتى ذاك الرجل ،وقال له :إنّ الملك قد بعث إلىّ يسألنى ،ولست أدرى فيم الىّ ،وقد كان أبى أمرنى أن آتيك إن احتجت إلى شئ ·

فقال الرجل :ولكنّى أدرى فى مابعث به إليك ·فإن أخبرتك ·فما أخرج الله لك من شئ ·فهو بينى وبينك ·فقال :نعم ·فاستحلفه واستوثق منه أن يفى له ·فقال له :إنّ الملك يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أىّ زمان هذا ·فقل له :إنّ هذا زمان الذئب ·فأتى الغلام الملك ·فقال له الملك :لم أرسلت إليك؟ قال: تريد أن تسألنى عن رؤيا رأيتها :أىّ زمان هذا ؟ قال له :صدقت ·فقل :أى زمان هذا ؟ قال :زمان الذئب ،فأمر له الملك بجائزة ·فقبضها الغلام وانصرف ،وأبى أن يفى لصاحبه ،وقال :لعلى لا أنفد هذا المال حتّى أهلك ، ولعلّى لا أسئل عنّ مثل هذا الّذى سئلت عنه ·

فمكث برهة ثمّ إنّ الملك رأى رؤيا ·فبعث إليه يدعوه ·فندم على ماصنع وقال :والله ماعندى علم آتيه به ،وما أدرى كيف أصنع بصاحبى ،وقد غدرت به ثمّ قال :لآتينه ،ولاعتذرن إليه ،ولأحلفنّ له ·فلعلّه يخبرنى ·فأتاه فقال: إنّى صنعت الّذى صنعت ،ولم أف لك ،وتفرّق ماكان فى يدى وأنا أوثق لك ألاّ يخرج لى شئ إلاّ كان بينى وبينك ،وقد بعث إلىّ الملك ،ولست أدرى عمّ يسألنى ·فقال: إنّه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أىّ زمان هذا ·فقل له :إنّ هذا زمان الكبش فأتى الملك ·فقال له :لم بعثت إليك؟ فقال :إنّك رأيت رؤيا ،وأنّك تريد أن تسألنى أىّ زمان هذا ؟ فقال له :صدقت فأخبرنى أىّ زمان هذا ؟ فقال :زمان الكبش · فأمر له بصلة ·فقبضها ،وانصرف ،وتدبر فى أن يفى أم لا ·فهمّ مرّة أن يفعل ومرّة

أن لا يفعل ثمّ قال : لعلّي لا أحتاج إليه بعد هذه المرّة أبداً . فاجمع على الغدر فمكث برهة ثمّ إنّ الملك رأى رؤيا . فبعث إليه . فندم ، وقال بعد غدر مرّتين : كيف أصنع؟ ثمّ أجمع رايه على إتيانه . فأتاه وناشده الله تعالى وأخبره أنّ هذه المرّة يفى له ، ولا يغدر . فقال : يريد أن يسألك عن رؤيا رأها أيّ زمان هذا . فإذا سألك . فأخبره أنّه زمان الميزان . فأتى الملك ، فقال له : لم بعثت إليك؟ قال : رأيت رؤيا تريد أن تسألنى أيّ زمان هذا؟ فقال : صدقت . فأخبرنى أيّ زمان هذا؟ فقال : زمان الميزان ، فأمره بصلة . فانطلق بها إلى الرجل فوضعها بين يديه ، وقال : جئتك بما خرج لى فاقسمنيه . فقال له العالم : إنّ الزمان الأوّل كان زمان الذئب ، وأنّك كنت من الذئاب ، وأنّ الزمان الثانى كان زمان الكبش يهمّ ولا يفعل ، وكذلك أنت تهمّ ولا تفى ، وهذا زمان الميزان ، وكنت فيه على الوفاء . فاقبض مالك لا حاجة لى فيه ـ الخبر ـ

«وغار» من (غار الماء) إذا تصبّ ، وذهب فى الأرض .

«الصدق ، وفاض الكذب» فى الكافى عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ما يزال العبد يصدق حتّى يكتبه الله صديقاً ، ولا يزال العبد يكذب حتّى يكتبه الله كذاباً .

«واستعملت المودّة باللسان ، وتشاجرت» هكذا فى المصرية ، والصواب ، (وتشاجر) كما فى (حد) و(ثم) والخطية .

«الناس بالقلوب» فى الكافى عن الصادق عليه السلام من لقى المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيمة ، وله لسانان من نار .

«وصار الفسوق نسباً» قال تعالى «وإذا قيل له اتّق الله أخذته العزّة بالاثم»[1] .

وفى الاستيعاب ـ فى أبى الغادية الجهنى قاتل عمار ـ كان أبو الغادية إذا استأذن على معاوية وغيره يقول «قاتل عمار بالباب» وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه ، وفى قصته عجب عند أهل العلم قال : سمعت النبىّ

(١) البقرة : ٢٠٦ .

صلى الله عليه وآله وسلم يقول «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» ثمّ قتل عماراً ـ و مثله فى معارف ابن قتيبة، وزاد قال زمعة بن كلثوم قال أبى: حدثنى أبو الغادية قال: سمعت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول «ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإنّ الحق يومئذٍ مع عمار» ـ قال أبى: فما رأيت شيخاً أضلّ منه يروى منه أنّه سمع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما قال ثمّ ضرب عنق عمار ـ.

«والعفاف عجباً» لندرة المتعففين فإذا رأوا عفيفاً تعجبوا منه، وينطبق جميع ما قاله عليه السلام على عصرنا فى الغاية لا سيما الفقرة الأخيرة. فانّه لكثرة النسا المتكشفات، وكثرة نظر الرجال اليهنّ إذا رأوا إمرأة عفيفة تتستر أو رجلاً عفيفاً لا ينظر استغربوه.

«و لبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً» فيعكسون و يبدّلون أحكامه يحللّون حرامه، ويحرّمون حلاله، وينكرون معروفه، ويعرفون منكره، ويعطّلون حدوده، و يتعدّون حدوده بحيث لو كان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم حيّاً لبدء بقتالهم قبل قتال الكفار فثقيف قالوا: تجارتنا من الربوا، ولم نقدر على تركه فنزل «فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله»[1].

هذا، وعن بعض كتب المناقب القديمة جاء جابر الانصارى إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: بأبى أنت وأمّى رأيت رؤيا هالتنى. فقال عليه السلام: ما الّذى رأيت. فقال: رأيت كان ثيراناً سماناً تشرب من لبن عجاجيل هزال، ورأيت، دواباً سماناً لكلّ دابة رأسان تأكل بالرأسين، ولا تروث، ورأيت أحياضاً يابسة قد نبتت فيها أخشبة خضر، ورأيت المرضى يعودون الأصحاء، ورأيت ثوباً أبيض معلقاً من السماء إلى الأرض، والناس يقطّعون منه قطعة قطعة، ورأيت طايرين فى بيت مظلم يتكلّمان بكلام فصيح، ورأيت طاستين إحديهما ذهب، والاُخرى رصاص، ورجل واقف بينهما يغرف من الرصاص، يفرغ فى الذهب، فلا

(١) البقرة: ٢٧٩.

الرصاص ينقص منه ، ولا الذهب يمتلى .

فقال عليه السلام : رؤياك هذه تدلّ على آخر الزمان أما الثيران السمان الّتى تشرب ألبان العجاجيل الهزال . فإنّها سلاطينهم يأخذون أموال الفقراء و المساكين ليستغنوا . فلا يستغنون أبداً ، وأما الدوابّ الّتى لكلّ واحد قرأسان تأكل بهما ولا تروث فإنّها أغنياء آخر الزمان يجمعون المال من حلال و حرام ، ولا يخرجون الزكاة ، وأما الأحواض اليابسة فهم العلماء ، وأخشبة الخضر فهى علومهم الّتى لا يعملون بها ، وأما المرضى الّذين يعودون الأصحّاء . فإنّهم فقراء آخر الزمان يذهبون إلى الأغنياء يسألونهم ، فلا يعطونهم شيئاً ، و ذلك أكبر المرض ، وأما الثوب المعلق من السماء إلى الأرض ، فهو دين الإسلام طاهر مطهر بين ، فإذا كان آخر الزمان وقعت الأهواء ، والبدع بين الناس ، فترى مع كلّ واحد منهم شيئاً من الإسلام يستتر به ـ وأما الطائران اللّذان رأيتهما فى بيت مظلم يتكلمان بكلام فصيح أحدهما الوفاء ، والآخر الأمانة . فإذا كان آخر الزمان قلّ الوفاء ، وقلّت الأمانة حتّى لا تبين ، ويكون مثل بيت مظلم فلا وفاء حينئذٍ ولا أمانة ـ وأمّا الطاستان . فالرصاص الدنيا ، والذهب الآخرة ، والرجل الواقف بينهما ملك الموت يحمل من الدنيا إلى الآخرة يقبض الأرواح . فلا الدنيا تفنى ، ولا الآخرة تمتلى إلى الوقت المعلوم ، وهو القيامة .

يا جابر قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم : ليأتينّ على الناس زمان تقصر فيه المروة ، وتدقّ فيه الأخلاق ، وتستغنى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء . فإذا كان كذلك فانتظروا العذاب . ٣١ / ١٠٢ / ٣

وقالَ ع يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ ، وَلَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ . يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا . وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنًّا . وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشْوَرَةِ النِّسَاءِ وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ وَتَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ

أقول : رواه روضة الكافى عن عدّته ،عن سهل ، عن موسى بن عمرو الصيقل عن أبى شعيب المحاملى ،عن عبد الله بن سليمان ،عن أبى عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام «ليأتينّ على الناس زمان يظرّف فيه الفاجر ،ويقرّب فيه الماجن ،ويضعف فيه المنصف» فقيل له : متى ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال : إذا ـ تسلطن النساء ،وتسلّطن الاماء ،وأمر الصبيان .

وقال (حد) هومن باب الإخبار بالغيوب ،وإحدى آياته عليه السلام والمعجزات المختص بها دون الصحابة .

«يأتى على الناس زمان لا يقرّب فيه إلاّ الماحل» : أى الساعى إلى السلطان والماكر والكايد .

«ولا يظرّف فيه الاّ الفاجر ،ولا يضعّف فيه الاّ المنصف» وكأنّه اخبار بزمن المتوكّل .ففى المعجم حدّث الجهشيارى عن وهب بن سليمان قال : كنت أكتب لإبراهيم بن العباس على ديوان الضياع ـ وكان رجلاً بليغاً ،ولم يكن له فى الخراج تقدم ،وكان بينه و بين أحمد بن المدبر تباعد ،وكان أحمد مقدّماً فى الكتابة ـ فقال للمتوكّل : قلّدت إبراهيم بن العباس ديوان الضياع ، و هو لا يحسن قليلاً ولا كثيراً ـ وطعن عليه طعنا قبيحاً ـ فقال المتوكل : فى غد أجمع بينكما ،واتّصل الخبر بإبراهيم .فأيقن بحلول المكروه ،وعلم أنّه لا يفى ، بأحمد فى صناعته ،وغدا إلى دار السلطان آيساً من نفسه ونعمته ،وحضر أحمد فقال له المتوكّل : قد حضر إبراهيم ،و حضرت ،ومن أجلكم قعدت فهات اذكر ماكنت فيه أمس .فقال أحمد : أىّ شئ أذكر عنه .فإنّه لا يعرف أسماء عمّاله فى النواحى ،ولا يعمل مافى دساترهم من تقديراتهم وكيولهم ،وحمل من حمل منهم ومن لم يحمل ،ولا يعرف أسماء النواحى الّتى تقلّدها ،وقد اقتطع صاحبه بناحية كذا كذا ألفاً ،واختلّت ناحية كذا فى العمارة ـ وأطال فى هذه الأُمور ـ فالتفت المتوكّل إلى إبراهيم .فقال : ماسكوتك .فقال : جوابى فى بيتى شعر

قلتهما ٠فان أذن الخليفه انشدتهما ٠فقال : هات فأنشده :

ردّ قولى وصدّق الأقوالا وأطاع الوشاة والعذّالا

أتراه يكون شهر صدود و على وجهه رأيت الهلالا

فقال المتوكل : زه زه أحسنت ايتونى بمن يعمل لحنافى هذا وهاتوا ما نأكل وجيئوا بالنساء ، ودعونا من فضول ابن المدبر ، واخلعوا على إبراهيم. فخلع عليه وانصرف الى منزله ، قال وهب : فمكث ابراهيم يومه مغموماً ٠فقلت له : هذا يوم سرور وجذل بما جدّد الله لك من الانتصار على خصمك ـ فقال يابنى الحق أولى بمثلى وأشبه إنّى لم أدفع احمد بحجّة ، ولا كذب فى شئ ممّا ذكر ، ولا أنا ممّن يعشره فى الخراج كما أنّه لا يعشرنى فى البلاغة و انّما فلجت برطانة ومخرقة أفلا أبكى ـ فضلاً أن اغتم ـ من زمان يدفع ذلك كلّه

وفى المروج أنشد البحترى ، المتوكّل قصيدته الّتى أوّلها :

عن أىّ ثغر تبتسم و بأىّ طرف تحتكم

فلمّا انتهى مشى القهقرى للانصراف ٠فوثب أبو العنبس ٠فقال للمتوكّل : تأمر بردّه ٠فقد والله عارضته فى قصيدته هذه فأمر بردّه ٠ فأنشد أبو العنبس :

من أى سلح تلتقم و بأىّ كف تلتطم

ادخلت رأس البحترى أبى عبادة فى الرحم

ووصل ذلك بما أشبهه من الشتم ٠فضحك المتوكّل حتّى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى ، وقال : يدفع إلى ابى العنبس عشرة آلاف درهم ٠فقال الفتح ياسيّدى ، البحترى الّذى هجى ، وأسمع المكروه ينصرف خائباً قال : ويدفع إلى البحترى عشرة آلاف درهم ٠قال : ياسيدى وهذا البصرى الّذى أشخصناه من بلده ـ وكان الفتح أشخص المبرد من البصرة لوقوع الاختلاف فى تأويل آية ـ لا يشركهم فى ماحصّلوه قال : ويدفع إليه عشرة آلاف درهم ٠فانصرفوا كلّهم فى شفاعة الهزل ، ولم ينفع البحترى جده واجتهاده وحزمه ٠

ثمّ قال المتوكّل لأبى العنبس: أخبرنى عن حمارك ووفاته، وماكان شعره فى الرؤيا الّتى اريتها قال: نعم كان حمارى أعقل من القضاة، ولم يكن له جزية ولا زلة. فاعتل على غفلة. فمات منها فرأيته فى مايرى النائم. فقلت له: ياحمارى ألم ابرّد لك الماء و انقّ لك الشعير، وأحسن إليك جهدى. فلم متّ على غفلة وما خبرك؟ قال: نعم لمّا كان فى اليوم الّذى وقفت على فلان الصيد لانى تكلّمه فى كذا وكذا مرّت بى أتان حسناء. فرايتها. فأخذت بمجامع قلبى فعشقتها، واشتدّ وجدى بها. فمتّ كمدا متأسفاً. فقلت له: ياحمارى فهل قلت فى ذلك شعراً قال نعم، وأنشدنى:

هام قلبى باتان عند باب الصيدلانى
تيمّتنى يوم رحنا بثنايا ها الحسان
و بخدّ ذى دلال مثل خدّ الشنغرانى
فبها متّ ولو عشت اذن طال هوانى

فقلت: ياحمارى ماالشنغرانى؟ فقال: هذا من غريب الحمير، فطرب المتوكّل وأمر الملهين، والمغنّين أن يغنّوا ذلك اليوم بشعر الحمار، وفرح فى ذلك اليوم فرحاً لم ير مثله فيه، وزاد فى تكرمة أبى العنبس و جائزته.

وفى الأغانى كان أبوالعبر العباسى ـ من ولد عبد الصمد بن على ـ مستوليا إلى أن ولّى المتوكّل الخلافة. فترك الجد، وعدل الى الحمق، وقد نيّف على الخمسين، وكان المتوكّل يرمى به فى المنجنيق إلى الماء، وعليه قميص حرير. فإذا علا فى الهواء صاح الطريق الطريق. ثمّ يقع فى الماء فيخرجه السبّاح و كان المتوكّل يجلسه على الزلاقة. فينحدر فيها حتّى يقع فى البركة. ثمّ يطرح الشبكة. فيخرجه كما يخرج السمك، ففى ذلك يقول:

و يأمر بى الملك فيطرحنى فى البرك
ويصطادنى بالشبك كأنّى من السمك

وفيه قال أبو العميس الصيمرى فى دار المتوكّل لأبى العبر: ايش بحملك على هذا السخف. فقال: ياكشخان أترید أن اكسدانا وتنفق أنت وأنت تركت العلم، وصنعت فى الرقاعة نيّفاً وثلاثين كتاباً لونفق العقل أكنت تقدم علـ البحترى، وقد قال فى المتوكّل بالأمس:

عن أى ثغر تبتسم و بأىّ طرف تحتكم

فلمّا خرجت أنت عليه و قلت:

فى أىّ سلح ترتطم و بأىّ كف تلتقم

أدخلت رأسك فى الرحم و علمت أنك تنهـزم

فاعطيت الجائزة و حرم وقرّبت وأبعد. قال: وخرج أبو العبر إلى الكوفة ليرمى بالبندق مع الرماة فى آجامهم. فسمعه بعض الكوفيّين يقول فى على عليه السلام قولا قبيحاً. فقتله فى بعض الآجام وغرقه فيها، وكان شديد البغض لعلى عليه السلام وله فى العلويّين هجاء قبيح.

وفى الطبرى قال مروان بن أبى الجنوب: أنشدت المتوكّل شعراً ذكرت الرافضة فيه. فعقد لى على البحرين واليمامة، وخلع علىّ أربع خلع فى دار العامة وأمر لى بثلاثة آلاف دينار. فنثرت على رأسى وأمر ابنه المنتصر وسعد الا يتاخى يلقطانها لى، ولا أمسّ منها شيئاً فجمعاها لى.

و قلنا: كأنّه اخبار بزمن المتوكّل حيث كان له خصوصية فى هذا كما عرفت من سيرته حتّى إنّه صنّف له الكتب فى المجون، وقال فى المروج «لم يكن أحد ممّن سلف من خلفاء بنى العباس ظهر فى مجلسه اللعب والمضاحك، والهزل الاّ المتوكّل. فإنّه السابق إلى ذلك، والمحدث له، وأحدث أشياء من نوع ما ذكر فاتبعه فيها الأغلب من خواصه، وأكثر رعيته. فلم يكن فى وزرائه، والمتقدمين من كتّابه وقوّاده من يتعالى عن مجون و طرب» ـ الخ ـ و إلاّ فكان ما قاله عليه السلام فى أزمنة بعده عليه السلام أيام باقى العباسيّين، وأيام بنى أُميّة له عموميه.

وفى الأغانى عاتب أبان اللاحقى البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه. فقالوا له: وماتريد من ذلك. فقال: أريد أن احتظى منه بمثل مايحظى به مروان بن أبى حفصة. فقالوا: إنّ لذلك مذهباً فى هجاء آل أبى طالب وذمّهم، به يحظى، وعليه يعطى. فاسلكه حتّى نفعل. قال: لا أستحلّ ذلك. قالوا: فما تصنع لا يجئ طلب الدنيا إلاّ بما لا يحلّ؟ فقال أبان.

نشدت بحق اللّه من كان مسلماً أعِمّ بما قد قلته العجم والعرب
أعمّ رسول اللّه أقرب زلفةً لديه أم ابن العم فى رتبة النسب

وهى طويلة. فقال الفضل: مايرد على الرشيد اليوم شئ أعجب من أبياتك فركب فأنشدها الرشيد. فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ثمّ اتّصل به، وخصّ به.

وفى الأمويّين كان الوليد بن يزيد أشبههم بالمتوكّل.

ففى الطبرى لما ولى الوليد بن يزيد كتب إلى نصر بن سيار بخراسان يأمره أن يتّخذ له برابط وطنابير، وأباريق ذهب وفضّة، وأن يجمع له كلّ صنّاجة بخراسان يقدر عليها.

وفى الاغانى كان حماد الراوية، ومطيع بن أياس، وعمار ذى كناز يتنادمون وكلّهم كان متّهماً بالزندقة قال حماد: استقدمنى الوليد فجعلت أنشده. فلا يهشّ حتّى جرى ذكر عمار ذى كناز. فعرفه، وسأل عنه ـ وما ظننت أنّ شعر عمار شئ يراد أو يعبأ به ـ فقال: هل عندك شئ من شعره؟ فقلت: نعم أحفظ قصيدةً له فانشدته:

حبذا أنت ياسلامة العين حبذا اشتهى منك منك منك مكانا مجنبذا
مفعماً فى قباله بين ركنين ربّذا مدغما ذا مناكب حسن القد محتذى
رابياً ذا مجسّة اخنسا قد تقنفذا لم تر العين مثله فى منام ولا كذا
تامكاً كالسنام اذ بذّ عنه مقذّذا ملأكفّى ضجيعها نال منها تفخّذا
لو تأملته دهشت وعاينت جهبذا طيب العرف والمجسّة ذا اللمس هربذا

فأجا فيه فيه فيه بأير كمثل ذا ليت أيرى وليت حركت جميعا تأخذا

فآخذ ذا بشعر ذا و اخذ ذا بقعر ذا

فضحك الوليد حتّى سقط على قفاه ،وصفق بيديه و رجليه ،وأمر بالشراب فاحضر ،واكرّر الأبيات ،وهو يشرب ،ويصفق ،وأمر لى بحلّتين ،و ثلاثين ألف درهم ،ثمّ قال :مافعل عمار؟ قلت :حىّ كميّت قد غشى بصره ، و ضعف جسمه لاحراك به ،فأمر له بعشرة آلاف درهم ·فقلت له :ألاّ أخبر الخليفة بشئ يفعله لاضرر عليه ،وهو أحبّ إلى عمار من الدنيا بحذافيرها ·قال :وماذاك؟ قلت : إنّه لا يزال ينصرف من الخانات ،وهو سكران فيرفعه الشرط ·فيضرب الحد ،فقد قطّع بالسياط ،ولا يدع الشراب ،فكتب إلى عامله بالعراق ألاّ يرفع إليه أحد من الحرس عماراً فى سكر ،ولاغيره إلّا ضرب الرافع له حدّين ،وأطلق عماراً ·

«يعدّون الصدقة فيه غرماً» ومن الأعراب من يتّخذ ماينفق مغرما»[1] ·

«وصلة الرحم منّا ،والعبادة استطالة على الناس» حيث إنّه ليس صلتهم وعبادتهم كصدقتهم للّه تعالى بل للرياء والسمعة ·

«فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء» هكذا فى المصرية والصواب بمشورة الإماء كمافى (حد) و(ثم) والخطية ·

«و إمارة الصبيان ،وتدبير الخصيان» بالكسر جمع الخصى :أى من سلّ خصيته ،والكلام إشارة إلى خلافة المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكّل بايعوه ،وله ثلاث عشرة سنة ·

ولقد كان الصادق عليه السلام أخبر عبد اللّه بن الحسن لما كان يدّعى الأمر لابنه محمّد بأنّ الأمر للسفاح ثمّ لأخيه المنصور ·ثمّ لبنيه حتّى يناله صبيانهم ويشاور فيه نسائهم ،ولذا كان المنصور لمّا خرج محمّد ،و إبراهيم عليه ،وخاف من غلبتهما كان يقول :أين ما وعدنا جعفر؟

(١) التوبة : ٩٨ ·

ففى مقاتل أبى الفرج عن أبى الحجّاج الجمال قال : إنّى لقائم على رأس المنصور ، وهو يسألنى عن مخرج محمّد إذ بلغه أنّ عيسى بن موسى ـ وكان من قبله يقاتل محمّداً ـ هزم ـ وكان متّكئاً ـ فجلس فضرب بقضيب معه مصلاه ، و قال : كلاّ . فأين لعب صبياننا بها على المنابر ، ومشاورة النساء

وفيه عن حفص بن حكيم قال : إنّ المنصور و جل من أمر إبراهيم حتّى جعل يقول : ويلك يا ربيع . فكيف ، ولم ينلها أبناؤنا فأين إمارة الصبيان .

وقال الجزرى ـ بعد ذكر قتل المقتدر ، و رفع رأسه على خشبة ، و ترك جنازته مكشوف العورة ـ إنّ المقتدر أهمل من أحوال الخلافة كثيراً ، وحكّم فيها النساء والخدم ـ الخ ـ

٣٢ / ١٣٤ / ١ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يُومِي فِيهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَلَاحِمِ

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى ، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ

(مِنْهَا) حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِذُهَا ، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا ، حُلْوًا رَضَاعُهَا ، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا . أَلَا وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ ـ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهِ

وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلَماً مَقَالِيدَهَا . فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ . وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

قول المصنّف «ومن خطبة له عليه السلام فى ذكر الملاحم» هكذا فى المصرية و الصواب «ومن خطبة له عليه السلام يومئ فيها إلى ذكر الملاحم» كما فى (حد) و(ثم) والملاحم جمع الملحمة الوقعة العظيمة فى الفتنة.

قوله عليه السلام «يعطف الهوى على الهدى اذا عطفوا الهدى على الهوى» قال (حد) أشار عليه السلام إلى إمام يخلقه الله فى آخر الزمان ـ الخ ـ قلت: بل يظهره الله فى آخر الزمان، و كون ذاك الإمام العاشر من ولده عليه السلام والثانى عشر من الأئمّة الاثنى عشر من ضروريات مذهب الإماميّة كيف لا وقد تواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام عند الخاصة والعامة أنّه قال لكميل ـ فى كلام طويل ـ «اللّهم إنّك لا تخلو الأرض من قائم بحجّة ظاهر، أو خائف مغمور لئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته» وهو لا ينطبق إلاّ على مذهبنا، وقد اعترف به (حد) عند شرح قوله عليه السلام ذاك كما مرّ فى الإمامة. العامة.

وروى النعمانى عن أبى جعفر عليه السلام قال: إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسوية، وعدل فى الرعية. فمن أطاعه. فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله. وإنّما سمى المهدى لأنّه يهدى إلى أمر خفى يستخرج التوراة، وسايركتب الله تعالى من غار بانطاكية، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن.

«ويعطف الرأى على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأى» روى النعمانى مسنداً عن حبّة العرنى قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كأنّى أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة قد ضربوا الفساطيط يعلّمون الناس القرآن كما أنزل أمّا إنّ قائمنا إذا قام كسره وسوّى قبلته.

وعن الأصبغ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كأنّى بالعجم فساطيطهم فى مسجد الكوفة يعلّمون الناس القرآن كما اُنزل. قلت: أليس هو كما اُنزل؟ فقال: لا محاه عنه من قريش أسمائهم وأسماء آبائهم، وما ترك أبولهب إلاّ ازراء على رسول

الله عز وجل لأنّه عمّه .

هذا ، وعنون معارف ابن قتيبة أصحاب الرأى ، وعدّ فيهم ابن أبى ليلى القاضى قال : ولى القضاء لبنى أُميّة ، وبنى العباس ، وكان فقيهاً مفتياً بالرأى ـ وعدّ فيهم الأوزاعى ، وسفيان الثورى .

قال : وأوصى إلى عمارة بن يوسف فى كتبه فمحاها وأحرقها ، وزفر صاحب الرأى وربيعة الرأى ـ وعدّ مالك بن أنس قال : وحمل بمالك ثلاث سنين ـ و عدّ اباحنيفة وقال : قيل فيه :

إذا ذوالرأى خاصم عن قياس ... وجاء ببدعة هنة سخيفة
أتينـاهم بقول الله فيهـا ... وآثار مبرزة شريفـة
فكم من فرج محصنة عفيـف ... أحلّ حرامه بأبى حنيفـة

وعدّ فيهم أبا يوسف القاضى . قال : كان صاحب حديث ثمّ لزم أباحنيفة ، فغلب عليه الرأى ، وعدّ فيهم محمّد بن الحسن الشيبانى قال : جالس أباحنيفة وسمع منه ، ونظر فى الرأى . فغلب عليه ، وعرف به ـ وفى القاموس «ربيعة الرأى شيخ مالك ، و هلال الرأى من أعيان الحنفية» ـ

«(منها) حتى تقوم الحرب بكم على ساق» : أى تقيمكم الحرب على ساق والقيام على ساق كناية عن الجد . كما أنّ الكشف عن الساق كناية عن الشدّة .

«باديا» وفى نسخة من (حد) (بادية) وهو الأصحّ . فبعده «مملوة» .

«نواجذها» جمع الناجذ . قال الجوهرى «للإنسان أربعة نواجذ فى أقصى الأسنان بعد الأرحاء ، ويسمى ضرس الحلم لأنّه ينبت بعد البلوغ ، وكمال العقل يقال : ضحك حتّى بدت نواجذه» .

وفى النهاية فى حديث علىّ عليه السلام «إنّ الملكين قاعدان على ناجذى ـ العبد يكتبان» يعنى سنّيه الضاحكين بين الناب والأضراس .

وفى الأساس أبدى ناجذه : إذا بالغ فى ضحكه أو غضبه ، ومن المجاز أبدت الحرب ناجذيها . قال بشر :

إذا ما الحرب أبدت ناجذيها غداة الروع والتقت الجموع

وفى الجمهرة النواجذ : أقاصى الأضراس ، وهى أربعة تنبت بعد أن يشب الإنسان ، وتسميها العامة أضراس العقل ، وكذلك تسميها الفرس (خرد دندان) وقال قوم : بل النواجذ الضواحك ، واحتجوا بحديث النبى صلى الله عليه وآله «ضحك حتى بدت نواجذه» وتلك النواجذ لا يبديها الضحك ـ إلخ ـ والمفهوم منه خلط الجوهرى كما أن الظاهر وهم الزمخشرى فى كون (أبدى ناجذيه) للمبالغة فى الغضب والشعر أعم كقوله عليه السلام بل هو ظاهر فى الأول بقرينة بعده .

هذا ، وفى الشعراء دخلت ليلى الأخيلية ـ وقد أسنّت ـ على عبد الملك فقال لها : ما رأى توبة فيك حين عشقك . قالت : ما رأى الناس فيك حين جعلوك خليفة ، فضحك حتى بدت له سنّ سوداء كان يخفيها .

«مملؤة أخلافها» جمع الخلف بالكسر ، وهو الضرع .

«حلواً رضاعها» كحلو لبن الأمهات عند الأطفال .

«علقماً» : أى مرّاً ، والأصل فى العلقم شجر مرّ . فقيل : لكلّ مرّ .

«عاقبتها» روى النعمانى عن ابن عقدة ، عن يحيى بن زكريا بن شيبان ، عن يوسف بن كليب ، عن الحسن بن على بن أبى حمزة ، عن عاصم بن حميد الحناط عن أبى حمزة الثمالى ، عن أبى جعفر عليه السلام ـ فى خبر ـ لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد ، وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس ، وطاعون قبل ذلك ، وسيف قاطع بين العرب ، واختلاف شديد بين الناس ، وتشتّت فى دينهم ، وتغيّر من حالهم حتى يتمنّى المتمنّى الموت صباحاً ومساءً من عظم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضا ، وخروجه إذا خرج عند الإياس ، والقنوط . فياطوبى لمن أدركه ، وكان من أنصاره ـ إلى أن قال ـ

يقوم بأمر جديد ، وسنّة جديدة ، وقضاء على العرب شديد ليس شأنه إلاّ القتل .

هذا ، وفى شعراء ابن قتيبة سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب عن الحرب . فقال : مرّة المذاق إذا كشفت عن ساق من صبر فيها عرف ، ومن ضعف فيها تلف ، وهى كما قال الشاعر :

الحرب أوّل ما تكون فتيّة تسعى بزينتها لكلّ جهول
حتّى إذا استعرّت و شبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزّت رأسها و تنكّرت مكروهة للشم و التقبيل

«ألا وفى غد ـ وسيأتى غد بما لا تعرفون ـ» صدّر الخبر الّذى أراد عليه السلام بيانه بكلمة (ألا) وعرّضه بجملة (وسيأتى) ـ إلخ ـ دلالة على عظمه واهميته .

«يأخذ الوالى من غيرها عمّالها على مساوى أعمالها» قال (حد) هذا كلام منقطع عمّا قبله ، وقد كان تقدّم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وإمرة فذكر أنّ الوالى ـ يعنى الإمام فى آخر الزمان ـ يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم .

قلت : لم يعلم انقطاعه ، ولو أراد الرضى ـ رضى اللّه عنه ـ قطع الكلام لقال (منها) كما قال هنا (منها) «حتّى تقوم الحرب» ـ إلخ ـ وكما قال بعد «منها» كأنّى به قد نعق بالشام» ـ إلخ ـ لكن الظاهر كون الكلام مصحّفاً وأنّ الأصل «يأخذ الوالى غير عمالها على مساوى أعمالها» .

فروى العلل والعيون أنّ أبا الصلت الهروى قال للرضا عليه السلام : ما تقول فى حديث روى عن الصادق عليه السلام إنّ القائم عليه السلام إذا خرج قتل ذرارى قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها ؟ فقال عليه السلام : هو كذلك . قال : فقول اللّه تعالى «ولا تزر وازرة وزر أُخرى»[1] ما معناه ؟ قال صدق اللّه فى جميع أقواله ، ولكن ذرارى قتلة الحسين

(١) فاطر : ١٨ .

عليه السلام يرضون بفعال آبائهم ، ويفتخرون بها ، ومن رضى شيئاً كان كمن أتاه . ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق . فرضى بقتله رجل بالمغرب لكان الراضى عند الله تعالى شريك القاتل ، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم . قال : بأىّ شئ يبدء القائم إذا قام؟ قال : يبدء ببنى شيبة . فيقطع أيديهم لأنّهم سرّاق بيت الله تعالى .

«وتخرج له الأرض من أفاليذ» هكذا فى المصرية ، والصواب (أفاليـذ) بدون (من) كما فى الثلاثة ، وهى جمع فلذة : أى قطعة .

«كبدها» وفى الخبر «إنّ من أشراط الساعة أن ترمى الأرض بأفلاذ كبدها» .

قال (حد) قوله عليه السلام «و تخرج له الأرض من أفاليذ كبدها» كناية عن الكنوز الّتى تظهر للقائم عليه السلام وقد جاء ذكر ذلك فى خبر مرفوع ، ولفظه «وقاءت له الأرض أفلاذ كبدها» وقد فسّر قوله تعالى «وأخرجت الأرض اثقالها»(١) بذلك فى بعض التفاسير .

قلت : وفى خبر عن الباقر عليه السلام يجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها . فيقول للناس : تعالوا إلى ماقطعتم فيه الأرحام ، وسفكتم فيه الدم الحرام ، وركبتم فيه ماحرّم الله تعالى فيعطى شيئاً لم يعطه أحد كان قبله . فيملأ الأرض عدلاً ، وقسطاً ، ونوراً كما ملئت ظلماً و جوراً و شرّاً .

هذا ، وفى الطبرى إنّ أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أصابوا راوية لقريش فأتوا بهم إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى بدر . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لهم : من فيهم من اشراف قريش ، قالوا : عتبة وشيبة إبنا ربيعة ، و أبوجهل بن هشام ، وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدى والنضر بن حارث ، وزمعة بن الأسود ، وأميّة بن خلف ، ونبيه ، ومنبه ابنا الحجّاج ، و سهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود . فأقبل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على الناس . فقال : هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها .

(١) الزلزلة : ٢ .

«وتلقى إليه سلماً مقاليدها» :أى مفاتيحها ،ومثله الأقلاد جمع الإقليد قال الشاعر :

واعطته بالأقلاد كلّ قبيلة و مدّت إليه بالركاب الحجاجح

وفى تفسير غريب قرآن السجستانى مقاليد :جمع مقليد ،ومقلاد ومقلد و يقال : هو جمع لا واحد له من لفظه ،وهى الإقليد أيضاً الواحد أقليد . و فى الجمهرة :الإقليد المفتاح فارسى معرّب .والأقاليد والمقاليد المفاتيح ،ولم يتكلم فيها الأصمعى ،و قال غيره : واحد المقاليد مِقلد ،ومقليد ،وواحد الأقاليد إقليد .

فى خبر علىّ بن عقبة عن أبيه قال :إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل ، وارتفع فى أيّامه الجور ،وآمنت به السبل ،وأخرجت الأرض بركاتها ،وردّ كلّ حقّ إلى أهله ،ولم يبق أهل دين إلاّ أظهروا الإسلام يقول تعالى «وله أسلم من فى الأرض طوعاً وكرهاً»[1] وحكم بين الناس بحكم داود ،وحكم محمّد صلى الله عليه وآله فحينئذ تظهر الأرض كنوزها ،وتبدى بركاتها ،ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعا لصدقته الخبر.

وروى الاكمال عن أبى الجارود عن الباقر عليه السلام إذا خرج القائم عليه السلام من مكّة ينادى مناديه ألا لا يحملنّ أحد طعاماً ولا شراباً ،وحمل معه حجر موسى بن عمران ،وهو وقر بعير ،ولا ينزل منزلاً إلاّ انفجرت منه عيون فمن كان جائعا شبع ومن كان ظمآنا روى ورويت دوابهم حتّى ينزلوا النجف.

«فيريكم كيف عدل السيرة» روى النعمانى عن عبد الله بن عطا قال: سألت شيخاً من الفقهاء ـ يعنى أبا عبد الله عليه السلام ـ عن سيرة المهدى عليه السلام فقال : يصنع كما صنع النبىّ صلى الله عليه وآله يهدم ما كان قبله كما هدم النبى صلى الله عليه وآله امر الجاهلية ، و يستأنف الإسلام جديداً .

وفى الإرشاد ،وأما سيرة القائم عليه السلام عند قيامه .فروى المفضّل عن الصادق عليه السلام إذا أذن الله تعالى للقائم عليه السلام فى الخروج صعد المنبر .فدعا الناس

(١) آل عمران : ٨٣ .

إلى نفسه ،وناشدهم بالله ،ودعاهم إلى حقّه ،وأن يسير فيهم بسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويعمل فيهم بعمله .فيبعث الله تعالى جبرئيل حتّى يأتيه .فينزل على الحطيم يقول :إلى أيّ شئ تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام فيقول جبرئيل :أنا أوّل من يبايعك ابسط يدك فيمسح على يده ،وقد وافاه ثلاثمأة ،وبضعة عشر رجلاً .فيبايعونه ؛و يقيم بمكّة حتّى يتمّ أصحابه عشرة آلاف نفس .ثمّ يسير منها إلى المدينة .

وروى أبوبصير عنه عليه السلام قال :إذا قام القائم عليه السلام هدم المسجد الحرام حتّى يردّه إلى أساسه ،وحوّل المقام إلى الموضع الّذى كان فيه .

وروى علىّ بن عقبة عن أبيه عنه عليه السلام قال :إنّ دولتنا آخر الدول ،ولم يبق لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا لئلاّ يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء ،وهو قول الله «والعاقبة للمتقين» .

«ويحيى ميّت الكتاب والسنّة» روى النعمانى عن أبى جعفر عليه السلام قال كأنّى بدينكم هذا لا يزال موليا يفحص بدمه ثمّ لا يردّه عليكم إلاّ رجل منا أهل البيت ،فيعطيكم فى السنة عطائين ،ويرزقكم فى الشهر رزقين ،وتؤتون الحكمة فى زمانه ،حتّى إنّ المرأة لتقضى فى بيتها بكتاب الله وسنّة رسوله .

وروى محمّد بن النعمان عنه عليه السلام قال :إذا قام القائم سار إلى الكوفة فهدّ بها أربعة مساجد ،ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شرف إلاّ هدمها ،و جعلها جماء ،ووسّع الطريق الأعظم ،وكسر كلّ جناح خارج فى الطريق ،وأبطل الكنيف و الميازيب إلى الطرقات ،ولا يترك بدعة إلاّ أزالها ،ولا سنّة إلاّ أقامها.

وعنه عليه السلام إذا قام القائم عليه السلام ضرب فساطيط ،ويعلّم الناس القرآن على ما أنزل الله ،فاصعب ما يكون على من حفظه اليوم لأنّه يخالف فيه التأليف .

وممّا أخبر عليه السلام بالمهدى عليه السلام ما رواه النعمانى عن الأصبغ قال :أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته مفكراً ينكت فى الأرض .فقلت :أرغبة منك فيها ؟ فقال لا والله ما رغبت فى الدنيا ساعة ،ولكن فكرى فى مولود يكون من ظهرى هو المهدى

الّذى يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً له حيرة وغيبة يضلّ فيهما أقوام ، ويهتدى فيهما آخرون . فقلت : فكم تكون تلك الغيبة ، والحيرة؟ فقال: سبت من الدهر . قلت : أدرك ذلك الزمان؟ قال : قال : أنّى لك يا أصبغ بهذا الأمر أُولئك خيار هذه الأُمّة مع أبرار هذه العترة . قلت : فماذا يكون بعد ذلك؟ قال ثمّ يفعل اللّه ما يشاء فانّ له إرادات ، وغايات ، ونهايات .

وروى أيضاً أنّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : نبئّنا بمهديكم هذا فقال « إذا درج الدارجون ، وقلّ المؤمنون ، وذهب المجليون ، فهناك » فقال : ممّن الرجل؟ قال : من بنى هاشم من ذروة طود العرب ، وبحر مفيضها إذا وردت ومجفو أهلها إذا أتت ، ومعدن صفوتها إذا تكدرت . لا يجبن إذا المنايا هلعت ولا يجوز إذا المنون اكتنفت ، ولا ينكل إذا الكماة اصطرعت . مشمر مغلولب ظفر ضرغامه . حصد مخدش ذكر ، سيف من سيوف اللّه ، رأس قتم ، بسق رأسه فى باذخ السودد ، وغارز مجده فى أكرم المحتد . فلا يصرفنّك عن تبعته عارض ينوص إلى الفتنة كلّ مناص أن قال فشرّ قائل ، وأن سكت فذو دعائر .

ـ ثمّ رجع إلى صفة المهدى عليه السلام ـ فقال : أوسعكم كهفاً واكثركم علما ، و أوصلكم رحماً اللهمّ فاجعل بعثه خروجاً من الغمّة ، واجمع به شمل الامّة فان خار اللّه لك فاعزم ـ إلى أن قال ـ

هاه ـ وأومى إلى صدره ـ شوقا إلى رؤيته .

وروى ابن بابويه مسنداً عن أبى جعفر عليه السلام أنّ عمر قال لأمير المؤمنين عليه السلام : يا ابن أبى طالب أخبرنى عن المهدى ما اسمه؟ قال : أما اسمه فلا إنّ ، حبيبى وخليلى عهد إلىّ أن لا أُحدث باسمه حتّى يبعثه اللّه تعالى ، وهو فى ما استودع اللّه تعالى فى علمه .

٣٣ بعد ٣ / ٢٦٠

(فَصْلٌ نَذْكُرُ فِيهِ شَيْئاً مِنْ اخْتِيَارِ غَرِيبِ كَلَامِهِ الْمُحْتَاجِ إِلَى التَّفْسِيرِ)

فِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ

(الْيَعْسُوبُ: السَّيِّدُ الْعَظِيمُ الْمَالِكُ لِأُمُورِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ، وَالْقَزَعُ: قِطَعُ الْغَيْمِ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا)

قول المصنف (فصل) نذكر فيه شيئاً من اختيار غريب كلامه عليه السلام المحتاج إلى التفسير» ذكر فى فصله تسعة عناوين، وفسّرها، ونقل (حد) عن أبى عبيد، وعن ابن قتيبة مقداراً من كلامه عليه السلام الغريب بالمناسبة من شاء راجعه.

هذا، وما نقلنا من كلام المصنّف على ما فى المصرية وصدّقه (ثم) ولكن فى (حد) بدله «ومن كلامه عليه السلام المتضمن ألفاظاً من الغريب يحتاج إلى تفسير قوله» ولعلّه نقله بالمعنى.

«فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين» قال فى الجمهرة فى باب ما جاء على يفعول «يعسوب» دويبة شبيهة بالجرادة لا تضمّ جناحيها إذا سقطت، ويعسوب النحل: الذكر العظيم منها الّذى تتبعه، وكثر ذلك حتّى سمّوا كل رئيس يعسوباً.

«بذنبه» واحد الأذناب، والمراد بذلك وقت ظهور القائم عليه السلام شبهه عليه السلام بملك النحل يضرب ذنبه فى موضع فيجتمع عليه النحل.

«فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف» قال فى النهاية «ومافى السماء قزعه»: أى قطعة من الغيم، ومنه حديث على عليه السلام (فيجتمعون إليه كما تجتمع قزع الخريف).

قال (حد) بعد العنوان: الخبر من أخبار ملاحمه عليه السلام الّتى كان عليه السلام يخبر بها يذكر فيه المهدى عليه السلام ـ قلت: وروى النعمانى مسنداً عن الاحنف بن قيس قال: دخلت على علىّ عليه السلام فى حاجة لى. فجاء ابن الكوا، وشبث بن ربعى

فأستأذنا عليه ، فقال لى على عليه السلام : إن شئت فاذن لهما فانك أنت بدأت بالحاجة قلت : فأذن لهما ، فلمّا دخلا قال لهما على عليه السلام : ما حملكما ان خرجتما بحروراء علىّ ؟ قالا : أحببنا أن نكون من الغضب ، قال : ويحكما وهل فى ولا يتى غضب أو يكون الغضب حتّى يكون من البلاء كذا وكذا ثم يجتمعون قزعا كقزع الخريف من القبائل ما بين الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة .

وعن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا اذن للإمام عليه السلام دعا الله باسمه العبرانى ، فاتيحت له صحابته الثلاثمأة والثلاثة عشر قزع كقزع الخريف ، فهم أصحاب الألوية منهم من يفقد عن فراشه ليلا فيصبح بمكّه ، ومنهم من يرى يسير فى السحاب نهاراً يعرف بإسمه ، واسم أبيه ، وحليته و نسبه . قلت : جعلت فداك أيّهم أعظم ايماناً قال : الّذى يسير فى السحاب نهاراً ، و هم المفقودون ، وفيهم نزلت هذه الآية « أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً »[1] .

وفى فتن نعيم بن حماد ـ من العامة ـ عن أبى جعفر عليه السلام قال : يظهر المهدى بمكّة عند العشاء ، ومعه راية النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وقميصه ، وسيفه . فيظهر فى ثلاثمأة ، و ثلثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف رهبان بالليل أسد بالنهار ـ الخبر ـ .

هذا ، وممّا وردعنه عليه السلام من الغريب فى ذكر القائم عليه السلام أيضاً ما رواه النعمانى مسنداً عن الأصبغ قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : إنّ بين يدى القائم عليه السلام سنين خدّاعه يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ، ويقرّب فيها الماحل ـ وفى حديث ـ وينطق فيها الرويبضة قلت : وما الرويبضة ، وما الماحل قال : أوما تقرؤن القرآن « وهو شديد المحال »[2] ـ يريد المكر ـ الخبر وفيه سقط ـ

(١) البقرة : ١٤٨ .
(٢) الرعد : ١٣ .

وفى النهاية فى حديث أشراط الساعة وأن ينطق الرويبضة فى أمر العامة، قيل له ﷺ: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافة ينطق فى أمر العامة.

وما رواه أبو عبيد فى غريبه أنّ الأشعث قال له عليه السلام وهو على المنبر غلبتنا عليك هذه الحمراء. فقال عليه السلام: من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة ـ إلى أن قال ـ.

واللّه ليضربنّكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءاً.

قول المصنّف «اليعسوب: السيّد العظيم المالك لأُمور الناس» ما قاله بيان للمراد من يعسوب الدين، وإلاّ فقد عرفت أنّ الأصل فى اليعسوب ملك النحل.

«يومئذٍ» إشارة إلى المشار إليه فى قوله عليه السلام «فإذا كان ذلك».

والقزع: قطع الغيم الّتى لا ماء فيها» قال (حد) لا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء بل القزع قطع من السحاب رقيقه سواء كان فيها ماء أولم يكن له الواحدة قزعه بالفتح، وإنّما غرّه قول الشاعر يصف جيشاً بالقلّة والخفّه «كان رعا قزع الجهام» وليس يدلّ ذلك على ما ذكره لأنّ الشاعر أراد المبالغة. فإنّ الجهام الّذى لا ماء فيه إذا كان أقطاعاً متفرّقة خفيفة كان ذكره أبلغ فى ما يريد من التشبيه.

قلت: لم يحتج إلى هذا التطويل، وكان يكفيه أن يقول: انّ الشاعر أضاف القزع إلى الجهام: أى سحاب لا ماء فيه. فلم أضفت معنى المضاف إليه على معنى المضاف.

ثمّ كما لا يشترط فى القزع أن تكون قطعاً من السحاب بلا ماء كما قال المصنّف لا يشترط فيها أن تكون قطعا رقيقه كما قال (حد) وإنّما غرّه قول الجوهرى، وهو وهم من الجوهرى. فلم يقل ذلك غيره بل أطلقوا، الازهرى، وابن دريد، والفيومى، والفيروزابادى، والزمخشرى، والجزرى ففى الجمهرة

(القزع قطع الغيم المتفرقة فى السماء) وفى المصباح (القزع: القطع من السحاب المتفرقة الواحدة قزعة مثل قصب وقصبة. قال الأزهرى: وكلّ شئ يكون قطعاً متفرّقة فهو قزع) وفى القاموس والقزع ـ محركة ـ قطع من السحاب الواحدة بهاء ومثله فى النهاية.

هذا، وفى القاموس «فى المثل «كما تجمع قزع الخريف» لا فى الحديث كما توهم الجوهرى».

قلت: بل الوهم منه، فقد ورد فى الحديث وهو العنوان وقد ورد من طريقهم وبه صرح فى النهاية الّذى هذا فنه وموضوع كتابه وقد عرفت نصّه وقد عرفت أنّ نعيم بن حماد من رجالهم أيضاً رواه فى فتنه فضلاً عن رواية النعمانى منّا دلك فى خبرين بل ورد الكلام عنه عليه السلام بهذا اللفظ فى شيعة بنى العباس حين يجتمعون لاستيصال بنى أُميّة أيضاً كما عرفته فى (٢٤) من الفصل.

هذا، وفى المعجم كان المتوكّل يروى صدراً من الأخبار والأنساب، و يمتحن من يراه بما يقع فيها من غريب اللغة فقال للمبرد، و بندار بن لرة الإصبهانى: ما معنى هذه الاحرف التى جائت فى هذا الخبر و هو ـ «ركبت الأجوجى، و إمامى قبيلة. فنزلت ثمّ شربت الصباح. فمررت، وليس إمامى الا نجيم فركضت أمامى التحوص والمسحل والعمرد. فقنصت ثمّ عطفت وراءى الى قلّوب. فلم أزل به حتّى أذقته الحمام. ثمّ رجعت وراءى. فلم أزل أمارس الأغضف فى قتله. فحمل علىّ، وحملت عليه حتّى خرصريعاً».

فلم يعلما معناها فاستمهلاه، وراجع المبرد دفاتره حتّى وجده فى أخبار الأعراب فباكر إليه. فرواه وفسّره له وقال ـ (الاجوجى) الناقة السوداء، و (القبيلة) صخرة على بئر و (التحوص) الاتان الوحشية الحائل، و (المسحل) أمام الحمر الوحشية كاليعسوب فى النحل، و (العمرّد) الأسد و (القلّوب) الذئب و (الأغضف) الأسد المتثنى أو الذى استرخت أجفافه العليا غضباً وكبراً.

٣٤/ ١٤٦/ ١ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُومِي فِيهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَلَاحِمِ

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً ظَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ . فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ . وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ . فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ . وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ . يَا قَوْمِ هٰذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ . وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ . أَلَا وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً ، وَيُعْتِقَ رِقّاً ، وَيَصْدَعَ شَعْباً ، وَيَشْعَبَ صَدْعاً ، فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ . ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ . تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ . (مِنْهَا) وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ ، وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ . وَلَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللهِ بِالصَّبْرِ وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ . حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرٍ وَاعِظِهِمْ

قول المصنّف «فى الملاحم» هكذا فى المصرية ، والصواب «يؤمى فيها إلى الملاحم» كما فى (حد) و(ثم) .

قوله عليه السلام «واخذوا يميناً و شمالاً» الأصل فيه قوله تعالى «و إنّ هذا صراطى مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله»[1] .

وروى الروضة أنّ سعيد بن يسار ، والحرث بن مغيرة ، ومنصور الصيقل ورد وا على الصادق عليه السلام . فقال لهم : الحمد للّه الّذى ذهب الناس يميناً وشمالاً فرقة مرجئة ، وفرقة خوارج ، وفرقة قدرية ، وسميتم انتم الترابية ، واللّه ما هو إلاّ اللّه ، وحده لا شريك له ، ورسوله ، وآل رسوله ، وشيعتهم ، وماكان سوى ذلك فلا . كان على عليه السلام واللّه أولى الناس بالناس بعد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم .

«ظعناً» فى مسالك الغىّ ، وتركاً لمذاهب الرشد» الأصل فيه قوله تعالى «و إن يروا سبيل الغىّ يتّخذوه سبيلاً و إن يروا سبيل الرشد لا يتّخذوه سبيلاً»[2] .

«فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ، ولا تستبطئوا مايجئ به الغد» الظاهر أنّ مراده عليه السلام استعجال الشيعة لقيام القائم عليه السلام .

فروى النعمانى أنّ مهزم الأسدى قال للصادق عليه السلام جعلنى اللّه فداك متى هذا الأمر؟ فقد طال علينا . فقال عليه السلام : كذب المتمنون وهلك المستعجلون ونجا المسلّمون .

وروى أنّ الصادق عليه السلام قال فى قوله تعالى «أتى أمر اللّه فلا تستعجلوه»[3] هو أمرنا أمر اللّه تعالى لا نستعجل به . يؤيّده ثلاثة أجناد الملائكة والمؤمنون والرعب .

(١) الانعام : ١٥٣ .
(٢) الاعراف : ١٤٦ .
(٣) النحل : ١ .

وعن الباقر عليه السلام «اسكنوا ما سكنت السماء» .

وعن الصادق عليه السلام «هلكت المحاضير - قيل: وما المحاضير؟ قال المستعجلون - ونجا المقرّبون، وثبت الحصين على أوتادها كونوا أحلاس بيوتكم فإنّ الفتنة على من اثارها، وإنّهم لا يريدونكم بجائحه إلاّ أتاهم الله بشاغل لأمر يعرض لهم .

وعنه عليه السلام لمّا التقى أهل البصرة مع أمير المؤمنين عليه السلام نشر راية النبيّ صلى الله عليه وآله فتزلزلت أقدامهم . فما اصفرت الشمس حتّى قالوا: آمنّا يا ابن أبى طالب فعند ذلك قال: لا تقتلوا الاسرى، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتّبعوا مولياً، ومن ألقى سلاحه . فهو آمن، ومن أغلق بابه . فهو آمن، ولمّا كان يوم صفين سألوه نشر الراية . فأبى عليهم . فتحملوا عليه بالحسن والحسين عليهما السلام وبعمار، فقال: إنّ للقوم مدّه يبلغونها، وانّ هذه راية لا ينشرها بعدى الاّ القائم عليه السلام - وفى خبر - إنّ تلك الراية كانت من ورق الجنّة نزل بها جبرئيل يوم بدر .

وروى ان إبراهيم بن هليل قال لأبى الحسن عليه السلام: مات أبى على هذا الأمر وقد بلغت من السنين ما قد ترى أموت ولا تخبرنى بشئ . فقال له: أنت تعجل . فقال: أى والله أعجل، ومالى لا أعجل، وقد بلغت من السن ما ترى . فقال: أما والله ما يكون ذلك حتّى تميّزوا - الخبر -

«فكم من مستعجل بما إن أدركه ودّ أنّه لم يدركه» روى النعمانى أنّ الباقر عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما يصنع القائم عليه السلام إذا خرج لأحبّ أكثرهم ألاّ يروه ممّا يقتل من الناس أما إنّه لا يبدء إلاّ بقريش . فلا يأخذ منها إلاّ السيف، ولا يعطيها إلاّ السيف حتّى يقول أكثر الناس: ليس هذا من آل محمّد لو كان من آل محمّد لرحم .

«وما أقرب اليوم من تباشير غد»: أى أوائله، قال الزمخشرى «كأنّه جمع (تبشير) مصدر بشر» إلاّ أنّهم قالوا: إنّ المصدر لا يثنّى ولا يجمع، وإنّما قال

عليه السلام «ما أقرب اليوم من تباشير الغد» حيث إنّ اليوم متّصل بآخره إلى أوائل الغد، وهو نظير قوله تعالى «أليس الصبح بقريب»[1].

«ياقوم هذا إِبّان» بالكسر والتشديد الوقت.

«ورود كلّ موعد» هكذا فى المصرية، والصواب (موعود) كما (حد) و(ثم) والخطية.

«ودنوّ من طلعة مالا تعرفون» قال (حد): أى دنا وقت القيامة، وظهور الفتن، والاشراط الهائلة الّتى غير معهود مثلها نحو دابّة الأرض، والدجّال وما يظهر على يده من المخاريق والأُمور الموهمة، وواقعة السفيانى.

قلت: بل مراده عليه السلام فتن تأتى بعده من بنى أُميّة، وبنى العباس إلى علامات القائم عليه السلام لأنّ قوله عليه السلام «هذا إبّان» - إلخ - يدلّ على أنّ حين خاطبهم بهذا الكلام صار زمان ماوعدهم، وقرب ما أخبرهم.

روى النعمانى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال على منبر الكوفة: «إنّ من ورائكم فتنا مظلمة عمياء منكسفة لا ينجو منها إلاّ النؤمة».

وروى أنّه عليه السلام قال: لا يقوم القائم عليه السلام حتّى تفقأ عين الدنيا، وتظهر الحمرة فى السماء، وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض حتّى يظهر فيهم أقوام لا خلاق لهم يدعون لولدى، وهم برئاء من ولدى تلك عصابة ردّية لا خلاق لهم على الأشرار مسلّطة، وللجبابرة مفتّنة، وللملوك مبيرة تظهر فى سواد الكوفة يقدّمهم رجل أسود اللون والقلب، رثّ الدين لا خلاق له، مهجن زنيم، عتل تداولته أيدى العواهر من الأُمّهات من شرنسل لاسقاها الله المطر من سنة اظهار غيب المتغيب من ولدى صاحب الراية الحمراء، والعلم الأخضر أىّ يوم للمجنبين بين الأنبار وهيت ذلك يوم فيه صيلم الأكراد، والشراة وخراب دار الفراعنة، ومسكن الجبابرة، ومأوى الولاة الظلمة، وأُمّ البلاء، واخت العار تلك

وربّ على ، بغداد .

ألا لعنة اللّه على العصابة من بنى اُميّة ، وبنى فلان الخؤنة الّذين يقتلون الطيّبين من ولدى لا يراقبون فيهم ذمّتى ، ولا يخافون اللّه فى ما يفعلونه بحرمتى إنّ لبنى العباس يوم الطموح ، ولهم فيه صرخة كصرخة الحبلى ، والويل لشيعه ولد العباس من الحرب الّتى يفتح من نهاوند ، والدينور تلك حرب صعاليك شيعة على يقدّمهم رجل من همدان إسمه على إسم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم نعوت موصوف باعتدال الخلق ، وحسن الخلق ، ونضارة اللون له فى صوته ضحك ، وفى اشفارٌ وفى عنقه سطح . فرق الشعر . مفلج الثنايا . على فرسه كبدر التمام تجلّى عنه الغمام . يسير بعصابة خير عصابة اوت ، وتقربت ودانت اللّه بدين ، تلك الابطال من العرب الّذين يلحقون حرب الكريهة والدبرة يومئذٍ على الأعداء انّ للعدوّ يوم ذلك ، الصيلم والاستيصال .

وروى أنّه عليه السلام قال : لا يتقلب هذه الشيعة حتّى تكون بمنزلة المعز لا يدرى الحاس على أيّها يضع يده . فليس لهم شرف يشرّفونه ، ولا سند يستندون إليه فى اُمورهم .

وروى أنّه عليه السلام قال : يأتيكم بعد الخمسين والمأة امراء كفره ، واُمناء خؤنة وعرفاء فسقة . فتكثر التجار ، وتقل الأرباح ، ويفشوا الربا ، ويكثر أولاد الزنا ، و تتناكر بالمعارف ، وتعمر السباخ ، وتعظم الأهلة ، وتستكفى النساء بالنساء ، و الرجال بالرجال ، قال : فقام إليه رجل . فقال : يا أمير المؤمنين وكيف نصنع فى ذلك الزمان ؟ فقال : الهرب الهرب . فإنّه لا يزال عدل اللّه مبسوطا على هذه الاُمّة مالم يمل قرّاءهم إلى امراءهم ، ومالم يزل أبرارهم ينهى فجارهم . فإن لم يفعلوا ثمّ استدفروا . فقالوا : لا إله إلاّ اللّه قال اللّه فى عرشه : كذبتم لستم بها صادقين .

وروى أنّ ابن الكوا سأله عليه السلام عن الغضب . فقال عليه السلام : هيهات الغضب

هيهات موتات بينهن موتات، وراكب الذعلبة، وما راكب الذعلبة؟ مختلط جوفها بوضينها يخبرهم بخبر فيقتلونه ثمّ الغضب عند ذلك.

وروى أنّه عليه السلام حدّث عن أشياء تكون بعده إلى قيام القائم. فقال الحسين عليه السلام له عليه السلام: متى يطهّر الله الأرض من المنافقين. فقال عليه السلام ـ فى حديث طويل بعد ذكر بنى أُميّة وبنى العباس ـ إذا قام القائم بخراسان، و غلب على أرض كرمان، وملتان، وحاز جزيرة بنى كاوان، وقام منّا قائم بجيلان، و اجابته الأبرد الديلم، وظهرت لولدى رايات الترك متفرّقات فى الأقطار والخبات وكانوا بين هنات و هنات إذا خربت البصرة، و قام أمير الامراء ـ إلى أن قال ـ إذا جهّزت الالوف وصفّت الصفوف، وقتل الكبش الخروف هناك يقوم الآخر ويثور الثائر، ويهلك كافر ثمّ يقوم القائم المأمول والامام المجهول له الشرف والفضل هو من ولدك ياحسين لا ابن مثله يظهر بين الركنين فى دريسين باليين يظهر على الثقلين، ولا يترك فى الأرض شرّا ومين ـ الخبر ـ

ويمكن أن يريد عليه السلام بقوله «هذا إبّان ورود كلّ موعود» الفتن الّتى حدثت بعده عليه السلام من بنى أُميّة، وبنى العباس، وغيرهما، وبقوله «ودنو من طلعة مالا تعرفون» الخوارق الّتى قبل قيام القائم

فروى النعمانى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن قوله تعالى «فاختلف الاحزاب من بينهم»[1] فقال: انتظروا الفرج من ثلاث. قيل: وما هنّ؟ قال: اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفزعة فى شهر رمضان. قيل: و ما الفزعة؟ فقال: أوما سمعتم قوله تعالى «إن نشأ ننزل عليهم آية من السماء فظلّت أعناقهم لها خاضعين»[2] هى آية تخرج الفتاه من خدرها وتوقظ النائم و تفزع اليقظان.

(١) الزخرف: ٦٥.

(٢) الشعراء: ٢.

وروى عن الصادق عليه السلام قال: العام الذى فيه الصيحة قبله الآية فى رجب قلت: وما هى؟ قال: وجه يطلع فى القمر، ويد بارزة.

وروى أنّ أبا بصير سأل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى «عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا»(١) ما هو عذاب خزى الدنيا. فقال: وأىّ خزى أخزى من أن يكون الرجل فى بيته وحجالة، ومع إخوانه، وسط عياله إذا شقّ أهله الجيوب عليه، وصرخوا. فيقول الناس: ما هذا؟ فيقال: مسخ فلان الساعة قال: قبل قيام القائم أو بعده؟ قال: بل قبله.

وعن الباقر عليه السلام شيئان قبل قيام القائم عليه السلام لم يكونا منذ أهبط الله آدم عليه السلام أبداً، وذلك أنّ الشمس تنكسف فى النصف من شهر رمضان، والقمر فى آخره ــ وزاد فى خبر آخر ــ وعنده يسقط حساب المنجّمين.

وعنه عليه السلام إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهروى العظيم يطّلع ثلاثة أيّام أو سبعة. فتوقعوا فرج آل محمّد إن شاء الله ثمّ قال: الصيحة لا تكون إلّا فى شهر رمضان، وهى صيحة جبرئيل عليه السلام إلى هذا الخلق. ثمّ قال: ينادى مناد باسم القائم عليه السلام. فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب ــ الخبر ــ

«ألا ومن أدركها منّا يسرى فيها بسراج منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحلّ فيها ربقاً» فى الصحاح الربق بالكسر: حبل فيه عدة عرى يشدّ به البهم الواحدة من العروة ربقة، وفى الحديث خلع ربقة الإسلام من عنقه.

«ويعتق رقّاً» بالكسر: أى مملوكا.

«و يصدع شعباً» فى الصحاح الصدع الشق، وصدعت الشئ أظهرته.

«و يشعب صدعاً» فى الصحاح الشعب الصدع فى الشئ و اصلاحه، و شعبته فرّقته، وجمعته تقول (التام شعبهم) إذا اجتمعوا بعد التفرّق، و تفرّق شعبهم إذا تفرّقوا بعد الإجتماع قال «شتّ شعب الحى بعد التيام».

(١) يونس: ٩٨:

قال (حد) أراد عليه السلام بقوله «من أدركها منّا» المهدى عليه السلام أى ليسرى المهدى فى ظلمات هذه الفتن بسراج منير باتباع الكتاب والسنّة، ويتّبع مثال الصالحين ليحلّ فى هذه الفتن ربقاً: أى حبلاً معقوداً، ويعتق رقّاً: أى يستنقذ أسرى، وينقذ مظلومين من أيدى ظالمين، و يصدع شعباً: أى يفرّق جماعة من جماعات الضلال، ويشعب صدعاً: أى يجمع مايفرّق من كلمة أهل الهدى.

قلت: لم يعلم أنّه عليه السلام أراد بقوله المهدى عليه السلام بالخصوص بل الظاهر أنّه عليه السلام أراد جميع عترته المعصومين. فقلنا: إنّه عليه السلام أخبر بجملة مايحدث بعد عصره من فتن بنى أُميّة، وبنى العباس، وغيرهما إلى ظهور المهدى عليه السلام وهو الظاهر من قوله منّا بلفظ العموم، فهو نظير قوله عليه السلام فى موضع آخر «نحن أهل البيت فيها بمنجاة».

وصدق عليه السلام. فجميع المعصومين من عترته عليهم السلام كانوا كما وصف عليه السلام مثله فى أيّام الثلاثة يسيرون فى الفتن بسراج منير، ويحذون على مثال الصالحين فيحلون فى تلك الفتن ربقاً، ويعتقون رقاً، ويصدعون شعباً ويشعبون صدعا.

روى الكافى أنّ الربيع حاجب المنصور قال له وهو فى الطواف: إنّ فلاناً مولاك مات البارحة. فقطع فلان مولاك رأسه بعد موته. فاستشاط وغضب. فقال لابن شبرمة وابن أبى ليلى، وعدّة معه من القضاة والفقهاء: ماتقولون فى هذا فكلّ منهم قال: ماعندى فى هذا شئ. فجعل يقول أقتله أم لا؟ فقيل له: قد قدّ الساعة جعفر بن محمّد عليه السلام وقد دخل المسعى. فإن كان عند أحد شئ فعنده. فقال للربيع: اذهب إليه. فقل له: أجبنا فى كذا وكذا. فقال عليه السلام له: قد ترى شغل ماأنا فيه، و قبلك الفقهاء. فسلهم. فقال: قد سألهم، ولم يكن عندهم فيه شئ. فقال عليه السلام: قل: له عليه مأة دينار، فابلغه فقالوا له: فسله كيف صار عليه مأة دينار. فقال عليه السلام فى النطفة عشرون، وفى العلقة عشرون، وفى المضغة عشرون، وفى العظم عشرون، وفى اللحم عشرون. ثمّ أنشأناه خلقاً آخر، و هذا

هوميّت بمنزلته قبل أن ينفخ فيه الروح فى بطن أمّه جنينا فاخبر المنصور بالجواب فأعجب الفقهاء ذلك. فقالوا: ارجع إليه. فسله الدنانير لمن هى لورثته أم لا؟ فقال عليه السلام: ليس لورثته شئ إنّما هذا شئ أتى إليه فى بدنه بعد موته يحجّ بها عنه أو يتصدق بها عنه أو تصير فى سبيل من سبل الخير - وفى خبر آخر - قال عليه السلام: دية الجنين لورثته دون هذا لأنّ الجنين أمر مستقبل مرجو نفعه وهذا قد مضى وذهبت منفعته.

وروى عن عمر بن أبى المقدام قال: كنت شاهداً عند البيت الحرام، ورجل ينادى بأبى جعفر المنصور - وهو يطوف - إنّ هذين الرجلين طرقا أخى ليلاً فأخرجاه من منزلة. فلم يرجع إلىّ والله ما أدرى ما صنعوا به. فقال لهما: وافيانى غدا صلوة العصر فى هذا المكان. فوافوه من الغد، وحضر ذاك الوقت أبو عبد الله عليه السلام. فقال المنصور له عليه السلام وهو قابض على يده: اقض بينهم فقال عليه السلام: أنت اقض بينهم. فقال: بحقّى ألاّ قضيت. فخرج عليه السلام فطرح له مصلّى قصب فجلس عليه. ثمّ جاء الخصماء. فجلسوا قدامه. فقال: ما تقول؟ فقال: يا ابن رسول الله انّ هذين طرقا أخى ليلاً. فأخرجاه من منزلة. فوالله ما رجع إلىّ، و والله ما أدرى ما صنعا به. فقال: ما تقولان؟ قالا: كلّمناه ثمّ رجع إلى منزله. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ياغلام اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: كلّ من طرق رجلاً بالليل. فأخرجه من منزله. فهو له ضامن الاّ أن يقيم البيّنة أنّه قد ردّه إلى منزله» ياغلام نحّ هذا الواحد منهما. فاضرب عنقه. فقال: يا ابن رسول الله والله ما أنا قتلته، ولكنّى أمسكته ثمّ جاء هذا فوجأه فقتله. فقال عليه السلام أنا ابن رسول الله ياغلام نحّ هذا، واضرب عنق الآخر. فقال: يا ابن رسول الله، والله ما عذّبته، ولكنّى قتلته بضربة واحدة، فأمر أخاه. فضرب عنقه ثمّ أمر بالآخر فضرب جنبيه، وحبسه فى السجن، ووقّع على رأسه يحبس عمره، ويضرب كلّ سنة خمسين جلدة.

وروى الصدوق عن وصى على بن السرى قال : قلت للكاظم عليه السلام : إنّه أوصى إلىّ ، و أنّ ابنه جعفراً وقع على اُمّ ولد له . فأمرنى أن أخرجه من الميراث فقال لى : اخرجه إن كان صادقاً . فسيصيبه خبل . فقدّمنى ابنه إلى أبى يوسف القاضى . فقال له : أنا جعفر بن على السرى ، وهذا وصىّ أبى فمره أن يدفع إلىّ ميراثى من أبى . فقال : ما تقول؟ قلت : نعم هذا ابن على بن السرى ، وأنا وصى أبيه قال : فادفع إليه ماله . فقلت له : إنّى اُريد أن اكلمك قال : فادن . فدنوت حيث لا يسمع أحد كلامى . فقلت له : هذا وقع على ام ولد أبيه فأمرنى أن لا اورّثه شيئاً . فأتيت موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة . فأخبرته ، وسألته . فأمرنى أن أخرجه فقال : اللّه انّ أبا الحسن أمرك . فقلت : نعم ، فاستحلفنى ثلاثاً ثمّ قال لى « انفذ ما أمرك فالقول قوله » قال الوصى فأصابه الخبل بعد ذلك .

وجعفر الوارد فى الخبر هو جعيفران الموسوس المعروف ، وأبوه على بن أصفر بن السرى ، روى الأغانى فى جعيفران إنّ أباه كان دهقان الكرخ ببغداد وكان يتشيّع . فظهر على ابنه أنّه أتى سرية له . فحجّ وشكا ذلك إلى موسى بن جعفر عليه السلام فقال له : إن كنت صادقاً . فليس يموت حتّى يفقد عقله ، ولا تطعمه شيئاً من مالك فى حيوتك ، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك . فقدم فطرده ، وسأل الفقهاء عن حيلة حتّى يخرجه عن ميراثه ، فدلّوه على سبيل فأشهد به ، وأوصى إلى رجل . فلمّا مات حاز الوصى ميراثه . فاستعدى جعيفران عليه أبا يوسف القاضى . فسأل جعيفران البيّنة على نسبه ، وعلى تركة أبيه . فأقام ، وأحضر الوصى بيّنة يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه . فلم ير أبو يوسف ذلك شيئاً ، وعزم على أن يورّثه . فكتب الوصى رقعة بما أفتى به موسى بن جعفر عليه السلام فلمّا قرأها أبو يوسف دعا الوصى ، واستحلفه أنه قد صدق فى ذلك فحلف باليمين الغموس . فقال له : اغد علىّ مع صاحبك . فلمّا حضرا حكم أبو يوسف للوصى على جعيفران . فلما أمضى الحكم عليه ، وسوس جعيفران ، واختلط منذ يومئذٍ ـ

قلت: الظاهر إنّه عليه السلام أمر علياً بقطع جعفر من ميراثه لعلمه بكونه من الزنا لا لمجرد زناه بسرية أبيه.

فروى الأغانى أنّ جعيفران اطلع يوماً فى الحبّ. فرأى وجهه. فقال:

ماجعفر لابيه ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير فكلّهم يدعيه
هذا يقول بنىّ وذا نحاصم فيه
والأمّ تضحك منهم لعلمها بأبيه

فالقول بعدم إرث كلّ من زنا بأمّ ولد أبيه كما مال إليه ابن بابويه مشكل ولم يكن عترته عليهم السلام يدخلون فى أمر من أمور خلفاء الجور حتّى أنّ المأمون مع كونه أعلمهم، وأعدلهم، وجعله الرضا عليه السلام ولى عهده شرط عليه السلام فى قبول الولاية ألاّ يتصرّف فى شئ من أموره.

ففى مروج المسعودى أنّ المأمون أمر فى سنة مأتين باحصاء ولد العباس من رجالهم، ونسائهم، وصغيرهم، وكبيرهم. فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً، و أمر بجمع خواص الأولياء، وأخبرهم أنّه نظر فى ولد العباس، وولد على. فلم يجد فى وقته أحداً أفضل، ولا أحق بالأمر من على بن موسى فبايع له بولاية العهد، و ضرب اسمه على الدنانير والدراهم ـ إلخ ـ

وفى عيون ابن بابويه عن ياسر الخادم، والريان بن الصلت، وصالح بن سعيد الكاتب الراشدى قالوا: لمّا انقضى أمر المخلوع، واستوى أمر المأمون كتب الى الرضا عليه السلام يستقدمه الى خراسان فاعتل عليه بعلل كثيرة. فما زال يكاتبه حتّى علم أنّه لا يكفّ عنه. فخرج حتّى وافى مرو. فعرض عليه أن يتقلّد الإمرة و الخلافة، فأبى الرضا عليه السلام وجرت فى هذه مخاطبات كثيرة، وبقوا فى ذلك، نحوا من شهرين كلّ ذلك يأبى الرضا عليه السلام فلمّا كثر الخطاب فى ذلك. قال المأمون: فولاية العهد قال: على أن لا آمر، ولا أنهى، ولا أقضى، ولا أغيّر

شيئاً ـ الخ ـ

وفى مقاتل أبى الفرج ـ بعد ذكر حمل الرضا عليه السلام إلى خراسان ـ وجّه المأمون إلى الفضل بن سهل ، فأعلمه أنّه يريد العقد ، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك ، فجعل الحسن يعظّم ذلك عليه ، و يعرّفه مافى اخراج الأمر من أهله عليه ، فقال له : إنّى عاهدت اللّه أن أخرجها إلى أفضل آل أبى طالب ان ظفرت بالمخلوع ، و ما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل ، فارسلهما إليه ، فعرضا ذلك عليه ، فأبى ـ إلى أن قال ـ

قال له أحدهما : واللّه أمرنى بضرب عنقك إن خالفت ثمّ دعا به المأمون ، فخاطبه فى ذلك ، فامتنع ، فقال له : ان عمر جعل الشورى فى ستّة أحدهم جدّك وقال : من خالف ، فاضربوا عنقه ، ولا بد من قبول ذلك فأجابه ـ إلى أن قال ـ

وأمر المأمون ابنه العباس ، فبايع له أوّل الناس ، فرفع الرضا عليه السلام يده ، فتلقى بظهرها وجه نفسه وبطنها وجوههم ، فقال له المأمون : ابسط يدك للبيعة فقال له : إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع فبايعه الناس ـ إلى أن قال ـ

قال المأمون للرضا عليه السلام : قم فاخطب الناس ، فقام ، وقال ـ بعد حمد اللّه تعالى ـ «إنّ لنا عليكم حقّاً برسول اللّه صلى الله عليه وآله ولكم علينا حقّ به ، فإذا أدّيتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم» ـ ولم يذكر عنه غير هذا فى ذلك المجلس ـ إلى أن قال ـ

سمع عبد الجبار بن سعيد يخطب تلك السنة على منبر المدينة و يقول : «اللّهمّ وأصلح ولى عهد المسلمين علىّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب :

ستّة آباهم ما هم هم خير من يشرب صوب الغمام

ـ إلى أن قال ـ ومات الرضا عليه السلام فخضره المأمون قبل أن يحفر قبره و أمر أن يحفر إلى جانب أبيه قال أبو الصلت : ثمّ أقبل المأمون علينا ، فقال :

حدّثنى صاحب هذا النعش أنّه يحفر له قبر. فيظهر فيه ماء وسمك احفروا فحفروا. فلمّا انتهوا إلى اللحد نبع ماء، وظهر فيه سمك ثمّ غاض الماء. فدفن فيه الرضا عليه السلام

«فى سترةٍ عن الناس» قال (حد) «يدلّ على استتار المهدى عليه السلام وليس تصريحاً بقول الإمامية لأنّه يمكن أن يخلق فى آخر الزمان، ويكون مستترا مدّة ثمّ يظهر».

قلت: لم يعلم إرادة المهدى عليه السلام به بالخصوص وإلاّ فالإماميّة يكفيهم فى مذهبهم قوله عليه السلام المتواتر «لا تخلو الأرض من حجّة إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا غائباً مستوراً كما أقربه فى مامرّ. فيمكن أن يريد به كون مقام الإمام مستوراً» عن الناس لعجزهم عن إدراكه.

قال الرضا عليه السلام: إنّ الإمامة أجل قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم إنّ الإمامة منزلة خصّ اللّه تعالى إبراهيم الخليل بعد النبوّة، والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها، وشاد بها ذكره. فقال تعالى «إنّى جاعلك للناس إماماً» فقال الخليل مسرورا بها «ومن ذريّتى» فقال تعالى «لا ينال عهدى الظالمين»[1] فأبطلت هذه الآيه امامة كلّ ظالم، وصارت فى الصفوة ـ الخبر ـ

«لا يبصر القائف أثره» فى الصحاح القائف الّذى يعرف الآثار يقال: قفت أثره إذا اتّبعته مثل قفوت آثره قال القطامى:

كذبت عليك لا تزال تقوفنى كما قاف آثار الوثيقة قائف

«ولو تابع نظره»: أى كرّره كقوله تعالى «فارجع البصر هل ترى من فطور ثمّ ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير»[2].

(١) البقرة: ١٢٤.
(٢) الملك: ٤.

«ثمّ ليشحذنّ» بلفظ المجهول من شحذت السكين: أى حددته.

«فيها قوم شحذ القين»: أى الحدّاد.

«النصل»: أى حديد السيف والسكين.

روى النعمانى أنّ الباقر عليه السلام قال لأصحابه: إنّ حديثكم هذا التشمئزمنه قلوب رجال. فانبذوه إليهم نبذا. فمن أقرّبه فزيدوه، ومن أنكر فذروه إنّه لابدّ أن تكون فتنة تسقط فيها كلّ بطانة، ووليجة حتّى يسقط فيها من يشقّ الشعرة بشعرتين حتّى لا يبقى إلاّ نحن و شيعتنا.

«تجلى بالتنزيل» أبصارهم، ويرمى بالتفسير فى مسامعهم» «ومايعلم تأويله إلاّ اللّه والراسخون فى العلم».

«و يغبقون» بلفظ المجهول، والغبوق الشرب بالعشى تقول: غبقته فاغتبق.

«بكأس» قال ابن الأعرابى: لا يسمّى الكأس كأساً إلاّ وفيها الشراب.

«الحكمة»: أى اتقان الاُمور، والأصل فيها حكمة اللجام، وهى ما أحاط بالحنك.

«بعد الصبوح» الشرب فى الصباح، والغبوق، والصبوح بكأس الحكمة استعارة كقول زرقاء اليمامة لمّا سئلت عن سبب قوّة عينيها «كنت اكحلهما بصبوح من صبر، وغبوق من اثمد».

عن الصادق عليه السلام شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب ولا يسأل الناس بكفّه، وإن مات جوعاً ـ قيل له: أين نطلبهم ـ قال فى أطراف الأرض اُولئك الخشن عيشهم المنتقلة ديارهم الّذين إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن خطبوا لم يزوّجوا وإن ماتوا لم يشهدوا اُولئك الّذين فى أموالهم يتواسون، وفى قبورهم يتزاورون، ولا تختلف أهوائهم، وإن اختلفت بهم البلدان.

(منها) «وطال الامد بهم ليستكملوا الخزى ، ويستوجبوا الغير» « فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم و كثير منهم فاسقون»[1] «ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنّ ما نملى لهم خير لأنفسهم إنّما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين»[2] «فلمّا نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شئ حتّى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون»[3] «فكفرت بأنعم اللّه ، فأذاقها اللّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»[4].

«حتّى إذا اخلولق الأجل» : أى قرب كثيرا ، قال الجزرى : هذا البناء للمبالغة وهو افعوعل كاغدودق ، واعشوشب ، وفى خطبة ابن الزبير «إنّ الموت قد تغشاكم سحابه ، وأحدق بكم ربابه ، واخلولق بعد تفرق» وفى الصحاح «اخلولق السحاب : أى استوى بالأرض ـ و يقال : صار خليقاً للمطر ـ واخلولق الرسم : أى استوى بالأرض والرسم الأثر» وفى القاموس «اخلولق السحاب : استوى وصار خليقاً للمطر ، و (الرسم) استوى بالأرض و (متن الفرس) : املس» .

هذا ولم نقف على ذكر (اخلولق) فى غير النهاية ، و القاموسين ، و المفهوم منها عدم استعمالها ناقصة ، وممّا ذكرنا يظهر لك ما فى قول ابن مالك فى أفعال المقاربة « والزموا اخلولق إن مثل حرى » وقوله :

«بعد عسى اخلولق أوشك قد يرد غنى بأن يفعل عن ثان فقد»

والظاهر أنّه أخذه من سيبويه .

ففى شرح ابنه قال سيبويه تقول (عسيت أن تفعل) فإنّ هنا بمنزلتها فى (قاربت أن تفعل) وبمنزلة دنوت أن تفعل ، واخلولقت السماء أن تمطر ـ ألا إنّ الظاهر أنّه خلط بين المعنى ، والإستعمال ـ

(١) الحديد : ١٦ .
(٢) آل عمران : ١٧٨ .
(٣) الانعام : ٤٤ .
(٤) النحل : ١١٢ .

وممّا ذكرنا يظهر لك مافى قول (خو) « قول (ثم) (معنى اخلولق صار خليقاً» ليس بشئ ·فإنّه فى ما إذا كان ناقصة فى مثل (اخلولقت السماء أن تمطر لا هنا فإنّه تامة بمعنى قرب·

«واستراح قوم إلى الفتن» هكذا فى النسخ ،ولا يبعد أن يكون إلى الفتن محرّف (فى الفتن) ·

روى النعمانى عن أبى بكر الحضرمى قال : دخلت أنا وأبان على أبى عبد الله عليه السلام حين ظهرت الرايات السود بخراسان ·فقلنا : ماترى؟ فقال اجلسوا فى بيوتكم ·فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل ·فانهدوا إلينا بالسلاح ·

«وأشالوا» هكذا فى المصرية ،والصواب (واشتالوا) كما فى (حد) و (ثم) والخطية ·

قال (حد) «يقال (شال فلان كذا) أى رفعه ،و (اشتال) افتعل هو فى نفسه» قلت : بل شال لازم قال ابن دريد «شال هو إذا ارتفع ،واشلته أنا إذا رفعته» ويقال (شال الميزان) إذا ارتفعت احدى كفّتيه ،و (شال ذنبها) إذا ارتفع ،وقال الراجز :

تابرى ياخيرة الفسيل تا برّى من حند فشولى

وقال الأخطل فى جرير :

وإذا جعلت أباك فى ميزانهم رجحوا وشال أبوك فى الميزان

وقال النمربن تولب فى فرس:

جموم السد شائلة الذنابى تخال بياض غرّتها سراجا

بل ظاهر الصحاح عكس ماقال ·فقال «شالت الناقة بذنبها تشوله واشتالته أى رفعته» فعدّى شال بالباء ،وعدّى اشتال بالنفس لكن الظاهر أنّه رأى (و اشالته) فقرأه (و اشتالته) ولا ريب فى أنّ اشال متعدّ قال:

أبلى يأكلها مصنّا خافض سنّ ومشيل سنا

ومن الغريب أنّ القاموس قال «شالت الناقة بذنبها شولاً وشولاناً، وأشالته رفعته. فشال الذنب نفسه، لازم متعدّ» فلا يلزم ممّا ذكر ألاّ كون (شال لازما)

«عن لقاح حربهم» فى الصحاح ألقح الفحل الناقة ـ أى أحبلها ـ ولقحت الناقة بالكسر لقحاً، ولقاحاً بالفتح، واللقاح بالكسر الابل بأعيانها الواحدة لقوح وهى الحلوب.

قال (حد) «معنى قوله عليه السلام «واشتالوا عن لقاح حربهم» رفعوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشبّوا الحرب بينهم وبين هذه الفئة المهادنة» قلت: من المحتمل أن يكون المعنى أن تولد حربهم صار قريباً كناقة صار وضعها قريباً قال الجوهرى: الشول: النوق الّتى جفّ لبنها، وارتفع ضرعها، وأتى عليها من نتاجها سبعة عشر أشهر أو ثمانية ـ إلخ ـ وقال الشاعر: «حتّى إذا ما العشر عنها شوّلا».

«ولم يمنّوا على الله بالصبر، ولم يستعظموا بذل أنفسهم فى الحق» قال (حد) «لم يمنّوا» ـ إلخ ـ جواب لقوله (حتى إذا اخلولق الأجل) وضميره، راجع الى العارفين المقدم ذكرهم.

قلت: بل حال من قوله (واستراح قوم) ولا يصحّ أن يكون جواباً لأنّ عدم منّتهم على الله بصبرهم، وعدم عدّ بذل أنفسهم فى الحق عظيما كانا من الابتداء لا بعد اخليلاق الأجل، وإنّما الجواب (حملوا) كما يأتى.

«حتّى» هكذا فى النسخ، ولا يبعد أن يكون مصحف (وحتّى) حتّى يكون عطفاً على (حتّى) الاُولى.

«إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء» والمراد صيرورة وقت ظهور المهدى عليه السلام روى النعمانى عن الصادق عليه السلام أنّ قوله تعالى «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض، وليمكنن لهم دينهم الّذى ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا» نزل فى القائم عليه السلام وأصحابه.

وعنه عليه السلام فى قوله عليه السلام «واستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله

جميعاً» نزلت فى القائم عليه السلام وأصحابه يجمعون على غير ميعاد) .

«حملوا بصائرهم على أسيافهم» روى النعمانى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى «يعرف المجرمون بسيماهم» قال : الله يعرفهم ولكن نزلت فى القائم عليه السلام يعرفهم بسيماهم فيخبطهم بالسيف هو وأصحابه خبطاً .

وروى عن أبان بن تغلب قال : كنت مع جعفر بن محمّد عليه السلام فى مسجد مكّة وهو آخذ بيدى . فقال : يا أبان سيأتى الله بثلاثمأة وثلاثة عشر رجلاً فى مسجدكم هذا يعلم أهل مكّة أنّه لم يخلق آبائهم ، ولا أجدادهم ، عليهم السيوف مكتوب على كلّ سيف اسم الرجل ، واسم أبيه ، وحليته ، ونسبه ثم يأمر منادياً فينادى ، هذا المهدى يقضى بقضاء داود ، وسليمان لا يسأل على ذلك بيّنة .

هدا ، وفى الصحاح قال أبو زيد : البصيرة من الدم ماكان على الأرض والجدية مالزق بالجسد ، وقال الأصمعى ، وأبو عمرو : البصيرة : شئ من الدم يستدلّ به على الرمية .

وفى الجمهرة البصيرة : القطعة من الدم تستدير على الأرض أو على الثوب كالترس الصغير ، وأنشد بيت الاسعر :

جاؤا بصائرهم على أكتافهم و بصيرتى يعدو بها عتدواى

ـ ويروى راحوا ـ

«ودانوا لربهم بامرواعظهم» روى النعمانى عن الباقر عليه السلام كأنّى بدينكم هذا لا يزال مولّيا ثمّ لا يردّه عليكم إلاّ رجل منّا أهل البيت . فيعطيكم فى السنة عطائين ، ويرزقكم فى الشهر رزقين ، وتؤتون الحكمة فى زمانه حتّى أنّ المرأة لتقتضى فى بيتها بكتاب الله تعالى وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

٣٥/ ١١٢/ ١ (مِنْهَا) لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذًا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ . وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا ، وَلَهَمَّتْ كُلُّ امْرِئٍ نَفْسُهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا . وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ . وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَاللهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ . مَضَوْا قُدُمًا ، عَلَى الطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ

«ولو» وفى المصرية (لو) وليس بصواب .

«تعلمون ما أعلم» من استيلاء الجبابرة عليكم عقوبة من الله تعالى فى وهنكم فى أمر الله تعالى فى حقه عليه السلام يوم السقيفة ، ويوم الشورى ، ويوم رفع المصاحف ، وأيام غارات معاوية إلى أن ينجر إلى تسلط الحجّاج عليهم ، وقد أفصح عليه السلام عنه فى ذيل كلامه بعد العنوان .

«ممّا طوى عنكم غيبه» وخفى عليكم خبره .

«اذن لخرجتم إلى الصعدات» : أى الطرق ، وتركتم البيوت .

«تبكون على أعمالكم» قال تعالى «فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يعملون[1]» .

«وتلتدمون» : أى تضربون صدوركم كالنساء فى النياحة .

(١) التوبة : ٨٣ .

«على أنفسكم»: أى على ماتم أنفسكم

«ولتركتم أموالكم لا حارس»: أى حافظ.

«لها، ولا خالف عليها» فإنّ الناس إذا غابوا عن أموالهم يخلفون عليها من يحفظها.

«ولهمّت كلّ امرئ نفسه» هكذا فى المصرية، والصواب (منكم نفسه) كما فى الثلاثة. قال (حد) ويروى «ولأهمّت» وهو أصح ـ قلت: ويشهد لاصحيته لفظ القرآن قال تعالى «و طائفة قد اهمّتهم أنفسهم»: أى يكون يومئذٍ همّ كلّ امرئ نجاة نفسه.

«لا يلتفت إلى غيرها» كيوم القيامة.

«ولكنّكم نسيتم ما ذكّرتم، وأمنتم ماحذّرتم» من أن (من أعان ظالماً) ـ بل (لو عذره) ـ سلّط الله تعالى عليه قال تعالى (وكذلك نولّى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)[1].

وفى خلفاء ابن قتيبة ـ فى طى خطبته عليه السلام لما دعاهم إلى حرب معاوية بعد انقضاء أمر الخوارج، وتركهم له عليه السلام فى نفر ـ «والله ياأهل العراق ما أظن هولاء القوم من أهل الشام إلاّ ظاهرين عليكم ـ فقالوا له عليه السلام: أبعلم تقول ذلك ـ قال: نعم، والّذى فلق الحبّة، وبرء النسمة أنّى أرى اُمورهم قد علت، و أرى اُموركم قد خبت، وأراهم جادّين فى باطلهم، وأراكم وانين فى حقكم، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرقين، وأراهم لصاحبهم مطيعين، وأراكم لى عاصين، أما والله لئن ظهروا عليكم بعدى لتجدنهم أرباب سوء.

كأنّى بهم، والله قد شاركوكم فى بلادكم، وحملوا إلى بلادهم منكم.

وكأنّى اُنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب لا تأخذون لله حقّاً، ولا تمنعون

(١) الانعام: ١٢٩.

له حرمة .

وكأنّى أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويخيفون علماءكم .

وكأنّى أنظر إليكم يحرمونكم ، ويحجبونكم ، ويدنون الناس دونكم . فلو قد رأيتم الحرمان ، ولقيتم الذل والهوان ، ووقع السيف ، ونزل الخوف لندمتم ، و تحسّرتم على تفريطكم فى جهاد عدوّكم ، وتذكّرتم ما أنتم فيه من الخفض ، والعافية حين لا ينفعكم التذكار - فقال الناس له عليه السلام : قد علمنا أنّ قولك كلّه يكون حقّاً أترى معاوية علينا أميراً - فقال عليه السلام : لا تكرهوا إمرة معاوية فإنّ إمرته سلم و عافية . فلومات رأيتم الرؤوس تندر عن الكواهل كأنّها الحنظل ، وعد أكان مفعولاً فأمّا إمرة معاوية . فلست أخاف عليكم شرّها ، وما بعدها أدهى وأمرّ .

«فتاه» : أى وقع فى الحيرة .

«عنكم رأيكم» :

«و تشتّت» : أى تفرّق .

«عليكم أمركم ، ولود دت» هكذا فى المصرية ، والصواب (لود دت) كما فى الثلاثة ، ولأنّ المقام مقام الفصل .

«أنّ اللّه فرّق بينى وبينكم ، وألحقنى بمن هو أحقّ بى منكم» قال (حد) أى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم والصالحين من أصحابه كحمزة ، وجعفر ، وأمثالهما ممّن كان عليه السلام يثنى عليه - قلت : وكذلك شيعته العارفون بحقّه كسلمان ، وأبى در ، و المقداد ، وعمار ، ونظراءهم .

«قوم واللّه ميامين» جمع ميمون .

«الرأى مراجيح الحلم» بالكسر الاناة ، وفعله حلم بالضم .

«مقاويل» جمع مقوال مبالغة قائل .

«بالحقّ» فى سفيانية الجاحظ كان أبوذر يصرخ كلّ يوم على باب قصر معاوية أتاكم القطار يحمل النار اللّهمّ اللعن الآمرين بالمعروف التاركين له

اللّهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.

وفى طبقات ابن سعد أنّه قيل له: ألم ينهك عثمان عن الفتيا. فقال: و الله لو وضعتم الصمصامة على هذا ـ وأشار إلى حلقه ـ على أن أترك كلمة سمعتها من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنفذتها قبل أن يكون ذلك.

«متاريك» جمع متراك مبالغة تارك.

«للبغى، مضوا قدماً» بضمتين: أى أقداماً يأتى للواحد، والتثنية، و الجمع، والمذكر، والمؤنث. قال الشاعر «تمضى ـ إذا زجرت عن سوئة ـ قدما».

«واوجفوا»: أى أسرعوا فى السير قال تعالى «فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب»[1].

«على المحجّة» جادّة الطريق، والمراد سبيل الشريعة.

«فظفروا بالعقبى الدائمة، والكرامة الباردة»: أى الثابتة وفى الديوان:

فقد اعرف أقواماً ... وإن كانوا صعاليكا
مساريح الى النجدة ... للبغى متاريكا

٣٦/ فى ١٠/ ٢

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِرًا بِعُثْمَانَ: وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً، فَكَأَنِّى قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ، وَكَأَنِّى بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِى ـ جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ ـ إِلَى كِتَابِ اللّٰهِ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ

«وزعمت أنك جئت ثائراً بعثمان»: أى طالباً لدمه.

(١) الحشر: ٦.

«ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك» فجميع الناس كانوا يعلمون أنّ المسبب لقتله إنما كان طلحة والزبير، وعايشة، ومن كان معهم. فقال ابن أبى كلاب لعايشة ـ وكان من أخوالها ـ لما قالت: لاطلبنّ بدم عثمان لمّا سمعت أنّ الناس قتلوه، وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام ـ والله إنّ أوّل من أمال حرف عثمان لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

ولمّا بلغ أصحاب عايشة وطلحة والزبير ذات عرق فى مسيرهم إلى البصرة ـ وكان تبعهم مروان، وغيره من بنى أُميّة هرباً من أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن معهم سعيد بن العاص. فلقى سعيد، مروان وأصحابه من بنى أُميّة فقال لهم ـ كما فى كامل الجزرى ـ أين تذهبون وتتركون ثاركم على أعجاز الابل ورائكم ـ يعنى عايشة وطلحة والزبير ـ اقتلوهم ثمّ ارجعوا إلى منازلكم.

«فكأنّى قد رأيتك تضجّ من الحرب إذا عضّتك ضجيج الجمال بالاثقال»

فى الطبرى لمّا قتلت الزباء جذيمة الأبرش جدع قصير أنفه وأثر آثارا بظهره، وخرج إلى الزباء. فقالت: ماالّذى أرى بك؟ فقال: زعم عمرو بن عدى أنّى غررت خاله، وزيّنت له السير إليك. ففعل بى ماترين فأقبلت إليك. فأكرمته فلما عرف أنّها وثقت به قال لها: إنّ لى بالعراق أموالا، وطرائف، فابعثينى إليها. فلا طرائف كطرائف العراق ـ إلى أن قال ـ.

ثمّ عاد قصير الثالثة إلى العراق. فقال قصير لعمرو بن عدى: أجمع لى ثقات أصحابك وجندك، وهيئ لهم الغرائر، والمسوح وأحمل كلّ رجلين على بعير فى غرارتين، واجعل معقد رؤوس الغرائر من باطنها ففعل ـ إلى أن قال ـ.

فخرجت الزباء فرات الابل تكاد قوائمها تسوخ فى الأرض من ثقل أحمالها فقالت.

«ماللجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا بارداً شديداً»

قيل: أى جنس من التمر ـ

«وكأنّى بجماعتك تدعونى ـ جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، و مصارع بعد مصارع إلى كتاب اللّه» فى صفين نصربن مزاحم ـ فى طى ذكر ليلة الهرير ـ فقام على عليه السلام خطيباً ثمّ قال «أيّها الناس قد بلغ بكم الأمر، وبعدوّكم ماقد رأيتم، ولم يبق منهم إلاّ آخر نفس، وأنّ الاُمور إذا أقبلت اعتبر أخرها بأوّلها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغنا منهم مابلغنا، وأنا غادعليهم بالقتال احاكمهم إلى اللّه ـ عزّوجلّ ـ» فبلغ ذلك معاوية فدعا عمروبن العاص فقال: ياعمرو إنّما هى الليلة حتّى يغدو علينا (على) بالفيصل. فماترى قال: ارى أنّ رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله هو يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء، وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفربهم، ولكن ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، و إن ردّوه اختلفوا ادعهم إلى كتاب اللّه حكما فى مابينك، وبينهم فإنّك بالغ به حاجتك فى القوم، فإنّى لم أزل اُؤخّر هذا الامر لحاجتك، فعرف ذلك معاوية. فقال: صدقت.

«وهى»: أى تلك الدعوة.

«كافرة» باللّه.

«جاحدة» لكتاب اللّه.

«أومبايعة حائدة»: أى مائلة عن الإسلام.

روى نصربن مزاحم عن تميم بن حذيم قال: لمّا أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام، وسط الفيلق من حيال موقف معاويه. فلمّا أن اسفرنا. فإذا هى المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح، و هى عظام مصاحف العسكر، وقد شدّوا ثلاثة رماح جميعاً، وقد ربطوا عليها

مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط. وقال أبو جعفر، وأبو الطفيل استقبلوا عليّاً عليه السلام بمأة مصحف، ووضعوا فى كلّ مجنبة مأتى مصحف، وكان جميعها خمسمأة مصحف. ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال علىّ عليه السلام وقام أبو شريح الجذامى من حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المعمر حيال الميسرة. ثمّ نادوا، يا معشر العرب الله الله فى نسائكم وبناتكم. فمن للروم والأتراك، وأهل فارس غداإذا افنيتم الله الله فى دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فقال علىّ عليه السلام: اللهم انك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم

قال (حد) قوله عليه السلام «فكأنّى رايتك تضجّ من الحرب» ـ إلخ ـ إمّا فراسة نبويّة صادقة ـ وهذا عظيم ـ وإمّا إخبار عن غيب مفصّل وهو أعظم و أعجب، و على كلا الأمرين فهو غاية العجب، وقد رأيت له ذكر هذا المعنى فى كتاب آخر وهو:

«أما بعد فما أعجب ما يأتينى منك، وما أعلمنى بمنزلتك الّتى أنت إليها صائر ونحوها سائر، وليس ابطائى عنك إلاّ الوقت أنا به مصدّق، وأنت به مكذّب وكأنّى أراك وأنت تضجّ من الحرب، وإخوانك يدعوننى خوفاً من السيف إلى كتاب هم به كافرون وله جاحدون».

ووقفت له عليه السلام على كتاب آخر إلى معاوية يذكر فيه هذا المعنى أوّله ـ أما بعد. فطالما دعوت أنت، وأولياؤك أولياء الشيطان، الحق أساطير ونبذتموه وراء ظهوركم، وحاولتم اطفاءه بأفواهكم، ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره، ولو كره الكافرون، ولعمرى لينفذن العلم فيك، وليتمّنّ النور بصغرك، وقماءتك ولتخسأنّ طريداً مدحوراً، أو قتيلاً مثبوراً، ولتجزين بعملك حيث لا ناصرلك، ولا مصرّح عندك، وقد أسهبت فى ذكر عثمان، ولعمرى ماقتله غيرك، ولا خذله سواك، و لقد تربّصت به الدوائر، وتمنّيت له الامانى طمعاً فى ما ظهر منك، ودلّ عليه فعلك، وإنّى لارجو أن ألحقك به على أعظم من ذنبه، وأكبر من خطيئته.

فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف، وانّ قائمته لفى يدى ، وقد علمت من قتلت به من صناديد بنى عبد شمس، وفراعنة بنى سهم ، وجمح وبنى مخزوم وايتمت أبناءهم ، وأذكرك مالست له ناسياً يوم قتلت أخاك حنظلة ، وجررت برجله إلى القليب ، وأسرت أخاك عمراً . فجعلت عنقه بين ساقيه ، وطلبتك ، ففررت ، و لك حصاص فلولا أنّى لا أتبّع فارّا لجعلتك ثالثهما ، وأنا اولى لك بالله أليّة برّة غير فاجرة . لئن جمعتنى وايّاك جوامع الاقدار لا تركنّك مثلاً يتمثّل به الناس أبداً ، ولأجعجعنّ بك فى مناخك حتّى يحكم الله بينى وبينك ، و هو خير الحاكمين .

ولئن أنسأ الله فى أجلى قليلاً لاغزينّك بسراة المسلمين ، ولا نهدنّ اليك فى جحفل من الأنصار والمهاجرين ثمّ لا أقبل لك معذرة ولا شفاعة ولا أجيبك إلى طلب وسؤال ، ولترجعنّ إلى تحيّرك ، وتردّدك ، وتلدّدك . فقد شاهدت و أبصرت ورأيت سحب الموت كيف هطلت عليك بصيّبها حتّى اعتصمت بكتاب أنت وأبوك أوّل من كفر ، وكذّب بنزوله ولقد كنت تفرّستها ، وآذنتك أنّك فاعلها ، وقد مضى منها مامضى ، وانقضى من كيدك فيها ما انقضى ، وأنا سائر نحوك على أثر هذا الكتاب . فاختر لنفسك ، وانظر لها ، وتداركها فإنّك إن فرطت ، واستمررت على غيّك ، وغلوائك حتّى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور ، ومنعت أمراً هو اليوم منك مقبول .

يا ابن حرب إنّ لجاجك فى منازعة الأمر أهله من سفاه الرأى فلا يطمعنّك أهل الضلال ، ولا يوبقنّك سفه رأى الجهال . فوالّذى نفس علىّ بيده لئن برقت فى وجهك بارقة من ذى الفقار لتصعقنّ صعقة لا تفيق منها حتّى ينفخ فى الصور النفخة الّتى يئست منها كما يئس الكفار من أصحاب القبور .

قلت : كتابه عليه السلام هذا و إن كان بعد وقوع الأمر إلاّ أنّه تضمن أنّه عليه السلام قال لمعاوية : انّى أعلمتك قبل بأنك تفعل ذلك .

٣٧/ ٦٨/ ١ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْعِرَاقِ

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قَيِّمُهَا وَطَالَ تَأَيُّمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا أَمَا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِيَارًا وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ. قَاتَلَكُمُ اللَّهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَعَلَى اللَّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ. أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ. كَلَّا وَاللَّهِ وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيْلُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

أقول رواه الإرشاد مع اختلاف وزيادات. فقال: قال عليه السلام: يا أهل الكوفة أنتم كام مجالد حملت فاملصت. فمات قيمها. فطال تايمها، وورثها أبعدها، والذى فلق الحبّة، وبرء النسمة إنّ من ورائكم الأعور الأدبر جهنم الدنيا لا تبقى ولا تذر، ومن بعده النهاس الفراس. الجموع المنوع ثم ليتوارثنكم من بنى أميّة عدّة ما الآخر بأرءف من الأوّل ما خلا رجلاً واحداً بلاء قضاه اللّه على هذه الأمّة لا محالة كائن يقتلون خياركم، ويستعبدون أرذالكم، ويستخرجون كنوزكم، وذخائركم من جوف حجالكم. نقمة بما ضيّعتم من أمُوركم، وصلاح أنفسكم ودينكم يا أهل الكوفة أخبركم بما كان قبل أن يكون لتكونوا منه على حذر، ولتنذروا به من اتّعظ واعتبر. كأنّى بكم تقولون: إنّ عليا يكذب كما قالت قريش لنبيّها صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيا ويلكم أفعلى من أكذب أعلى اللّه فأنا أوّل من عبده، ووحّده ام على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فأنا أوّل من آمن به، وصدّقه، ونصره كلا واللّه، ولكنّها لهجة خدعة كنتم

عنها أغبياء ،والّذى فلق الحبّة ،وبرئ النسمة لتعلمن نبأها بعد حين ،و ذلك إذا صيّركم إليها جهلكم ،ولا ينفعكم عندها علمكم ·

قول المصنّف «ومن خطبة له عليه السلام» ـ إلخ ـ هكذا فى المصرية والصواب (ومن كلام له عليه السلام) ـ إلخ ـ كما فى (حد) و(ثم) والخطية ·

قوله عليه السلام «أما بعد يا أهل العراق» قال الفيروزآبادى :العراق من عبادان إلى موصل طولاً ،ومن القادسية إلى حلوان عرضا سمّيت بها لتواشج عروق النخل ،والشجر فيها ـ إلخ ـ

وعن الأصمعى أنّها معرّبة إيران ـ وقيل معرّبة (ايراف) بالفاء ومعناه مغيض الماء لأنّ دجلة والفرات وتامّرا تنصب من نواحى ارمينيّة وبند من الروم الى العراق ،وبها يقر قرارها ،وقيل :العراق بمعنى الاستواء ·قال «سياق من ليس له عراق» :أى استواء ،والعراق مستوية خالية من جبال تعلو ،وأودية تنخفض ـ و قيل :إنّها بمعنى الشاطئ ،والعراق على شاطئ دجلة والفرات ، وقيل من عراق المزادة لكون العراق بين الريف والبر ·

«فإنّما أنتم» فى ما فعلتم فى صفين من الحرب حتّى ظهر لكم آثار الغلبة ، ثمّ انخذلتم بخدعة العدو ·ثمّ اختلافكم ،وخروج فرقة منكم على وليّكم ،وإقراركم بالخسف فى غارات العدو على بلادكم حتّى صاروا مستولين على بلادكم مضافاً إلى استقلالهم فى بلادهم ·

«كالمرأة الحامل حملت فلمّا أتمّت» أيّام حملها ·

«أمصلت» :أى أسقطت ·

«ومات قيّمها ،وطال تأيّمها» بقاءها بلا قيّم بموت زوجها ·

«وورثها أبعدها» حين موتها لعدم زوج وولد لها ـ ولمّا أراد معاوية ، أن يبعث جنداً لأخذ مصر خطب أهل الشام ،وقال : رأيتم كيف صنع اللّه لكم فى حربكم هذه لقد جاءكم عدوّكم لا يشكّون أنّهم يستأصلون بيضتكم ،و

يحوزون بلادكم ماكانوا إلاّ أنّكم فى أيديهم ٠فردّهم بغيظهم لم ينالوا خيراً ،و كفاكم مؤونتهم ،وحاكمتموهم إلى اللّه فحكم لكم عليهم ٠ثمّ جمع كلمتنا ،وأصلح ذات بيننا ،وجعلهم أعداء متفرّقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ،ويسفك بعضهم دم بعض٠

وقد أخذ ابن كوچك الوراق أو أبوه معنى كلامه ﷺ (أنتم كالمرأة الحامل) مع أدنى تصرف٠فقال :

وما ذات بعل مات عنها فجاءه وقد وجدت حملاً دوين الترائب
بأرض نات عن والديها كليهما تعاورها الورّاث من كلّ جانب
فلمّا استبان منها تنهنهوا قليلاً ودبّوا دبيب العقارب
فجاءت بمولود غلام فحوّزت تراث أبيه الميت دون الأقارب
فلمّا غدا للمال ربا و نافست لاعجابها فيه عيون الكواعب
و أصبح مأمولاً يخاف و يرتجى جميل المحيا داعذار وشارب
اتيح له عبل الذراعين مخدر جرئ على أقرانه غير هائب
فلم يبق منه غير عظم مجزّر وجمجمة ليست بدات ذوائب
بأوجع منّى يوم ولت حدوجهم يؤم بها الحادون وادى غباغب

هذا ،وفى الأغانى كان ابن هرمة جالساً على دكان فى بنى زُريق وقال بيتا ثم انقطع عليه الروى، وبيته :

فإنّك وأطراحك وصل سعدى لاخرى فى مودتها نكوب

فمرّت عليه جارية مليحة كان يستحسنها أبداً ،ويكلّمها إذا مرّت به فرأها قد ورم وجهها ،واذناها ٠فسألها عن خبرها ٠فقالت :استعارلى أهلى حلياً لأروح إلى عرس ٠فثقبوا أذنى لألبسه ٠فورم وجهى ،وأذناى كما ترى ٠فردّوه ، ولم اشهد العرس ـ فاطّرد لابن هرمة الروى ٠فقال :

كثاقبة لحلى مستعار بأذنيها فشانهما الثقوب

فردت حلى جارتها إليها وقد بقيت باذنيها ندوب

«أما والله ما أتيتكم اختياراً ،ولكن جئت إليكم سوقاً» فاضطر عليه السلام لا مر معاوية أن يأتى من البصرة إلى الكوفة ،ولولاه لرجع ،وقال (حد) «لأنّه لو لا يوم الجمل لم يحتج إلى الخروج من المدينة إلى العراق» وهو كما ترى ·

«ولكن بلغنى أنكم تقولون علىّ يكذب» هكذا فى المصرية ،و(حد) و ليس فى (ثم) والخطية كلمة (على) ·

«قاتلكم الله ·فعلى من الكذب» هكذا فى المصرية والصواب (أكذب) كما فى (حد) و(ثم) والخطية ·

«أعلى الله ·فأنا أوّل من آمن به أم على نبيّه فأنا أوّل من صدّقه» قال (حد) كان عليه السلام كثيراً مايخبر عن الملاحم ،والكائنات ،ويؤمى إلى أمور أخبر بها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فيقول المنافقون من أصحابه : يكذب كما كان المنافقون من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يكذبونه ـ و إذا تأملت أحواله فى خلافته كلّها وجدتها هى مختصرة من أحوال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته لأنّها نسخة منتسخة منها فى حربه و سيرته ، و أخلاقه ،وكثرة شكايته من المنافقين ·

روى صاحب الغارات عن الأعمش عن رجاله ·قال خطب علىّ عليه السلام فقال : لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مأة ثمّ شئت لحدّثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لا اخبرتكم إلاّ حقاً ثمّ لتخرجن فلتزعمن أنّى اكذب الناس، وأفجرهم ·

وروى هو وغيره أنّه عليه السلام قال :إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلاّ ملك مقرّب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان ·

وروى المدائنى فى صفينه قال :خطب علىّ عليه السلام بعد النهروان ·فذكر طرفاً من الملاحم ·فقال :إذا كثرت الأخلاط ،واستوت الأنباط ، دنى خراب العراق ·ذاك إذا بنيت مدينة ذات أثل وأنهار ·فإذا غلت فيها الأسعار ، وشيّد فيها البنيان ،وحكم فيها الفسّاق ،واشتدّ البلاء وتفاخر الغوغاء دنى

خسوف البيداء ،وطاب الهرب والجلاء ،وستكون قبل الجلاء أمور تشيب منها الصغير ،و يعطب الكبير ،و يخرس الفصيح ،ويهبت اللبيب .يعاجلون بالسيف صلتا .وقد كانوا قبل ذلك فى غضارة من عيشهم يمرحون .فيالها مصيبة حينئذٍ من البلاء العقيم ،والبكاء الطويل ،والويل والعويل ،وشدة الصريخ ذلك أمر الله وهو كائن ـ

فيا ابن حرة الإماء متى ننتظر ابشر بنصر قريب من رب رحيم . فويل للمتكبّرين عند حصاد الحاصدين ،وقتل الفاسقين ،عصاه ذى العرش العظيم فبأبى وأمّى من عدّة قليلة أسمائهم فى الأرض مجهولة .قد دان حينئذٍ ظهورهم ولو شئت لأخبرتكم بما يأتى ،ويكون من حوادث دهركم ،ونوائب زمانكم ، و بلايا أيّامكم ،و غمرات ساعاتكم ،ولكنّه أفضيه إلى من أفضيه إليه مخافة عليكم ،ونظراً لكم علماً منّى بما هو كائن ،وما تلقون من البلاء الشامل .ذلك عند تمرّد الأشرار ، وطاعة أولى الخسار .ذاك أوان الحيف والدمار ذاك ادبار أمركم ،و انقطاع أصلكم وتشتت الفتكم ،و إنّما يكون ذلك عند ظهور العصيان ،وانتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيف على المؤمن أهون من اكتساب درهم حلال حين لا تنال المعيشة إلاّ بمعصية أقرب سماعه حين تسكرون من غير شراب ،وتحلفون من غير اضطرار ،وتظلمون من غير منفعة ،وتكذبون من غير إحراج تتفكهون بالفسوق ،وتتنابزون بالمعصية قولكم البهتان ،وحديثكم الزور ،وأعمالكم الغرور ، فعند ذلك لا تأمنون البيات .فياله من بيات ما أشدّ ظلمته ،ومن صائح ما أفظع صوته ذلك بيات لا يتمنى صاحبه صباحه ،فعند ذلك تقتلون ،وبأنواع البلاء تضربون ،وبالسيف تحصدون ، و إلى النار تصيرون ، و يعضكم البلاء كما يعض الغارب القتب ياعجباً كلّ العجب بين جمادى و رجب من جمع اشتات و حصد نبات ،ومن أصوات بعد أصوات سبق القضاء سبق ـ ثمّ قال رجل من أهل ـ البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه :اشهد أنه كاذب على الله و رسوله ـ

قال الكوفى : و مايدريك ـ فوالله ماتزل علىّ عليه السلام عن المنبر حتّى فلج الرجل البصرى . فحمل إلى منزله فى شق محمل فمات من ليلته ـ

وروى المدائنى أيضاً أنّ علياً عليه السلام خطب فذكر الملاحم . فقال : سلونى قبل أن تفقدونى أما والله لتشغرن الفتنة الصماء برجلها ، وتطأ فى خطامها . يالها من فتنة شبّت نارها بالحطب الجزل . مقبلة من شرق الأرض . رافعة ذيلها داعيه ويلها بدجلة أوحولها ذاك إذا استدار الفلك قلتم : مات أوهلك بأىّ واد سلك ـ فقال قوم تحت منبره لله أبوه ماأفصحه كاذباً ـ

وروى صاحب الغارات عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال : سمعت علياً عليه السلام يقول على المنبر ما أحد جرت عليه المواسى إلاّ وقد أنزل الله فيه قراناً ـ فقام إليه رجل . فقال : فما أنزل الله فيك ـ يريد تكذيبه ـ فقام الناس يلكزونه فى صدره وجنبه ـ فقال : دعوه أقرأت سورة هود ؟ قال : نعم . قال : قرأت قوله سبحانه «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه»[1] قال : نعم ، قال : صاحب البيّنة محمّد صلى الله عليه وآله والتالى الشاهد انا .

قلت : وقال المفيد فى إرشاده روى عبد العزيز بن صهيب ، عن أبى العالية قال : حدثنى مزرع بن عبد الله . قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : أم والله ليقبلنّ جيش حتّى إذا كان بالبيداء خسف بهم . فقلت له : إنّك لتحدّثنى بالغيب ؟ قال : احفظ ما أقول لك ، والله ليكونن ماأخبرنى به ـ وليوخذنّ رجل فليقتلنّ وليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد ـ قلت : إنّك لتحدّثنى بالغيب ؟ قال : حدّثنى الثقة المأمون علىّ بن أبى طالب عليه السلام ـ قال أبو العالية فما أتت علينا جمعة حتّى أخذ مزرع . فقتل وصلب بين الشرفتين ـ وقد كان حدّثنى بثالثه فنسيتها .

وعن الطبرانى فى أوسطه ، وأبى نعيم فى دلائله عن زاذان إنّ علياً

(١) هود : ١٧ .

حدّث بحديث · فكذّبه رجل · فقال له على عليه السلام : أدعو عليك إن كنت كاذباً قال : ادع · فدعا عليه · فلم يبرح حتّى ذهب بصره ·

ثمّ انّ (حد) لم قيد كون أحواله عليه السلام مختصرة من أحوال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بزمان خلافته عليه السلام بل كان كذلك فى خلافته ، وفى أيّام الثلاثة · فعاملوا معه عليه السلام فى أيّامهم معاملتهم مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى أوّل أمره ، وعاملوا معه فى خلافته عليه السلام معاملتهم مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد اقتداره حتّى أنّهم كما حجروا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصية اضطروه عليه السلام إلى أن يخفى قبره مدّة ·

ثمّ كونه عليه السلام أوّل من أمن بالله ، وصدق رسوله من البديهيّات كادعاء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم النبوّة ، و مع ذلك تشكك اخواننا فيه كما تشككوا فى يوم الغدير مع كونه من المتواترات كما التزموا فى دينهم بالمتناقضات ·

«كلا والله ولكنّها لهجة غبتم عنها» الظاهر أنّ المراد أنّ إخباره عليه السلام عن الملاحم الّذى أعطاه الله تعالى ليسوا بقابلين لفهمه لعدم استعدادهم كمن يتكلّم لقوم بغير لغتهم · فلا يفهمون عنه لعدم علمهم بتلك اللغة يشهد لذلك قوله عليه السلام بعده ·

«ولم تكونوا من أهلها» وقال (حد) يمكن أن يراد باللهجة لهجة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أى شهدت وغبتم ، ولهجته عليه السلام : أى لهجة غبتم عن منافعها ـ وهو كما ترى هذا ، وقد عرفت أنّ الإرشاد بدّله بقوله «ولكنّها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء» ولا يبعد تصحيفه ·

«ويلمّه» هكذا فى المصرية و (ثم) ولكن فى (حد) (ويل أمّه) و الأوّل مخففه ·

كيلاً بغير ثمن» والأصل يكون ما أخبركم من الملاحم كيلاً بغير ثمن ، و يجوز أن يكون الأصل أكيل لكم كيلاً بغير ثمن ·

«لو كان له وعاء» : أى ظرف حتّى يحفظ ·

«ولتعلمنّ نبأه بعد حين» :أى إذا وقع ما أخبرتكم به تعلمون صدقى ،
روى أمالى الصدوق مسنداً عن هرثمة بن مسلم قال :غزونا مع علىّ عليه السلام صفّين ·فلمّا انصرفنا نزل بكربلاء فصلّى بها الغداة ·ثمّ رفع إليه من تربتها فشمّها ·ثمّ قال :واهاً لك أيّتها التربة ليحشرنّ منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ·فلمّا رجعت أخبرت زوجتى ـ وكانت شيعة لعلىّ عليه السلام فقالت :إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلاّ حقاً ـ فلمّا قدم الحسين عليه السلام كنت فى البعث الّذين بعثهم عبيد اللّه إليه ·فلمّا رأيت المنزل ،والشجر ذكرت الحديث ·فجلست على بعيرى ·ثمّ صرت إلى الحسين عليه السلام فأخبرته بما سمعته من أبيه فى ذاك المنزل الذى نزل به ·فقال :فانت الآنّ معنا أو علينا قلت :لا معك ولا عليك خلّفت صبية أخاف عليهم عبيد اللّه ·فقال :فامض لا ترى لنا مقتلاً ،ولا تسمع لنا صوتاً فوالّذى نفس حسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد ·فلا يعيننا إلاّ أكبّه اللّه لوجهه فى جهنّم ·

وقد أخبر عليه السلام بالنساء العاريات اللاتى ظهرن فى عصرنا ·ففى الفقيه روى الأصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام فى آخر الزمان واقتراب الساعة ـ وهو شرّ الأزمنة ـ نسوة كاشفات ·عاريات متبرجات ·خارجات من الدين · داخلات فى الفتن ·مايلات إلى الشهوات ·مسرعات إلى اللذّات ·مستحلّات المحرّمات فى جهنّم داخلات خالدات ·

إلى هنا تمّ هذا الجزء ،ويليه إن شاء اللّه الجزء السادس
أوّله : الفصل العاشر : فى علمه عليه السلام ومكارم أخلاقه ·

فهرست مافی هذا الجزء من الفصول والمطالب والعنـــاويـن

رقم الصحيفة	العنوان
٢	العنوان ـ ٣١ ـ من الفصل الثامن كلامه عليه السلام عند دفـــن فاطمة عليها السلام
٦	روايه احمد بن حنبل بأنّ فاطمة عليها السلام سيّدة نساء هذه الامه وأوّل لحوقاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله من أهله.
٨	سؤال رأس اليهود امير المؤمنين عليه السلام عمّا امتحنه الله فـــى حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وبعده.
٩	كيفيّة دفن النبيّ صلى الله عليه وآله.
١١	كلام فاطمة عليها السلام في جواب نساء المهاجرين والانصار حين قلن لهـــا : كيف أصبحت.
١٠٣	كيفيّة بيعه امير المؤمنين عليه السلام وماجرى يوم السقيفة في داره.
١٤	مناشدة فاطمة عليها السلام مع الشيخين.
١٥	كلام النظام بأنّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتّـى ألقت المحسن من بطنها.

رقم الصحيفه	العنـــوان
١٧	قول الكراجكى وماعدّ من العجائب فى واقعة البيعـــة .
١٩	الاشارة الى مدفن فاطمة عليها السلام .
٢١	مناظرة فضال بن الحسن مع ابى حنيفة .
٢٣	العنوان ـ ٣٢ ـ من الفصل الثامن من كتاب له عليه السلام الـــى عثمان بن حنيف .
٢٥	رواية العيون فى تشيّع المأمون .
٢٧	مانقل عن الكراجكى فى تعجبـــه
٣٠	مافى خلفاء ابن قتيبة عن إنطلاق أبى بكر وعمر إلى فاطمة عليها السلام لمّـــا أغضبـــاهـــا .
٣١	قول الجاحظ فى عباسيته بأنّ الدليل على صدق خبر ابى بكر وعمر فى منع الميراث ترك أصحاب النبى صلى الله عليه وآله النكير عليهما وردّه
٣٥	دفع المأمون فدك إلى ولد فاطمة عليها السلام .
٣٧	مناظرة العلماء عند المأمون فى مخاصمة فاطمة مع أبى بكر .
٣٩	سؤال يحيى البرمكى بحضرة الرشيد هشام بن الحكم عن مخاصمة علىّ والعباس.
٤٢	دفع عمر بن عبد العزيز فدك إلى ولد فاطمة عليها السلام .
٤٣	مناظرة موسى بن جعفر عليه السلام مع المهدى العباسى .
٤٤	كلام فاطمة عليها السلام فى مجلس الأنصار.
٤٥	كلام فاطمة عليها السلام مع علىّ عليه السلام بعد محاجتها مع أبى بكر
٤٧	علّة عدم أخذ علىّ عليه السلام فدك لمّا ولىّ الأمر .
٤٨	خطبة فاطمة عليها السلام عند أبى بكر لمّا منعها حقّهـــا .
٥٣	العنوان ـ ٣٣ ـ من الفصل الثامن من كتابه عليه السلام الى معاوية

رقم الصحيفة	العنوان
٥٥	كلام أبى أيّوب الأنصارى فى ما أمره النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين ، والمارقين .
٥٦	كتاب معاوية إلى أهل مكّة ، وجوابهم له .
٥٨	نقل الغزالى حديث الغدير فى سرّ العالمين .
	الفصل التاسع فى اخباره عليه السلام بالملاحم وما يأتى من الأزمنة
٦٥	العنوان ـ١ـ من الفصل التاسع كلامه فى ماجرى على الاسلام والقرآن فى آخر الزمان .
٦٩	العنوان ـ٢ـ من الفصل التاسع كلامه فى ماجرى على الناس فى آخر الزمان .
٧٤	العنوان ـ٣ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام خطبها بعد النهروان أشار فيها إلى فئة الباغية .
٧٦	حديث علىّ عليه السلام مع ابن يمان ، والإشارة إلى فتن بعد قتل الحسين عليه السلام .
٨١	مخالفة عدّة من القرّاء مع علىّ عليه السلام فى المسير إلى الشام .
٨٣	طرف من مطاعن معاوية بنقل ابن أبى الحديد .
٨٥	ردّ ما قيل : بأنّ عايشة زوجة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى الآخرة .
٨٧	من قال : سلونى غيره عليه السلام افتضح .
٨٨	ماجرى بين عمر بن الخطاب وبين الضبع التميمى
٩١	الأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء .
٩٢	إخباره عليه السلام عن خالد بن عرفطة .
٩٣	إخباره عليه السلام بغرفة الأزدى عن مقتل الحسين عليه السلام .

رقم الصحيفة	العنوان
٩٤	نقل ابن ابى الحديد طرفا من إخباره عليه السلام عن الغيوب .
٩٦	كلام المفيد فى اخباره عليه السلام عن الغيوب .
١٠١	اخباره عليه السلام ببناء الحلّة وببانيه سيف الدولة .
١٠٢	الاشارة إلى إخباره المنامية .
١٠٥	سؤل سلمان : إنّه عليه السلام عالم الأرض وربّانيها .
١٠٧	ماأجاب عليه السلام عن المعضلات .
١٠٩	العنوان ـ ٤ ـ من الفصل التاسع كلامه عليه السلام سلونى قبل ان تفقدونى .
١١٠	قول الكزى : سلونى وكيفية افتضاحه .
١١٣	العنوان ـ ٥ ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام ألقاها فى الموعظة .
١١٥	اخباره عليه السلام عن ثمانية نفرمنهم عمروبن حريث بأنّ إمامهم ضبّ .
١١٧	اخباره عليه السلام عن رسالة من أنفذته عايشة إليه .
١١٩	اخباره عليه السلام عن القرامطة .
١٢٢	اخباره عليه السلام عن مقتل الحسين .
١٢٤	الإشارة إلى الغلاة فى أمره عليه السلام
١٢٥	إخباره عليه السلام عن ماجرى على ميثم
١٣١	العنوان ـ ٦ ـ من الفصل التاسع كلامه عليه السلام ماكذبت ولا كذبت .
١٣٤	اخباره عليه السلام عن قتل أربعة آلاف من الخوارج منهم ذوالثدية .

رقم الصحيفة العنـــوان

١٣٦ العنوان ــ ٧ــ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام فى تخويف أهل النهروان ، ومن كلامه عليه السلام كلّم به الخوارج.

١٣٩ بعثه عليه السلام أبا موسى لانفاذ الحكومة .

١٤٣ اعتراض زرعة وحرقوص عليه ع لمّا أراد أن يبعث أبا موسى .

١٤٥ كلام حوثر الأسدى فى إمامة الشيخين .

١٤٩ العنوان ــ ٨ــ من الفصل التاسع قوله عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج ، وقيل له : إنّهم قد عبروا جسر النهروان .

١٥٣ تحقيق ابن أبى الحديد فى إخباره عليه السلام عن المغيبات.

١٥٨ العنوان ــ ٩ــ من الفصل التاسع قوله عليه السلام وقد مرّ بقتلى يوم النهروان ، وقوله عليه السلام لمّا قتل الخوارج .

١٦٨ العنوان ــ ١٠ــ من الفصل التاسع كلامه عليه السلام وقد أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة. ومن كلامه عليه السلام لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشيبانى الى معاوية

١٧٧ كتاب قوم مصقلة إليه لمّا هرب إلى معاوية .

١٧٩ ترجمة بنى ناجية ، وهل هم من قريش؟

١٨٥ العنوان ــ ١١ــ من الفصل التاسع من كلامه عليه السلام فى ذمّ أهل البصرة ، ومن كلام له عليه السلام فى مثل ذلك .

١٩٣ الإشارة إلى غزوة الجمل .

١٩٤ كلام النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لعايشة : ياحميراكأنّى بك تنبحك كلاب الحوأب .

٢٠٦ كلام الحموى فى البصرة .

٢٠٧ العنوان ــ ١٢ــ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام ذكر فيها

رقم الصحيفة	العنوان
	يوم القيامة وأحوال الناس فيها ، ومن كلامه عليه السلام فيما يخبر به من الملاحم بالبصرة.
٢١٤	غلبة صاحب الزنج على البصرة، والإشارة إلى ماوقع فيها من الحوادث.
٢٢١	العنوان -١٣- من الفصل التاسع كلامه عليه السلام الذى يومى به إلى وصف الأتراك.
٢١٣	كلام الجاحظ فى وصف الأتراك :
٢٢٧	كلام الجزرى فى خروج التتار.
٢٣٣	كلام المفيد فى علم الأئمة
٢٣٥	العنوان -١٤- من الفصل التاسع كلامه عليه السلام فى ذكر الكوفة
٢٣٧	فضيلة مسجد الكوفة .
٢٤١	الإشارة إلى من رماهم الله بقاتل ومنهم عبيد الله.
٢٤٤	العنوان -١٥- من الفصل التاسع كلامه عليه السلام لأصحابه أشار فيه إلى ظهور المعاوية على أمة الاسلام .
٢٤٦	الإشارة إلى الأكولين، ومنهم معاوية .
٢٥١	عداوة أهل الشام لعلى عليه السلام وأولاده .
٢٥٤	كلام الوليد لبنيه فى فضيلة على عليه السلام .
٢٥٧	الكلام فى سبه والبرائة منه عليه السلام .
٢٥٩	كيفية قتل حجر بن عدى وأصحابه عليه السلام .
٢٦٢	مناظرة المأمون مع إسحاق بن ابراهيم فى امامة على عليه السلام
٢٦٤	العنوان -١٦- من الفصل التاسع كلامه عليه السلام لمروان بن الحكم بالبصرة

رقم الصحيفة	العنوان
٢٦٥	قول الحسن عليه السلام لمروان فى مجلس معاوية.
٢٦٩	ترجمة مروان، والإشارة بأنّه وأبوه الطريدان اللعينان.
٢٨١	العنوان ـ١٧ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام المشتملة على الملاحم.
٢٨٥	قول الجاحظ بأنّ عبد الملك أوّل خليفة منع الناس من الكلام عند الخلفاء.
٢٨٦	كيفيّة قتل عمرو بن سعيد.
٢٨٩	خطبة عبد الملك بعد قتل مصعب.
٢٩١	فى سنة ٧٥ ولّى عبد الملك الحجاج على العراق.
٢٩٨	العنوان ـ١٨ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام يؤمى فيها إلى ذكر الملاحم.
٣٠٠	قدوم ميسرة العبدى إلى علىّ بن محمّد بن علىّ.
٣٠٢	العنوان ـ ١٩ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام اشار فيها إلى أهل الضلال.
٣٠٧	العنوان ـ٢٠ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام ينصح فيها أصحابه
٣٠٩	إخباره عليه السلام عن تسلّط غلام ثقيف، والإشارة إلى طرف من سفاكيته.
٣١٥	كلام عبد الملك للحجاج : صف لى عيوبك.
٣٣٦	العنوان ـ٢١ـ من الفصل التاسع من كلامه عليه السلام يشير فيه إلى ظلم بنى أميّة.
٣٣٩	الإشارة إلى أنّ بنى أمّية استحلّوا كلّ محرّم، وأحلوا كلّ عقد

رقم الصحيفة	العنوان
٣٤٧	العنوان ـ ٢٢ ـ من الفصل التاسع من كلامه عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة الحرب بصفّين.
٣٥٣	العنوان ـ ٢٣ ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام نبّه فيها على دولة بني أُميّة.
٣٥٧	مناظرة ملك النوبة مع عبد الله بن مروان.
٣٥٩	العنوان ـ ٢٤ ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام أشار فيها إلى بني أُميّة.
٣٦١	إخباره عليه السلام عن تشتّت شيعته.
٣٦٤	بدء دعوة العباسية إلى تشكيل سلطنتهم.
٣٧٩	قتل من بقي من بني مروان بمحضر عبد الله بن عليّ.
٣٨١	علّة سلب عزّ بني أُميّة.
٣٨٢	العنوان ـ ٢٥ ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام أشار فيها إلى الظنّ الخاطئ لبعض الناس.
٣٨٥	العنوان ـ ٢٦ ـ من الفصل التاسع من كلامه عليه السلام في التخويف من فتنة بني أُميّة.
٣٨٧	كتاب معاوية في البراءة عمّن يروي شيئاً من فضل أبي تراب.
٣٩١	مناظرة عليّ بن الحسين عليه السلام مع عبد الملك.
٣٩٣	المراد بمن يفرّج الله به : هو القائم.
٣٩٥	كيفيّة نبش قبور بني أُميّة وإحراق أجسادهم.
٣٩٦	العنوان ـ ٢٧ ـ من الفصل التاسع من كلامه عليه السلام أشار فيه إلى بني أُميّة.
٣٩٩	وقوع الاختلاف في خراسان بين اليمانية والنزارية.

رقم الصحيفة العنوان

٤٠٢ العنوان ـ ٢٨ ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام فى خطاب أصحابه .

٤٠٧ قيام دعاة بنى العباس .

٤٠٩ العنوان ـ ٢٩ ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام يحذر فيها من الفتن .

٤١٣ مخالفة مروان مع معاوية فى تاميريزيد .

٤١٦ الإشارة إلى اختلاف الأهواء .

٤١٨ خروج المعتصم إلى القاطول .

٤٢١ أخذ المنصور عبد الله بن الحسن .

٤٢٦ التحذير عن مسالك الشيطان، ومهابط العدوان .

٤٢٧ العنوان ـ ٣٠ ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام ألقاها فى الملاحم ، ومنها الإشارة إلى فتنة بنى أمية

٤٣٢ سؤال ابن أبى ليلى عن علىّ عليه السلام من أمره .

٤٣٦ الإشارة إلى علامات الظهور .

٤٤٥ تمثيل الباقر عليه السلام لاختلاف الازمنة .

٤٤٨ رؤياجابرالأنصارى وتعبيرأميرالمؤمنين عليه السلام له .

٤٤٦ العنوان ـ ٣١ ـ من الفصل التاسع كلامه عليه السلام فى فتن آخرالزمان .

٤٥٦ العنوان ـ ٣٢ ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام يومى فيها إلى ذكرالملاحم .

٤٥٩ سيرة القائم عليه السلام عند قيامه .

٤٦٥ العنوان ـ ٣٣ ـ من الفصل التاسع من غرائب كلامه .

رقم الصحيفة	العنوان
٤٦٧	علائم الظهور.
٤٦٩	العنوان ـ٣٤ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام يومي فيها الى ذكر الملاحم.
٤٧١	معنى قول الصادق عليه السلام هلكت المحاضير.
٤٧٧	أنّ الائمة عليهم السلام يسيرون فى الفتنة بسراج منير.
٤٨١	كلام الرضا عليه السلام فى الإمامة.
٤٨٣	اوصاف الشيعة.
٤٨٥	اخباره عليه السلام عن علائم الظهور.
٤٨٧	العنوان ـ٣٥ـ من الفصل التاسع خطبته عليه السلام ينصح بها اصحابه
٤٩٠	العنوان ـ٣٦ـ من الفصل التاسع من كتاب له عليه السلام إلى معاوية
٤٩٣	رفع المصاحف على أطراف الرماح.
٤٩٥	العنوان ـ٣٧ـ من الفصل التاسع من خطبته عليه السلام فى ذمّ اهل العراق
٥٠٠	إخباره عليه السلام عن علامات الظهور للمهدى عليه السلام
٥٠٣	فهرست المطالب.

2930

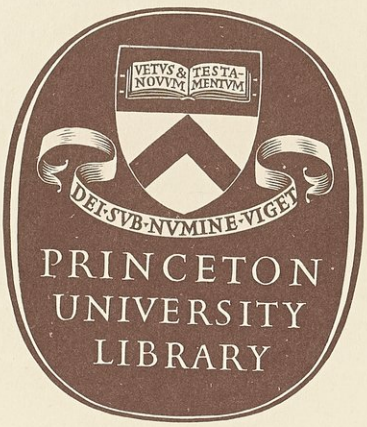
VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 047142920